



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليكم يا صبا
الربا

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir



السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ

المعارف الراضعة

فان

شرح الزيارة الجامعة

عبد نظامي بنور الهدائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المعارف الرافعه فى شرح الزياره الجامعه

كاتب:

على نظامى پورالهمدانى

نشرت فى الطباعة:

بنیاد پژوهشهای اسلامی آستان قدس رضوی

رقمى الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحريات الكمبيوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
١٣	المعارف الرافعه فى شرح الزياره الجامعه
١٣	اشاره
١٣	اشاره
١٥	كلمه الناشر
١٩	مقدمه المؤلف
٢٣	المدخل
٣٣	الباب الأول: التسليمات
٣٣	١
٤٥	٢
٤٨	٣
٥٥	٤
٦٢	٥
٦٦	٦
٦٩	٧
٧٣	٨
٧٦	٩
٨٠	١٠
٩٠	١١
٩٥	١٢
٩٨	١٣
١٠١	١٤
١٠٦	١٥
١٠٦	اشاره

١١١	تذنيب	
١١٤		١٤
١١٨		١٧
١٢٠		١٨
١٢٣		١٩
١٢٩		٢٠
١٣٤		٢١
١٣٩		٢٢
١٣٩	اشاره	
١٤٤	تذنيب	
١٤٤		٢٣
١٥١		٢٤
١٥٣		٢٥
١٥٧		٢٤
١٦٢		٢٧
١٦٨		٢٨
١٧٢		٢٩
١٧٢	اشاره	
١٧٥	تذنيب	
١٧٤		٣٠
١٨٠		٣١
١٨٥		٣٢
١٨٨		٣٣
١٩٣		٣٤
١٩٤		٣٥
١٩٩		٣٤

١٩٩	اشاره
٢٠٣	تذنيب
٢٠٤	٣٧
٢٠٨	٣٨
٢١١	٣٩
٢١٧	٤٠
٢٢١	٤١
٢٢٥	٤٢
٢٣٢	٤٣
٢٣٧	٤٤
٢٤٠	٤٥
٢٤٤	٤٦
٢٥١	٤٧
٢٥٩	٤٨
٢٥٩	اشاره
٢٦١	تذنيب
٢٦٢	الباب الثاني: الشهادات الأولى
٢٦٢	اشاره
٢٦٢	٤٩
٢٦٩	٥٠
٢٧٥	٥١
٢٧٩	٥٢
٢٨٣	٥٣
٢٨٥	٥٤
٢٨٩	٥٥
٢٩٢	٥٦

۲۹۵	۵۷
۲۹۸	۵۸
۳۰۳	۵۹
۳۰۷	۶۰
۳۱۱	۶۱
۳۱۵	۶۲
۳۱۸	۶۳
۳۲۲	۶۴
۳۲۵	۶۵
۳۲۸	۶۶
۳۳۱	۶۷
۳۳۵	۶۸
۳۳۸	۶۹
۳۴۱	۷۰
۳۴۶	۷۱
۳۴۹	۷۲
۳۵۳	۷۳
۳۵۶	۷۴
۳۵۸	۷۵
۳۶۱	۷۶
۳۷۰	۷۷
۳۷۴	۷۸
۳۷۸	۷۹
۳۸۲	۸۰
۳۸۶	۸۱
۳۹۶	۸۲

٣٩٨	٨٣
٤٠١	٨٤
٤٠٢	٨٥
٤٠٦	٨٦
٤٠٩	٨٧
٤١١	٨٨
٤١٥	٨٩
٤١٨	٩٠
٤٢٢	٩١
٤٢٤	٩٢
٤٢٦	٩٣
٤٣٠	٩٤
٤٣٤	٩٥
٤٣٨	الباب الثالث: الآثار
٤٣٨	٩٦
٤٤٣	٩٧
٤٤٧	٩٨
٤٥١	٩٩
٤٥٤	١٠٠
٤٥٨	الباب الرابع: التسبب
٤٥٨	اشاره
٤٥٨	١٠١
٤٦٣	الباب الخامس: الإقرارات
٤٦٣	اشاره
٤٦٣	١٠٢
٤٦٥	١٠٣

٤٧٠	١٠٤
٤٧٤	١٠٥
٤٨٠	الباب السادس: في وظائف الإمامه الحقه
٤٨٠	اشاره
٤٨٠	١٠٦
٤٨٦	الباب السابع: النتائج، لكونهم عليهم السلام باب حظه
٤٨٦	اشاره
٤٨٦	١٠٧ [سعد من... من الجحيم]
٤٩٦	الباب الثامن: الشهادات الثانيه
٤٩٦	اشاره
٤٩٦	١٠٨
٤٩٨	١٠٩
٥٠٠	١١٠
٥٠٥	١١١
٥٠٩	١١٢
٥١٣	١١٣
٥١٧	١١٤
٥٢٠	١١٥
٥٢٥	الباب التاسع: الطاعه و الشوق
٥٢٥	اشاره
٥٢٥	١١٦
٥٢٨	١١٧
٥٣٤	١١٨
٥٣٧	١١٩ [أخذ بقولكم... عائد بقبوركم]
٥٤٢	١٢٠
٥٤٦	١٢١

٥٤٨	١٢٢
٥٥٢	١٢٣
٥٥٤	١٢٤
٥٥٨	١٢٥
٥٦٤	الباب العاشر: التمنيّات
٥٦٤	اشاره
٥٦٤	١٢٦ [فنبتنى الله... غدا برويتكم]
٥٧٣	الباب الحادى عشر: الثناءات
٥٧٣	اشاره
٥٧٣	١٢٧
٥٧٦	١٢٨
٥٧٩	١٢٩
٥٨١	١٣٠
٥٨٦	١٣١
٥٩٢	١٣٢
٥٩٥	١٣٣
٥٩٩	١٣٤
٦٠٣	١٣٥
٦٠٧	١٣٦
٦١٣	١٣٧
٦١٨	١٣٨
٦٢٢	١٣٩
٦٢٨	١٤٠
٦٣٥	الباب الثانى عشر: التضرع و التوبه
٦٣٥	١٤١
٦٣٩	١٤٢

٦٤٢ ----- ١٤٣

٦٤٤ ----- [اللهم انى...و نعم الوكيل] ١٤٤

٦٥٠ ----- الفهرس

٦٤٤ ----- تعريف مركز

المعارف الرافعه فی شرح الزياره الجامعه

اشاره

سرشناسه: نظامی پور، علی، ۱۳۲۶ -

عنوان قراردادى: زیارتنامه جامعہ کبیرہ .شرح

عنوان و نام پدیدآور: المعارف الرافعه فی شرح الزياره الجامعه / علی نظامی پورالهمدانی.

مشخصات نشر: مشهد: بنیاد پژوهشهای اسلامی، ۱۴۳۱ ق. = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهری: ۶۴۴ ص.

شابک: ۹۰۰۰۰ ریال ۹۷۸-۹۶۴-۹۷۱-۳۸۶-۱:

وضعیت فهرست نویسی: فایا

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع: زیارتنامه جامعہ کبیرہ -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: بنیاد پژوهش های اسلامی

رده بندی کنگره: BP۲۷۱/۲۰۲ / ۱۳۸۹ ۶

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۷۷۷

شماره کتابشناسی ملی: ۲۰۷۱۷۸۵

وضعیت رکورد: رکورد کامل

ص: ۱

اشاره

المعارف الرافعه فى شرح الزياره الجامعه

على نظامى پورالهمدانى

ص: ۲

من الذخائر النفيسه التي منّ بها علينا أهل البيت صلوات الله عليهم، فأذنوا بأن نخاطبهم بها: هذا النصّ العاصم الذي شاع بيننا باسم «الزياره الجامعه». و هو نصّ مدّخر مكنون منّت به أُلطاف الإمام العاشر أبى الحسن عليّ بن محمّد الهادى سلام الله عليه على أهل الإيمان من الموحّدين يوم ألقاه إلى موسى بن عبد الله النخعيّ من أصحابه، لمّا طلب منه بأدب أن يعلمه ما يقوله إذا زار الأئمّه الطاهرين من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين: «علّمني يا ابن رسول الله قولاً- أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت أحداً منكم». و أجابه مولانا الهادى عليه السّلام إلى ما طلب من القول البليغ الكامل فى هذا الشأن، فكان أن فاض من خزائن جود الإمام الهادى هذا النصّ السماوى الهادى البليغ الكامل المناسب-بطبيعته الحال- لما يستوعبه موسى بن عبد الله النخعيّ و من هم على شاكلته من المؤمنين.

و قد أريد لهذه الزياره أن تنتشر فيما بين أشياخ آل محمّد و محبيهم و تشيع. و هكذا كان، إذ غدت ممّا لا تخلو منه كتب الأدعيه و الزيارات، و غدت ممّا يزار به أئمّه أهل البيت عليهم السّلام فى مزاراتهم المباركه و مزارات

من انتمى إليهم من أصفياء آبائهم المطهرين.

و شرع الناس يقرأونها إذا زاروا أئمتهم الأكرمين، فإذا هي نصّ «مميّز» و قول يبلغ يبلغ بقارئه المصدّق مراقى من المعرفه العاليه النقيه، و مدارج رفيعه من خالص التوحيد.. إلى جوار ما تشتمل عليه فقرات هذه الزياره المباركه من حركه قلب الزائر بالتحية و السلام على من يزور، و من إقرار و اعتراف بمقام الإمامه الإلهيه، و من الأشواق الصاعده المتعالیه إلى قدس عالم الملكوت، و من الثناء على الله تبارك و تعالى و الإذعان بالعبوديه المتطامنه أمام عظمه الربوبيه. إنّها زياره مبصّره تبلغ بأهل التسليم و التصديق مقام اليقين، و هو ما يريد آل محمد صلّى الله عليه و آله لشيعتهم و محبيهم منّ عليهم بهذه الكرامه النفيسه النادره؛ فإنّ أقلّ رزق ينزل من السماء هو اليقين (١).

إنّ الزياره الجامعه - بهذه المضامين القيمه التي تتحدّر علينا منها - تكفى بمفردها أن نعرف من خلالها أفقا مهمّا ساميا من الآفاق الملكوتيه النورانيه العاليه لأهل البيت، بما منّ الله تعالى به عليهم فجعلهم خلصاءه و أصفياه و أمناءه و الأدلاء عليه. و من هنا كان اسم «الزياره الجامعه»، إذ جمعت من مقاماتهم سلام الله عليهم ما لم يجمعه غيرها من نصوص

ص: ٤

١- يقول رسول الله صلّى الله عليه و آله: خير ما القى فى القلب اليقين (أمالى الصدوق / ٣٩٥ ح ١). و [١] اليقين أفضل الدين، كما يقول مولانا أمير المؤمنين (غرر الحكم ٦٧٩٧، ٢٨٤٨). و [٢] يقول ولده الإمام الباقر عليه السلام: لم يقسم بين الناس أقلّ من اليقين (الكافي ٢/ ٥٢: ٥). [٣]

الزيارات. و هي «جامعه» كذلك؛ لأنها ممّا يزار به كلّ واحد من الأئمة المعصومين، فهي نصّ جامع يزار به أهل العصمه أجمعين. وإنّ العديد من آثار هذه الزيارة المباركه ليتحقّق للعبء إذا ما أقبل بكلّه عليها: أشواقا في القلب، و أدبا في الخطاب، و صفاء في العقل، و مزيدا من التّطامن و التّواضع و الخضوع في قبالة ذلكم المقام السامى الآخذ بالعبء إلى ربّه و موصله إلى حقيقه الصراط المستقيم، و العاصم له من الزيغ في المعتقد، و من الوهن في الارتباط، و من التفريط بأدب الخطاب.

و هذا النصّ الذى رواه فحول رجال الروايه لقي اهتماما متميّزا من كثير العلماء، مذ تفتّنوا إلى تأكيد أئمّه أهل البيت عليه، و مذ أدركت قلوبهم و عقولهم ما يموج به من أنوار الهدايه الخاصّه، فكان أن كتبت له شروح متعدّده، على درجات شتّى من الطول و الإيجاز، و من التعمّق و اليسر في البيان، و من التعدّد في مشارب شارحيه و فى الأذواق. و من هذه الشروح ما تقدّمه اليوم لقراءنا الأعرّاء بعنوان «المعارف الرافعه في شرح الزيارة الجامعه» للأستاذ الفاضل المحقّق الشيخ على النظامى الهمدانى.

و سيجد القارئ فى هذا الشرح الجديد الذى قسّم فقرات الزيارة إلى اثني عشر بابا فى (١٤٤) فصلا، مضامين بيانيّه و مباحث معرفيه قصد بها مؤلّفها المحترم إلى تقريب البعيد و تيسير العسير و تعميق المعرفه بأهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم. و سيجد القارئ أيضا أنّ هذا الشرح الذى كتبه فضيله المؤلّف إنّما هو ثمره جهود علميه معرفيه إيمانيّه طويله

عائشها فى حياها؁ فأثمرأ هأه الأمره الطأبه؁ مرأدا لها أن أكون رافعه لوعى قارئها إلى درجاء عالبه من الإأمان و من الأرباط الباطنى المسأنبر بأهل الببأ الطاهرأن.

مجمع البأوا الإسلامبه

ص: ٤

الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع في سلطانه، المرهوب من عذابه، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في سمائه و أرضه، الذي خلق الخلق بقدرته و ميزهم بأحكامه و أعزهم بدينه.

و الصلاة على رسوله نبى الرحمة و إمام الأئمة، المنتجب من طينه الكرم، و سلاله المجد الأقدم، و على أهل بيته مصابيح الظلم، و عصم الأمم، و منارات الدين الواضحة، و مناقيل الفضل الراجحة، و لعنه الله على أعدائهم و منافقيهم و منكرى مناقبهم أبد الأبدین.

أما بعد، لا شك في أن هويته الإنسان لا تحدّ بغرائزه و أوهامه، و لا شبهه أيضا في أن كماله الحقيقي هو الذى يرتبط بما يتقوّم به نوعه الإنسانى؛ لأنّ الغرائز و الأوهام لا تعدّان من نوعه الحقيقى أى الإنسانى، فالظفر بهذا الكمال يحتاج إلى المعرفة باصول أربعة حقّه تواجهها أفكار جميع البشر فى كلّ زمان و مكان، و هى عبارة عن: المبدأ و المسير و السير و المقصد، فلو أخلّ فى معرفه أى من هذه الاصول-فضلا عن

ترك المعرفة بجميعها-لا- يبلغ إلى مقصده، وهو النيل بكماله الحقيقي الإنساني، فالمراد من معرفته بالمبدأ، هي معرفته بالله و بالمقصد، المعاد و السير، الأوصاف و الأعمال، و لا تحصل المعرفة بأى من هذه الثلاثة إلا بمعرفته بالمسير، و الغرض من المسير هي النبوه و الإمامه، و هو: المعرفة بكل واحد منها لا تحصل إلا بتقديم العقل الصريح على النقل الصحيح، و جعله النقل مؤيدا للعقل، فالعقل دال على لزوم صيانته النقل عن الخطأ و الخلاف، و أيضا على ضروره كون المنقول عنه معصوما؛ لأن المقصد هام جدا في غايه الأهميه بحيث تكون الغفله عنه مهلكه فحيث لا- أحد معصوم في الإسلام- كما سيأتي البحث عنه- إلا آل البيت عليهم السلام، أردنا التعرف على آل البيت عليهم السلام (و هم المسير)، معتصمين بهم عن الخطأ و الخلاف، فرأينا أن نشرح هذه الزياره كي تحصل بسبب معرفتهم معرفه الأصول الثلاثة الأول، متوكلين على الله، و مستمدين فضله العميم. إن مبادرتنا إلى الشرح كانت بتأليف كتاب بالفارسيه في ثلاثه مجلدات سميناه ب«سيمای ائمه در شرح زيارت جامعه كبيره»، ثم أردنا أن نعرب ذلك الكتاب، و صنعنا في المعرب إصلاحات بالحذف و الإضافة، و تفصيل بعض المجملات و إجمال المفصلات، و إتيان ما هو أنسب في بعض مطالبه، فلما انتهينا منه سميناه ب«المعارف الرافعه في شرح الزياره الجامعه» مقتبسين اسمه من مضمون قوله تعالى: **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ، افهَذَا هُوَ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنَا وَ إِيَّاكَ بِهِ، إِنَّهُ قَرِيبٌ مَجِيبٌ.

أما بعد، لا شكّ في أنّ هويّه الإنسان لا تحدّ بغرائزه و أوهامه، ولا شبهه أيضا في أنّ كماله الحقيقيّ هو الذي يرتبط بما يتقوّم به نوعه الإنسانيّ؛ لأنّ الغرائز و الأوهام لا- تعدّان من نوعه الحقيقيّ أي الإنسانيّ، فالظفر بهذا الكمال يحتاج إلى المعرفة باصول أربعه حقّه تواجهها أفكار جميع البشر في كلّ زمان و مكان، و هي عبارته عن: المبدأ و المسير و السير و المقصد، فلو أخلّ في معرفه أيّ من هذه الاصول-فضلا عن

ص:

قبل الورود فى موضوع الكتاب تقع هنا مسائل، ينبغى الإجابة عنها:

إحداها: ما الحاجه إلى هذا الشرح بعد تأليف كتب كثيره فى هذا الباب؟ لأنّ الطالب يمكن له أن يرجع إلى كلّ واحد منها فينال حاجته و يستغنى عن مثل هذا الشرح.

ثانيها: ما معنى الزياره و كم لها من الأقسام؟

ثالثها: لماذا سمّيت الجامعه بالجامعه؟

رابعها: ما الحاجه إلى التعرّف على تفسيرها؟

خامسها: ما حدّ صحّتها و اعتبارها؟

سادسها: لماذا نزور المعصومين عليهم السلام؟

أمّا الإجابة عن السؤال الأوّل فنقول: إنّ الكتب المؤلّفه فى المقام، أوّلا ليست كثيره؛ لهذا قد يكون هذا الشرح جديدا فى باب. ثانيا ليس كلّ الشروح فى متناول جميع الطالبين، و على فرض إمكان ذلك فإنّه لا يستفيد منها الجميع، مضافا إلى أنّ من لا علم له بالقراءه يمكن له الاستفاده كثيرا من الخطابه، و لكنّ البعض كثيرا ما يتمتّعون بالمطالعه و لا ينتفعون كثيرا من طريق الاستماع. أضف إلى ذلك أنّ فهم المسائل المطروحه فى الباب يمكن أن يتعسّر لأكثر الناس لغموضها، و لكنّا نجتهد

أن نسهلها لينتفع الأكثر مهما أمكن.

الإجابة عن السؤال الثاني: إنَّ الزيارة بمعنى اللِّقاء، نقل أنَّ أبا هريره كان يأتي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَاحِبَهُ كَثِيرًا وَهُوَ رَجُلٌ غَيْرٌ جَيِّدٌ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَرْضِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ كَثْرَةِ لِقَائِهِ، لِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! زُرْ غَبَا تَزِدُّ حَبًا» (١).

فالحاصل أنَّ الزيارة بمعنى اللِّقاء وَهُوَ عَلَى أَقْسَامٍ: حَسِّيٍّ وَخِيَالِيٍّ وَقَلْبِيٍّ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَيَتَعَارَفُهُ الْجَمِيعُ، وَأَمَّا بِمَعْنَى الثَّانِي: فَهُوَ مَا يَتَصَوَّرُ الزَّائِرُ الْمَزُورَ وَ يَتَوَهَّمُهُ عِنْدَهُ فَيَتَكَلَّمُ مَعَهُ، مِثْلًا مَعَ تَمَثَّالِهِ، كَمَا قِيلَ:

وَمَا شَرِبْتَ لَذِيذَ الْمَاءِ مِنْ عَطَشٍ إِلَّا رَأَيْتَ خِيَالًا مِنْكَ فِي الْكَاسِ

وَأَمَّا الثَّالِثُ مِنْ أَقْسَامِ الزِّيَارَةِ فَالزِّيَارَةُ بِالْقَلْبِ، فَالْقَلْبُ يَثْبِتُ لَنَا بِالِدَلِيلِ ذَلِكَ الْمَطْلُوبَ فَقَطْ وَ لَا يَذْهَبُ بِنَا إِلَيْهِ، وَ لَكِنَّ الْقَلْبَ يَذْهَبُ بِعَمَقِهِ وَ سُوَيْدَاهُ إِلَى لِقَاءِ الْمَطْلُوبِ.

فَمَنْ زَارَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ زَارَهُمْ حَقًّا مِنْ غَيْرِ حَسِّ ظَاهِرِيٍّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ زِيَارَةٌ بِالْقَلْبِ، وَ لَوْ حَضَرَ عِنْدَهُمْ كَانَ يَحْسَهُ (بِحَسِّ الظَّاهِرِ) فَيَكُونُ ذَلِكَ مَقْدَمَهُ لِهَذِهِ الزِّيَارَةِ الْقَلْبِيَّةِ، فَالْمَقْصِدُ الْأَصْلِيُّ وَ النَّتِيجَةُ الْحَقِيقِيَّةُ مَا وَقَّعَ لَهُ الزَّائِرُ مِنَ اللَّقَاءِ الْقَلْبِيِّ، وَ إِلَّا فَقَدْ كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَزُورُونَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ بِحَوَاسِّهِمُ الظَّاهِرَةَ.

وَ حَيْثُ إِنَّ الزِّيَارَةَ الْحَقِيقِيَّةَ كَانَتْ هَذِهِ بِالْقَلْبِ، فَلَا يُوَثَّرُ فِيهَا الْبَعْدُ الزَّمَانِيُّ أَوْ الْمَكَانِيُّ، كَمَا قِيلَ بِالْفَارْسِيَّةِ:

ص: ١٢

١- ١). بحار الأنوار ٧٤: ٣٥٥/ح ٣٦- عن كتاب: الإباحة و التبصره، لوالد الشيخ الصدوق (ره).

گرچه دوریم به یاد تو سخن می گوئیم بُعد منزل نبود در سفر روحانی (۱)

بناء علی هذا، فالمهمّ هو زیاره بالقلب، التي تحصل للزائر قریبا كان أو بعيدا مع بعد كثير زمانی أو قليل، ولا سیما مع بقاء المعصومین علیهم السّلام أحياء و إحاطتهم الولویّه كما نصّ علیہ القرآن الکریم فی وصف الشهداء:

بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (۲).

و أما الإجابة عن السؤال الثالث فهي: نقل فی كتب الأدعية و الزیارات، و منها مفاتیح الجنان، زیاره لأهل البيت علیهم السّلام هی المعروفه بالجامعه، كفی فی فضلها أنّ الإمام المهديّ (عجل الله فرجه الشريف) أوصى السيّد أحمد بن السيّد هاشم الموسويّ الرشتي بقراءتها، و أيضا يكفی فی فضلها كونها «جامعه».

و أحببنا هنا أن نبيّن أنّ لكلمه جامعه معنيين، و هذا الاسم أي «الجامعه» محتمل لكليهما:

الأول: أنّ المراد من جامعه هو اجتماع الزائر بها جميع المعصومين عليهم السّلام في زیاره، فلو زار الإمام الحسين عليه السّلام مثلا زیاره عاشوراء فقد زاره عليه السّلام فقط دون سائر المعصومين عليهم السّلام و لكن بها یزارون عليهم السّلام جميعا، فهي تستلزم ثواب زیارتهم جميعا للزائر.

ص: ۱۳

۱- و حاصل ترجمته: و إن کنا بعيدین عنک و لكننا نتکلم بذکرک لعدم البعد فی السفر الروحی لم یکن المنزل بعيدا.

۲- ۲). آل عمران: ۱۶۹ [۱]

الثانى: ذكر جميع كمالاتهم و مناقبهم عليهم السّلام، فالحاصل أنّ كون هذه جامعه ناظره إلى كمالاتهم الوافره، و شؤونهم العاليه الكثيره.

فمثل هذه الزياره تعرّفنا المعصومين معرفه أكمل و أجمع مع معرفتنا فوق العلم بهم حول علومهم و عباداتهم و صلّتهم عليهم السلام بالغيب و مناقبهم الجليله الذاتيه و الفعليه و غيرها.

و يلزم أن نتذكّر أنّ هذه الألفاظ و العبارات ليست فى الحقيقه زياره، بل هى أدوات مذكّره للزياره، كما تقدّم أنّ الزياره فى الحقيقه هى بالقلب، و هو به معنى لقاء الذى يكون عقيبا لهذه الألفاظ.

أمّا الإجابه عن السؤال الرابع: فإنّا نذكر فى ما بعد أنّ معرفه مقام الأئمه هى حقيقه التوحيد و لبّ الدين و النبوه، و دون المعرفه بهم لا ينجو أحد، و نذكر أيضا أنّ كثيرا من كمالاتهم ذكر فى هذه الزياره، فبالمقدّمين تتبين لنا ضروره شرح هذه الزياره و لزومه، لأنّا إن لم نتعرّف على شرحها ليس لنا مأخذ معتبر كى نأخذ التعرّف منه، أو إن وجد مأخذ معتبر كان متفرقا لم يجمع فيه كمالاتهم كما جمعت فى هذه الزياره.

و الجواب عن خامس الأسئلة نقول: نكتفى بما أتى به مؤلف الكتاب «مقام ولايت» فى مقدّمه كتابه حيث قال: «إنّ جميع العظماء من الأعلام اتفقوا على أنّ «الجامعه» أحسن الزيارات و أكملها، و لا- نظير لها من جهه علوّ مضامينها و بلاغتها. (إلى أن قال: من الأسناد الموثّقه فى سند هذه الزياره، هو الشيخ الأجلّ يعنى محمّد بن على بن بابويه الصدوق رحمه الله فى

كتابه «من لا يحضره الفقيه»، وهكذا الشيخ الأجلّ محمّد بن الحسن الطوسيّ في كتابه «تهذيب الأحكام» عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن موسى بن عبد الله النخعيّ، نقلوا جميعاً أنّه (النخعيّ) قال: قلت للإمام الهادي عليه السّلام (عاشر الأئمّه): علّمني يا ابن رسول الله، زياره بليغه كامله كلّما أردت أزور أحدكم أقرؤها، فهو عليه السّلام علّمنيها مع شرائط و آداب أقرأها.

و أيضا أتى السيّد حسين الهمدانيّ صاحب كتاب «الشموس الطالعه» (1) في كتابه بما هذا لفظه: «ثمّ إنّ أجمع حديث يشير إلى مقاماتهم الروحانيّه، و أكمل جملة تكشف عن منازلهم و مراتبهم المعنويّه، و أبلغ بيان يرشد و يهدى إلى معرفتهم بالنورانيّه، هو الزياره الجامعه المعبره المرويّه عن أهل العصمه، و يكفيك في بيان جامعيتها و كمال بلاغتها أنّها وردت في ذلك المورد.

فإنّ المنقول في مزار «التهذيب» و «الفقيه» و الباب ٧٢ من «عيون أخبار الرضا عليه السّلام»: «أنّ موسى بن عبد الله النخعيّ قال لعلّي بن محمّد بن عليّ الرضا عليه السّلام: علّمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً أقوله إذا زرت أحداً منكم...».

و لنعم ما قاله العلّامه المجلسيّ (في المزار من البحار) بعد نقله الزياره و بيان لغاتها الغامضه: «إنّما بسطت الكلام في شرح تلك الزياره قليلاً - و إن لم أستوف حقّها - حذراً من الإطاله، لأنّها أصحّ الزيارات سنداً،

ص: ١٥

١- الشموس الطالعه في شرح الزياره الجامعه - المقدمه ص ج، د.

و أعمّها مورداً، و أفصحها لفظاً و أبلغها معنى، و أعلاها شأنًا» (١).

و الجواب عن سادس الأسئلة: أنّ لزياره المعصومين عليهم السّلام فوائد عقليّه و عاطفيّه و روحيّه و تربويّه و عباديّه، تقريرها:

إنّ زيارتهم عليهم السّلام يعرّف كمالاتهم الزائر استدلالاً، و من جهه العطف إنّ القلوب الملتهبه بنار عشقهم يسكن لهيبتها بالزياره، و توصل الزياره المبتلين بألم مفارقتهم إلى محبوبيهم.

و من الجهه الروحيّه: إنّ إيمان الزائر بالمعصومين عليهم السّلام يتعمّق و يتحكّم بالزياره. و أمّا من الجهه التربويّه، فكثيراً ما كان الرجل قبل زيارته إيّاهم عاصياً سيئ الخلق و العمل، و لكنّه يتوب و يسير مطهراً من الذنوب و محبوباً عند الله، كما قال سبحانه: **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** (٢).

و أمّا من الجهه العباديّه: أنّ الزياره و إن كانت تكريماً للمعصومين عليهم السّلام، و لكنّها عباده عظمى لله سبحانه، كما تشهد عليه الروايه الآتيه:

قال رسول الله صلّى الله عليه و اله لعلّي عليه السّلام: «يا عليّ، من زارني في حياتي أو بعد مماتي، أو زارك في حياتك أو بعد مماتك، أو زار ابنيك في حياتهما أو بعد مماتهما، ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها و شدائدّها، حتّى أصيره معي في درجتي» (٣).

ص: ١٦

١- بحار الأنوار، ١٠٢: ١٤٤، الباب ٥٧- باب الزيارات الجامعه. [١]

٢- ٢. البقره: ٢٢٢. [٢]

٣- ٣. من لا يحضره الفقيه، ٥٧٨: ٢- ٥٧٩/ ح ٣١٦٤، و رواه الكليني في الكافي ٥٧٩/ ٤: ح ٢ [٣] بسند مرفوع، و فيه: بعد موتي... موتك.. موتهما.

و من جهه العقل، بما أنهم عليهم السّلام أحبّاء الله، فيكون تكرمهم و مدحهم و زيارتهم و دفع الشرّ عنهم، و تفديه الأنفس في نصرتهم، و غير ذلك عباده لله تعالى.

نضيف إلى هذه المقدّمه مطالب عدّه:

الأول: صلّتنا في هذه الزياره بأهل البيت عليهم السّلام لا غير، فنقول إنّ الفوائد والآثار و الأنوار التي يحتمل البلوغ إليها في سائر الأدعيه و الزيارات هي أقلّ من الفوائد التي في هذه (الجامعه)، لأنّهم عليهم السّلام هم من اصطفاهم ملك الملوك، و جعلهم شفعا عنده لعباده، و لا تنحصر شفاعتهم في الآخره (كما سيأتى الكلام فيه تفصيلا).

الثاني: إنّ هذه الزياره مرويه عن الإمام الهادي عليه السّلام، و واضح أنّ الإمام أعرف بشؤون الإمام من غيره، كما قيل: «أهل البيت أدري بما في البيت»، فلو أنّنا اخترعنا تعابير و ألفاظا من عند أنفسنا، لكانت تلك التعابير قاصره، لأنّها ناشئه عن علمنا القليل و معرفتنا المحدوده بهم، فلم تكن زياره جامعهم لجميعهم، و لا متضمّنه لكلّ كمالاتهم، إلّا أن كانت ما صنعنا من العبارات شبيهه بعباراتهم عليهم السّلام، فتكون لمصنوعاتنا أكثر اعتبارا، فبهذه الزياره نكون مستغنين عن الإبداع و الاختراع.

الثالث: ما هو الفارق بين الزياره و الملاقاه و الرؤيه، نقول: أمّا الرؤيه فأعمّ بالنسبه إلى اللقاء و الزياره، توضيح ذلك: يمكن أن يرى الإنسان صديقه أو عدوّه قاصدا له، و يمكن بلا قصد، و كذلك يمكن أن يرى

أشياء أخرى كالكتاب وغيره؛ ولكن اللقاء، وهو الرؤيه مع القصد خاصه، أعم من أن يلاقى الصديق لإظهار المحبه له، أو العدو لإيراز العداوه عليه.

و أمّا الزياره فهي رؤيه أخص من سابقتيها؛ لأنها أولا- مقيده بالقصد، وثانيا تقيدت بقصد تعظيم الزائر المزور، وهي (رؤيه كهذه) تستلزم تحقير الزائر نفسه حتى يستنتج تكريمه المزور.

فالحاصل تتقوم الزياره بثلاثه: الزائر و الزياره و المزور، فبفقد أحد هذه الأجزاء لم تتحقق الزياره.

و لكل من هذه الثلاثه لوازم و فروع:

ألف) ما يلزم الزائر، فهو (الزائر) مضافا إلى ما هو شرط له في الظاهر كالطهاره من الحدث و الخبث و الخشوع عند الزياره، أن ينسى كل شيء غير ذكر المزور له شرط باطنى، و هو أضعف معرفه بالمزور، ليتحرك بها إلى الزياره.

ب) ما يلزم الزياره نفسها:

الأول: أن لا- تكون زيارته خياليه، فهذا صعب لأكثر الناس؛ لأن معرفه الأكثر لا تكون على عقول كامله، بل يلزم كونها قلبيه و إن كانت الخياليه أيضا صحيحه مجازيه تنتهى إلى الحقيقه لا محاله، كما قيل: «المجاز قنطره الحقيقه».

الثانى: يلزم أن تكون الزياره مصاحبه للمعرفه و إن كانت تلك المعرفه إجماليه.

ج) و أمّا اللازم في المزور فهو: أنّ المزور لا- بدّ و أن يكون حيّاً، و إلاّ تكون زيارته زياره الأموات و لا يفعلها أيّ عاقل، و لهذه الجبهه أنكرت الوهابية على الشيعة زياره أئمتهم؛ لقولهم (الوهابية): إنّهم أموات! لهذا يعدّون الشيعة مبدعه، و لكننا نقول: هذا القول باطل من أساسه، لأننا لا نزور الأموات حتّى يرد علينا الإشكال، فمبنى عقيدتنا هو حياه المعصومين عليهم السّلام، و بقاؤهم حتّى في النشأه الأخرى المحيطه المشرفه على نشأتنا، فنزورهم معتقدين بأنّهم أحياء، كما قال الله سبحانه: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١).

و ينبغي هنا ذكر أنّ زيارتنا إياهم عليهم السّلام ليست زياره حسّيه لأبدانهم و أشخاصهم عليهم السّلام، بل نزور أعيانهم الحقيقيه و ذواتهم القدسيه، فيكون الزائر أيضا أنفسنا لا أبداننا للزوم المناسبه و السنخيه بين الزائر و المزور.

فإذا كان المقتولون في سبيل الله أحياء، فما ظنّك في حقّ من لا- يقاس بهم أحد. فالحاصل أنّهم عليهم السّلام حيث كانوا مخاطبين جميعا أو فردا من أيّ مكان، هم أولياء أحياء، محيطون حاضرهم، يجيبون العارفين من زائريهم، فإن كانت الزياره- مع جميع ما ذكر من المقدمات- كانت معرفه الزائر بهم معرفه تفصيليه، لأنّه كما قلنا يلزم للزائر أقلّ معرفه إجماليه بالمعصومين، و تفصيل معرفته بهم عليهم السّلام يأتي في شرح فقرات الزياره

الجامعه، فيكون أعرف بهم ممّا كان إن شاء الله.

و الحاصل أنّ الزياره محفوفه بمعرفتين، السابقيه على الزياره و هي معرفه إجماليه غير ثابتة، فهذه ليست بزياره كامله. و الثانيه هي المعرفه اللاحقه حتّى تصير معرفته بهم ملكه راسخه في نفسه و بعد حصول تلك الملكة القدسيه تكون زيارته مطلوبه مهما كانت، و لا تعدّ من قبيل ما قاله النبي لأبي هريره في الخبر المتقدم ذكره.

الرابع من المطالب:

إنّ بين زياره المعصومين عليهم السّلام و بين سائر الزيارات من غيرهم فرقا بيّنا و هو أنّ هذه الزياره تنتهي إلى زياره الله؛ لأنّهم عليهم السّلام مظاهر أسمائه الحسنی، و مجالی صفاته القدسيه العليا (١).

«...عن صالح بن عقبه عن زيد، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: ما لمن زار قبر رسول الله صلّى الله عليه و اله؟ قال: كمن زار الله في عرشه». (٢)

كما أنشدت في بيت من قصيده ذات قافيتين (٣):

زيارتكم مثال زياره الله على العرش اجعلونا الزائرين

و الآن نشرع في شرح هذه الزياره بتوفيقه سبحانه و عونه تعالى و هو مشتمل على اثني عشر بابا.

ص: ٢٠

١- لا من سنخ ما اعتقده الوثنيون في أوثانهم بالنسبه إليه تعالى، بل بجعله سبحانه زيارتهم عباده له، كسجود الملائكه تعظيما لآدم، و عباده له تعالى.

٢-٢. بحار الأنوار، ١: ١٤٤/ح ٣١ [١] عن كامل الزيارات لابن قولويه ١٥. [٢]

٣-٣. الآتيه تمامها إن شاء الله.

«السّلام عليكم يا أهل بيت النّبوه»

هذه العبارة الشريفة تتضمّن نكات عشره:

الأولى: يلزمنا في بدء الشرح، الإيماء إلى مسائل أصلية، راجعه إلى فضيله التسليم وأهميته وآثاره وغيرها، إجمالاً لا تفصيلاً فنقول:

ألف) السلام اسم من أسماء الله الساميه، قال سبحانه: السّلامُ المؤمنُ المَهَيِّمُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ (١) و لكن لا نقصده من السلام هنا اسماً لله تعالى؛ لأننا نقول مثلاً: «قال المعصوم عليه السّلام...»، فلا مورد للسّلام هنا بهذا المعنى، فمعناه إذا هو التحية والتكريم الذي هو أمر وجداني يعلمه كلّ أحد بال تكرار و مبادله السلام، و تظهر أهميته و فضيلته بالوقوف على آثاره

ص: ٢١

و تأكيد الشرع الشريف البالغ عليه. و من آثار السلام:

(١) تحكيم المودّة و الترابط بين الناس فى المجتمع، المستتبع لتتائج قيمه.

(٢) إشباع الميول الكامنه فى الإنسان، فى أن يجذب الغير إلى نفسه و ينجذب بنفسه إلى غيره.

(٣) تحصيل مرضاه الله تعالى.

(٤) التشبه بالموحدين الصالحين.

ب) «السلام» من سنن البشريه القديمه، و يلزم فيه ذكر أمرين:

الأول: مقتضياته.

الثانى: مقوماته.

أما مقتضياته، فهى: تكوينى اجتماعى لعامه البشر، و تشريعى خاصّ بالمتدينين.

فالتكوينى منهما، أن خلق الإنسان مدنياً بالطبع، يريد أن يتآلف مع أبناء نوعه، و هذا التآلف يبرز إما بالفعل كالتعظيم للغير و القيام له و أمثالهما من الأعمال؛ و إما بالقول كالتسليم المرضى.

و الحاصل أن للسلام مقتضيا تكوينياً فى جبله الإنسان، فموجه يكون السلام أمراً خلقياً قبل أن يكون شرعياً.

و أما التشريعى، فهو عبارته عن التأكيدات البالغه و الوصايا الوافره بهذا

الأمر، حتّى قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَأَ بِالْكَلامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تَجِيبُوهُ» (١) ووجوب إجابته تسليم المسلم حتّى فى أثناء الصلاه.

و أمّا الأمر الثانى، و هو ذكر مقومات السلام، فإنّ سنّه التسليم تتقوم بثلاثه أشياء:

أحدها: فاعل السلام و مؤدّيه (المسلم).

ثانيها: من يقبله و يخاطب به (المسلم عليه).

ثالثها: تأديته.

قد يكون المسلم أعلى شأنًا من المسلم عليه، و قد يتساويان فى الشأن و قد يكون أدنى منه، و نبين هنا الغرض فى كلّ من هذه الصور؛ فى الصورة الأولى، المقصود من أداء التسليم هو تفضّل المسلم و تكريمه للمسلم عليه كتسليم الله و المقرّبين من الملائكة على أهل الجنّة: سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٢)، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٣)، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٤).

إنّ المسلمين الأعلى يريدون أن يتفقّدوا المسلم عليهم الأذنين؛ لأنّ

ص: ٢٣

١- الخصال / ١٩ ح ٦٧-عنه: بحار الأنوار ٣٦: ٧٦ ح ٦. [١]

٢- ٢. يس: ٥٨. [٢]

٣- ٣. الزمر: ٧٣. [٣]

٤- ٤. الرعد: ٢٤. [٤]

الأدنى يحتاج إلى تفقد الأعلى، وللأعلى أن يتفضل على الأدنى.

و في الصورة الثانية، وهي تساوى المسلم والمسلم عليه، (وهي التساوى بينهما رتبة)، المقصد من التسليم هو التأليف والتوحيد والأخوة وتقويتها بينهما.

وأما الصورة الثالثة، فهي ما إذا كان المسلم أدنى والمسلم عليه أعلى، ومقصوده من التسليم هو التعظيم والخضوع والخشوع وإظهار الحب والوداد للمسلم عليه واستدعاء توجهه ولطفه، فتسليماتنا على أهل البيت عليهم السلام من هذا القبيل، نقصد منها تحقير أنفسنا وتعظيمهم وإبراز التعشق والتعلق بهم.

الثانية: ينبغي ذكر أمرين في تسليماتنا على المعصومين عليهم السلام.

الأول: بين المسلم والمسلم عليه مقابله، فحين نسلم عليهم يكونون هم حاضرون لا بتسليمنا يحضرون، أي أن حضورهم لنا قبل تسليمنا عليهم كحضور النفس قبل صدور كل فعل من أعضائنا بإرادتها. والحاصل أن حضورهم عليهم السلام في كل موضع كحضور الشمس للمستضيء لا يغيبون، كما يقول الزائر حين يزور الإمام الثامن عليه السلام: «أشهد أنك تسمع كلامي وترد سلامي و تشهد مقامي» (١).

ص: ٢٤

١- إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ١٣٤/٣. [١]

الثانى: قال سبحانه: وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا... (١)، فإذا قال لك المسلم: «السلام عليك»، فرددت عليه بـ«سلام عليك ورحمه الله» فقد حيته بأحسن ممّا حياك به، وإذا أجبتك كتسليمه عليك، فقد رددت سلامه بالمثل. فنحن مختيارون أن نجيب التسليم بأحد البدلين: إما الردّ بالأحسن أو بالمثل، فالمسلم عليه هنا يردّ بما تقتضيه كمالاته النفسانيه؛ فإن كان شخصا عاديا ردّ التحية بالمثل وإلا حيا بالأحسن؛ لأنه عالم بأفضليته الأحسن و حاجه المسلم إلى تفقده و رحمته إياه، و شدّه حرصه على تحصيل ما عند الله من القرب و الثواب و سائر آثارها المطلوبه.

فإذا كان المسلم رديئا عند المسلم عليه غير لائق لأن يجاب بالأحسن فإنه يجاب بالمثل، و إذا كان المسلم محيا لقابل التحية، عارفا به، مشتاقا إليه، محتاجا إلى إجابته، كان حقا للمسلم عليه الردّ بالأحسن، و هذه الصورة الأخيره بعينها واقعه بيننا و بين المعصومين عليهم السلام، فتحصّل أنهم أو الأنبياء أو الملائكه عليهم السلام إن ردّوا تحياتنا بالمثل فهو يحكى عن سقوطنا من أعينهم الشريفه لا غير.

الثالثه: قد تقدّم أنّ بلوغ تحياتنا و وصولها إلى آل البيت عليهم السلام إنّما يكون بثلاثه أمور:

ص: ٢٥

ألف) تجرّد النفس للزائر و المزور.

ب) التناسب بينهما.

ج) إمكان تلاقيهما معا.

و بحصول هذه الأمور يحصل لنا الاطمئنان بأنّ تحيّاتنا و زيارتنا تصل إليهم السّلام، و لكنّ الردّ و الإجابة من قبلهم عليهم السّلام إيانا هل هو قطعى أيضا أم لا؟ فيلزم البحث عنه على حده.

ألف) تجرّد النفس للزائر و المزور: قد ذكرنا فى ما مضى أن زيارتنا إياهم عليهم السّلام ليست حسبيّه، حتّى أنّ الزياره الحسيّه لو حصلت لكانت مقدّمه للحقيقيه، و لكن مع فرض عدم وجود المزور بقلبه المطهر الطبيعيّ عند الزائر فلا حاجه إلى آلات الزائر الحسيّه، فإذا توخّد الغايات و ترك المبادئ، فتكون الزياره نفسانيّه. و لا شكّ فى وجود النفس لنا و تجرّدها، و لا يؤثّر فيها القرب و البعد الزمانيّان و المكانيّان، و ليس من شأنها الزوال و الاستهلاك؛ لأنّ جميع ذلك مؤثّرات فى النشأه الطبيعيّه، و لكن إذا كانت الزياره بين المجرّدين فلا تأثير لأى من هذه العوامل الماديّه.

ب) التناسب بينهما: هو عبارته عن السّنخيّه فى العقائد الحقّه و الأخلاق الحسنه و الأعمال الصالحه فى كلّ من الزائر و المزور، و بهذا التناسب الجامع يمكن لهما التلاقي و الاجتماع فى الملكوت الأعلى، فلو سلّم الكافر مثلا على الإمام الحسين عليه السّلام لم يبلغ تسليمه؛ لعدم المناسبه

المذكوره؛ لأنّ نفس الكافر المسلّم محجوبه بحيواتيته أو شيطنته، مع أنّ نفس المزور القدسيّه تكون في الملكوت الأعلى فلا تتحقّق الزيارة.

ج) إمكان التلاقي بين الزائر والمزور: ذلك واضح إذا كانت السّنخيه بين الشّيين موجوده يتجاذبان و يدرك كلّ واحد منهم الآخر. فلهذا لا يمكن أن يكون الرسول ملكا والمرسل إليه بشرا؛ لعدم إمكان التآلف بينهما، بل بينهما تدافع. الحاصل أنّا إذا كنّا مؤمنين بتلك المقدمات تكون زيارتنا واصله إليهم قطعاً وإجاباتهم لنا حاصله بلا ريب.

و بهذا البيان يظهر التفاوت بين الزائرين و زياراتهم عنهم عليهم السّلام، فكلّما كان تعلق الزائر بالملابس البدنيه أضعف، يكون تجرّده النفساني أقوى و تكون زيارتهم أكمل و حضورهم عنده أشدّ، كما أنّ حضورهم عليهم السّلام لدى الزائر يكون أشدّ؛ لكون تجرّدهم النفساني فيما لا أقوى منه في الإمكان.

الرابع: أنّ زيارتنا و تحياتنا للمعصومين عليهم السّلام لا تبقى بلا جواب ما دامت شرائط الإجابة فينا موجوده و الموانع مفقوده، و الشرائط كما قدّمنا هي وجود المناسبه و السّنخيه الباطنيه من قبلنا، يكون كلّ منّا في الحقيقه و في الظاهر و الباطن عبدا للصمد، لا أن يكون في الظاهر عبدا للصمد و في الباطن للصنم. تشهد على ذلك إجابتهم عليهم السّلام لبعض الكملين، كالمقدّس الأردبيلي، إذ إنّّه زار و سمع الإجابة منهم عليهم السّلام، فإن كانت الزيارة و التحيّه منّا بلا- جواب كنّا نحن القاصرون أو المقصّرون، و مع ذلك لا تبقى من دون إجابة منهم بل تدّخر الزيارات و التحيّات منّا و الإجابات و التفقّذات

منهم عليهم السّلام لزمان ارتفاع حجب الطّبيعه عنّا، فنشاهد هدايانا و إجاباتهم عليهم السّلام لنا في ملكوت هذا العالم إن شاء الله. نرجو ذلك كلّ من فضل الله العميم و لطفهم الواسع.

الخامسه: في الفرق بين الأهل و الآل و العتره و الذرّيّه:

فقول: إنّ بين جميعها حدّا مشتركاً و هو التعلّق بالغير، سواء كان الغير (المتعلّق به) شخصاً أو خصله؛ فإذا كان المتعلّق أهلاً كان التعلّق أعمّ، يعمّ البيت و الخصله و الشخص، كما يقال: «أهل البيت»، و الخصله، كقوله سبحانه: هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (١). و الشخص، مثلاً: فلان من أهل فلان.

أمّا إذا كانت الأهلّيّه بين شخصين فتكون سببيّه، كأهلّيّه الزوجه لزوجها، أو نسبيّه كأهلّيّه الولد لأبيه.

و لكنّ العتره عباره عن أقارب الشخص نسباً، فعتره النبيّ صلّى الله عليه و اله هم أقاربه صلّى الله عليه و اله، و هم أصحاب الكساء عليهم السّلام.

و الآل و إن كان لغه مأخوذاً من الأهل، و لكنّه أوسع شمولاً من الأهل و العتره. و الذرّيّه أشمل و أعمّ من الأهل و الآل و العتره، كما يشهد عليه ما روى عن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السّلام من آل محمّد صلّى الله عليه و اله؟ قال ذرّيّته، فقلت من أهل بيته؟ قال الأئمّه الأوصياء، فقلت من عترته؟ قال أصحاب

ص: ٢٨

السادسه: أنّ جميع كمالات المعصومين عليهم السّلام تنقسم إلى الذاتيه و النفسيه و الخارجيه؛ فالأولى من الأقسام ما ينظر فيها إلى هويّه الموصوف بها لا إلى أنّها جسمانيّه بخصوصها أو نفسانيّه بخصوصها. و الثانيه من الأقسام ينظر فيها إلى اتّصاف نفس المعصوم القدسيّه بها كالفطنه و الكياسه. و الثالثه فهي منظوره من حيث كون وقوعها قبال الأوليين فهي فعليّه و غير فعليّه.

فالفعليّه كالقيام بالعدل؛ و غير الفعليّه كالانتساب إلى شخص عظيم جليل. ففي قول الزائر: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوه» إشاره إلى القسم الثالث؛ لأنّ الأهليه لبيت النبوه لا- تعدّ من نوع كلّ واحد من الأوليين كالجمال و الفطنه الكائنين جسمانيا و نفسانيا، فالحاصل أنّ أهليّتهم عليهم السّلام لبيت النبوه تكون من كمالاتهم الخارجيه الغير فعليّه.

و ينبغي أن يعلم أنّ السرّ في إضافه أهليّتهم لبيت نبوه محمّد صلّى الله عليه و اله مثلا مزيّتهم على غيرهم و هو الإضافه إلى شأن النبوه لا إلى الشخص، فإنّ المنسوين إلى شخص النبيّ هم غير المعصومين و أيضا كزوجاته الطاهرات، فإذا أضيف المعصومون عليهم السّلام إلى شأن النبوه يكون لهم من الفروع و التوابع ما يكون لشأن النبوه، كالصّيله بعالم الغيب و الطهاره النفسانيّه و التحدّث عن الملك، و غيرها.

الزَّكَاهِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ (١)، فيكون إذنه تعالى لشرف البيوت معلولا لتسييح ساكنيها و حمدهم الذين هم موصوفون بهذه الصفات العاليه. فالحاصل أن شرف بيت النبوه ينشأ ممن كان فيها.

ثانيهما: أن يكون المراد من «البيت» من جهه المعنى هو قلب النبي صلى الله عليه و اله، فتكون قلوب الأنبياء قبل النبي بيوت الكمالات النفسائيه، فيكون الأئمه عليهم السلام أهل هذا البيت و المتعلقون بها كما قال علي عليه السلام في تأويل: وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (٢)، «نحن البيوت التي أمر الله أن تؤتى من أبوابها، و نحن باب الله و بيوته التي يؤتى منه فمن بايعنا و أقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، و من خالفنا و فضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها» (٣)، و كما قال النبي صلى الله عليه و اله:

«أنا مدينة العلم و علي بابها». (٤)

التاسعه: أن للفظه النبوه معنيين:

أحدهما: ما قاله المتكلمون من أنها: إنباء بشر عن الله تعالى من غير وساطه أحد من البشر بين المنبئ و بين الله تعالى.

ثانيهما: أن النبوه مأخوذه من النبؤ بمعنى الرّفعه و العلوّ، فإن فسّرناها

ص: ٣١

١- النور: ٣٧، ٣٦. [١]

٢-٢. البقره: ١٨٩. [٢]

٣-٣. بحار الأنوار، ٣٢٨: ٢٣-٣٢٩/ ح ٩، الباب ١٩- [٣] رفعه بيوتهم المقدسه... عن: الاحتجاج للطبرسي ص ١٢١. [٤]

٤-٤. كنز العمال للمتقى الهندي/ خ ٣٢٨٩٠.

فى هذه الجملة: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة» بالمعنى الأول يكون صحيحاً؛ لأنهم عليهم السلام أهل بيت إنباء لا يتوسط بين الله و المنبى بشر، بل كانت الواسطه ملكا هو جبرئيل عليه السلام: وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (١)، و إن فسّرناها بالمعنى الثانى فذلك بّين، لأنّ النبى هو من كان متصلاً بعالم الغيب، و ذلك الذى يعتقده جميع الملئين من أنّ النبى ما لم يتصل بالغيب و ما لم يكن أكمل الناس و ممتازا من بين قومه بالكمالات الفائقه لا يصير نبياً.

العاشره: قد تقدّم أنّ مفهوم الآل أوسع من مفهوم الأهل، فلو كان المعصومون عليهم السلام أهلاً لبيت النبوة، و كان بدء هذا الشرف زمان ابراهيم عليه السلام، فيكون التعميم من ذلك العصر، فيشمل كونهم أهل البيت عليهم السلام، فيتقارب الأهل و الآل فى سعه المفهوم، فيلزم أن نوجهما بالاعتبارين:

أحدهما: إن قلنا بوحده معناه فلا يقع سؤال فى البين و لا حاجه لنا إلى إجابته و توجيهه؛ لكون معناه واحداً، فيكون معنى الآل هو معنى الأهل الذى قلبت هاؤه ألفاً، فلا يكون إذا الآل مأخوذاً من الأول.

ثانيهما: لو كان كل من الأهل و الآل مستقلاً فى معناه لكان «الآل» مأخوذاً من «آل، يؤول» بمعنى «عاد يعود»، و لا إشكال إذا قلنا إنه استعمل فى أفصح الكلام معنى الأهل و الآل بمعنى واحد، كما قال سبحانه:

ص: ٣٢

رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ هَذَا مِنْ جِهَةٍ، وَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى قَالَ سُبْحَانَهُ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (١)، فلا- نحتاج إذا للتعرّض إلى أبحاث صرفيه و لغويّه في المقام، فيتداخل الأهل و الآل إذن، فهو حجّه؛ لأنّه أفصح الكلام، فيرتفع الإشكال من البين؛ لأنّه موقوف على تصوّرنا من سعه البيت و ضيقه، بفرض ضيق بيت النبوه يتفارق معنى الأهل و الآل، و إلاّ كان جميعهم أهل بيت واحد، كما قدّمنا أنّ زمان شروع كونهم أهل البيت هو زمان الخليل عليه السّلام.

٢

«و موضع الرّساله» (٢) [٢]

و هذه الفقره الشريفه تتضمّن ستّ نكات:

الأولى: أنّ الزائر يشير فيها إلى كمال من كمالاتهم الخارجيه دون القسمين الآخرين، و هو كونهم عليهم السّلام «موضع الرساله». الثانيه: لا- حاجه لنا هنا إلى التفريق بين الرساله و النبوه على طريقه المتكلمين، و لكن ينبغي ذكر أنّ الرساله أعلى من النبوه و أخصّ منها؛ لأنّه إن قلنا بأنّ النبيّ لم يؤمر بالتبليغ وجوبا و لكنّ ذلك موجود في الرسول،

ص: ٣٣

١- آل عمران: ٣٣. [١]

٢- ٢). ينبغي هنا أن نذكر أنّ الزائر مع إدخال كلّ واو عاطفه يكرّر سلاما و يعطف جملته على تسليمه الأول، فلا يكون تسليمه عليهم واحدا بل متعدّدا بتعدّد العاطفات حكما و معنى لا ذكرا، فكلّ واحد من التسليمات يستلزم جوابا على حده منهم عليهم السّلام.

كما أنّ الرسول يرى الملك الواسطه بينه و بين الله سبحانه في المنام، و لكنّ النبيّ يسمع صوته فقط بلا رؤيه فيثبت المطلوب، و هو أفضلّيه الرسول من النبيّ و كون رسالته أعلى من النبؤه. فالحاصل أنّ الزائر يذكر كمالاته أدنى لهم في الفقره السابقه و يذكر هنا كمالاته أعلى لهم ممّا سبق.

الثالثه: أنّ للرساله مرتبتين: عامّه و خاصّه.

فالخاصّه منهما، ما كانت لرسول الله، و هو تلقى الوحي منه سبحانه و تبليغه الناس. و الأعمّ منهما، هو الإخبار عن مراد الله سبحانه، فلو أخذنا الرساله بهذه المرتبه فهم عليهم السّلام موضع نفس الرساله المتقيده بالعصمه و الصيانه، لأنّهم يخبرون عن مراده تعالى كإخبار الرسول من غير فرق بينهما، و لهذا كان كلامهم عليهم السّلام تاليا للقرآن، فما يخبرون به هو عين ما يريد الله تعالى أمرا و نهيا و فعلا و تركا. فهم عليهم السّلام رسل الله بهذا المعنى، أى بالرساله التشريعيّه العامه لا التكوينيّه الثابته مثلا للريح و البرق و أمثالها.

الرابعه: أنّ لموضعيتهم الرساله معينين:

أحدهما: تبليغها.

ثانيهما: إبقاؤها.

فلو أخذنا الرساله بمعناها الخاصّ، أى تلقى الوحي منه سبحانه بلا واسطه بشر و تبليغه، فهم عليهم السّلام ليسوا بالموضع نفسه لانحصار الخاتميّه في رسول الله صلّى الله عليه و اله، و لا يلزم نقضها بكونهم عليهم السّلام رسل الله على معناها العامّ، لأنّ

الرسول له تأسيس الشريعة (فهذا من لوازم المعنى الخاص للرسالة و لهم عليهم السلام إبقاء الشريعة، فهذا لا يناقض ذاك).

الخامسة: يلزم من كونهم عليهم السلام موضعاً لها استجماع الشرائط اللازمة فيهم عليهم السلام كالعصمه، لأنّ بدونها أو بغير أحدها يلزم وضع الرسالة أى التبليغ و الإبقاء من قبله سبحانه فى غير موضع، فهذا ممتنع لحكمته البالغه كما قال سبحانه: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ (١)**، فإذا ثبت صحه وضع الرسالة فيهم و استجماعهم لشرائطها يثبت أنّهم عليهم السلام يحقّقون الغايه و الغرض منها، بلا أىّ تفريط أو إفراط و من غير أىّ تقصير.

السادسه: غايات الرسالة كما فى القرآن ما يلى:

ألف) تلاوه الآيات على الناس.

ب) تزكيتهم.

ج) تعليم الكتاب و الحكمة: **يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ (٢)**.

د) الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

ه) تحليل الطيبات و تحريم الخبائث.

و) وضع الإصر و الأغلال عنهم: **يَأْمُرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ**

ص: ٣٥

١- الأنعام: ١٢٤. [١]

٢- ٢. آل عمران: ١٦٤. [٢]

وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (١).

ز) غلبه دين الله على الدين كله: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ (٢).

ح) تبين القرآن و تفسير آياته أو إراءه طرق التفسير: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (٣).

ط) رفع الاختلاف من بين الناس: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ (٤).

ي) وفي النهايه إخراج الناس من الظلمات إلى النور: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (٥).

٣

«و مختلف الملائكه»

و هو مشتمل على نكات ثمان:

الأولى: ينبغي أن لا نترك هنا ذكر ما يناسب فى المقام، و هو أن المسلم حين التسليم يتوجه الى كمال المسلم عليه، و قد يذكر كماله

ص: ٣٦

١- الأعراف: ١٥٧. [١]

٢-٢. الصف: ٩. [٢]

٣-٣. النحل: ٤٤. [٣]

٤-٤. النحل: ٦٤. [٤]

٥-٥. إبراهيم: ١. [٥]

كقوله: «سلام عليك أيها الشيخ و أيها العالم»؛ وقد لا يذكر و لكنّه متوجّه إلى كماله، فهنا يذكر الزائر كمال المزورين مضافا إلى توجّهه القلبي إليه.

الثانية: الدليل على ثبوت الملائكة-مضافا إلى القرآن و الأحاديث المتواتره، بل فوق التواتر- هو إجماع الملتين (1) على ذلك، و انكشاف وجودهم لمن كان له أهليه للكشف، حيث إنهم عاينوهم، فالحاصل أنهم حقيقه موجوده غير قابله لأي شك أو شبهه و عدم استحاله وجودهم عقلا.

الثالثه: أنهم (أي الملائكة) حقائق درّاهه فعّاله علامه قادره في غيب هذا العالم و ما فوقه، و يمكن لهم النزول في عالم الملك و الشهود على ما تقتضى المصلحه نزولهم، مجسمه (غير الأجسام الرديّه) أو غير مجسمه، فهم عليهم السلام قوى روحانيه مؤثره في العالم كالقوى الماديّه بل أبسط منها و أشرفها له (لعالم الملك)، و هذا الإشراف و الإحاطه سرّ كونهم مدبّرات للأمر؛ لكون كلّ من وجودهم و علمهم و قدرتهم أبسط و أوسع، لا- اختلاف في تجسّمهم، و لكن الاختلاف واقع بين المتكلمين و الحكماء في تجرّدهم و جسميّتهم، فالمتكلمون قائلون بأنهم أجسام لطيفه بألف ما يمكن، و خالفوا الحكماء في قولهم بالتجرّد و ما يقرب إلى الحقيقه هو قول الحكماء مع أنّ أهل الكلام أيضا لا يقولون بلا دليل، و الله أعلم

ص: ٣٧

١- المراد من الملتين: هم جميع المعتقدين بالآلهيه من أهل أيّ دين كانوا.

الرابعه: لفظه «المختلف»، اسم مفعول من الاختلاف (من مجردة: خلف يخلف)؛ و له معنى اسم مكان، يتبين منه أنّ مجيء الملائكة إليهم و ذهابهم فوجا بعد فوج و فردا عن فرد، يدوم و يستمرّ بلا- انقطاع، و يستفاد هذا من اسم المختلف، المفيد للدوام و التجدد، فالجائي يخلف الذاهب، و الداخِل في بيوتهم خليفه عمّن خرج. فالحاصل أنّه ربّما كان المعصوم عليه السّلام مشغلا بأمر دنيويّه أو بالمحادثه مع الأصحاب و في نفس الوقت كان عليه السّلام مزورا للملائكة و لا- يعلمه الناس، و بعبارة أخرى يمكن للمعصوم عليه السّلام الجمع بين الأمرين في وقت واحد، لإحاطه الولويّه و إشرافه المطلق على عالمي الملك و الملكوت جميعا، في عالم الملك ببعده المشهود، و في الملكوت بعقله القادس الكلّي؛ و ما يؤيّد ذلك هو إمكان كون عزرائيل عليه السّلام (الذي هو أدنى منهم) في لحظه واحده في أمكنه عديده، فإذا كان هذا هو شأن الأدنى فكيف بالأعلى الذي له ولايه على الأدنى، بل لا يقاس الأدنى بالأعلى، فهذا الأمر (الجمع بين العالمين) يكون أسهل و أيسر لهم عليهم السّلام، مضافا إلى أنّهم عليهم السّلام حيث كانوا فهم مظاهر أسماء الله و صفاته، فلا يشغلهم شأن عن شأن كما لرّبهم سبحانه في دعاء المشلول: «يا من لا يشغله شأن عن شأن».

و تؤيّد أدلّه كثيره من النقل كما هو مفاد حديث أنّ الإمام الصادق عليه السّلام قال لبعض أصحابه، عن أبان بن تغلب قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام فدخل

عليه رجل من أهل اليمن، فقال له: يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم. قال:

فما بلغ من علم عالمكم؟ قال: يسير في ليله مسيره شهرين، يزرع الطير و تقفو الأثر.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: عالم المدينه أعلم من عالمكم، قال: فما بلغ من علم عالم المدينه؟ قال: يسير في ساعه من النهار مسيره شمس سنه حتّى يقطع اثني عشر ألف عالم مثل عالمكم هذا ما يعلمون أنّ الله خلق آدم و لا إبليس. قال: فيعرفونكم؟ قال:

نعم، ما افترض عليهم إلا ولايتنا و البراءه من عدونا» (١).

الخامسه: في تعيين الملائكه المترددين إليهم عليهم السلام: يمكن القول بوجوه، و منشأ اختلاف الوجوه هو تفسير «اللام» في أنّها هل هي للعهد أو الكلّ أو الجنس؟ فإن كان الأول، كان الملائكه الذين يختلفون إليهم هم عدّه خاصّه، و لا دليل على ذلك، لأنّهم إن كانوا معهودين يلزم ذكرهم قبل ذلك، كقوله سبحانه: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا* فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ (٢)، فاللام في الآيه هي لام العهد، و ليست كذلك في الملائكه؛ لأنّ الملائكه ذكرت أوّل مرّه هنا. فإن كانت اللام لام الكلّ، يلزم اختلاف الملائكه الموجودين إليهم، و لا دليل على هذا التخصيص أيضا، فيقوى القول الثالث و هو كون اللام لام الجنس (٣).

فالحاصل أنّ الموجودين من الملائكه و ما سيوجدون يختلفون إليهم، مع

ص: ٣٩

١- بصائر الدرجات / ٤٢١ ح ١٥-الباب ١٢- [١] ما أعطى الأئمة من القدره...

٢- ٢. المزمّل: ١٥، ١٦. [٢]

٣- ٣. كاللام في كلمه (الحمد) بناء على المختار، فإنّ الحمد لله أعمّ من الصادر و غيره.

تفاضل بينهم (الملائكة)، فهم عليهم السلام بهذا المعنى مختلف الملائكة.

السادس: أنّ حكمه اختلاف الملائكة إليهم عليهم السلام من وجوه:

أحدها: زياره الملائكة لهم؛ لأنّ الإنسان الكامل أفضل من الملك كما كان آدم عليه السّلام، والدليل عليه أنّه تعلّم الأسماء منه سبحانه، فلو لم يكن أفضل منهم لم يعلمه الله إياها دونهم، فإذا كان الأمر كذلك في آدم الذى هو دون المعصومين عليهم السّلام، فكيف بالأئمّة الذين يفتخر آدم بهم، بل ولو لم يكونوا ما خلق آدم وما سواه فضلا أن يكون أبا للبشر، فالحاصل أنّ اختلاف الملائكة إليهم لزيارتهم إياهم.

ثانيها: لخدمتهم لهم عليهم السّلام، كما كان بعض الملائكة يأتى إلى الزهراء عليها السّلام ليحرّك مهد الحسين عليه السّلام و يدير الرّحى إعانه لها، يؤيده القرآن فى قوله سبحانه: وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (١).

ثالثها: لعرضهم أمام المعصومين المقدّرات الإلهية، كما فى ليله القدر، قال سبحانه: تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٢).

رابعها: لكى يتعلّم (الملائكة) منهم، لأنّ علم الملك بنفسه لا يقبل الزيادة، وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (٣)، بينما علم المعصوم عليه السلام يتزايد، وقد

ص: ٤٠

١- التحريم: ٤. [١]

٢- ٢. القدر: ٤. [٢]

٣- ٣. الصافات: ١٦٤. [٣]

أمر الله سبحانه النبي بقوله: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١)، فربما يختلفون إليهم لبسط وعاء وجودهم للتعلم، لأن المعصوم واسطه الفيض؛ ولأن علمه أزيد من المتعلم، وقد كان علمه الله الأسماء، كما قال سبحانه: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٢).

السابعة: هذا الكمال (كونهم عليهم السلام مختلف الملائكة) يعدّ من كمالاتهم النفسانيّة باعتبار، و من كمالاتهم الخارجيّة باعتبار آخر، فبما أنّ ذات المعصوم مسانحه مع ذات زائريه (الملائكة) فهو كمال يكون كمالاتها نفسانيًا لهم، ولكن بما أنّ الملائكة ليسوا أجزاء ذاتيه للمعصومين يعدّ هذا الكمال كمالاتها خارجيًا غير فعليّ لهم، ولكن الأقوى على التفسير الآتي للعبارة يكون ذلك الكمال كمالاتها ذاتيًا لهم.

الثامنة: جميع ما تقدّم من البيان مبنيّ على تفسير المختلف بمجيء الملائكة و ذهابهم، و أمّا إذا فسّرنا لفظه المختلف بالمفعول، يكون المعنى أنّ المعصومين عليهم السلام تكون أنفسهم ملائكة، وقع عليهم الاختلاف من الملائكة، حيث إنّ الملائكة غير متعلّقين بالأجسام العنصريّة

ص: ٤١

١- طه ١١٤. [١]

٢-٢ (٢). البقره: ٣١-٣٣. [٢]

والمعصومون ملائكة متعلقون بها. فيكون حاصل المعنى أنكم أنتم ملائكة أنفسا و بشر أجساما، فتفارقون إذا من الملائكة. و بتعبير آخر أن بينهم عليهم السلام و بين الملائكة حدّين: مشترك و مفترق. فالمشترك هو المجانسه النفسائيه لهم مع الملائكة، و المفترق تعلّقهم بالمادّه و عدم تعلّق الملك بها، سواء كنّا قائلين بتجرّد غير الله- كما اعتقد به الحكماء- أو لم نقل به على قول المتكلم.

و يدلّ على قوّه التفسير الأخير أمور:

الأول: لزوم المسانحه بين الملقى و الملقى للتفاهم.

الثاني: انحصار ذوات الشعور و العقول فى الإنسان و الجنّ و الملك، فالمعصومون عليهم السلام حيث لم يكونوا من الأجنّه يلزم أن يكونوا بذواتهم القدسيّه ملائكة؛ لأنّه لو لا ذلك لبطل الحصر.

الثالث: «عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام فقلت الملائكه أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام إنّ الله ركّب فى الملائكه عقلا بلا شهوه، و ركّب فى البهائم شهوه بلا عقل، و ركّب فى بنى آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكه، و من غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم» (١).

الرابع: لزوم السنخيه بين المقيس و المقيس عليه، فلمّا قاس الإمام من

ص: ٤٢

١- وسائل الشيعه، ج ١٥، ص ٢٠٩، ٩-باب وجوب غلبه العقل على الشهوه. [١]

غلب عقله شهوته أنه أعلى من الملائكة، يكون الإنسان عامّة و المعصومون خاصّه مسانخا للملك، و هو المطلوب.

٤

«و مهبط الوحي»

فيه ثماني نكات:

الأولى: أنّ لفظ «المهبط» على وزن المسجد، يقرب معناه مع المنزل، و هما مجيء الشيء من العالى إلى السافل؛ و لكن بينهما فرق، و هو أنّ المهبط يستعمل فى مقام التشريف، و لكنّ المنزل ليس كذلك، كما أنّ الجلوس يستعمل تشريفاً و لا يستعمل القعود هكذا (١).

و لا ينافى هذا الفرق مع إطلاق النزول فى القرآن الكريم، لأنّ استعمال الهبوط فى من يدرك و يشعر، و القرآن بما أنّه كتاب و حروف و كلمات غير مأخوذ فيه الشعور و الإدراك (٢) مضافاً بأنّ فى النزول لا يلحظ قبج.

الثانية: معنى الوحي و مراتبه: الوحي هو إلقاء معنى على الغير باللين و الخفاء، و هكذا كان إحياء الله إلى النبيّ، لأنّ الناس حين مجيء الملك لم يكونوا يرونه إلاّ بإخبار النبيّ إيّاهم، بأنّ هذه الحالة العارضة لى هى حالة الوحي و الملك يلقى مراد الله على النبيّ باللين. و أمّا مراتبه فكما يلي:

ص: ٤٣

١- لا حاجة إلى ذكر فرق آخر بينهما.

٢- ٢). و هذا ما خطر ببالي.

ألف)الوحي بالمعنى الخاصّ،و هو أن يجيء ملك بأمره سبحانه إلى النبي فيلقى إليه مراده تعالى،ولا يشارك النبي أحد في ذلك الأمر: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ (١).

ب)الوحي بالمعنى العامّ،و هو أن يلقي في القلب شيء بغير واسطه،و يعبر عنه بالإلهام أيضا،وجه التعبير عنه بالوحي العامّ هو إمكان تلقّيه من قبل النبي و الولي و التقى: وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢).

ج)الوحي بالمعنى الأعمّ،و هو وحي غريزي: وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّخِيلِ أَنْ أَنْجِذِي مِنَ الْجِبَالِ الْمَيْوَاتِ وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ (٣).

و ما ينبغي ذكره هنا هو أنّ الوحي بمعناه الثالث ليس كمالا- للمعصومين من حيث إنّ عقولهم عقول كليّه و نفوسهم نفوس قادسه، و لكنّهم مهبط الوحي بالمعنى الأوّل و الثاني.غايه الأمر أنّ بعضهم(و هو رسول الله)متمايز عن الباقيين بالمعنى الأوّل،و مشارك معهم بالمعنى الثاني:«كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين» (٤)؛لأنّ المرتبه الثانيه من الوحي فرع

ص:٤٤

١- الكهف: ١١٠. [١]

٢-٢. القصص: ٧. [٢]

٣-٣. النحل: ٦٨. [٣]

٤-٤. بحار الأنوار ١٦: ٤٠٢/٢ ح ١، الباب ١٢- [٤] نادر في اللطائف في فضل نبينا صلّى الله عليه و اله-عن: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١٤٨: ١. [٥]

على الولاية الكاملة الباطنية، و المرتبه الأولى مختصه بالنبوه، وهذا مبيّن بأنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حِينِ كَوْنِ آدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَ الطِّينِ لَمْ يَنْزَلْ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ فَكَانَ الْوَحْيُ حِينَ ذَاكَ بِالْمَعْنَى الثَّانِي لَا الْأَوَّلَ. فَالْحَاصِلُ أَنَّ النَّبِيَّ فِي كَوْنِهِ مَلْهُمَا كَانَ كَسَائِرِ الْمُعْصومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمْ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَلَقَّى الْوَحْيَ الْخَاصَّ وَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

الثالثة: يثبت كونهم عليهم السّلام مهبط الوحي بأدله نقلية كثيرة كقراءه عليّ عليه السّلام الآيات الأولى من سوره «المؤمنون» بعد ولادته و لم ينزل القرآن آنذاك، بل نزل بعد عشر سنين، كما كان النبيّ عالما بالقرآن قبل نزوله التدريجيّ عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كما يشهد له قوله سبحانه: وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ (١)، وَ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (٢).

فلا يبعد كون جميعهم عالمين بالقرآن قبل نزوله، لأنّ القرآن علم الله، و نفوسهم القادسه مظاهر تامه لعلمه سبحانه و مرآياه، فإن قيل: ما الحكمه في نزول الوحي مع كونهم جميعا عالمين بما سيوحى؟

نقول: الحكمه فيه كالتالى:

١- أنّ فيه تشريفا للموحى (و هو الله)، و الموحى به (و هو جبرئيل)، و الموحى إليه (و هو النبيّ)، و الموحى نفسه (القرآن)، و الموحى له (و هو

ص: ٤٥

١- طه: ١١٤. [١]

٢- ٢. القيامة: ١٦. [٢]

غرض الوحي).

٢- إجراء الأمر في هذا العالم على ما يقتضيه النظام السببيّ و المسببيّ.

«عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: أبي الله أن يجري الأشياء إلّا بأسباب» (١).

٣- حفظ ما يوحي و كتابته بين الأمّة.

٤- بقاء الأمّة نشيطه و مترقّبه لتزول وحي جديد.

٥. تعليم الناس أنّ التكلّم بأيّ كلام ينبغي ألا يكون إلّا في موضعه، خصوصا مع وقوع شأن النزول لكلّ آيه أو آيات.

٦. إمكان مصالح أخرى خفيّه علينا.

الرابعة: لكونهم عليهم السلام مهبط الوحي وجهان:

أحدهما: أنّهم مهبط الوحي، بمعنى أنّ الوحي هبط في بيان تشریف لهم، و ذكر فضائلهم الجليله و مناقبهم الجميله.

ثانيهما: أنّهم عليهم السلام مهبط الوحي بمعنى أنّ الوحي هبط عليهم و هم متلقّوه.

فالحاصل أنّهم عليهم السلام مهبط الوحي بكلا الوجهين:

أمّا الأوّل: فقد، نزلت في الكتب السماويّه قبل القرآن حقائق كثيره في نعوتهم و أوصافهم و بيان شخصياتهم دون أشخاصهم، و في القرآن أيضا

ص: ٤٦

١- الكافي ١: ١٨٣؛ [١] بحار الأنوار ٢: ٩٠/١٥، ١٤- [٢] عن: بصائر الدرجات للصفار القميّ، و فيه: «أبي الله أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب».

آيات كثيره دالّه على المراد، كآيات سوره الدهر في كونهم عليهم السّلام أبرارا و آيات آخر في كونهم ذوى القربى و الراسخين في العلم و المطهرين و الصادقين و غير ذلك من الآيات.

و أمّا الثانى: فكونهم عالمين بما نزل من السماء في جميع ما يحتاج إليه الناس، و الحقّ في المقام أخذ مهبط الوحي على إطلاقه كما أخذنا الوحي على معناه الخاصّ و العامّ، سواء كان الوحي مرتبطا ببيان فضائلهم أو جميع ما للناس إليه حاجه، سواء كان في القرآن أو في الكتب السماويّه قبله.

الخامسه: أنّ هذا الكمال من كمالاتهم النفسانيّه، لوضوح عدم دخل لأبدانهم العنصريّه الشريفه فيه.

السادسه: يتصوّر في الهبوط أربعة فروض:

الف) كون الهابط مجرّدا و المهبط عكسه.

ب) كون المهبط مجرّدا و الهابط خلافه.

ج) كون كلاهما مادّيين.

د) كون كلاهما مجرّدين.

فمن الأوّل و الثانى يلزم المحال، للزوم المناسبه بين الهابط و المهبط و عدمها بين كلّ من الهابط و المهبط في تلك الصورتين، كما لا يمكن تحقّق الهبوط بين الروح و الجسد في كلتا الصورتين، فلو سئل: ما الربط

بينهما؟ نجيب بأن الربط بينهما هو التعلّق التدبيرى، فأحدهما متعلّق و الآخر متعلّق، كتعلّق الرّبّان بالسّفينه و السلطان بالمدينه. بتعبير آخر: إن كان المراد من الهبوط هو التحيّز و الإشغال المكانيّ، لا- يمكن ذلك بين المجرّد و المادّي. و إن أخذنا مفهوم الهبوط أوسع من التحيّز فلا إشكال فى أن أحدهما مجرّد، لأنّ الهبوط حينئذ يكون التعلّق لا التحيّز كما تقدّم، فإطلاق الشيخ ابن سينا الهبوط على الروح المجرّده فى قصيدته العيّيّه (١) يكون من باب التشبيه و المسامحه، فلا يريد أن الروح تحيّزت فى البدن و أشغلته.

و أمّا فى الصوره الثالثه، فلا إشكال فيه لكونهما مادّيّين، يعبّر عن الهبوط إذا بهبوط مكانيّ، كهبوط الحجر من العالى إلى السافل و إن لم يطلق الهبوط فى مثل هذا المورد، لأنّ الحجر لا شعور له.

فالحاصل أنّ للهبوط المكانيّ حكمين:

أحدهما: خلوّ المبدأ من الهابط بعد الهبوط: قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا... (٢) فهنا صارت الجنّه خاليه من آدم و حوّاء عليهما السّلام و من صاحبهما.

ثانيهما: لزوم التزاحم بين الهابطين المادّيّين، بمعنى عدم إمكان وقوع الهابطين فى نقطه واحده، و كون النقطه مهبطا لكليهما فى زمان.

ص: ٤٨

١- . هبطت إليك من المحلّ الأرفع و رقاء ذات تعزّز و تمّنع

٢-٢ (٢). البقره: ٣٨. [١]

و أمّا الصورة الرابعه، أى كون الهابط و المهبط مجرّدين فيعبّر عن هذا الهبوط بالهبوط الرتبىّ، و هو متحقّق فى العين بلا ريب، و يكون مثل هذا الهبوط غالباً فى الشآن و الشرف، و العلوّ و الدنوّ المعنويّين، بمعنى أنّ الهابط هبط من الرتبه العالیه إلى السافله، و مع ذلك لم يخل مبدأ الهبوط عن الهابط كخلوّه (خلوّ هابط مادّي) و لا تراحم بينه و بين هابط آخر فى عين هذا المهبط، كما فى الصورة السابقه: **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ (١) وَ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ* فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢).**

و لذلك ترى أنّ القرآن بعد نزوله على النّبىّ صلّى الله عليه و اله هو باق بحقيقته عند الله كما قال سبحانه: **وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّى حَكِيمٌ (٣).**

السابعه: أنّ أهل البيت يكونون مهبط الوحي بالصوره الرابعه، لأنّ القرآن بحقائقه و معانيه دون ألفاظه و عباراته، مجرّد؛ فعقولهم القادسه أيضاً مجرّده، فلا يلزم الإشكالات التى لزمّت فى كلّ من الصور السابقه.

الثامنه: الكلام فى مبادئ الوحي و مهابطه، و كلّ منهما على قسمين:

إن كان مبدأ الوحي هو الله جلّ شأنه أو مطالعه الألواح السماويّه بغير واسطه ملك من الموحى و نفس من المهبط، فيكون هذا الوحي و حيا عامّاً أو إلهاماً، و المهبط يكون عقولهم القادسه، و إن أخذنا أرواحهم الطيبه غير

ص: ٤٩

١- النساء: ١٠٥. [١]

٢-٢. البروج: ٢٢، ٢١. [٢]

٣-٣. الزخرف: ٤. [٣]

متعلّقه بالمادّه و لا فعل مادّي يطلق عليها العقول، وإلا فالنفوس.

ففى كونهم مهبطا للوحى، إن كان تشترك نفوسهم عليهم السّلام من حيث تعلّق أرواحهم بالأبدان، تكون المهبط نفوسهم، فيلزم الواسطه إذا فى البين (كجبرئيل)، ففى مثل هذا المقام انقلبت حال النبى و تغير لونه المبارك لاشتراك بعده المادّي فى البين، و فى صوره كون عقولهم مهبطا فلا لا امتناع بلوغ ملك و لا غيره إلى تلك الرتبه. و إن أوحى إلى المعصوم فى الرؤيا فيكون إذا بالتمثيل: إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَ لَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ (١).

٥

«و معدن الرّحمه»

و فيه أربع نكات:

الأولى: أنّ الزائر يشير إلى أحد كمالا-تهم، أعمّ من أن يكون كمالا-نفسيا، و كون معدنيتهم للرحمه التكوينيّه، أو فعليًا خارجيًا للرحمه التشريعيّه.

الثانيه: المعدن و المعدن بمعنى واحد، و هو محلّ إقامة الشىء و مقرّه و منبته، و هو ملازم للخلود، إمّا نسبيًا و إمّا حقيقيًا (٢)، فإطلاق المعدن على

ص: ٥٠

١- الأنفال: ٤٣. [١]

٢- ٢). فالنسبيّ كمعدن العقيق مثلا، و لكنهم عليهم السّلام معدن الرحمه بحقيقه معنى الخلود.

درجه من درجات الجَنَّة فهو باعتبار الإقامه و الاستقرار فيه، و التعبير بمعدن الملح و العقيق مثلا باعتبار كون الموضوع محلّ العقيق و منبته.

و أما معنى الرحمه فهو يَبِين بالوجدان، و غنَى عن البيان، مع ذلك نقول:

الرحمه حاله ينبعث بها صاحبها إلى إيصال نفع لغيره المحتاج إلى ذلك النفع، (و إن انبعث بها إلى دفع مضرّه عنه تسمّى بالرأفه).

الثالثه: لو قيل بأنّ هذا الإطلاق (معدن الرحمه) لا يليق بغير الله سبحانه، فكيف أطلق على المعصومين عليهم السّلام؟ نجيب: بعدم صحّه هذا التعبير فيه سبحانه؛ لأنّه تعالى عين الرحمه لا معدن، كما تقول صحيحا: «ذات هي العلم أو القدره أو الحياه لا ذات لها كذا و كذا...».

و لكن يطلق ذو الرحمه عليه تعالى باعتبار رحمته الفعلية و صدورها منه سبحانه على الخلق، فالحاصل أنّهم عليهم السّلام ذوو الرحمه لا عين الرحمه.

الرابعه: تنقسم الرحمه الإلهية باعتبار متعلّقها إلى عامّه تكويته يعبر عنها بالرحمه الرحمانيه، و خاصّه تشريعيّه يعبر عنها بالرحميه التشريعيّه، فيكون أهل البيت عليهم السّلام معدن الرحمه بكلا المعنيين توضيحه:

إنّ رحمته سبحانه لجميع ما خلق لا - يخلو من: إيجاد أو إبقاء أو إكمال، بمعنى أنّه: يوجد كلّ معدوم، أو يبقى كلّ ما كان في معرض زوال، أو يكمل كلّ ناقص. فهو رحمه لهم (لكلّ من: المعدوم و الزائل و الناقص)، كما كان هذا سرّ ذكر الرحمه الرحمانيه المشيره إلى الإيجاد، و

الرحيمية المشيره إلى الغايه، و الرحمه الأولى بعد الربوبية المشيره إلى الإبقاء و الرحيمية المشيره إلى الإكمال الذى يتحقق فى المكلفين؛ لأنهم خلاصه الكون و أشرافه الذين يتحقق فيهم كمال العالم كله.

فالحاصل أنهم لولاهم لم يخلق الله شيئاً، فضلاً عن إبقائه و إكماله، فإيجاده تعالى الآن و كذا إبقاؤه تكويناً و إكماله تشريعاً يكون بهم و لهم، فهم عليهم السلام غايه نسبيته للخلق و الإبقاء و الإكمال، كما هو مفاد أخبار كثيره، منها أن الله تعالى خلق جميع الأشياء من نور محمدى على ترتيب خاص، كما أنهم عليهم السلام كانوا وسائط فيض البقاء منه تعالى، كما أنشدت فيهم عليهم السلام فى ضمن أرجوزه:

وسائط الوجود و البقاء لكل كائن بلا استثناء

خلاصه القول أن تقسيم الأرزاق الماديه و المعنويه الموجه لبقاء الموجودات يكون بهم عليهم السلام؛ لكونهم عليهم السلام ذوى ربتين، يلى الربى و يلى الخلقى، فبالأولى يأخذون الفيوضات من المبدأ الفياض، و بالثانيه ينشرونها بين خلقه، فجميع التحولات الكماليه و الانقلابات التكوينيّه فى الخلق و البقاء، و جميع الحقائق التربويه يكون بوسائطهم كما قال سبحانه: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا (١).

ص: ٥٢

فكما أنّ الرحمة الإلهية عامّة، فكذلك كانت معدّيتهم للرحمة التكوينية، كما قيل في المهدي عليه السّلام: «بيمنه رزق الوري، و بوجوده ثبتت الأرض و السّماء» (١)، و قال الصادق عليه السّلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت» (٢).

و أيضا قال أبو جعفر (الباقر) عليه السّلام: «لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعه لماجت بأهلها كما يمج البحر بأهله» (٣).

و أمّا كون معدّيته هؤلاء الأشراف للرحمة التشريعية فهو معلوم بالنسبة إلى ما بعد ظهور الإسلام، بسبب هدايتهم التشريعية، أي بالنبوّه و الرساله و الإمامه. و أمّا قبل الإسلام فهم أيضا كذلك، أي كانوا معدنا للرحمة التشريعية، لأنّ بعثه جميع الأنبياء كانت مقدمه لمجىء الإسلام كشريعه كامله، فواضح أنّ الغايه هي (شريعه الإسلام)، و إن كانت متأخره عن المعنى بالزمان، و لكنّها تتقدّم عليه بالرتبه، فلو أمكن سؤال سبحانه: لم تبعث نوحا و إبراهيم عليهما السّلام مثلا؟ لأجاب الله: «أنى أريد أن أبعث فى ما يأتى من الزمان محمّدا صلّى الله عليه و اله بشريعه كنبىّ تكمل نبوّته و تتمّ شريعته بإمامه هؤلاء الأشراف و وصايتهم له». فلولا إمامتهم كعلّه مبقيه لهذه الشريعه لما بعث النبيون من قبله و لم يأتوا بشريعه؛ فتبيّن كونهم عليهم السّلام معدنا للرحمة التشريعية فى ما قبله، و تبيّن أيضا كونهم معدن الرحمة فى

ص: ٥٣

١- مفاتيح الجنان، دعاء العديله. [١]

٢- ٢. الكافى ١/ ١٧٩: ١٠- باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّه. [٢]

٣- ٣. المصدر نفسه/ ح ١٢. [٣]

«و خزان العلم»

و هو محتو خمس نكات:

الأولى: إن الإمام الهادي عليه السلام استعمل لفظه الأهل في عبارته الشريفه «يا أهل بيت النبوه»، و له معنى الجمع، و لكن في تعبيراته الأخرى المتقدمه كالمهبط و الموضع، و إن كان اللفظ مفردا و لكن المراد منه هو معنى الجنس، فلو أريد الجنس من لفظ يشمل جميع أفراده الموجوده و غير الموجوده، و لكن التعبير بالخزان هنا من حيث كونه جمعا لا- حاجه إلى التكلف في تفسيره. و الحاصل أن كلا من هؤلاء الأعظم عليهم السلام خازن للعلم، فيكون استعمال الخزان في جميعهم في مورده.

الثانية: يحتمل كون اللام في الفقرات السابقة، أى النبوه و الرساله و الوحي و الرحمه، أن تكون للعهد أو للكل، و لكن ليست هنا علامه أو قرينه على أن تكون اللام هنا خاصه لعلم معهود أو مخصوص، فالأقوى أن تكون اللام للجنس، كاللام للحمد، فإذن يكون معنى هذه الجملة «و خزان العلم»، كونهم خزاننا لجنس العلم على الإطلاق للعلوم الإلهيه فقط، و يؤيد ذلك مفاد روايات كثيره من أقوالهم، منها: قول الصادق عليه السلام:

«إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَ عِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ» (١). هذا التعبير (ما كان، ما يكون، ما هو كائن) مطلق شامل لجميع العلوم التكوينية أيضا، فالحاصل أنهم عالمون بجميع ما فى الكون من الخفايا و الأسرار و الرموز.

الثالثة: كون العلم من أشرف الكمالات أمر غير خفى على العاقل، بل هو من أبرز الحقائق. و تقريره:

إِنَّ لِكَمَالِيهِ كُلِّ كَمَالٍ صَوْرَتَيْنِ: إِمَّا بِوِاسِطِهِ أَوْ بِغَيْرِهَا.

الأولى: أَنَّ شَرَفَ الْعَالَمِ عَلَى الْجَاهِلِ مِثْلًا تَكُونُ بِوِاسِطِهِ، وَ وَاسِطَةُ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ فِي الْعَالَمِ وَ غَيْرِ مَوْجُودِ فِي الْجَاهِلِ، فَلَوْ ارْتَفَعَ الْعِلْمُ مِنَ الْبَيْنِ لَا يَبْقَى بَيْنَهُمَا فَرْقٌ، حَتَّى يَحْتَاجَ فِي إِثْبَاتِ فَضِيلِهِ الْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي إِلَى سَبَبٍ.

الثانية: وَ هِيَ أَنْ لَا تَكُونُ وَاسِطُهُ فِي كَوْنِ حَقِيقَتِهِ كَمَا لَا كَالْعِلْمِ وَ الْوَجُودِ، وَ بِعِبَارِهِ أُخْرَى كَمَا لِيَتَّهَمَا ثَابِتَهُ ذَاتًا.

بعد هذه المقدمه نخوض فى تفسير هذه العبارة، فنقول:

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ خَزِينَةً، كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْقُرْآنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢). فالعلم شىء و حقيقته،

ص: ٥٥

١- الكافي ١: ٢٤٠/ح ١، باب فيه ذكر الصحيفة و الجفر و الجامعه و مصحف فاطمه [١] عليها السلام.

٢ - ٢). الحجر: ٢١، [٢] كون «إن» للنفي و «من» للجنس و «إلا» بعدهما للاستثناء يفيد العموم، أى ما من شىء إلا- تشمله هاتان القاعدتان، الأولى: كون خزائنه عند الله، الثانية: تنزيهه من الله بقدر معلوم معين.

فتكون له خزينه عند الله، و على قول الإمام عليه السلام كان المعصومون عليهم السلام خزّان العلم، فيلزم أن يكونوا هم مع كونهم عند الله و كون أجسادهم و أشخاصهم فى الأرض خزّان العلم، و بتعبير آخر كانت رتبهم عليهم السلام هى الرتبة العنديّه، لأنّ الآيه الكريمه تصرّح بأنّ خزائن كلّ شىء عند الله، و بموجب هذه العبارة و ما يشبهها من العبارات الآتية هم عليهم السلام خزّان العلم، فيجب أن يكونوا هم عند الله، فهذه مرتبه جليله و هى المرتبه العنديّه، و التى يعبر عنها بدوام الحضور أو الحضور الدائم، و هى حاصله للأدنين منهم عليهم السلام و هم الملائكه كما هو مفاد عدّه آيات، منها: وَ مَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ (١). فإذا كان الأدنى هكذا فالأعلى بطريق أولى، و سيأتيك مزيد بيان فى موضعه إن شاء الله.

الرابعه: أنّ للعلم ثلاث درجات؛ إحداها: العلم بألفاظ الحقائق، ثانيها:

بمفاهيمها دون المصاديق، ثالثها: العلم بمصاديق الأشياء و حقائقها.

فالعلم بالألفاظ فقط ليس كمالاً - لهم، و إن كانوا ذووه أيضاً، لأنّ الأطفال و الطيور الناطقه تكون عالمه بها، و العلم بالمفاهيم و القواعد الصوريّه و إن كان كمالاً كان لنا، و إن كان لهم أيضاً، ليس بمهمّ أو كمال خاصّ بهم عليهم السلام.

و أمّا العلم بالمفاهيم و المصاديق فيفتاوتان فينا، و التفاوت ينشأ من الانطباق الدقيق للمفهوم مع المصداق و عدم دقّته و عدم مطابقته رأساً.

ص: ٥٦

و لكنّ الكلام فيهم مغاير للكلام فينا، لأنّ لهم عليهم السّلام سعه نفسانيّه غير حاصله لنا، فالحاصل أنّ مفاهيم العلوم لهم مصاديق، فمعنى قولنا أنّهم خزّان العلم كونهم خزّان مصاديق العلوم وحقائقها.

الخامسه: يومئ الزائر في الجملة إلى كمال نفسانيّ لهم عليهم السّلام، لكونهم خزّان العلم بنفوسهم الزكيه لا بأبدانهم الشريفه؛ لأنّ أبدانهم عليهم السّلام كائنه في الأرض مضافاً بأنّ هذا الكمال للبدن لا معنى له.

لو وقع سؤال في التفاضل بين الخازن (المعصوم) و المخزون (العلم) أيهما أشرف من الآخر؟ نجيب عنه بأنّ المخزون (العلم) حيث كان وصفاً من أوصافه تعالى الذاتيه تكون أشرف من الخازن (آل البيت) و لا شيء أشرف من المعصومين بعد الذات و الصفات الواجبتين.



«و منتهى الحلم»

و هو متضمّن لأربع نكات:

الأولى: يسلمّ الزائر هنا على المعصومين عليهم السّلام و يشير في تسليمه إلى كمال نفسانيّ لهم كسابقه، و هو كونهم عليهم السّلام «منتهى الحلم».

الثانيه: أنّ للحلم معينين:

ألف) التثبّت في الأمور، فلو سلّمنا هذا المعنى يلزمنا أن نأخذ الأمور أعمّ من المنافيه و الملائمه، فالحلم عند المنافى هو التثبّت بأن لا ييأس من

ص: ٥٧

الخلاص و النجاه، و هو (الحلم) عند الملائم كما فى الظفر على الأعداء و حصول المراد من المال و المنال و غيرهما، أن لا يذهب صبره و وقاره فلا يطغى و لا ينسى المنعم الحقيقى و هو الله، و لا يترك شكره.

ب) الحلم هو عدم المسارعه إلى العقوبه مع القدره، فالحاصل أن معنى كونهم عليهم السلام «منتهى الحلم»، هو أن الحلم انتهى إلى نهايته فيهم، فهم مع كونهم قادرين على الانتقام بسبب جنود السماوات و الأرض المطيعه لله استقلالاً، و لهم عليهم السلام بجعل إلهى، لا يسارعون إلى الانتقام، فهذا هو المعنى المختار للحلم عندنا (1).

الثالثه: فى صله هذه الجملة مع سابقتها:

أشار الزائر أولاً إلى أنهم «خزان العلم» و الآن يشير إلى أنهم «منتهى الحلم»، فنقول إن صله العلم بالحلم من وجوه:

ألف) وقع الحلم تلو العلم فى القرآن فى وصفه تعالى: **وَ اللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ (٢)**، كما فى الخطبه المرويّه عن الإمام على عليه السلام فى وصف آل النبى عليهم السلام: «هم عيش العلم و موت الجهل، هم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم»، (٣) فالإمام الهادى عليه السلام هنا استعمل الحلم بعد العلم تبعاً لما فى القرآن.

ص: ٥٨

١- و أمّا المعنى الأول له، و كذا ما فسره بعضهم بالعقل، فهما لازمان للحلم لا نفسه.

٢-٢) النساء: ١٢. [١]

٣-٣) نهج البلاغه: الخطبه ٢٣٩. [٢]

ب) أنّ الحلم على حسب الترتيب الطبيعيّ فرع للعلم، فلو لم يكن الشخص عالماً لا يمكن أن يكون حليماً، فالحلم كاشف عن علم صاحبه، لأنّ غير العالم أقرب إلى غير ذوى العقول كالحيوان، لأنّ بالعلم يقوى العقل وبعده يضعف، فبهذا الضعف تغلب الحيوانيّة على العاقله، فهو بفقدانه العلم يكون فاقداً للحلم، لأنّ بينهما ملازمه كالملازمه بين الأصل وفرعه.

ج) و لما كان العالم ينظر بعلمه إلى مصالح العفو أو التأتى و مفاصد العجله (قريبين كانتا أو بعيدتين) و السرعه للانتقام من حيث الفرد و المجتمع و آثاره الوضعيه و القرينه و غير ذلك من المضارّ و المنافع، فيحلم عن صاحبه.

الرابعه: أنّ لفظه «منتهى» هنا معنى مكاتياً، فهى اسم مكان فى الحقيقه كما أشرنا، و الدليل على بلوغ الحلم فيهم إلى نهايته أربعه أنواع: عقلية، فلسفية، كلامية، عرفانية.

أمّا العقلية منها، فلا تُنهم عليهم السيّلام بلغوا إلى نهايه العلم فى الممكن (1)، فيلزم أن يكونوا منتهى الحلم؛ للتلازم بين العلم و الحلم، فكلمة كان العلم أوسع كان سعه الحلم على سعه العلم، فكونهم عليهم السّلام «خزان العلم» يلازم كونهم

ص: ٥٩

١- مع غضّ النظر عن علومهم المتزايدة التى لا تعلم نهايتها، مصداقاً لقوله سبحانه: «و قل ربّ زدنى علماً».

«منتهى الحلم».

و أمّا الفلسفَى من الأدلّه، (و هو قريب من الأوّل و بينهما فرق دقيق يعلمه الذكيّ)، فهو أنّ كلّ ما كان الوعاء الإمكانى للشىء أوسع، يقبل الواعى الكمال على قدر وعائه، و لا شكّ فى كماله الحلم و سعه و عاء وجودهم، فيكونون هم «منتهى الحلم» لأنّ سعه وعائهم بلغت إلى حدّ لا يتصوّر فى الممكن أوسع منه.

و الدليل الكلامى، إن قلنا بعدم ربط بين ما يعطى الله الممكن بإمكانه، و قلنا بأنّ الله يخلق ما يشاء و يختار ما يشاء و يعطى من يشاء و ينزع ممّن يشاء، و لا يسأل عمّا يفعل و هم يسألون، كما كلّ ذلك مفاد آيات من القرآن، نقول: إنّ الله حيث أعطاهم أقصى درجات العلم يلزم ذلك أن يجعلهم بجعله التبعى «منتهى الحلم».

و أمّا الدليل العرفانى، إن كان جميع ما خلق الله مظاهر صفاته تعالى و مجالى كماله، و تتفاوت الظهورات و التجليات بتفاوت القوابل، و كلّ ما كان المجلى فى ذاته أقبل، كان التجلى و الظهور فيه أكمل، يكون حاصل الكلام أنّ ذواتهم القدسيّه من حيث كونهم أزكى الذوات و أصفاها، و ظهور كماله سبحانه فيها يكون أتمّ الظهورات فيهم، و حيث إنّ من كماله تعالى هو الحلم يكون ظهور حلمه فيهم أتمّ و أكمل ممّا ظهر فى غيرهم، فيكونون هم عليهم السّلام «منتهى الحلم» دون غيرهم، (و هذا كأصل عامّ فى إثبات كلّ كمال لهم عليهم السّلام).

ص: ٦٠

«و أصول الكرم»

فيه أربع نكات:

الأولى: أنّ الزائر يشير إلى كمال من كمالاتهم الذاتيه حتّى يكون تسليمه عليهم أقرب إلى عرفانه بهم، و يظهر لهم عليهم السّلام بأنّي عارف بأنّكم «أصول الكرم».

الثانية: «الأصول» جمع «الأصل» و هو «ما يبنى عليه غيره»، فيكونون هم عليهم السّلام مباني للكرم، و الكرم كفرع مبتن عليهم، توضيح ذلك:

أنّ الكرم لا ينشأ منهم كنشوء الأغصان من الشجر، بل هم شيء بعنوان أصل و مبنى، و الكرم شيء آخر بعنوان المبتنى، و لا ينافى ما ذكرنا من تفسير الأصل كونهم معدنا للكرم ككونهم معدنا للرحمة للمغايره بين أصليتهم و معدنيّتهم، فبالنظر إلى كونهم أصلا للكرم من جهة مغاير لكونهم معدنا، و من جهة أخرى فلا منافاه في البين.

الثالثة: الكرم كمال ظاهر من موصوفه للغير، و هذا التفسير يستفاد من استعماله في موارد عديده من اللّٰه سبحانه و الإنسان و النبات؛ قال الراغب في (المفردات): الكرم إذا وصف اللّٰه تعالى به، فهو اسم لإحسانه و إنعامه.

ص: ٦١

و الظاهر، نحو قوله: فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ (١)، وإذا وصف به الإنسان، فهو اسم للأخلاق و الأفعال المحموده التي تظهر منه، و لا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه (٢). ترى أن الظهور مأخوذ في معناه من أي كريم صدر، و أيضا ترى أن مفهومه عام واسع، و الحاصل يكون تعريف الكرم النهائي كالآتي.

«الكرم هو إفاده الكريم ما يظهر له من الكمال الذاتى لغيره المستحق من غير عوض»، انظر إلى كتاب الله حيث وصف النبات بالكرم مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٣) لاستفاده الحواس منه تكوينا و جبرا، و يلزم شمول تعريف الكرم على هذا المورد أيضا.

الرابعه: قد تقدم أنهم عليهم السلام أصول الكرم و مبانيه تكوينا و غير تكوينين، و التكوينى نفسانى و غير نفسانى.

ألف) أميا النفسانى، كنور جباههم و وجوههم مثلا و ملاحه أصواتهم الشريفه و وقارهم التي يستفيد منها (من النور و الملاحه و الوقار) المحبّ و المبغض، فكما ترى أن في ذلك كله و أمثاله لا يمكن فرض غرض فيها، إفاده المعصوم عليه السلام بها للغير يكون قهريا بلا غرض.

ب) و أمّا الكرم الغير نفسانى لهم، فهذا هو ما أوضحناه في تفسير

ص: ٦٢

١- النمل: ٤٠. [١]

٢- ٢). المفردات في غريب القرآن ٤٢٨- [٢] كرم).

٣- ٣). لقمان: ١٠. [٣]

«معدن الرحمه»،الذى كان إيجاد الخلق بهم،و لولاهم لما أوجد الله الخلق كما ظهر.و بعض الأعظم من العلماء على مكتوب عن مولانا العسكرى عليه السلام نقله الشهيد قدس سره أنه قال فى حديث طويل:

روح القدس فى جنان الصاقوره (1)،ذاق من حدائقنا الباكوره (2).

ترى تعبير الإمام عليه السلام هنا عن الحديقه بالصاقوره(المأخوذه من الصقر) أولاءو عن الثمار بالباكوره أى غير البالغه حدّ الكمال ثانيا.غرضه عليه السلام هنا أنّ روح القدس مع الإقرار بأنزل الدرجات و الشؤون من ولايتنا بلغ إلى شأنه و نال من الله إلى مقامه،أى لو لم يعترف بذلك لم يبلغ إلى ما بلغ، فضلا عن الاعتراف بولايتنا التامه و كاملها.فكلام الإمام هنا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس(ولايتهم و الإقرار بها هما معقولان بالحدائق و ثمار الباكوره المحسوستين)،فبهذا تبين معنى كونهم عليهم السلام أصول الكرم تكويننا نفسائيا و غير نفسائى.

و أمّا لكونهم أصول كرائم الأخلاق و الأفعال غير تكوينيتين موارد كثيره،منها إعطاؤهم المال إلى الفقراء ذوى العيال،و كإعطاء على عليه السلام سيفه للعدوّ حين الحرب،و كذا وساطه الإمام الهادى عليه السلام عند الله لبرء المتوكّل و صحّته عن دمل حين نذرت أمه فبرئى،و أنت ترى أنّ معنى

ص: ٦٣

١- الصاقوره تطلق على حديقه لم تبلغ ثمارها إلى حدّ الكمال،و تلازم لبلوغها حراره الهواء الشديده،و قد حصلت الحراره دون شدّتها و لم تكمل الثمار.

٢- ٢). الدرّه الباهره من الأصداف الطاهره،للشهيد الأوّل ص ٤٥.

الكرم ينطبق على جميع هذه القضايا، فعلى أى تقدير أنهم عليهم السّلام كانوا أصولاً- لجميع الكرامات التى أكرم الله بها كلّ مكرم. والحاصل: كما لا- يتحقّق بناء بدون مبنى، لا يوجد كرم ولا يقع إكرام دون كونهم مبنى له، كالجسم والعرض وإيجاد الله إيّاه إكراماً له (للعالم)، وهم عليهم السّلام كالروح أو الجوهر المقوّمتين لهما (الجسم والعرض)، فالإكرام مع فرض عدمهم محال؛ لأنّه يكون إيجاد المتقوّم بدون مقوّمه، وعلى فرض إمكانه يكون طرفه غير ترتيبه، وهو محال أيضاً.

٩

«وقاده الأمم»

و فيه خمس نكات:

الأولى: أشير فى هذه العبارة الشريفه إلى أحد كمالاتهم الخارجيّة، وهو أعمّ من أن يكون فعلياً و غير فعليّ باعتبار، و إلى كمال من الكمالات النفسانيه لهم باعتبار آخر.

توضيح ذلك: أنّ القيادة بأفعالهم و أقوالهم تعدّ كمالات فعليّة، و بأخلاقهم الكريمة و خصالهم الحميده تعدّ كمالات نفسانيّة، و بعبارة أخرى يكونون هم عليهم السّلام معلّمين بالأقوال و مرّيين بالأفعال و بإراءتهم الناس أنفسهم كالأمثال لمجموع الكمالات و الفضائل بالأخلاق و الخصال، فإذا تقارن التعليم بالتربية من حيث العمل و إراءه الأمثال كانت القيادة كامله تامّه.

ص: ٦٤

الثانية: في تفسير القيادة و بيان شرائطها:

«القاده» جمع القائد و هو «من يقود قوما» مثلا (و هو قريب المعنى إلى الإمام و الهادى)، و هو الذى يعرف الطريق، بمعنى إذا بعثت الجيوش إلى القتال، يبعث رجل قبل البعث إلى العدو خفاء للتفحص عن خصوصيات العدو، كالكَيْفِيَّة و الكَيْفِيَّة و العدد و غير ذلك من الجزئيات، حتّى يرجع فيخبرهم و يقودهم فى السير، ليكون هجومهم على الأعداء على معرفه كامله منهم، يقال لهذا المبعوث المتفحص، قائد.

الثالثه: أما «الأمم» فهى جمع «الأمة»، و هى عباره عن «جماعه لهم مقصد واحد»، و لهذا يقال للمسلمين أمّه الإسلام، لكونهم سائرين إلى مقصد واحد، قال تعالى: **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (١)**.

المراد من «الأمم» هنا أمران، كلّ منهما محتمل:

ألف) المراد من الأمم كلّ مخلوق ذى روح: **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ (٢)**. ترى أنّ القرآن أطلق هذا اللفظ على الطيور فى الجوّ و كلّ دابّة فى الأرض، فبناء على هذا المفهوم الواسع لهذا اللفظ هم عليهم السّلام يكونون قاده الأمم بمعنى أنّ جميع الأمم على المعنى المذكور تسير إلى مقصد واحد جامع عينه الله لها، فقيادتهم عليهم السّلام بهذا

ص: ٦٥

١- الأنبياء: ٩٢. [١]

٢- ٢. الأنعام: ٣٨. [٢]

المعنى مشروطه على ولايتهم عليهم السّلام على ذوات الأرواح جميعا، فتكون ذوات الأرواح أمما لهم و تقبل قيادتهم، و بدونها-
أى بدون الولاية المذكوره منهم عليها- لا تتحقّق القيادة منهم عليهم السّلام و لا كون كلّ نوع من ذوات الأرواح أمّه لهم.

ب) أن يكون المراد من الأمم كلّ البشر، فتكون قيادتهم عليهم السّلام للبشر إذا قياده تشريعيّه مشروطه بالعصمه و الكمال، اللذين
لولاهما لا- تمكن لهم القيادة و لا- أمثليه للأمم الإنسانيّه، لأنّه بدون العصمه لا يمكن إيصال الأمم إلى غايتهم و إراءه أنفسهم
القدسيّه كالأماثل لهم، لوجود الخطأ أو احتمال له أو لوجود خلاف المحتمل فى القيادة (و سيجىء مزيد بيان لك منّا أيّها القارئ
الكريم فى شرح «القاده الهداه» إن شاء الله).

الرابعه: فى توضيح قيادتهم للأمم الإسلاميه و سائر الأمم من الموحّدين، نقول: إنّ قياده هؤلاء الأخيار عليهم السّلام معلومه لهذه
الأمّه أعمّ من أن يؤمنوا بها أو لم يؤمنوا، فقد آمن بها الأقلّ فسّموا بالشيعه، و لم يؤمن بها أكثر الأمم، فلا يضّرّ إنكار الأكثر على
قيادتهم الإلهيه المجعوله بجعله سبحانه، فليست قيادتهم للأمم فوق ربوبيّته تعالى للعالمين، التى آمن بها أقوام و كفر بها
الأكثرين؛ و هكذا آمن بنبوّه محمد صلّى الله عليه و اله قليلون و كفر بها كثيرون طيله التاريخ مع عدم الشكّ فى كونه صلّى الله
عليه و اله نبيا و رسولا لعامّه البشر إلى آخر الدهر و أوّل المحشر، فلا يضّرّ ذلك الكفر هذه النبوّه أصلا، فلو رجع المنكرون عن
إنكارهم إلى إيمانهم بها تتحقّق نبوّته صلّى الله عليه و اله لهم و تكون

و أما كونهم عليهم السلام قاده للأمم الماضيه قبل الإسلام فعلى معينين:

أحدهما: أن الغرض من توافد الشرائع السالفه مع وحده الدين و عدم تغييره و إن كانت كل أمة فى زمانها تنجو بشريعتها الخاصه للماضين، كونها مقدّمه معدّه لمجىء الشريعه الكامله، و هى الشريعه التى كان هؤلاء الأشراف مبلغوها و حافظوها، لهذا كانت قياده هؤلاء الأشراف عليهم السلام جزء رئيسيًا من كل الشريعه، و بتوضيح آخر: كما أن الله تعالى يربى كل فرد و يوصله إلى كماله اللائق به جسما و روحا كذلك يربى كل مجتمع بأصول عقيدته و كليات عملته (المسمّاه بأصول الشريعه)، بناء على ذلك فالماضيه من الأمم كانوا كأطفال ينمون و يترقون للوصول إلى إمامه أهل البيت عليهم السلام كى يمكن لهم الاتباع و الإطاعه فى جميع شؤونهم من هؤلاء الآباء و الأئمه و القاده، فقد تبين بهذا البيان قيادتهم عليهم السلام للأمم المتقدمه (1).

ثانيهما: أن معنى كونهم عليهم السلام قاده الأمم هو كون الاعتقاد بهم من الأمور الرئيسيه الاعتقاديّه للأمم المتقدمه، فكان يجب أن يعتقد جميع الأمم بهم و بإمامتهم الآتية و إن لم يروا هؤلاء المعصومين، كما جاء فى الحديث فى وصف الزهراء عليها السلام: «و هى الصديقه الكبرى، و على معرفتها دارت القرون

ص: ٦٧

١- و ينبغى ذكر أن لا ننظر هنا إلى كل واحد خاصه حتى يشكل أن آحاد منهم من ماتوا مع أعمار قصيره بل ننظر إلى الذين كان أعمارهم أطول من أعمار الأفراد، فيعدّ كل مجتمع كبشر واحد.

الأولى» (١). فكانت معرفتها كقطب تدور عليه رحى الشرائع و الأمم، فيلزم هنا اتحاد القيادة و غايتها، و لا يرد إشكال لكونهما متغايرين بالاعتبار، و هذا التغير كاف في دفع الإشكال، كمن يبني دارا ليسكن فيها، فالسكنى فيها يحركه للبناء و إعداد لوازم البناء، فيكون السكنى قائدا إلى البناء باعتبار و غايه و غرضا له باعتبار آخر.

فالحاصل أنّ معرفتهم عليهم السلام تكون غايه للإسلام و قائدا و جاذبا و محرّكا و باعنا إليه، و بهذا يتحقّق معنى قاده الأمم.

الخامسه: أنّهم عليهم السلام يكونون قاده الأمم فى الآخرة إلى الجنّه كما كانوا فى الدنيا، فقيادتهم متحقّقه للمتقدين لهم (٢) و التابعين عنهم بشفاعتهم التى سنبحت عنها فى محلّها، إن شاء الله.

١٠

«و أولياء النعم»

و فيه سبع نكات:

الأولى: يشير الزائر هنا إلى واحد من الكمالات الفعلية لهم عليهم السلام بعد

ص: ٦٨

١- بحار الأنوار ٤٣: ١٠٥/ح ١٩، باب تزويجها- [١] عن: أمالى الطوسى ٦٧٨/ح ٦-الباب ٣٦. [٢]

٢- ٢). إنّنا قد أوضحنا انقياد الأمم لهم عليهم السلام فى الاعتقاد، و لكن فى باب العمل نقول: إنّ كلّ أمّه من الماضين و إن كانت منقادة لنبىّها و ناجيه به، و لكنّها تكون منقادة فى العمل للمعصومين عليها السلام مع وسائط لأنّ أنبياءهم فى الحقيقه مع شرائعهم كانوا كمقدّمات، و هؤلاء عليهم السلام كالنتيجه، و أنت خبير بأنّ تمام العله بجزئها الأخير.

تصريحه بكمال آخر لهم من هذا القبيل، وهو ولايتهم على النعم.

الثانية: تفسير لفظتى النعم، والأولياء:

«النعم» جمع «النعمه»، وهى «كلّ ما يتناسب و يلتام لانتفاع المنتعم به دون المنافره أعمّ من التكوينيّه و غيره فى عالم الملك و الشهود أو الغيب و غير المشهود موجودا كان أو ما يوجد بعد»؛ فيكون هنا، جميع ذلك، فتكون ولايتهم عليهم السّلام ولايه عامّه لجميع النعم على ما فسّرناها بغير استثناء، فيكونون هم عليهم السّلام، أولياء جميع النعم فى الدنيا و الآخره.

و أمّا كلمه «الأولياء» فهى جمع «الوليّ» كالأنبياء جمع النّبىّ، والمراد منه هنا، هو المتصرّف و المدبّر؛ فالحاصل أنّ معنى كونهم «أولياء النعم» هو ما يتصرّفون فى جميع ما خلق الله و يدبّرونه، فيكون لهم دور و مدخل فى تنعم كلّ مخلوق و تدبيره، وإلاّ لا يكون كلّ منهم وليا على النعم، سواء كان مستقلاً فى تصرّفه و تدبيره أو مأذونا فيهما.

فالحاصل أنّهم «أولياء النعم» بهذا المعنى فى إيجادها و إعدامها و قبضها و بسطها و أخذها و إعطائها و تبديل بعضها بالأخرى، كما ورد عن علىّ عليه السّلام أنّه قال: «فإنّا صنائع ربّنا و النّاس بعد صنائع لنا» (١).

يستفاد من كون صنائع الخلق لهم على الإطلاق، تدخّلهم عليهم السّلام فى جميع الشّؤون المذكوره للنعم من الإيجاد و غيره.

ص: ٦٩

١- نهج البلاغه، و [١] من كتاب له عليه السّلام إلى معاويه جوابا-الكتاب ٢٨.

الثالثة: أنّ ولايه هؤلاء الأطياب عليهم السّلام ليست تعارض ولايه الله عزّ وجلّ، بل هي طوليه لولايه الله و مجعوله منه و مأذونه بإذنه سبحانه، و إلاّ تكون مستقلّه قبال ولايته تعالى، فإذا يردّ ما أشكلته الوهائيّه من لزوم الشرك في توحيد الفعليّ، لأنّ التدبير و التصرّف (١) كانا في مقوله الفعل و هو يرجع إلى الشرك في الصفات، الراجع لا محاله إلى الشرك الذاتيّ، نعوذ بالله من جميع أنواعه (٢).

الرابعة: في تفسير طوليه ولايتهم و تفصيلها، نقول: طوليه الولايه لولايته سبحانه متصوّره على مبني المتكلمين و المحدّثين و العرفاء و الحكماء، فالأولان قائلان بأنّ الله سبحانه و لأهم على الخلق، أعنى فوّض إليهم أمر خلقه، فتكون ولايتهم من نوع التفويض.

أمّا العرفاء فيقولون: إنّ ولايتهم هي ظهور ولايته سبحانه، كالظهور المتجلّي في المجلى و الظاهر في المظهر على سعه أوعيتهم الإمكانية، و أمّا الحكماء القائلون بتشكيكه الوجود فيقولون: كلّما كان وجود المتصرّف أشدّ و أكد كانت ولايته على ما دونه أوسع و أشمل، فحيث إنّ وجودهم عليهم السّلام أشدّ الوجودات و أكدها بحيث لا أشدّ في وجودهم في

ص: ٧٠

١- و هما أصلان لكلّ من الخلق و الرزق و القبض و البسط و الإحياء و الإماتة و الأمراض و الشفاء و الإعزاز و الإذلال و نحو ذلك.

٢- ٢) و لولا- خوف الإطالة و الخروج عن موضوع الكتاب لبسطنا الكلام في المقام و ذكرنا المرحلة الخامسة من التوحيد الأسمائيّ الذي كان يعتقد به أستاذنا العلامة سماحه آيه الله العظمى آخوند ملاّ على المعصوميّ الهمدانيّ «أعلى الله قدره».

الإمكان كانت ولايتهم أوسع الولايات و أشملها، بحيث ليس فوقها إلا الولاية الواجبه الذاتيه الغير متناهيه.

الخامسه: و هي حصيله القول ممّا تقدّم في التفاوت بين ولايه الله و ولايتهم عليهم السّلام، فنقول تنقيحا لذلك: إنّ بين الولايتين تفاوتاً، و هو أنّ ولايه الله ذاتيه و جوبيته غير متناهيه و غير قابله للانفكاك عن الخلق، و لكنّ ولايتهم عليهم السّلام تخالفها في جميع هذه الأوصاف.

توضيح عدم قبول ولايه الله الانفكاك عن الخلق: و هو أنّ الحكيم يعتقد بأنّ الربط الممكن و تعلّقه به تعالى، هو عين الفقر و الفاقه، لا ما له الربط و الفقر فلو كان غير ذلك لكان الممكن شيئاً دون فقره، و الحال أنّه ليس هكذا، بل هو فقر محض وجوداً و ماهيته و لا يتصوّر كون ماهيته الممكن شيئاً و فقره أو ربطه شيئاً آخر، فولايه المعصومين عليهم السّلام مضافاً إلى ما ذكرنا تكون قابله للسلب عنهم، كما قال سبحانه: **وَلَئِنْ شِئْنَا لَنُدْهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (١)**.

السادسه: ما يقرب في الاحتمال قويا، هو كون الأوصاف المتقدّمه التي ذكرها الزائر لهم كالأهليه لبيت النبوه و الموضوعيه للرساله و غيرهما مقدّمات لكونهم أولياء النعم، فبناء على هذا لو كانوا عليهم السّلام فاقدين لأحد هذه الأوصاف لم يكونوا صاحبي الولاية على النعم (٢).

ص: ٧١

١- الإسراء: ٨٦. [١]

٢- ٢. فلو أشكل ع [٢] إلى القارئ الكريم بأن يلزم من ذلك البيان أن تكون الولاية أعلى من النبوه و الرساله،

السابعة: يمكن أن نفسير الجملة الشريفه «أولياء النعم» بأن المراد من الأولياء و النعم كليهما بهم عليهم السلام، أى هم عليهم السلام نعم و فى نفس الوقت هم أولياؤها، كما فى قوله سبحانه: **ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (١)**. و ما جاء فى تأويل الآيه فى الأخبار (٢)، و هى سبعة أخبار ذكرنا هنا مضمون جميعها.

فالحاصل أنهم عليهم السلام كون ولايتهم من أعظم نعم الله على العباد، هم أولياؤها، و لا- يرد إشكال اتحاد الولي و المولى عليه، لأن كون ولايتهم نعمه هى فى مقام الفعل، فيكونون هم أولياءه، أى أولياء التدبير و التصرف و فروعهما، فهم المخيرون فى إظهار ولايتهم بالفيض و البسط و الإحياء و الإماتة، فيعمّ النعيم فى الآيه جميع ما أنعمه الله على الخلق حتى ولايتهم كما ذكر. لا بأس هنا بإيراد قصيده أنشدتها فى الثناء عليهم و سميتها ب«ذات القافيتين»، التى تحتوى الإشاره إلى بعض الأدله العقلية و النقلية على المراد و ذكر فضائلهم على قدر الوسع، ليتيقن القارئ الكريم فى كل بيت منها، و لتظهر له من الإشارات و النكت و اللطائف المودعه فى الأبيات، و سنشير فيها إلى بعض المطالب المهمه.

«ذات القافيتين»

ص: ٧٢

١- ١). النكاث: ٨.

٢- ٢). تأويل الآيات الظاهره فى فضائل العتره الطاهره للسيد على الحسينى الاسترآبادي، ص ٨١٥-٨١٧.

ألا يا آل ياسين ارحموني أحبيكم فردّوا و اسألوني
بأن من أنت؟ حتى اخبراكم بأنني من محبيكم فقوني
تلوّ النار كي لا تلتقطني فها أنا أستغيث بكم خذوني
ثناء قد أردت لكم و لكن لساني قاصر عنه انصروني
جمالكم جمال الله يا من بهم ختم الجمال فجمّلوني (١)
حياه العالمين بكم تفاض قلبي ميت لا تتركوني
خيار الناس بعد الأنبياء لشيعتكم، فمنهم خاطبوني
دباديب عدوكم فضيحه ففي درك الشقا لا تخذلوني
ذلت إذ انقلبت إلى سواكم بكلتا النشأتين فثبتوني (٢)
رياح اللاقحات بكم تفوح ربيعا و الثمار بكم تكون (٣)
زخارف عالم البالي ستبلى بزينه حبكم لي زينوني
سكوت العالم فيما ظلمتم بأى عله هو؟ أنبؤوني (٤)

ص: ٧٣

-
- ١- في هذه الأبيات الخمسه أشير إلى الولاية التكوينية لهم لعدم إمكان مخاطبه بينهم و بين محبتهم المثني عليهم بدونها.
٢-٢) في هذا البيت إشاره إلى شمول ولايتهم في الآخره أيضا.
٣-٣) في المصراع الثاني من البيت إشاره إلى ولايتهم التكوينية الأنفسيه و المصراع الأول كمقدمه لها.
٤-٤) في هذا البيت إشارتان إلى التكوينية الآفاقية في المصراع الأول و التكوينية الأنفسيه في المصراع الثاني لأنه لو لم تكن ولايتهم على جميع ذرات العالم لم يكن السكوت قبال ما رأوا من الظلم قبيحه و لم يكن ترقب عدم السكوت العامه صحيحا و هكذا إنباؤهم عليهم السلام عن عله هذا الصمت العام للمحبب إنما يصحّ مع ثبوت ولايتهم للأنفس.

شروق جَنَّهُ الفردوس منكم و أنتم كلمه كاف و نون (١)

صلاه الله دائمه عليكم فحق أن يصلى العالمون (٢)

ضحيه حَبِكُمْ لا تستقل جعلت فداكم طول القرون (٣)

طواغيت الهوى قد أهلكتنى فمن لجج المعاصى أنقذونى

ظلالكم ظلال الله فى الأرض ذليل من يعاديكم يكون (٤)

عقول المستفاده قطره من بحار عقولكم عند الفطون (٥)

غوامض ديننا تنحل منكم و أنتم قدوه النائى و دون

فريضه حَبِكُمْ لبّ الديانه و ذلك من أخصاء الشؤون (٦)

قناديل معلقه منيره حيال العرش كنتم تحذقون (٧)

ص: ٧٤

١- فى البيت إشارتان، ففى الأوّل إشاره إلى الولاية التكوينية لهم فوق هذا العالم، أى لهم الولاية على المجردات أيضا و فى الثانى إلى أنّهم عليهم السلام أنفسهم ولاية فعلية لله.

٢-٢. هذه الصلاه العامه من العالمين (كصلاه الله الدائمه) إنّما تصحّ مع ثبوت الولايتهم للعالمين.

٣-٣. هذه إشاره إلى شدّه المحبّه لهم فى قلوب محبّيههم، حتّى فدوا أنفسهم على طريق محبّتهم.

٤-٤. هذه إشاره إلى تجلّى ولاية الله سبحانه فى ذواتهم القدسيه.

٥-٥. هذه إشاره إلى كليله عقولهم القادسه التى هى شرط لولايتهم الكليله على ما سوى الله، لأنّ للعقول مراتب أربعه تبدأ من العقل بالهولى ثمّ بالملكه ثمّ بالفعل. و تنتهى بالمستفاد، فالعقول المستفاده فيهم كبحر، و هذه المرتبه فى غيرهم كقطره من البحار. تفصيل البيان يطلب من غير هذا الكتاب.

٦-٦. هذه إشاره إلى كون الولاية كجزء رئيسى، و فى سائر أجزاء الدين كاللبّ بالنسبه إلى القشر.

٧-٧. هذا مشير إلى أنّ نظام الوجود مسبق بوجودهم الشريف و تحت ولايتهم، لأنّ أى فيض صادر عن الفياض المطلق لا يمكن أن يكون صدوره بلا واسطه، و الواسطه لا يمكن أن تكون أدنى، و ليس غيرهم أشرف و أعلى.

كفانا حبكم جنات عدن و رضوان و خلد و عيون (١)

لسان الغيب أنتم لا سواكم فمما تعلمون فعلموني (٢)

مآتمكم معابد أهل ذكر و هم بكلامكم يتدثنون

نجاه الرّسل من بحر البلايا بغير نجاه منكم لا تكون (٣)

ولا يتكم على الإيجاد غايه إلى التوحيد منها يعرجون

هذا ليل الأنام رمت هداكم وساوسهم بلطف جنّوني (٤)

يطالب ثاركم مهدي منكم و يستهدى به المستضعفون

«نظامي» شاكر لله دو ما و يشكركم بما أمددتموني

أباطح أجبل العرفان أنتم و يجرى منكم للسالكين (٥)

براهين إمامتكم منيره فويل من تعامى المنكرين

ص: ٧٥

١- في هذا إشاره إلى أنّ حبهم السّلام جامع لجميع الدرجات العاليه كدرجات الجنّه المختلفه و هو(الحبّ) كثمره من ثمرات شجره ولايتهم الطّيبه، و خلاصه القول أنّ من كان محباً صادقاً لهم عليهم السّلام كان غنياً عن الجنّه و ما فيها، و المراد من الجنّه هنا هو جنّه الأفعال، لأنّه بلغ إلى جنّه الصفات، بل جنّه الذات مع الواسطه، و الواسطه هي حبهم.

٢-٢). التعبير بلسان الغيب عنهم عليهم السّلام باعتبار إخباراتهم عن المغيّبات حتّى لا يتجرأ أحد أن يعبر عن نفسه بالشاعر كحافظ الشيرازي بلسان الغيب.

٣-٣). فيه إشاره إلى كلتا شطري الولاية الآفاقي و الأنفسى قبل نزولهم في هذا العالم.

٤-٤). مفاد ترجمه البيت هو أنّ أراذل الناس تركوا هدايتكم و أعرضوا عنها، فأنتم أيها الأشراف جنّوني عن وساوسهم. و الإشاره في مصرعه الثاني إلى ولايتهم الأنفسيه، لأنّ تجنيبهم محبهم عن وساوس الأراذل يستلزم ولايتهم على النفوس و المصراع الأوّل كمقدمه للتاني.

٥-٥). هذه إشاره إلى ولايتهم التشريعيه الناشئه من علومهم الوافره، كالبيت الآتي.

تجلى الله فيكم بالتمام و هذا لى من إيمان و دين (١)

ثقافتكم أزيلت فى السقيفه فوا أسفا و حزنا بالرنين (٢)

جماهير فلاسفه الذهور بمكتبكم من المتعلمين (٣)

حجاب الله بغضكم عن الخلق و معرفه بكم حصن حصين (٤)

خطيئه آدم و بنيه ملح يذوب بماء فضلكم المعين (٥)

دلائل فضلكم مكتوبه فى صحيفه ذا المكان و ذا المكين (٦)

ذريعتنا إليكم ليس إلا محبتكم مع الشوق الدفين

رزيتكم تنغص كل و منها القلب منكسر حزين

زيارتكم مثال زياره الله على العرش اجعلونا الزائرين (٧)

سلاسل باديات الكون كانت عقولكم عقول الراشدين (٨)

ص: ٧٦

١- هذه إشارة إلى العقيدة الثابتة لمحبتهم العارف بأن ولايتهم عليهم السلام ليست مستقلة، بل هى جلوه من جلوات ولايه الله فيهم عليهم السلام.

٢-٢) هذه إشارة إلى ولايتهم التشريعية القابلة للغضب.

٣-٣) هذه إشارة إلى سعه علومهم الفائقة على علوم الفلاسفه كلهم طول تاريخ البشر.

٤-٤) فى هذا البيت إشارة إلى حجاب من الحجب الظلمائيه الواقعه بين العبد و ربه قبال الحجب النوريه الناشئه من امتناع الإدراك لحقيقه ذاته المتعاليه و صفاته الذاتيه القدسيه.

٥-٥) هذه أيضا إشارة إلى ولايتهم الأنفسيه مع شمولها الواسع.

٦-٦) هذه إشارة إلى معرفه جميع الأشياء فى الآفاق تكوينا لعدم المنافاه بين الظاهر (و هو الله) و المظاهر فى الحقيقه إلا بالإمكان و الوجوب، فجميع الأشياء ككونها آيات لله، و صفاته تكون آيات لفضائلهم عليهم السلام.

٧-٧) هذه الثلاثه الأخيره ثناء عليهم فقط، و معناها ظاهر.

٨-٨) هذه إشارة إلى ولايتهم التكوينيته فوق الآفاق و الأنفس؛ لأن عقولهم القادسه خلقت قبل إيجادهما.

شفاعتكم لنا أعلى الأمانى ألا فهي النجاه المذنبين (١)

صبيكم مطهر كل قلب من الأدناس بالسوء اليقين (٢)

ضياء نفوسكم نور النفوس قبوركم قلوب المؤمنين

طبيعه اسطقسى بمدّه لها بولائكم اثر متين

ظفير (٣) كل منصرف إليكم و راغب عنكم من هالكين

عطوف كل منكم بالأحبه حريص فى هدايه ضالين

غيار بين كل الناس و الدين و ليس له سواكم من أمين (٤)

فواكه جنّه الأفعال ليست سوى من ماء جودكم المعين (٥)

قبول القابلات و فعل فاعل رشيحه فيض نوركم المبين (٦)

ص: ٧٧

١- هذه إشاره إلى فرع من فروع ولايتهم و هو شفاعتهم لمحبيهم، إذ الفرع لا ينفك عن أصله ما دام فرعاً، و لا سيّما إذا كان الأصل و الفرع أمرين معنويين.

٢- ٢). هذا البيت إشاره إلى ما ورد عن الإمامين الهمامين، الكاظم و الجواد عليهما السّلام إذ تبها أبا حنيفه و يحيى ابن أكرم بأغلاطهما العقيديه و الفقهيّه، فراجع الكتب التاريخيه. لا شكّ فى أنّ كلّ موجود مادّي له خواص مطبوعه فيه (هى الطبيعه)، و أنّ تكوّنه أيضا كان من تركّب العناصر، فالعناصر بعد تركّبها تسمى بالأسطقس، و قبله يسمّى كلّ منها بالعنصر، و العنصر كان كنقطه للعالم المادّي، فكانت الإشاره فى البيت إلى أن لولا ولايتكم لم يكن للعناصر المركّبه أثر ليوجد العالم.

٣- ٣). الظفير: بمعنى الظافر.

٤- ٤). هذه إشاره صريحه إلى ولايتهم التشريعيّه على المكلفين، و ستطّلع على مزيد البيان فى المغايره بين الناس و الدين فى ما يأتى إن شاء الله.

٥- ٥). شبّهت ولايتهم عليهم السّلام فى هذا البيت بالماء العاجن للفواكه فى جنّه الأفعال التى هى أنزل درجات الجنّه، الذى (الماء) لولاه لم تكن فى الجنّه فاكهه.

٦- ٦). هذا البيت مشير إلى أنّ كلّ قابل لكلّ مقبول سواء كان فى الآفاق أو الأنفس مادّيّا كان أو غير مادّي،

كتاب الله مشحون بأي بيّن فضلكم للمسلمين

لقاء الله أمر مستحيل لأقوام بكم مترددين

مصادر علمكم، علم الوجوبي و هذا لاعتقاد الموقنين (١)

نعيش بذكرياتكم الجليله بشوق يا أجله عالمين

و ساده تئيت لكم و لكن لأرجو لعنه للغاصبين

هدّامه كلّ مبنيه بظلم لغيركم لعون الظالمين

يسار ببغضكم قعر الضلاله يطار بحبكم غرف اليقين

قصيده ذات قافيتين فاقبل ألا يا حجّه في العالمين

١١

«و عناصر الأبرار»

و فيه ثلاث نكات:

الأولى:يشير الزائر بعطف هذه الجملة إلى ما قبلها من الجمل المبتدئه بالسلام إلى كمال آخر لهم،و هو كونهم عناصر الأبرار

(٢)،و العناصر جمع

ص:٧٨

١-١). تكون الإشارة في هذا البيت إلى اعتقاد أهل اليقين في المقام من أنّ مصادر علمهم عليهم السلام هو ظهور العلم الواجبي

و تجليّه فيهم لا- على طريق الخلق و الجعل،حتّى يشارك معهم عليهم السّلام غيرهم من العلماء، و التعبير بالمصادر بدل

المصدر، باعتبار تعدّد تجليات العلميّه المتعدّده بتعدّد المعلومات أو يكون باعتبار تعدّد آحاد المعصومين عليهم السّلام.

٢-٢). ذكر لفظه [١]العناصر هنا يؤيد كمّرات عديده أنّ الحكماء الإسلاميين أخذوا كثيرا من ألفاظهم و تعابيرهم

عنصر، و هو مادّه بسيطه لا محلّ له في المجرّدات، و هو أمّ المركّبات في عالم المادّه و أصلها.

قالت القدماء من الحكماء، أجزاء عالم المادّه هي أربعه عناصر: النار و الماء و التراب و الهواء، و لكنّ المتأخّرين وقفوا على أكثر من عشرات العناصر، كتخليهم الماء مثلا الذي كان يعدّ عنصرا واحدا على قول القدماء إلى عنصرين بسيطين، و هما: الأوكسجين و الهيدروجين، فبطل إذا بساطه عنصر الماء، فالحاصل أنّ عالم المادّه، يكون كالابن و العناصر المركّبه، كامّ له، و العنصر البسيط كجدّه.

الثانيه: في معنى «الأبرار» و هي جمع «البرّ»، على وزن الصعب، و هو صفة مشبّهه صيغته، و معناه المحسن، و لكن بينه و بين المحسن فرق، و هو أنّ البرّ يطلق على واسع الإحسان، كسعه البرّ في مقابل البحر، و لكنّ المحسن يطلق عليه و على غيره، و لو كان ضيق الإحسان، و إنّما اطلقت الكلمتان في حقّه تعالى، أي اطلق المحسن عليه على معنى مطلق الإحسان، و البرّ على معنى سعه إحسانه، كقوله: إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (١).

و يمكن القول بأنّ البرّ في حقّه تعالى يقرب من معنى الرحمان، فيكون

ص: ٧٩

١ - (١). الطور: ٢٨.

إطلاق البرّ مقارنة بالرحيم هنا، كإطلاق الرحيم مقارنة بالرحمان في آية البسملة. فيكون المراد من الرحيم في كلتا الآيتين هو الرحمة الخاصّة، و البرّ و الرحمان رحمة عامّة. و حاصل الكلام أنّ الأبرار جمع البرّ، و هم الذين لا ضيق في إحسانهم على الغير، و لهذا اطلقت الأبرار في حقّ المعصومين عليهم السّلام: **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (١)**. هذه الآية و ما بعدها من الآيات (٢) حاكيه عن سعه إحسانهم عليهم السّلام حتّى أنّهم باتوا جياعا صائمين كى لا يبقى المسكين و اليتيم و الأسير جائعين، فلا يزم كونهم عناصر الأبرار، كونهم أبراراً، لاستحاله كون فاقد الشىء معطيا له، و للزوم كون الفرع فى أصله، فكونهم أبراراً فرع على كونهم عناصر الأبرار.

الثالثه: و أمّا معنى عنصريّتهم للأبرار هو أنّهم كالموادّ البسيطة التى تتكوّن منها الأبرار، فيكون المعصومون عليهم السّلام مقومات ماهويّه للأبرار، كما أنّ الهيدروجين و الأوكسجين مقومين لمادّه الماء (O₂H) ، فالحاصل أنّهم عناصر الأبرار بمعنى أنّ أبدان الأبرار متكوّنه منهم، كما تدلّ عليه أخبار الطينه، منها قول مولانا الصادق عليه السّلام:

«رحم الله شيعةنا، خلقوا من فاضل طينتنا، و عجنوا بماء ولايتنا، يحزنون لحزننا و يفرحون لفرحنا» (٣)، فيكون المراد من الأبرار هو شيعةهم، و لا

ص: ٨٠

١- الإنسان: ٥. [١]

٢- ٢. الإنسان: ٥-٢٢. [٢]

٣- ٣. على رضا الصا [٣] برىّ اليزديّ، الحكم الزاهره، باب صفات الشيعة، ص ٢٣٨/ الحديث ١٢٧٧، و قريب منه:

تختص الشيعة باتباعهم عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه و اله، بل تعم الأنبياء الماضين كإبراهيم عليه السلام على حدّ تأويل الآيه المباركه: **وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝١**.

عن عبد الرحمان بن سمره قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ كَشَفَ عَنْ بَصَرِهِ فَرَأَى نُورًا إِلَى جَنْبِ الْعَرْشِ، فَقَالَ: إِلَهِي مَا هَذَا النُّورُ؟ قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمَ، هَذَا نُورٌ مَحْمَدٌ صَفْوَتِي مِنْ خَلْقِي إِلَى أَنْ ذَكَرَ أَنْوَارَ الْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ: فَقَالَ إِبْرَاهِيمَ: إِنِّي أَرَى أَنْوَارًا قَدْ أَحْدَقُوا بِهِمْ لَا يَحْصَى عَدْدَهُمْ إِلَّا أَنْتَ. فَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمَ، هَذِهِ أَنْوَارُ شِيعَتِهِمْ، شِيعَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ إِبْرَاهِيمَ: فَبِمَا تَعْرِفُ شِيعَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ:

بصلاه إحدى و خمسين، و الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، و القنوت قبل الركوع، و تعفير الجبين، و التّخيم باليمين. فقال إبراهيم: اللهم اجعلني من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب. قال تبارك و تعالي قد جعلتك منهم، فلهذا أنزل الله تعالي فيه في كتابه: **وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۝٢**.

فإن قلنا (كما هو الحق) بأنّ المراد من مرجع الضمير (شيعة) هو عليّ عليه السلام و أبنائه علي البدليّ، نقول: إنّ جميع الصالحين من الماضين كانوا شيعة، أعمّ أن يكونوا أنبياء أو غير أنبياء، كما تؤيده أخبار آخر أغمضنا عن ذكرها.

فحاصل الكلام أنّ هذا التفسير لعنصريّتهم صحيح إن أخذ على معنى العنصر المصطلح، وهو معناه الحقيقيّ في عالم المادّه، فتكون النتيجة أنّ أبدان جميع الصالحين كانت من طينتهم الطاهره (١). ولكن إن قلنا بإطلاق العناصر هنا كان من باب التشبيه و المجاز يكون معنى عنصريّتهم للأبرار أصاله نفوسهم الشريفه في المجزّدات على غيرها، و تفرّع الغير عليها، فأصاله المجزّدات الكامله على المجزّدات الناقصه، كالعقول على النفوس مبيّن في الحكمه الإلهيّه. فالحاصل أنّ كلّ من تنفّر من الباطل في العقيدته و الأخلاق و العمل، و رغب إلى الحقّ في جميع ذلك، كان برّاً، فيكون له أصل و يكون لهذا الأصل مصاديق جليّه كامله، فتكون هذه المصاديق هم آل البيت، فهذا هو المراد من كونهم عناصر الأبرار على التفسير المجازيّ و التشبيهيّ للعنصر (٢). من جهه أخرى، فإنّ الولايه الإلهيّه ظهرت في نفوسهم الشريفه أوّلاً، و في غيرهم على ترتيب خاصّ به ثانياً، فتكون ولايتهم عنصراً لبريّه كلّ برّ تكويناً، و هدايتهم تكون عنصراً في مقام الفعل، فيكون هم تكويناً و تشريعاً عناصر للأبرار.

ص: ٨٢

-
- ١- فبهذا المعنى تكون عنصريّتهم عليهم السّلام كمالاً خارجيّاً غير فعليّ لهم، لكن هذا الكمال خارجاً عن نفوسهم و داخل في كمالاتهم البدنيّه.
 - ٢-٢. فبهذا المعنى تكون العنصريّه كمالاً نفسانيّاً لهم.

«و دعائم الأخيار»

و فيه خمس نكات:

الأولى: في معنى الدعائم و الأخيار؛ «الدعائم» جمع «دعامه» و هي العمود، و هي كل ما ينصب تحت شىء قائم (كالسقف مثلا) لمنعه عن الخراب و السقوط يقال له «الدعامه»، و «الأخيار» جمع «الخير»، إِمَّا على معناه الوصفى أو التفضيلى، و هو «متعلق الاختيار لخيريته عن ما يشابهه».

الثانية: لا شك في أنّ المراد من الأخيار هنا هو الأخيار من المكلفين من الجنّة و الناس أجمعين، و هم دائما في معرض السقوط عن مقاماتهم الرفيعه بوساوس الشيطان الرجيم و النفس الأمّاره بالسوء، و يشير إليه كثير من الآيات و الأخبار، كقوله سبحانه عن كلام يوسف عليه السلام: «و إِيَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (١)»، و كذلك قول النبي صلى الله عليه و اله: «اللهم و رب لا تكني إلى نفسي طرفه عين أبدا» (٢)، لأنّ الوسوس الشيطانيه و المشتبهات الطبيعيه ثقيلتان على الأخيار، و هما توجبان السقوط، و ما زالت هذه الحال موجوده، فحاجه الأخيار إلى الدعامة تكون دائمه، و الدعائم المحتاج إليها في كلّ زمان و مكان لكلّ من الأخيار هي

ص: ٨٣

١- يوسف: ٣٣. [١]

٢- ٢. بحار الأنوار ١٦: ٢١٨/ح ٦- [٢] عن: تفسير القمّي. [٣]

الثالثة:صله هذه فقره بما قبلها،و هي أنّ للمعصومين عليهم السّلام دورين و تأثيرين:

الأول:دور فى قبولهم للوجود،فبهذا الاعتبار يكونون عناصره.

و الثانى:دور فى بقائهم،و بهذا الاعتبار يكونون دعائمه،فالحاصل أنّ كونهم عناصر مشير إلى الأول،و كونهم دعائم يشير إلى الثانى.

هذا التفسير من الصله بين الجملتين،إنّما يصحّ إذا كان المصداق الخارجيّ من الأخيار و الأبرار واحداً،و إلاّ إذا كانوا هم طائفتين متغايرتين فلا يصحّ هذا الربط بينهما،و لكن نقول:مصداقهما واحد و يكون اختلاف التعبيرين عنهم لغرض آخر،و هو أنّهم من جهه الخيريّه:العقيده و الأخلاق و العمل،و إدبارهم عن الباطل فى المجالات الثلاثة يكونون أبراراً،و باعتبار طهاره طيناتهم و ذواتهم الشريفه يكونون أخياراً،فتكون بينهما ملازمه لتلازم كلّ من الخيريّه و البرّيّه مع الآخر هنا،يقع سؤال و هو أنّ مع كونهم مصداقاً واحداً فلماذا استعمال الاسم الظاهر فى الجمله الثانيه (دعائم الأخيار)مقام الضمير(و دعائمهم)؟نجيب عنه:لو استعمال الضمير لم يفد الكلام جامعيتهم رتبى البرّيّه و الخيريّه،فلا تحصل لا بلاغه فى الكلام و لا جمال لفظيّ.

الرابعه:استعمال الجمع فى لفظى:العناصر و الدعائم،يكون:إمّا لتعدّد

المعصومين عليهم السلام، وإما لتعدد أدوارهم للأبرار والأخيار في مجالات شتى في أفقى الوجود والبقاء تكويننا وتشييعنا.

الخامسة: قد تقدم أنّ الأخيار كانت دائما في معرض السقوط عن مقام الخيريّ لهم، والمعصومون عليهم السّلام يمنعونهم عن السقوط والهبوط: إما بولايتهم التكوينيّة، أو بالهدايه التشريعيّة الناشئه عن إمامتهم، وتأييد الصورة الأولى بالحديث التالي:

عن أبي حمزه الثّماليّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «بنى الإسلام على خمس:

إقام الصّلاه، وإيتاء الزّكاه، وحجّ البيت، وصوم شهر رمضان، والولاية لنا أهل البيت. فجعل في أربع منها رخصه ولم يجعل في الولاية لنا أهل البيت رخصه. من لم يكن له مال لم تكن عليه الزّكاه، ومن لم يكن له مال فليس عليه حجّ، ومن كان مريضا صلّى قاعدا و أفطر شهر رمضان، والولاية صحيحا كان أو مريضا أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمه» (1).

فالحاصل أنّ خيريّ الأخيار تكون بالإسلام، والإسلام غير مفارق لنفوسهم، ونفوسهم معتمده على الولاية، فتكون ولاية المعصومين عليهم السّلام دعامة لهم، فبهذا المعنى يكون هذا الكمال كمالا نفسائيا لهم. وإن قلنا بالصورة الثانيه في المقام، أى قلنا بكون دعامتهم لهم بالإمامه التشريعيّة فالأمر واضح، لأنّ لو لم تكن إرشاداتهم القيمه و تعليماتهم الرشيقه لهم

ص: ٨٥

١- الخصال للشيخ الصدوق / ٢٥١ ح ١٨- باب الخمسه.

من التوحيد الصحيح في كلّ مرحله من مراحل الأربعة على المشهور (أو الخمسة بقول أستاذنا الأعظم سماحه آية الله الآخوند المعصومي) لسقطوا من تلك المرحلة و وقعوا في الشرك، فبهذا المعنى يكون كمال الدعاء كمالاً فعلياً خارجياً للمعصوم عليه السلام.

١٣

«و ساسه العباد، و أركان البلاد»

و فيه ستّ نكات:

الأولى: يسلم الزائر بهذه العبارة الشريفه عليهم ذاكرا في تسليميه كمالين فعليين خارجيين لآل البيت عليهم السلام؛ لأنه كما يأتي أنّ سياسة العباد و الركنيه في البلاد تكونان من أفعالهم الشريفه، و لا يعدّ الفعل بما هو فعل كمالاً نفسانياً.

الثانية: أنّ «الساسه» جمع «السائس»، و هو المدبّر لأمر المجتمع بعوامل و أسباب خفيه (١)، قال الإمام عليّ عليه السلام في حكمه قصيره له: «سوسوا إيمانكم بالصدقه» (٢)، أي دبّروه و احفظوه خفاء و رمزا للصدقه، فليست الصدقه في نفسها أمراً خفياً مرموزاً، و لكن لها صلّه مرموزه بالإيمان، و هي أنّ بالصدقه يجاهد المتصدّق مع حبه للمال و من هذا الطريق يضعف

ص: ٨٤

١- هذا التعريف للسياسة هو ما استفدته من موارد استعمال هذه المادّه.

٢-٢. نهج البلاغه: الحكمه ١٣٨. [١]

الحب، فكلما ضعف حب المال قوى الإيمان فى قلبه؛ فقد تبين أن بين الصدقه و الإيمان ربطا مرموزا، و تبين أيضا أن المراد بهذا الحديث هو توضيح معنى السياسه.

الثالثه: أن آل البيت عليهم السلام هم ساسه العباد، و معناه أنهم يدبرون امور العباد فى المجالين: الدينوى و الأخروى، بأسباب خفيه، فمثلا- فى الأمور الأخروى للعباد يستنون سننا و يفرضون فرائض و يبلغونها و يرغبون العباد على العمل بها بذكر الثواب الجزيل و الأجر الموفور، (1) و لكن لا- يكشفون أسرارها و لا- صلتها بالأمور الدينوى فى حقول شتى. و امتناعهم عن كشف الأسرار و الآثار للأمور الدينوى إنما هو على ما اقتضته حكمتهم البالغه و ليس ذلك عن بخل، معاذ الله (الذى هو النافى عنهم ذلك إطلاقا).

الرابعه: فى توضيح «و أركان البلاد»، البلاد جمع البلد، و الأركان جمع الركن، و هو ما يعتمد عليه افقيا، كالجدار الذى يتكى عليه الرجل، بخلاف الدعامة التى يعتمد عليها المعتمد عموديا كالسقف، مضافا إلى أن الدعامة مانعه عن الخراب فى زاويه أو ناحيه خاصه، و لكن الركن هو أصل لكل البناء فيحفظه جميعا عن الخراب، فالحاصل أن الخلق عامه كبناء عظيم،

ص: ٨٧

١- فى تبين الثواب الأخروى و الترغيب فى تحصيله مع ترك ذكر الآثار الدنياوى من قبل المعصوم عليه السلام ثلاث فوائد: ١- لبيان عدم الحصر آثار هذه الأعمال فى الدنيا حتى لا تشبهه شريعة الإسلام بالشريعة المحرّفة اليهودية. ٢- ليثبت الإيمان بالآخرة فى أعماق نفوس الناس. ٣- و يضعف حب الدنيا المجمعول فى طبيعه الناس مع ذلك كله فإن لهذه الفرائض و السنن آثارا و فوائد دينوىه، و إن كان الناس جاهلين بها من رأس، أو يجهلون تفصيلها.

و الأختيار كناحيه أو زاويه قائمه بدعامه أهل البيت، و لكن معنى كونهم أركاناً للبلاد هو أن بهم يتقوم الخلق (١): من الإنسان و غيره، و الإنسان من المؤمن و غيره.

الخامسه: فى توضيح «الركنيه»، إن ركته آل البيت عليهم السلام مع تمهيد مقدمه لها فى العالم نوعين موجودين من الحياه، قبال كل نوع من الحياه موت بالنسبه إليه، فكل من العمران و الخراب اثنان: معنوى و مادى، و هو قوله تعالى: «إِغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا». (٢) المراد من ظاهر الآيه هو الحياه و الموت المادى، و لكن يفسره الإمام الصادق عليه السلام بالمعنويتين فى قوله: «أى يحييها بعدل القائم عليه السلام بعد موتها بجور أئمه الظلم و الضلال» (٣). فتبين من ذلك أن للأرض حياتين و موتين مادّه و معنى، فالحياه الطبيعيه و كذا الموت تتبادلان فى كل عام، و لكن المعنوى من الموت يقع قرب ظهور المهدي عليه السلام بعد أن تملأ الأرض من الجور و الظلم على أهلها، و المعنويه من الحياه لها تتحقق بظهوره، مع تحقق العدل العالمى، و خلو الأرض كامله من الجور و الظلم، فيكون للركته أيضا معنيان، كل واحد منهما يكون قبال ما يناسب، أى ركته الماديه بالنسبه إلى الحياه العمران

ص: ٨٨

١- ما ينبغى ذكره هنا هو عدم إمكان انفصال الخلق من آل البيت عليهم السلام تكويناً أصلاً، و لكن كلما ازداد المكلفون عن هدايتهم بعدا ازدادوا لأنفسهم دماراً و هلاكاً.

٢-٢. الحديد: ١٧. [١]

٣-٣. تأويل الآيات الظاهره، ذيل سورة الحديد و ما فيها من الآيات، ص ٦٣٧. [٢]

المادّيتين، لا حاجه إلى ذكرها، والمعنويّه قبال معنويّتين من العمران و الحياه.

فالمراد من كون المعصومين أركاناً للبلاد هو ركتيتهم المعنويّه، بمعنى أنّهم يحقّقون العدل الواسع بين الناس و يبقون الرحمه و المروّه فيهم، و بذلك يمنعون الأرض من الخراب و الدمار المعنويّين، فيكون بقاء الحياه المعنويّه بهدايتهم و إرشادهم، و أمّا ركتيتهم المادّيّه للأرض فواضح، لولايتهم التكوينيّه عليها و على أهلها، و قد ظهر أنّهم أركان البلاد مادّه و معنى.

السادسه: قد تقدّم في الفصل السابق أنّ الأخيار لا تزال في معرض السقوط، و الهلاك إلاّ أن تكون دعامه لهم، فالبلاد هنا كالأخيار محتاجه إلى الركن، فعلى هذا دوام كون البلاد مأموره تحتاج إلى هدايه حقّه، و هي منحصره في آل البيت عليهم السّلام. أضف إليه أنّ المعصومين بسبب ركتيتهم للبلاد يكونون مظاهر للرحمه الرحمانيّه، و بكونهم دعائم الأخيار و عناصر الأبرار يكونون مظاهر للرحمه الرحيميّه، لأنّ مظهريّة الأولى أعمّ و أوسع من الثانيّه.

١٤

«و أبواب الإيمان، و أمناء الرّحمن»

و فيه سبع نكات:

ص: ٨٩

الأولى: في بيان كمّيّه تسليم الزائر عليهم، فنقول: إنّ تسليمه عليهم عليهم السّلام و إن كان تسليمًا منه بحسب الظاهر، ولكنّه في الحقيقة طلب سلام غير متناه من الله عليهم، لأنّه سبحانه هو السلام حقيقه، وصفاته القدسيّه لا تحدّ كذاته المتعالیه (١).

و الحاصل أنّ منشأ التسليمات عليهم هو رحمته سبحانه التي لا تنهاى، وليست هذه التسليمات الغير متناهيه عليهم في غير محلّها، لأنّهم عليهم السّلام لا تزال تتزايد كمالاتهم إلى أبد الآباد، (فانظر مزيد البيان في المقام إن شاء الله). و ينبغي هنا أن نذكر أنّ لمحدوديّه تسليمنا عليهم بحسب الظاهر جهتين.

ألف) أنا كالمسلمين كنا محدودون من جهات شتى، وكذا وسائطنا و أسبابنا في التسليم محدوده.

ب) أنّ كمالاتهم منقسمه إلى الكمالات الأصوليه المحدوده، والفروعيه الغير محدوده، فمن الجهه الأولى تكون تسليماتنا محدوده لكون تلك الكمالات فيهم محدوده.

الثانيه: في سرّ تعدّد استعمال الأبواب:

تعدّد كونهم عليهم السلام أبوابا، يكون لتعدّد أفرادهم، أى كلّ واحد منهم عليهم السلام

ص: ٩٠

١- يستفاد ذلك من دوام الفعل المضارع في قوله سبحانه: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ (الأحزاب: ٥٦)، و [١] قوله سبحانه: أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ (البقره: ١٥٧). [٢]

يكون بابا للإيمان، وإمّا باعتبار أنّ كلّ كمال يعرفه الناس منهم كان بابا للإيمان لأنّ فيه أثرا تعليميا أو تربويا؛ ويمكن كون التعدّد بتعدّد هداياتهم كيفما وكمّا كهدايتهم، بعض ينادر شديد و بعض بأشدّ منه و بعض باللين و بعض بالحكمه و بعض بالموعظه الحسنه و بعض بالتى هى أحسن.

الثالثة: فى كونهم عليهم السّلام أبوابا للإيمان، إنّنا نعلم بأنّ المعرفة بهم و بكلّ حقيقه غير محسوسه كالتوحيد مثلا، أمر عقلى و الباب و الدخول فيه أمر حسّى، فما السّرّ فى التعبير عنهم بالباب؟

نقول: أولا؛ يتبيّن من هذا التعبير الذى فيه تشبيه، يريد الإمام الهادى عليه السّلام أن يشبّههم بالأبواب المحسوسه، و يستلزم هذا التشبيه تشبيه الإيمان أيضا بدار محدوده، كقوله سبحانه: وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (١)، فيتحصّل من هذا التقرير أنّ كلّ ما استعمل من الدخول أو الورود هو كناية عن كون مدخول فيه محصورا، فيكون هذا من قبيل التشبيه المعقول بالمحسوس (٢).

بناء على هذا يكون الإيمان كمحيط محدوده، له أبواب عديده، فأبوابه آل البيت عليهم السّلام كما قال سبحانه: وَ اتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (٣)، و المراد من

ص: ٩١

١- النصر: ٢. [١]

٢- ٢. هذا النوع من التشبيه يعين كلّ من كان راجلا فى طريق العلم و الفهم أن يفهم الحقائق المعقوله بسهوله.

٣- ٣. البقره: ١٨٩. [٢]

البيوت في الآيه على ما تدلّ عليه الأخبار هو الإسلام، وقد قال النبيّ فيما روى عنه صلّى الله عليه و اله: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها» (١).

و لعلّ سرّ محدوديّة الإيمان المفهومه من التشبيه، هو كون الانصراف عنه كفراً، و كأنّ الكافر خارج عن حيظه دار الإيمان و حصاره، و كأنّه أحاط جدران الإيمان أرض الكفر و الشرك و النفاق.

الرابعه: عبّر عنهم عليهم السّلام بأبواب الإيمان لا الإسلام؛ لأنّ للإسلام مرتبتين:

الأولى: دون الإيمان، و هي إقرار ظاهريّ فقط دون اعتقاد قلبيّ، كما قال سبحانه: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا (٢). فباب هذه الرتبة من الإسلام هو إقرار بالشهادتين ليحقن به الدم و تحصل المعاملات الاجتماعيّه في الأمّه. و أمّا أنّهم باب الإيمان، أى الذى هو فوق رتبه الإسلام المذكوره بمعنى أنّ من أراد أن يعرف الله، و كذا أنبياءه عليهم السّلام و المعاد على معناه الصحيح، و يعتقد به، يجب عليه أن يأخذ معرفته و اعتقاده من هدايتهم و ولايتهم، (كما قال الإمام عليّ عليه السّلام: «نحن البيوت الّتى أمر الله أن يؤتى من أبوابها» (٣)). فتحصل بذلك الرتبة العليا من الإسلام (و هي الرتبة الثانيه منه)، و هي حقيقه التسليم التى تكون فوق الإيمان،

ص: ٩٢

١- وسائل الشيعه، ج ٥، ص ٣٤، باب ٢٧، [١] تحريم الحكم بغير الكتاب. المراد من العلم أو الحكمه اللذين كان صلّى الله عليه و اله مدينة لهما و عليّ عليه السّلام بابها، هو العلم أو الحكمه المقارنه، بل المتّحده بالاعتقاد، الألفاظ الصرفه الذهنيّه المحضه، فيكون العلم أو الحكمه كهذا عين الدين و حقيقه الإيمان، الذى أبوابه آل البيت عليهم السّلام.

٢-٢. الحجرات: ١٤. [٢]

٣-٣. تفسير الصافى [٣] للفيض الكاشانى، ١: ١٧١، [٤] ذيل الآيه ١٨٩ من سوره البقره. [٥]

وإلا- لو لم تكن هدايتهم لا- يعرف التوحيد الصحيح، بل ينحرف الناس عنه، فيكون توحيد كتحديد المجسّمه أو الحلوليه أو الاتّحاديه القائلين بالتجسيم له سبحانه، أو حلوله في خلقه أو اتّحاده بهم، أو يكون اعتقاده بالعدل كاعتقاد الأشعريّه أو المعتزله، حيث ضلّوا عن طريق العقل القويم و الفطره السليمه، فتحصّل أنّ لهدايتهم إلى هذا المقصد الأعلى حاجه ماسّه؛ و من جهه أخرى، فبالاعتقاد بولايتهم عليهم السّلام يصير كلّ من التوحيد و العدل و النّبوه و المعاد كالجسد المنفوخ فيه الروح.

الخامسه: في كونهم «أمناء الرحمن»: الأمناء جمع الأمين، و هو من يأتّمه المؤتمن بإيداع شيء عنده ليحفظه كما كان و لا يخون؛ فالأمانه بهذا المعنى ملازم لنوع من العصمه التحصيليه بالتقوى و الجهاد مع النفس و الهوى. و أمّا الحصوليه الذاتيه، فهم أمناء الرحمن بالعصمه على نوعها الثاني، (التي سنبحث فيها إن شاء الله تفصيلا)؛ لأنّ كون الشخص أمينا كاملا في أمانته لا يمكن بدون العصمه الكامله الذاتيه. فحاصل الكلام، أنّهم أمناء الرحمن بولايتهم التكوينيّه في أخذ الفيوضات عن الفياض المطلق، و نشرها في العالم كما في إمامتهم، و أخذهم الوحي و تفسيرهم الكتاب و تقريرهم السنّه، و تبينهم الأحكام و إجرائهم الحدود و يتأيد هذا المعنى في كونهم أمناء بقوله سبحانه عن عدّه من الأنبياء: **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ** ١.

الخامسة: في كونهم «أمناء الرحمن»: الأمناء جمع الأئمة، وهو من يَأْتَمَنُه المؤتمن بإيداع شىء عنده ليحفظه كما كان ولا يخون؛ فالأمانة بهذا المعنى ملازم لنوع من العصمة التحصيلية بالتقوى والجهد مع النفس والهوى. وأما الحصولية الذاتية، فهم أمناء الرحمن بالعصمة على نوعها الثاني، (التي سنبحث فيها إن شاء الله تفصيلاً)؛ لأن كون الشخص أميناً كاملاً في أمانته لا يمكن بدون العصمة الكاملة الذاتية. فحاصل الكلام، أنهم أمناء الرحمن بولايتهم التكوينية في أخذ الفيوضات عن الفياض المطلق، ونشرها في العالم كما في إمامتهم، وأخذهم الوحي وتفسيرهم الكتاب وتقريرهم السنن، وتبيينهم الأحكام وإجرائهم الحدود وبتأييد هذا المعنى في كونهم أمناء بقوله سبحانه عن عدّه من الأنبياء: **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١)**.

السادسة: الغرض من ذكر لفظه الرحمن هنا أمران:

أحدهما: لفظي، موافقه للفظه بالإيمان.

وثانيهما: إشاره إلى مظهرية المعصومين للرحمة الرحمانية، وأهميته وساطتهم في نشر الفيوضات للعالم أجمع.

السابعة: أنّ هذين الكمالين لهم عليهم السلام من نوع كمال نفسيّ لهم، لأنّهما ليسا من مقوله أى نوع من الكمال الخارجيّ أو البدنيّ.

١٥

إشارة

«و سلاله النبّيين، و صفوه المرسلين، و عتره خيره ربّ العالمين،

و رحمه الله و بركاته» (٢)

و فيه سبع نكات:

ص:

١- الشعراء: ١٠٧، [١] يستفاد من هذه الآيه الكريمة أنّ الأمانة الملازمه للعصمة هي شرط في الرساله و بتبعها في تاليها و هو الإمامه، و هي الأولى في الشرطيّه بالرساله و الإمامه الأكملين ممّا تقدّمهما.

٢- ٢). هذه فقره خاتمه للفصل الأوّل من فصول الزياره التي فضّلتها الإمام الهادي عليه السلام من غير تصريح بها، و هذه الفصول مغايره للفصول التي فضّلتها في الكتاب مع تصريح بها، و أمّا الفصل الجديد و الفصول التاليه للفصل الأوّل من الزياره، فهو أنّ في الفصل الأوّل ذكر الزائر فضائل للمزورين و كانت الفضائل اكثر، تعلقاً بالغير، كأهل بيت النبوه و موضع الرساله و مختلف الملائكه و غير ذلك، و لكنّ تعلق الفضائل المذكوره في الفصل الجديد بالغير، أضعف من الأولى، مضافاً بأنّ الفصل الأوّل، مبدؤً بعليكم، لتوجيه الزائر المزورين إلى نفسه و حضوره عندهم، و لكن في هذا الفصل و الفصول الآتيه يوجههم إلى كيفيه معرفته بهم و سعه علمه بكلماتهم دون جملة خطايته مثل «عليكم».

الأولى: يشير الزائر هنا إلى ثلاث من كمالاتهم عليهم السلام، فكونهم سلاسه النبيين، يحتمل فيه الكمال الجسمي، إن فسّرنا السلاله لبعدهم المادّي و نفسائيا، إن فرضناه أعمّ من ذلك، نقول: سلاله كلّ شيء، لغه، هي خلاصته الخارج منه، بناء على هذا يمكن لها معنيين:

ألف) من الجهه المادّيّه.ب) من الجهه الغير مادّيّه.

فإن قلنا بالأوّل، فنقول: أنزل الأشياء و أحسّها في عالم الكون هو الجماد، و خلاصته الكامله الخارجه منه هو النبات، و عصاره النبات يكون حيوانا، و الإنسان خلاصه كامله من الحيوان، و الأنبياء من الإنسان كذلك، فأل البيت عليهم السّلام خلاصه للأنبياء، و قد تبين أنّهم عليهم السلام إذا كانوا سلاله و خلاصه للنبيين بهذا التقرير يكونون خلاصه لجميع ما خلق الله.

و إن قلنا بثنائي الاحتمالين، فنقول: كلّ ما قدّمناه من الكلام في مراحل الكمالات يأتي بعينه هنا، و يضاف إليها حينئذ البعد الروحيّ الذي كمل بالإدراك و الشعور، بمعنى أنّ للجماد روحا خاصّه به، فيتكامل و يصير حيوانا مع روح أكمل من الجماد، و الحيوان باستكمال روحه الحيوانيّه يصير إنسانا، و هكذا الإنسانيّه تنقلب مستكملا إلى النبوه بروح القدس (1)، و النبوه بصيرورتها يكون آل البيت من أكملّيه روح القدس في الإمام بالنسبه إلى النبيّ صلّى الله عليه و اله، لكون وعاء وجود الإمام أوسع من وعاء النبيّ صلّى الله عليه و اله

ص: ٩٥

١- هذا إذا لم يكن المراد من روح القدس جبرائيل، و الحقّ هو مغايره بينهما.

(على معناه المطلق لا الخاص)، فهذا التقرير يكون أهل البيت عليهم السلام أكمل من ما سوى الله من جهتهم الغير مادّيه.

إن وقع سؤال: لماذا لم يعبر الإمام الهادي عليه السلام عن آل البيت عليهم السلام بسلاله العالمين؟ نجيب عنه: لكون غرضه عليه السلام في المقام بيان أجلى المصاديق من المخلوقين، ولا شك في أنّ النبيين هم أجلاها، فيكون هؤلاء العظماء سلالتهم.

الثانيه: في بيان كونهم عليهم السلام صفوه المرسلين، نقول: يتفرّع على كون آل البيت سلاله النبيين (بأخذ اللام، لام الكل) كونهم صفوه المرسلين، لأنهم لا يقفون في حدّ من الكمال إلا إذا بلغوا إلى نهايه ما يمكن للممكن.

الثالثه: في سرّ اختلاف تعبيرين بالساله في النبيين و الصفوه في المرسلين، هو أنّ ذات المرسلين و جوهرهم أصفى من النبيين غير المرسلين، فالنبيون أكدر ذاتا من المرسلين (على حدّ قابليتهم الذاتيه لكلّ منهما للكمال) و بيان شؤون آل البيت عليهم السلام يكون من العالى إلى الأعلى، فيكون التعبير بساله النبيين أخذ العالى، و صفوه المرسلين السير إلى الأعلى، كما أنّ الصفوه لعدم كدر فيه أكمل من السلاله لوجود كدر ضعيف فيها، و المرسلون أكمل من النبيين على هذا القياس، فالحاصل أنّ كونهم صفوه المرسلين يتضمّن كونهم صفوه النبيين أيضا، و مع ذلك كلّ يتصوّر كدر ضعيف في المرسلين أيضا، و لا كدر في آل البيت عليهم السلام أصلا،

لكونهم صفوتهم (1)؛ فحاصل الخبر هو أن لكل نبي وظيفتين:

ألف) أن يعرف بنفسه أهل البيت عليهم السلام.

ب) وأن يعرفهم الناس، ليعتقدوا بهم، وأن يفضل أهل البيت عليهم السلام على من سواهم و يعلم الناس على تفضيلهم هذا.

الرابعه: في توضيح «و عتره...» قد تقدّم في ما مضى معنى العتره، والمراد من «خيره رب العالمين» هو رسول الله صلى الله عليه و اله. يخاطب الزائر هنا- كما في سائر الفقرات- آل البيت عليهم السلام، ولا نظر له في زيارته إلى رسول الله صلى الله عليه و آله نفسه. فيستفاد من هذه الفقرات أنه يريد زياره المعصومين بعد رسول الله صلى الله عليه و اله، ولا يلزم من ذلك زياده الفرع (آل البيت) على الأصل (رسول الله صلى الله عليه و اله)، لأننا نقول: إذا زور الفرع يزار الأصل بالأولويّه، ولو لم يذكره الزائر. مضافاً بأن يلزم هذا الإشكال في ما إذا كان تفاوت بين النبي

ص: ٩٧

١- يلزم ممّا تقدّم كون آل البيت أصفى ذاتاً و أزكى جوهرًا و أعلى قابليته للفيوضات من المرسلين، و هذا موجب لمن قلّ معرفته بآل البيت و هو يسأل كيف ذا؟ أجاب عن ذلك العلامة المجلسي (قدّس سرّه) بما حاصله، إذا كان آل البيت سلاله النبيين و صفوه المرسلين لا يلزم من ذلك أن يكون النبيون و المرسلون لمنشأيتهم أفضل من آل البيت، لأنّه ربّما كان الولد أكمل من أبيه من جهات شتى حقيقته سوى شأن الأبوه الاعتباريّه للأب، مع كون أصفائيّه الولد للأب من جهه الجسمانيّه ثابت لا ريب فيه، لأنّ الولد نطفه الأب، و هي أصفى مادّه في جسمه، و الحاصل أنّ آل البيت عليهم السلام أصفى من المرسلين مادّه و معنى، على حسب ناموس التكامل الجارى في العالم، بمعنى أنّ كلّ موجود آت أكمل من مجانسه الماضى، فتوجب هذه القاعده العامه كونهم عليهم السلام أكمل من النبيين و المرسلين عموماً سوى جدّهم الأجد صليّ الله عليه و اله كما قال الصادق عليه السلام: «ما من نبيّ جاء قطّ إلّا بمعرفه حقّنا، و تفضيلنا على من سوانا». (السيد عبد الله شبر، الأنوار اللامعه- ذيل العبارة).

و أهل بيته عليهم السّلام، مع أنّه لا تفاوت بينهم في الحقيقة لكونهم معه صلّى الله عليه و اله حقيقه واحده نوريّه، و يؤيّد ذلك أنّ كلّ واحد منهم نفس نفسه للرسول على البدليّه على ما نطق به القرآن في آيه المباهله في حقّ عليّ عليه السّلام، و يؤيّد أيضا إطلاق عدّه من الفقرات ذكرت فيها نسبتهم إلى الرسول صلّى الله عليه و اله.

الخامسه: في سرّ التعبير ب«خير ربّ العالمين» بدل التعبير برسول الله صلّى الله عليه و اله مثلا، فيه غرضان:

الأوّل: مراعاة الجمال اللفظي في العبارة و موافقتها في آخر العبارة، مع آخر الفقرتين السابقتين.

و الثاني: من جهه المعنى، و هو الدور و التأثير من النبيّ و آله عليهم السّلام في تربيته نفوس العالمين من جهات شتى؛ لأنهم وسائط الفيض، قال الله تعالى مخاطبا لرسوله الكريم: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١)**.

السادسه: في ذكر «رحمه الله و بركاته» هو أنّ الزائر في مختتم هذا الفصل من الزيارة (أو هذه الفقره منها) يعطف رحمه الله و بركاته على تسليماته التي قدّمها، و في الحقيقة يطلب رحمه و البركه من الله لهم؛ لأنّ في السلام طلب دفع الضرر عن المسلم عليه، و رحمه جلب النفع لهم، و لا يتمّ كلّ واحد منهما دون الآخر. و في الحقيقة أنّ السلام من شؤون رأفته تعالى، لكونه سبحانه رؤوفا، و رحمه لكونه رحيفا، و في

ص: ٩٨

ذكر البركات هنا إشاره إلى دوام الرأفه و الرحمه الإلهيتين و ثباتهما لهم.

السابعه:فى تعيين نوع هذه الكمالات الثلاثه؛فنقول:

أما الأول،فقد تقدّم فيه احتمالان،و أما الثانى(صفوه المرسلين) فكسابقه،و أما الثالث(كونهم عتره)فيعدّ كمالات خارجيًا غير فعلى لهم عليهم السّلام.

تذنيب

الإمام الهادى عليه السّلام راعى(فى الفصل الأوّل من الزياره)فى ذكر الكمالات المشار إليها أحسن ترتيب،بحيث يكون كلّ كمال لاحق أرقى من سابقه،و كلّ سابق أنزل بالنسبه إلى اللاحق،و تقريره كما يلى:

الكمال الأوّل:(و هو مع عظمه بنفسه)أنزل شؤونهم عليهم السّلام بالنسبه إلى ما يعدّه من الكمالات،لأنّ الأهلته لبيت النبوه أنزل من كونهم موضع الرساله،كما أنّ النبوه أضعف بالنسبه إلى الرساله.

الثانى:كونهم موضع الرساله أنزل من كونهم مختلف الملائكه؛لأنّ الملائكه كانوا وسائط الوحي على الرسل،و لكنّ آل البيت عليهم السّلام هم الملائكه بأنفسهم(على قول المختار)المتعلّقون بالأبدان.

الثالث:كونهم مهبط الوحي؛أنّ شرف الرسل فى هبوط الوحي عليهم،و هم يفتخرون بذلك،و لكنّ آل البيت عليهم السّلام لا يفتخرون بهبوط الوحي عليهم،بل هم مهابط الوحي مع كونهم غير مرسلين.

الرابع: منشأ الوحي النازل على الرسل هو الرحمه الإلهيه، و لكن آل البيت عليهم السلام أنفسهم معدن هذه الرحمه.

الخامس: أنّ الباعث لرحمه الله على الرسل هو علمه سبحانه بمصالح العباد تكويننا و تشريعنا، و لكن آل البيت عليهم السلام هم خزّان هذا العلم.

السادس: أنّ حلمه تعالى المقارن بعلمه يمنع عن المعاجله فى تعذيب العباد، و هم عليهم السلام منتهى هذا الحلم الشامل، فيكون هذا الشأن أرفع من سابقه.

السابع: أنّ جميع ما يشمل على العباد من بعث الرسل و الإيحاء إليهم و العلم بمصالحهم و الحلم عن خطاياهم و غير ذلك ينشأ من الكرم الإلهي الذاتى، و آل البيت عليهم السلام هم أصول ذلك الكرم الفعليّ (فما أعجب هذا الشأن!).

الثامن: أنّ كلّ رسول قائد لأمته خاصه، و لكنّ آل البيت عليهم السلام هم قاده جميع الأمم.

التاسع: أنّ كلّ رسول قائد لأمته فى نظام التشريع، و لكنّ آل البيت عليهم السلام هم أولياء النعم حتى فى التكوينيّات التى لا تعدّ و لا تحصي.

العاشر: لا يعدّ أى رسول أو نبى عنصرا، بل كان عن خارج الخلق هاديا و قائدا و غيرهما، و لكنّ آل البيت عليهم السلام كانوا كالموادّ التى يتشكّل منها الأبرار.

الحادى عشر: أن كل ما كان عنصرا لشيء لا يكون من خارجه دعامه، و كل ما كان دعامه من خارج الشيء لا يكون عنصرا من داخله، و لكن آل البيت عليهم السلام هم جامعو هذين الشأنين.

الثانى عشر: و هكذا كل من كان سائسا على قومه من الخارج لا يكون ركنا لبلدهم، و لكن آل البيت عليهم السلام جمعوا فى أنفسهم هذين الكمالين.

الثالث عشر: كل نبي أو رسول كان هاديا إلى الإيمان و مفسيرا و مبينا له، و لكن آل البيت عليهم السلام كانوا على مستوى لا يتحقق الإيمان بدونهم، فهم باب للإيمان، و دار الإيمان بدونهم هى دار خربه.

الرابع عشر: كونهم أبواب الإيمان لا يكفى لحفظ دار الإيمان عن السارقين و المهاجمين ما لم يكن للدار أمناء يحفظونها، فكونهم أمناء الرحمن بعد كونهم أبواب الإيمان هو شأن أرفع و كمال أرقى.

الخامس عشر: بل شأن آل البيت عليهم السلام أرقى من ذلك، و هو كونهم سلاله النبيين، لأن كونهم أمناء يمكن مشاركه غيرهم فيه، كالعلماء العدول، و لكن لا يمكن مشاركه الغير معهم فى كونهم سلاله النبيين.

السادس عشر: بل شأنهم أرقى من ذلك، و هو كونهم صفوه المرسلين، حيث إن المرسلين أعلى من النبيين.

السابع عشر: بل كمالهم أعلى من ذلك أيضا، و هو كونهم عتره خيره رب العالمين، و امتيازهم فى ذلك الشأن على غيرهم امتياز رسول الله صلى الله عليه و اله

على جميع ما سوى الله؛ لأنهم عترته و خاصّته، بحيث لا يمكن للممكن أن يصعد إلى أرفع من ذلك السطح.

فانظر بالدقّه إلى هذا الترتيب العجيب، الذي يتحرّر فيه اللبيب، و يشقائق إلى قائله الحبيب عليه السّلام، و يعتبر منه الأديب، و يموت من غيظه الحسود الرقيب.

١٦

«السّلام على أئمّه الهدى»

فيه ستّ نكات:

الأولى: بدأت هذه الزياره الشريفه بتسليم الزائر مخاطبا المزورين مع تعبير «عليكم»، و لم يستعملها في بدء هذا الفصل منها، بل يقول هنا:

«السّلام على أئمّه الهدى»، و سرّ اختلاف التعبيرين هو أنّه كان يريد في البدء عطف توجّه المزورين إلى نفسه، فكان يلزم توجيه الخطاب إليهم، و لكن الآن لا يريد ذلك، لأنّه كتحصيل الحاصل، بل يريد أداء تحيّات جديده عليهم، مع ذكر كمالات أخرى لهم، فلا حاجه إذا إلى جمله خطايّه (عليكم).

الثانيه: في تفسير لفظ الإمام لغه و اصطلاحاً؛ «الأئمّه» جمع «الإمام»، و هو من يؤتمّ به، و يقف أمام المؤتمّين القاصدين له، فيكون هو مقصودهم، و لهذا يقال لوالده الطفل الأمّ، لأنّ الطفل يقصدها (يؤمّها)،

ص: ١٠٢

فمعنى المقصود به أخذ في هذا اللفظ و مشتقاته كأم الرأس مثلا، فكل معنى لهذا اللفظ كالهادي و القائد و غيرهما ليس معناه الدقيق المأخوذ من مادّه اللفظ (أمم)، و الحاصل أنّ لفظ الإمام و إن كان مصدرا كالسلام و الكلام و لكنّه مفعول معنى.

أمّا معناه الاصطلاحى للمتكلّمين، و المستفاد من تعريفهم للإمامه، فهو كما يلي:

إنّ أهل الكلام قالوا فى تعريف الإمامه: «الإمامه، رياسه عامّه إلهيه فى أمور الدين و الدنيا، نيابه عن النبى»، فيكون تعريف الإمام: «الإمام هو رئيس عامّ إلهى فى أمور الدين و الدنيا، نائب عن النبى»، فيكون هؤلاء الأعظم أئمّه الهدى و الرؤساء عامه من قبل الله و نواب النبى صلى الله عليه و اله فى أمور الدين و الدنيا.

الثالثه: الإمامه على أى معنى كانت ملازمه للإجراء العملى فى تربيّه الأئمّه، و لهذا تفوق الإمامه على النبوه؛ لأنّ تأثير النبوه و دورها هو التعليم و التبليغ فقط، بإنذار الكفار و تبشير المؤمنين، كما قال سبحانه: **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١)**، و لكن للإمامه - مضافا إلى ما فى النبوه - تأثير آخر، بل وظيفه أخرى فالإمام يصنع الأئمّه بعمله و يربّيها، فبعد أن ختم إبراهيم عليه السّلام مراتب العبوديّة و النبوه و الرساله و الخله، بلغ إلى الإمامه

ص: ١٠٣

العليا، كما عن الصادق عليه السّلام: «إنّ الله تبارك و تعالى اتّخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتّخذ نبيّا، وإنّ الله اتّخذ نبيّا قبل أن يتّخذ رسولا، وإنّ الله اتّخذ رسولا قبل أن يتّخذ خليلا، وإنّ الله اتّخذ خليلا قبل أن يجعله إماما، فلما جمع له الأشياء قال: إنّي جاعلك للنّاس إماماً (١)».

فهذه الوظيفة التربويّة في نطاقها الواسع لتشكيل الحكومه بيّنه واضحه في تاريخ كلّ واحد من المعصومين بعد النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلم، ولا سيّما في حكومه الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) العالميّة الآتية.

الرابعة: المراد من الهدايه هنا الهدايه التشريعيّه التي تكون من شؤون الإمامه دون التكوينيّه الناشئه عن الولاية الباطنيّه على الأشياء (٢)، و هي (الهدايه التشريعيّه) التي تشتمل على إراءه الطريق في الدنيا و الإيصال إلى المطلوب في الآخرة، فالشطر الأوّل من الهدايه (إراءه الطريق) واضح، و لكنّ الشطر الثاني منها (الإيصال) يثبت بأدله نقلية متواتره، ككون الإمام علىّ عليه السّلام مثلا قسيم الجنّه و النار، يقود المؤمنين إلى الجنّه و يسوق الكفّار إلى النار، كسقى آل البيت عليهم السّلام شيعتهم من الكوثر، و غير ذلك.

الخامسه: في بيان نوع إضافه الأئمّه إلى الهدى:

ألف) تحتّم أن تكون الإضافه الإضافه الموصوف إلى الصفه، فيكون معنى هذه الفقره: السّلام على الأئمّه الموصوفين بالهدايه. فتكون الهدايه

ص: ١٠٤

١- الكافي ١: ١٧٥/ح ٢- باب طبقات الأنبياء و الرسل و الأئمّه عليهم السّلام. [١]

٢- ٢). بناء على هذا التفسير من إمامتهم للهدى يكون هذا الكمال كمالا خارجيا فعليا لهم.

إذا كوصف ذاتي لهم، فهم ليسوا بأئمة الضلال، لعدم إمكان تصوّر الضلال في ذواتهم الطاهرة، فتكون المغايره بين إمامتهم و الهدى اعتباريّه لا حقيقيّه، كما تتغاير الفضّه مع الخاتم في «خاتم فضّه»، فيكون آل البيت عليهم السّلام متوغّلين في الهدايه كأن لا شأن لهم غيرها، كما في «زيد عدل»، وهو أقوى عندنا، فإذا يشترط كون الإمام مهديًا قبل أن يكون إمام الهدى، لاستحاله كون فاقد الشىء معطيا له.

ب) و تحتمل أن تكون الإضافه أيضا حقيقيّه، فتكون الهدايه إذا أمرا خارجا من ذواتهم الشريفه، و المغايره بين شأنى الإمامه و الهدايه مغايره حقيقيّه، كقولنا: «كتاب على» مثلا.

السادسه: فى أن التصديق التام بالشىء ملازم لتصدق لوازمه، فإذا صدّقنا كونهم أئمه الهدى، يلزمنا التصديق بهذه الأمور:

ألف) أنّهم مجعولون للإمامه، أى أنّ إمامتهم مجعوله من قبل الله تبارك و تعالى.

ب) أنّهم معصومون.

ج) أنّ كلّا منهم أعلم الناس.

د) أنّهم أفاضل الأئمه.

و هنا ينبغى القول بأنّ من لوازم كونهم أئمه الهدى اهتداء أتباعهم و ضلاله من خالفهم، و أن يكون الأولون سعداء ناجين، و الآخرون أشقياء

«و مصابيح الدّجى»

و فيه ثلاث نكات:

الأولى: «المصابيح» جمع «مصباح» و هو السّراج، و«الدّجى» جمع «الدّجيه» بمعنى الظلمه، فتكون معنى فقره أنّهم سرج للظلمات. و الفرق بين كونهم مصابيح الدّجى و فقره السابقه هو بالاعتبار، فباعتبار تعليماتهم يكونون أئمه الهدى، و باعتبار أعمالهم و أمثلتهم يكونون مصابيح الدّجى، إذا لم يتكزّر المراد.

الثانيه: فى وجه استعمال مصابيح الدّجى فيهم يمكن كون هذين الاستعمالين من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، حيث إنّ أكثر الناس لا يعرفون من الحقائق سوى محسوساتها، إذا يلزم تشبيه المعقولات بالمحسوسات ليفهمه الناس، فيكون عدم الإقرار بالحقّ و ترك العمل به، و كذلك الجهل فى العقيدة و الأخلاق و العمل ظلمه، و نقيضها نورا و مصباحا، (كما تقدّم سابقا فى الفصل ١٤: و أبواب الإيمان)؛ و يمكن أن يكون مفهوم كلّ من اللفظين أوسع من المحسوس، كما قيل بأنّ الألفاظ موضوعه لروح المعانى الكئيبه، إذا لا معنى هنا لتشبيه المعقول بالمحسوس. فإن قلنا ليس المراد هنا التشبيه، بل المراد بيان حقيقه مطلقه،

ألزمتنا القول بأنّ للنور و الظلمه مراتب، مرتبه منها محسوسه و الأخرى غير محسوسه، إذا يتبين أنّهم مصابيح الهدى حقيقه فى ما وراء الحسن.

إنّ لكلّ من النور و الظلمه أربع مراتب، فمراتب الظلمه الغير محسوسه هى: العدم و الجهل و الشكّ و الفناء، فتكون مراتب النور، هى: الوجود و العلم و اليقين و البقاء؛ و إن كان العدم جامعا للبواقي من الظلمات (الجهل عدم العلم، و الشكّ عدم اليقين، و الفناء عدم البقاء)، كما يجمع الوجود بواقي مراتب النور، فتكون كلّ ظلمه محسوسه و غيرها أمرا عدميًا، و كذا كلّ كمال محسوس و غير محسوس أمرا وجوديًا نوريًا، فيتحصّل أنّ آل البيت عليهم السّلام لولا هم لم يكن وجود و لا علم و لا يقين و لا بقاء؛ لأنّ جميع ذلك يفيض منه سبحانه على الخلق بتوسّطهم، فيكونون بهذا المعنى «مصباح الدجى». و حيث إنّ كلّ مرتبه من هذه المراتب الوجوديّة النوريّه تقبل الشدّه و الضعف فى الدنيا، فيكون مصباحيتهم قابله للزياده، و تؤيّد ما فسّرنا به «مصباح الدجى» الروايه الآتيه عن الإمام الحسين بن علىّ عليهما السّلام قال: «دخلت على رسول الله صلّى الله عليه و اله و عنده أبى بن كعب، فقال لى رسول الله صلّى الله عليه و اله: مرحبا بك يا أبا عبد الله يا زين السّماوات و الأرضين. فقال له أبى: و كيف يكون يا رسول الله زين السّماوات و الأرض أحد غيرك؟ فقال: يا أبى، و الذى بعثنى بالحقّ نبيا، إنّ الحسين بن علىّ فى السّماء أكبر منه فى الأرض، و إنّّه لمكتوب عن يمين عرش الله: مصباح هدى و سفينه نجاه» (١).

ص: ١٠٧

١- .كمال الدين للشيخ الصدوق /٢٦٥ ح ١١، [١] عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ١: ٥٩/ح ٢٩. [٢]

الثالته: يشير الزائر هنا إلى كمال نفسانتي لهم، باعتبار وساطتهم في إفاضاته سبحانه على الخلق، أو إلى كمال فعلي، باعتبار كونهم مصاييح بأفعالهم و إراء تهم الناس أنفسهم كالأمثال.

١٨

«و أعلام التقى، و ذوى النهى»

و فيه سبع نكات:

الأولى: «الأعلام» جمع «علم»، و هو ما يعلم به، و هو أعمّ من أن يكون رايه أو جبلا- أو علامه و غيرها، يطلق على كلّ ذلك علم باعتبار حصول العلم به، فأخذ العلم فى جميع ذلك جزء معناه، فلو صار اسم علما لشخص أو مكان فهو أيضا بالاعتبار المذكور، و لفظ «التقى» أيضا بمعنى «التقوى»، كقوله سبحانه: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ (١).

الثانية: لا شبهه لأحد فى فضيله «التقوى»، حتّى أنّ أعداء الإسلام يدعون ذلك و ينسبون أنفسهم إليها، فيلزم ذلك أنّ كلّ من كان علما للتقوى قد بلغ إلى نهايه كمالها.

و أمّا معنى التقوى (و هى التحرز عن الباطل)، فهو أيضا واضح إجمالا- لكلّ عاقل، و الحاصل أنّ لكونهم عليهم السلام «أعلام التقى» معنيين، و التفاوت من نحو إضافه التقوى إليهم، فإن كان الإضافه لامتيه، فيصير معنى أعلام التقى

ص: ١٠٨

أنهم أعلام بالتقوى الثابتة لهم.

توضيح ذلك: أنهم اشتهروا بالتقوى بين الخاصّ و العامّ في الملك و الملكوت، بما لا شهره فوقه بالنسبه إلى سائر كمالاتهم القدسيه كالعالم البالغ في الرؤيه و المشاهده إلى نهايه إمكانه، بحيث أوجب خفاء نسبيا لسائر كمالاتهم. و إن كانت الإضافه بيانيه، فيكون المعنى «أعلام التقى»، أنهم أعلام لتقوى غيرهم، بمعنى أنّ كلّ من أراد الاهتداء إلى التقوى، ليفرّق بين الحقّ و الباطل، و القصد أن لا يقع في الهرج و المرج، و أن لا تشته عليه الأمور، و يجب عليه أن ينظر إليهم و يأخذهم لنفسه أسوه و قدوه، حتّى يجد التقوى الحقيقيه بسببهم، كمن ينظر إلى علم و يجعله وسيله لنفسه ليصل إلى مقصده.

الثالثه: يتفرّع على كونهم أعلام التقى أن يكون كلّ من آل البيت عليهم السّلام هو الأكمل فيما يلزمه التقوى، لأنّ الكمال الملزوم، ملازم لكمال اللازم، فكما أنّ المتقى محبوب لله تعالى، لقوله سبحانه: **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ، (١) فيلزم أن يكونوا أعلاما للتقوى، و يلزم كونهم الأكمل في المحبوبيه مثلا، و يلزم ذلك أن تكون معيته سبحانه لهم أكمل من معيته لغيرهم من المتّقين، و يلزم أيضا أن يكون كلّ واحد منهم عليهم السّلام أكمل في كلّ مقوم من مقوماتها، و هى الإطاعه الغير مشوبه بالمعصيه، و الذكر الغير مشوب بالنسيان،

ص: ١٠٩

و الشكر الغير مشوب بالكفران، كما قال أبو بصير: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ (١)، قال: يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر» (٢). و هو محال، و قس على ما قلنا، جعل المخرج و الفرقان للمتقين، أى لازم كونهم أعلام التقي، أكمل المخارج و الفرقانات لهم، كما فى قوله سبحانه: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٣)، و إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (٤)، و إلا يلزم انتفاء الملازمه بين اللازم و الملزوم، و هو محال.

الرابعه: توضيح «ذوى النهى»؛ ذوى: جمع ذو، بمعنى صاحب، أى من كان له التصرف فيما بيده، و النهى: جمع نهيه و هى العقل، فإطلاق النهيه على العقل يكون باعتبار نهيه صاحبه عن الباطل.

الخامسه: فى معنى كونهم عليهم السلام «ذوى النهى»؛ أن «ذو» كما أشرنا آنفا هو القادر على التصرف فيما بيده، لا كل من له العقل، لأن عقول أكثر العقلاء مقهوره لغرائزهم الماديه، أو توهماتهم الباطله (٥).

فهم فى الحقيقه ليسوا بذوى النهى على معناه الكامل، لأن آل البيت عليهم السلام حيث كانت عقولهم قاهره و غرائزهم و أوهامهم مقهورتين لكليته عقولهم،

ص: ١١٠

١- آل عمران: ١٠٢. [١]

٢- ٢. ابن جمعه العروسى، تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٣٧٦، [٢] فى تفسير الآيه.

٣- ٣. الطلاق: ٢. [٣]

٤- ٤. الأنفال: ٢٩. [٤]

٥- ٥. حتى الأنبياء عليهم السلام الكائنين فى مقام التلوين (قد يتلوون بتلون أضعف من تلون عامه الناس) دون خاتمهم الذى كان فى مقام محض التمكين، (عدم التلون و عدم الخروج عن الاعتدال المحض).

كانوا أحقّاء بهذا الوصف.

السادس: فى عطف كونهم «ذوى النهى»؛ على كونهم «أعلام التقى»، الثانى (ذوى النهى) بمنزله التعليل للأوّل (أعلام التقى)، أى كونهم أعلام التقى معلول، وعلته هى كونهم ذوى النهى، لأنّ كمال التقوى فرع على انقهار الغرائز والأوهام، وكمال العقل و قاهرته.

السابع: أنّ كونهم «أعلام التقى» على أوّل الاحتمالين، كان كمالا نفسانيا لهم كذوى النهى، وبالاحتمال الثانى، يكون كمالا فعليا خارجيا.

١٩

«و أولى الحجى، و كهف الورى، و ورثه الأنبياء»

و فيه ثمانى نكات:

الأولى: «أولو» اسم جمع كالقوم و الطائفه، بمعنى ذوو؛ و «الحجى» بمعنى العقل، و لكن يختلف الحجى عن النهى (فى فقره السابقه) من جهتين:

ألف) من جهه اللفظ، أنّ النهى جمع نهيه كما ذكر، و المراد منه هو تعدّد المعصومين عليهم السّلام، و لكنّ الحجى مفرد و جمعه الأحجاء (كإلاء بمعنى النعمه و جمعه آلاء) أريد منه هنا الجنس.

ب) من جهه المعنى، أنّ للعقل تأثيرين: فى الفعل و فى الترك؛ فله لكلّ

ص: ١١١

مما يوافقه البعث إليه، وبهذا الاعتبار يقال له الحجى؛ وكل ما يخالفه الصرف عنه وبهذا الاعتبار يطلق عليه النهيه.

الثانية: أنّ معنى الكهف ظاهر، والفرق بينه وبين الغار فى الضيق والسعة، فلضيقه يطلق عليه الغار، ولو سعه يقال الكهف. والمراد هنا جنس الكهف، والآل يلزم إطلاق الكهوف عليهم بدل الكهف. والمراد من الورى، هو مطلق الخلق، إذا يشمل هذا المعنى الأنبياء أيضا، فيكون آل البيت عليهم السلام كهفا لجميع الناس من النبيين وغيرهم فى جميع الأعصار الماضيه والحاضره والآتيه، ويتأيد هذا بما قلنا فى هذه الروايه ونظائرها:

عن معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «أتى يهودى إلى النبى صلى الله عليه و اله فقام بين يديه يحدد النظر إليه، فقال: يا يهودى ما حاجتك؟ فقال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبى الذى كلمه الله تعالى، وأنزل عليه التوراه والعصا، و فلق له البحر وأظله بالغمام؟ فقال له النبى صلى الله عليه و اله: إنه يكره للعبد أن يزكى نفسه، ولكن أقول: إن آدم عليه السلام لثما أصاب الخطيئه كانت توبته أن قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد لثما غفرت لى، فغفرها الله له. وإن نوحا لثما ركب فى السفينه وخاف الغرق قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد لثما أنجيتنى من الغرق، فنجاه الله عنها، وإن إبراهيم عليه السلام لثما ألقى فى النار قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد لثما أنجيتنى منها، فجعلها الله عليه بردا وسلاما. وإن موسى عليه السلام لثما ألقى عصاه وأوجس فى نفسه خيفه قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد لثما

آمنتني منها، فقال الله جلّ جلاله: لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (١). يا يهودي! إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي و بنبوتى ما نفعه إيمانه شيئاً ولا نفعته النبؤه. يا يهودي! و من ذرّيتي المهدي إذا خرج نزل عيسى ابن مريم لنصرته و قدّمه و صلّى خلفه» (٢).

الثالثه: أنّ جميع ما ذكر من آل البيت عليهم السّلام فى هذه الزياره هو بيان كمالاتهم و شؤونهم العالیه، ليست هى أموراً عاديه أو حقائق متعارفه لهم، مع أنّك ترى أنّ كونهم عقلاء (بأى تعبير) أمر عادى لجميع الناس، إذن بماذا يمتاز آل البيت عليهم السّلام عن أبناء النوع؟

قلنا: إنّ بعث العقل إلى كلّ خير و صرفه عن كلّ سوء مشوب فى غيرهم بميول مضاده (٣)، و إن تغلب العقل فى النهايه على الطبيعه فى كلّ من الجهتين. فالحاصل لا- يمكن لعقل غير المعصوم تأثير غير مشوب، و لهذا لا- يطلق على غير المعصوم إطلاق «ذوى النهى» أو «أولى الحجى» على معناه الصحيح الكامل، لشوبه بالصدّ. ينتج من هذا البيان أنّ لهذه الإطلاقات معنى كاملاً صحيحاً فى آل البيت عليهم السّلام فقط، لأنّ كلّاً من الطوائع المادّيه لهم، و أوهمهم أيضاً منقاداً لعقولهم القادسه الكئيه، كما قال النبىّ صلّى الله عليه و اله: «أسلم شيطاني على يدي، فلا يأمرني إلاّ بخير» (٤).

ص: ١١٣

١- طه: ٦٨. [١]

٢- ٢. تاج الدين الشعيرى، جامع الأخبار، الفصل الرابع فى فضائل النبى محمد صلّى الله عليه و اله ص ٨. [٢]

٣- ٣. بمعنى أن لو بعث العقل مثلاً إلى الإنفاق عارضه البخل، أو إذا صرف عن البخل خالفته رغبه الطبيعه إلى الإمساك.

٤- ٤. مفاتيح الغيب للملا صدرا-المفتاح الثالث عشر، ص ٤٦٧.

الرابعة: يلزم للكهف الاستحكام كى يحفظ من يدخل فيه، فكون أهل البيت عليهم السّلام كهف الورى يلزم لهم ذلك، وإلا لم يكونوا كهفا ولا يحفظ فيه الداخلون، فحيث إنهم مظاهر حكمه الله الفعلية، فلهم إتقان و ثبات ليس فوقه شىء أتم منه يوجد فى غيرهم، فيلزم للخلق أن يدخلوا فى هذه الكهوف الإلهية المتقنه، فتبين كهفيتهم للورى.

الخامسة: قال على عليه السّلام: «اجعل الدّين كهفك، و العدل سيفك، تنج من كلّ سوء، و تظفر على كلّ عدوّ» (١)، فإذا كان الدين كهفا و كانت حقيقه الدين و لبه ولايتهم، و بدونها ينتفى الدين من رأسه، كانوا هم كهفا ينجى به من كلّ سوء.

السادسة: فى بيان كونهم ورثه الأنبياء، إنّ الوارثه للأنبياء لا- تنحصر فى مولانا الحسين المفدى كما هو مقتضى ظاهر زياره «وارث» له عليه السّلام، بل تكون لجميع أهل البيت عليهم السّلام.

السابعة: ينبغى هنا توضيح ثلاثة أمور:

المورث و الوارث و الميراث، فالمورثون هم الأنبياء عليهم السّلام، و الوارثون هم آل البيت عليهم السّلام على ما مضى من البيان أنّ الأنبياء عليهم السّلام هم المستفيضون بآل البيت و المتنعمون بهم، لهذا ينبغى التوضيح لوراثتهم عنهم، و الجمع بينهما (بين الوارث و بين الاستفاضه منهم)، فنقول:

ص: ١١٤

١- مستدرک الوسائل ١١/٣١٩ ح ١٣١٤٦- كتاب الجهاد، [١] عن: غرر الحكم ١/١٢٤ ح ٢٠٧. [٢]

أولاً-لا- يلزم دائماً لكل مورث أفضليته عن الوارث، حتى يشكل الأمر في أفضليته آل البيت عليهم السّلام على الأنبياء عليهم السلام.

ثانياً: إنّ وراثه آل البيت عليهم السّلام من الأنبياء تكون في عالم من العوالم، و هو هذا العالم، المحكوم بحكم الزمان و التقدّم و التأخر الزمانيين و غير ذلك من الأحكام الخاصّه به، و إلاّ فالحقّ هو ما ذكر من أنّ الأنبياء كانوا تحت ولايه كليّه إلهيه لآل البيت عليهم السّلام. فالحاصل أنّ وراثه الأئمّه من الأنبياء محدوده في شؤون ظاهرية كالنبوّه و الهدايه و الرساله و الإمامه، لأنّهم (ورثه) تأخروا بالزمان عن المورثين، و هذه الأمور هي أمور خارجيه.

نحن لا- نقول بأنّ كمالات أهل البيت المعنويه (كالعصمه) مواريث انتقلت من الأنبياء إلى أئمّتنا، فالعلم و العصمه و غيرهما من الكمالات النفسانيّه لا تعدّ ممّا تركه الأنبياء للأئمّه، فلو عدّت العصمه مثلاً ميراثاً، فكيف تكون عصمه الأنبياء عصمه صغرى، مع كونها في آل البيت عليهم السّلام الكبرى؟! او قس على العصمه الولايه المطلقه، مع كونها لآل البيت عليهم السلام مطلقه و ولايه الأنبياء ليست كذلك، بل هي مطلق الولايه. فحاصل الكلام إنّما يعدّ ميراثاً من الأنبياء إليهم تكون أموراً خارجيه كالنبوّه و أشباهها، أو أشياء كالتابوت و القميص و العصا و الدرع و السيف، و بتعبير آخر أنّ الحقائق القابله للتوريث و الوراثه ثلاثه أنواع: تكوينيّه، تشرifiّ و تشريعيّه.

ففي النوع الأوّل هم وسائط الفيض، كما أنشدت:

ص: ١١٥

فلا معنى لكونهم ورثه فيما أخذه الأنبياء منهم، فالولاية و العصمه و العلم، تعدّ من هذا القبيل.

و النوع الثانى (التشريفيات) تكون كما تتبين لفظه التشريف تنسب إليهم تشريفا و اعتبارا، كإطلاق بيت الله على المسجد مثلا، فلا معنى أيضا لكون الأئمه ورثه للأنبياء فيها (التشريفيات)، لأن آل البيت عليهم السلام أشرف من الأنبياء و لكن لا إشكال فى كونهم ورثه للأنبياء فى التشريفيات، كالدرع و السيف و غيرهما، لأنها خارجه عن القسمين الأولين. فالحاصل أن كونهم ورثه فى الأمور التشريفية غير مقبول؛ لأشرفيتهم على الأنبياء، و فى التكوينية أيضا كذلك لما أفاضها آل البيت عليهم السلام عليهم، لأنهم موصوفون بأكمل ممّا فى الأنبياء، و لكن لا إشكال فى كونهم ورثه فى فعل الإمامه و الحكومه، و لا إشكال فى نقل هذه الأمور و الأشياء السابق ذكرها من الأنبياء إليهم.

الثامنه: ليتبين ممّا ذكر أنّ كونهم «أولى الحجى»، فكونهم «أولى الحجى» من الكمالات النفسائيه، و كذا كونهم «كهف الورى» باعتبار فاعليه آل البيت عليهم السلام، و لكن باعتبار صدور فعل الإغاثه و الإعاده منهم للمستغيث و المستعيد (الورى)، يكون كمالات فعلينا، و هكذا كونهم ورثه الأنبياء كمالات فعلينا خارجيا لهم عليهم السلام.

«والمثل الأعلى»

و فيه سبع نكات:

الأولى: أن الإمام الهادي عليه السلام أخذ هذه الحقيقة في بيان مناقب آل البيت عليهم السلام من الكتاب العزيز و هو قوله تعالى: **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)**، وهذا يؤيد أن جميع ما تحتوى هذه الزيارة من الحقائق مقتبسه لفظاً أو معنى من القرآن العزيز.

الثانية: في الفرق بين المثل المنفرد له تعالى (٢) والمثل الثابت له سبحانه؛ (٣) يمتنع كون الأئمة مثلاً له سبحانه، لأنه يستلزم مثليته تعالى لهم، وينتهي الأمر إلى التماثل بين ذاته سبحانه المتعاليه و ذواتهم الطاهره، و لكن كونهم مثلاً له تعالى لا ينتهي إلى محال، لأن المثل هو المشابهة في الصفات (و لو مفهوماً لا مصداقاً)، خصوصاً إذا كانت الصفات صفات فعليّه، كما يعترف القرآن بوجود الخالق و الرازق سواه، والحاصل يمتنع أن يكون له تعالى مثلاً في صفاته التي هي عين ذاته المقدسه، كالقدم

ص: ١١٧

١- النحل: ٦٠. [١]

٢- ٢. «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (الشورى: ١١). [٢]

٣- ٣. «و لله المثل الأعلى»، أو كما في الحديث القدسي: «يا إنسان أتعنى أجعلك مثلي». (مفاتيح الغيب للملا صدرا، المفتاح التاسع عشر، المشهد التاسع عشر، ص ٦٧٧).

و الأزلّيّه و غيرهما من الصفات الحقيقيّه المحضه، و لا يمتنع ذلك في الصفات الحقيقيّه ذات الإضافه أو الفعلّيّه.

يلزم هنا ذكر أنّ صيغه «الأعلى»، تفضيليّه من «العالي»، فحيث إنّ جميع ما خلق الله، كما تقول به العرفاء، يكون مثلاً و مرآه له تعالى، فالمثليّه و المرآتيّه لتجلى كمالاته تكون متفاوته، فكلّ ما كان مثلاً أصفى كان ظهور كمالاته فيه أشدّ و أقوى بالنسبه إلى ما دونه، فيكون آل البيت عليهم السّلام أعلى مثل له بالنسبه إلى جميع المخلوقين بحيث لا أعلى فوقهم في المثليّه.

الثالثه: في تبيين المعاني الثلاثه للمثل و بيان ما هو الحقّ هنا؛ قد يفسّر المثل بالحديث تاره و بالحجّه أخرى، و بالمماثله ثالثه، فكونهم عليهم السّلام مثلاً بالمعنى الأوّل بعيد و بالمعنى الثاني محتمل، و لكنّ الحقّ القويّ هنا المعنى الثالث - كما أشرنا - تشهد عليه آيه النور المباركه المؤوّله بالمعصومين عليهم السّلام.

الرابعه: في توضيح آخر للمرآه؛ نقول: يمكن تحليل مثليّتهم له سبحانه بعلم الكلام و العرفان و الحكمه.

أما الأوّل: فإنّ كلّ شيء آيه له تعالى و علامه لصفاته و كمالاته، كالبناء الحاكي عن وجود بانيه و صفاته، فحيث إنّ واحداً من معاني المثل الثلاثه هو الحكايه و الحديث، فتكون مخلوقاته حاكيات تحكى عنه سبحانه،

و يكون كلّ واحد منها مثلا- عالیا، و لكنّ آل البيت عليهم السّلام هم «المثل الأعلى» لكونهم آيات كبرى بين جميع الآيات، لا على نحو الظهور و التجلّي، بل معنى أنّ كلّ عاقل لبيب إذا أمعن النظر في وجودهم و ما فيهم من الكمالات أيقن بأنّ لهم موجدا صانعا، و أنّ لكمالاتهم جاعلا و هو الله سبحانه.

و أمّا الثانی: أي العرفان، فإن قلنا بأنّ الصفات الإلهیة تظهر و تتجلّى في الموجودات كظهور الأشياء في المرآه، فيلزمنا القول بمظهریة كلّ موجود لصفاته الجلالیه و الجمالیة، فيصير كلّ موجود مثلا عالیا له تعالی (على نحو التفاوت لا التساوی)، فيكون آل البيت عليهم السّلام مثلا أعلى له سبحانه (١).

و الحاصل أنّ ظهور صفاته تعالی في غير المعصوم ضعيف لضيق وعائه الإمكانی و كدره، و في المعصوم قوی باعتبار السعه الذاتیه له، فيكون هو عليه السّلام المثل الأعلى.

و أمّا الثالث: أي الحكمه، فلا شكّ في أنّ كلّ كمال أمر وجودی، فكلّ ما يحصل الممكن أكثر من الكمالات أو يقوّمها في ذاته يطرد العدم عن نفسه، و يصل إلى مرتبه من الوجود بقدر ما حصل له الكمال، و على هذا المنوال يشتدّ فيه الوجوب و يتأكد، لأنّ في الوجوب الذاتی الممتنع حصوله للممكن استجمعت جميع الكمالات فيه آيا عن أيّ تركيب أو

ص: ١١٩

١- و الفرق بين كون المثل عالیا أو أعلى يحصل من قوه التجلّي و الظهور و ضعفه، أي كلّ مثل كان ظهور صفاته فيه أشدّ، كان هو أعلى بالنسبه إلى ما دونه في المثليه و الظهور.

محدوديّه، فالحاصل أنّ القابليّته للوجود و طرد العدم، موجود في كلّ ممكن، و الإنسان يفوق جميع الموجودات في ذلك (في وجود القابليّته للوجود و طرد العدم)، ليحصل له الوجود الأقوى و الأكثر و الأشدّ، لهذا تكون الموجودات مثلا عاليا لمحدوديّته قابليّتها للوجود و الكمال، و لكنّ المعصوم لسعه قابليّته و لعدم البخل في المفيض عليه للكمالات يكون مثلا أعلى، لأنّه أبعد من العدم و أقرب إلى الوجود و الكمال الذاتيين، اللذين لا نهاية لهما و الأحسن أن نعبر عن التقسيم في غير الإنسان بالمثل الأدنى، و في غير المعصوم من الإنسان بالمثل العالی، و في المعصوم بالأعلى.

الخامسه: في تطبيق المثل مع مماثله في الصفات، تقدّم الكلام - كما اعتقد به العرفاء - أنّ لكلّ مخلوق مظهریه لصفاته تعالی على قدر ظرفيته الذاتيه، فهذه المظهریه في آل البيت عليهم السّلام مظهریه تامّه لتمايمه الظهور فيهم، فينبغي هنا تبين مماثلتهم عليهم السّلام له سبحانه في الصفات على قدر الوسع:

ألف) المماثله في العلم؛ قد نعلم أنّ علمه سبحانه، هو عين ذاته أن لا تتناهى، و نافذ في باطن العالم أجمع كما في دعاء السحر عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «اللّهمّ إنّی أسألك من علمك بأنفذه، و كلّ علمك نافذ» (1)، فعلم آل البيت عليهم السّلام أيضا نافذ في كلّ شيء سوى الغيب المطلق (الذات الواجبه)،

ص: ١٢٠

١- إقبال الأعمال للسید ابن طاووس ٣٣٩، انتشارات أهل [١] الذکر، مؤسسه التاريخ الإسلامی قم المقدسه، ط ١ سنه ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م.

فنفوذ علمهم أكثر من نفوذ علم غيرهم، كما أنّ فصلا واسعا من معجزاتهم عليهم السّلام معجزات علميّة، لا نريد من قولنا هذا أنّ علمهم قابل للقياس مع علمه سبحانه (نعوذ بالله من ذلك)؛ لامتناع المقايسه بين الواجب و الممكن أوّلا، و ثانيا أنّهم عليهم السّلام عالمون بكلّ ما يتعلّق به العلم سوى الغيب المطلق، فحيث إنّ علم كلّ عالم لا يسع كما يسع علمهم، فيكونون هم عليهم السّلام مثلا أعلى له سبحانه في العلم.

ب) المماثله في القدره، و صفت قدرته سبحانه بالاستطاله كما في دعاء السحر، «اللّهمّ إنّني أسألك من قدرتك بالقدره التي استطلت بها على كلّ شيء، و كلّ قدرتك مستطيله» (١).

وجه المماثله فيها (القدره) بينهم و بين الله هو أنّ قدرته مستطيله مسيطره قاهره على كلّ شيء و قدره المعصومين عليهم السّلام كذلك، و يشهد على ما ادّعينا كثير من معجزاتهم عليهم السّلام، و بتوضيح آخر: تنقسم المعجزات الصادره منهم إلى قسمين: الأوّل: أنّهم يعلمون ما لا يعلمه غيرهم.

الثاني: أنّهم يقدرّون على ما لا يقدر عليه غيرهم.

فكلّ قادر يفعل بقدرته و قدرته تناسب قابليّه ذاته، و هي عباره عن وعائه الذاتيّ الإمكانيّ، و لكنّ هذه القابليّه و الوعاء كان في المعصومين

ص: ١٢١

أوسع، بحيث ليس ما فى سوى الله وعاء أوسع منه، فتكون قدرتهم أوسع، فىكون كل منهم عليهم السلام على عجائب الأفعال و غرائبها أقدر، و هو المراد من التماثل فى القدره بينهم و بينه سبحانه، و يناسب هنا ذكر نموذج من معجزاتهم:

محمّد بن يعقوب فى (الكافى) عن على بن محمّد عن أبى أحمد بن راشد عن رجل من أهل المدائن، قال: «كنت حاجاً مع رفيق لى، فوافينا إلى الموقف، فإذا شابّ قاعد عليه إزار و رداء (إلى أن قال:): فدنا منّا سائل فرددناه، فدنا من الشابّ فسأله، فحمل شيئاً من الأرض و ناوله فدعا له السائل، فقلنا له: ما أعطاك؟ فأرانا حصاه ذهب مضرّسه، قدّرهاها عشرين مثقالاً، فقلت لصاحبي: مولانا عندنا و نحن لا ندرى! ثمّ ذهبنا فى طلبه فدرنا الموقف فلم نقدر عليه» (١).

فانظر أيها اللبيب العاقل إلى هذه المعجزه البديعه و البرهان التبر المضىء، و إلى القدره الواسعه التى لا- يكون من شأن غيرها، تبديل الهويّات و قلب الماهيات، و استنتاج منه حديث التماثل المذكور تفسيره منّا آنفاً.

ج) المماثله فى الكلام، لا شكّ فى أنّ الكلام ما يظهر به مراد المتكلّم لفظاً كان أو حقيقه اخرى كالفعل، و أنّ كل موجود كلمه فعليه لله تعالى،

ص: ١٢٢

١- إثبات الهداه بالنصوص و المعجزات للحزّ العاملى ٧: ٢٧٠/١- الباب ٣٣. [١]

لأنه حاك عمّا يريد سبحانه، (١) ولا شبهه أيضا في أنّ كلّ كلمه أئين من مراد المتكلم، فهي بكونها كلمه أليق و أجدر. و أيضا لا- شكّ في أنّ المعصومين عليهم السّلام لكونهم أكمل، بما لا يفوق عليه فائق، يكونون أئين لمراداته سبحانه، فهو تعالى يتكلم بهم قبل أن يتكلم بغيرهم، فيكونون هم أجلى الكلمات و أتمّها؛ لظهور العلوم الغزيره و الأفعال الغريبه و الصفات الكامله العجيبه عنهم عليهم السّلام، فهذا كافّ في إيضاح تماثلهم عليهم السّلام لله في التكلم.

السادسه: مماثله الممكن في الصفات له تعالى على نوعين: تكويته و تحصيليه.

فالأوّل: حاصله في كلّ موجود، و الثاني: يحصل في المختارين من الموجودات؛ و في هذا المقام قال رسول الله صلّى الله عليه و اله: «تخلّقوا بأخلاق الله» (٢).

فتبتدئ هذه المماثله بمراعاة الأحكام الشرعيّه، و تستمرّ حتّى تصير ملكه راسخه، كالجود و الرحمه على الغير و الإنعام و الإنفاق و الإعانه و غير ذلك، فكلّ من آل البيت عليهم السّلام أكمل من غيرهم في كلتا المماثلتين، فحيث إنّ المماثله من النوع الثاني في غيرهم لا تخلو من شوب و كدر و ضيق، فلا يكون الغير مثلا أعلى له سبحانه، و لكنّ آل البيت عليهم السّلام لعدم هذه

ص: ١٢٣

١- من إظهار وجوده و صفاته الجلاليه و الجماليه، و كأنّه تعالى يتكلم كواحد منّا مع مخاطبه بالألفاظ.

٢- ٢). جامع الأسرار للسيد حيدر الآملّى ص ٣٦٣.

السابعة: أنّ هذا الشأن لهم عليهم السلام لا ينحصر في الدنيا ولا يتفاوتون فيه، لأنّ الصفات إما أن تكون خاصّة للماهيات الممكنة أو لكمالاتها الوجوديّة، فالمماثلة في النوع الأوّل منفيّة لهم لتتّزه سبحانه عن الماهيّة بالمعنى المتعارف، وفي النوع الثاني حاصله، والمفروض عدم تفاوتهم في قابليّات ذواتهم الباعثة لعدم تفاوتهم في هذا الشأن.

٢١

«و الدّعوه الحسنی»

و فيه ثلاث نكات:

الأولى: أنّ لفظه «الدّعوه» هنا موصوف، و«الحسنی» صفته، ويمكن أن يكون لهذه الفقرة تفسيران:

الأوّل: يخاطب الزائر آل البيت عليهم السّلام بأنّكم الداعون إلى الله، أي كلّ واحد منكم داع حسن إليه، ولكنّ التعبير بالدّعوه الحسنی يكون من المبالغه من باب «زيد عدل» بدل «عادل»، كأنّ الزائر يريد بيان محوضه آل البيت عليهم السّلام في الدّعوه الحسنی، ورسوخ دعوه الحسنی فيهم عليهم السّلام، كأنّهم هم الدّعوه الحسنی لا الداعی حسن. و أمّا وجه كون هذه الدّعوه حسنی فيتبيّن من قوله تعالى: وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَ قَالَ إِنِّي مِنَ

ص: ١٢٤

الْمُسْلِمِينَ (١)، فقليلًا ما يكون الداعي إلى الله جامعًا للشرائط المذكورة، للداعي الحسن في الآية الكريمة (٢).

وإن وجد فلا- يبلغ إليهم في هذا الشأن، لكونه غير معصوم؛ و لتكدر نفسه و ضيق علمه و ضعف خلوصه بالنسبة إليهم عليهم السلام.

والتفسير الثاني هو أن يكون معنى فقره كونهم هم الدعوه الحسنى، لا بمعنى الداعي الأحسن المذكور آنفاً، بل بمعنى كونهم عليهم السلام ثمره دعوه، دعا بها جدّهم الخليل عليه السلام لذريّته كما قال سبحانه: قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (٣)، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٤)، رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٥).

لا شك في أنّ من أسكنه الخليل عليه السلام من ذريّته في واد غير ذي زرع (بكه) هو إسماعيل عليه السلام فقط، و لكنك ترى أنّه يطلق الضمائر الجمع على من أسكن (يقيموا، إليهم، و ارزقهم، لعلهم، يشكرون)؛ فإذا يكون المراد

ص: ١٢٥

١- فصلت: ٣٣. [١]

٢- ٢). و من وجد كهذا يكون مصداقاً لغير الخاسرين من الناس على ما في سورة العصر، لكونه مؤمناً بالقلب و عاملاً للصالحات و متواصياً بالحقّ و الصبر.

٣- ٣). البقره: ١٢٤. [٢]

٤- ٤). البقره: ١٢٨. [٣]

٥- ٥). إبراهيم: ٣٧. [٤]

من من أسكن هو إسماعيل عليه السّلام، و من سيوجد و يسكن ثمّ من أولاده و لا ينطبقون إلّا مع من نعتقد بإمامتهم و عصمتهم و هم الأئمّه الاثنا عشر من ذرّيّه رسول الله، الذى كان من أولاد إسماعيل كما قال صلّى الله عليه و اله: «أنا دعوه أبى إبراهيم» (١)، فتحصل كونهم عليهم السّلام «الدعوه الحسنى» بهذا المعنى و لا مبالغه فيها.

قال فى شرح الزيارة للأحسائيّ فى تفسير هذه الجملة ما هذا لفظه:

إنّهم أهل الدعوه الحسنى على حذف مضاف. «و الدعوه الحسنى» أنّهم يدعون إلى الإيمان و إلى الجنّه التى هى الحسن، كما فى قوله تعالى:

لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَ زِيَادَةٌ (٢).

الثانيه: فى كونها «حسنى» لوجوه على الاحتمال الثانى.

الأول: أنّ من حسن الدعوه الإجابيه، و قد أجب الله دعاء الخليل فيهم.

الثانى: هو إخلاص الداعى فى دعوته، و لا شكّ فى إخلاص الخليل عليه السّلام لأنّه كان من عباد الله المخلصين.

الثالث: كون الدعوه فى خير بقاع الأرض.

الرابع: كون المسأله عظيمه، و هذا (أى طلب الخليل الإمامه لذرّيّته) من أعظم الطلبات المستتبعه لتسليم الناس و محبّتهم لهم، فباستجماع هذه

ص: ١٢٦

١- المواعظ، للشيخ الصدوق ص ٣٨/ ح ١.

٢- ٢. يونس: ٢٦. [١]

الكمالات في دعوه الخليل هذه تكون الدعوه الحسنى.

الثالثة: أنّ كونهم عليهم السّلام «الدعوه الحسنى» كمال فعليّ خارجيّ لهم، على التفسير الأوّل، وهكذا على التفسير المنقول من الأحسائيّ، وعلى التفسير الثانی تكون كمالات خارجيّة غير فعليّة لهم؛ لكون الدعاء صادرا عن الخليل فيهم و لم يكونوا هم الدعاه و لا المجيبين.

٢٢

اشاره

«و حجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى، و رحمه الله

و بركاته»

و فيه سبع نكات:

الأولى: في بيان الحجّة؛ «الحجّة» هي «الغلبه» مفهوما، و لها مصاديق عديده، فكلّ مصداق تحصل به الغلبه كالنبيّ و الإمام و الكتاب و البرهان، يطلق عليه الحجّة، من باب ذكر السبب و إرادته المسبّب، فوجه إطلاق الحجّة على النبيّ و الإمام مثلا هو «غلبه الله على المنكرين» كما قال سبحانه: **رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِيُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ (١).**

الثانية: في بيان لزومها، فنقول: لا يمكن لنا أن نخوض في لزوم الحجّة من الله؛ لأنّ ذلك ينجرّ إلى الخروج عن موضوع الكتاب، و لكن نحقق فيه

ص: ١٢٧

إجمالاً- فنقول: يجب من الله (1) نصب الحجّة بين الناس، كلّ على اقتضاء زمانه، إن لم ينقض الزمان لبعث النبيّ، فيكون النبيّ حجّه، وإلاّ كان إماماً، وإن كان زمان حضور الإمام منقضياً فيكون الحجّه أخيار الناس من المؤمنين، كما في زماننا هذا، فعلى أىّ تقدير يجب من الله نصبه لشهاده العقل و الضروره و النقل.

أمّا العقل، فإنّ الله خلق العباد جاهلين، و جعل فيهم طبيعه غير شاعره و معها عقلا شاعرا و جعل الطبيعه على ما توجه المادّيّه الجسمانيّه أقوى من العقل، فيلزم حينئذ جعل معاضد للعقل الضعيف لحصول التعادل بينه و بين الطبيعه، لكي يقدروا على تحصيل غرض خلقتهم الأعلى المنظور في حكمته تعالى؛ وإن لم يفعلها يكون ترك نصب الحجّه خلافاً لطفه سبحانه، لأنّ قاعده اللطف (الثابته بين المتكلمين) تقتضى جميع المقدمات التي تقرّب العبد إلى الطاعه و تبعّده عن المعصيه، فإذا لم ينصب بينهم حجّه يكون عقابهم على الكفر و المعاصي بلا بيان، و أخذهم عليها بلا برهان، مع فرض ثبوت المعاد بين الملتين و وجود المعاقبه

ص: ١٢٨

١- ما يجب على الله يتصوّر على قسمين: أولهما: باطل، و ثانيهما: مصدّق صحيح. أمّا الباطل ما يكون وجوباً تكليفاً و يصير سبحانه محكوماً به، و تصير عقول الناس المقتضيه له حاكمه عليه سبحانه، و هو ما ألزمته الأشاعره بزعمهم العدليّه. و أمّا الصحيح منهما (و هو مختار العدليّه) فهو الواجب الذي تقتضيه حكمه الله البالغه، و هو في الحقيقه واجب من الله لا واجب على الله، أى الواجب ينشأ من حكمته سبحانه، و لا ينشأ من عقول الناس.

و المؤاخذه فيه، فهذا (أى ترك نصب الحجّه) ممتنع على الكمال المطلق و العدل المحض و الرحمه الواسعه و الحكمه البالغه.

و أمّا الضروره، و المراد منها هو الضروره بين الملتين، و هى ما لم يختلف اثنان فيها، فالحاصل أنّ جميع المعتقدين بالإلهيه و المعاد قائلون بوجوب نصب الحجّه على الله على معناه العامّ من إعطاء العقول و إنزال الكتب، و نصب الدلائل و البراهين، و بعث الأنبياء و جعل الأوصياء، و إبقاء الآثار العلميه من المتقدمين و المتأخرين.

و أمّا النقل فى ذلك فكثير، نحو قوله سبحانه: **قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١)**.

فثبت بهذه الأنواع الثلاثه من الدليل و جوب نصب الحجّه على الله، و هو المطلوب، لأنّه سبحانه بمفاد الدليل الأوّل لا يفعل قبيحا، كأن يعاقب بلا بيان، و لا يخلّ بواجب كالإخلال فى جعل المقربات إلى الطاعه و المبعّدات عن المعصيه، و بمفاد الدليل الثانى لا يمكن اتّفاق الملتين مع كثرتهم و وجود أولى الألباب و الدرايات فيهم على عقيدته باطله، و بمفاد الدليل الثالث يمتنع أن يقول الكمال المطلق كذبا.

الثالثه: فى تفسير اللفظه الأولى (و هى المؤنث الأوّل قبل الثانيه) احتمالات:

ص: ١٢٩

يمكن أن يكون المراد من الأولى هو الدنيا لوقوعها قبل الآخرة، و لذكرها لرعايه السجع، و هذا ضعيف.

و يحتمل كون المراد منها هو البرزخ، أى النشأه الواقعه بين الدنيا و الآخرة، و إطلاق لفظه الأولى عليها لكونها قبل الآخرة صحيح.

و يحتمل كون المراد منها زمان الرجعه (التي سنبحث عنها قريبا إن شاء الله): رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ (١)، فيكون أحد الإحياءين فى الآيه هو الرجعه، و هذا الاحتمال أقوى من سابقه لدلاله القرآن عليه.

و الاحتمال هو أنّ المراد من الأولى هو القرون الماضيه قبل الإسلام، كما تقدّم البحث عنه، و استشهدنا فى ما تقدّم بالخبر الوارد فى الزهراء عليها السلام:

«و هى الصّدّيقه الكبرى، و على معرفتها دارت القرون الأولى» (٢)، و هذا أقوى عندى من الاحتمالات السابقه فيكونون هم حججا على القرون الماضيه.

الرابعه: فى بيان حجّيتهم عليهم السلام على أهل الدنيا؛ المراد من أهل الدنيا هم المعاصرون لهم و الذين يأتون من بعدهم. فحجّيتهم على هذا المعنى لأهل الدنيا معلومه؛ لكون الشريعه الإسلاميه تعمّ جميع البشر فى كلّ زمان و مكان إلى آخر ساعه من تكليف الإنسان (٣)، بمعنى أنّ شريعه الإسلام تكون غالبه بهم لا محاله على جميع الشرائع و النحل المدعيه للخلود

ص: ١٣٠

١- غافر: ١١. [١]

٢- ٢. بحار الأنوار ٤٣: ١٠٥/ح ١٩- [٢] عن: أمالى الطوسى.

٣- ٣. و هذه حقيقه ثابتة مبحثه فى الكتب الكلاميه و التفسيريه.

غلطا، فهم عليهم السلام أسباب هذه الغلبه.

الخامسه: أنّ حجّيتهم لأهل الآخرة واضحه أيضا، على ما تدلّ عليه الأدلّه المتكاثره من النقل، من كونهم الشفعاء و ولاه أمر الكوثر، وقسمه الجنّه و النار، و كونهم على الأعراف و كونهم صاحبي اللّواء، لأجل نفسيتهم على البدليّه لرسول الله (و غير ذلك) كما قال صلّى الله عليه و اله: «آدم و من دونه تحت لوائى يوم القيامه» (1)، بمعنى أنّهم يصيرون سببا لغلبه الصالحين فى النجاه و الفلاح على غير الصالحين، أو سببا لغلبه إيمان المؤمنين العاصين على عصيانهم، أو يغلبون بأنفسهم على غيرهم من الشفعاء فى الشفاعة.

السادسه: فى بيان حجّيتهم لأهل الأولى:

إن قلنا بأنّ المراد من الأولى هى النشأه البرزخيّه فحجّيتهم فيها إذا ظاهره، لأنّهم يتفقّدون المتنعمين من المؤمنين، فهذا التفقد للمؤمنين من أعظم النعم عليهم فيخاصمون المعدّبين و يغلبون عليهم، و ذلك كلّ من فروع الحجّيه و توابعها.

و إن قلنا كون المراد من الأولى هو زمان الرجعه، فما لم يكن آل البيت عليهم السّلام حجّه لا يغلبون على الأعداء و لا يصيرون حكّاما مسيطرين على أهل العالم أجمع، و إن فسّرنا المراد من لفظه الأولى بالقرون الماضيه، فنقول: حجّيتهم عليهم السّلام على تلك القرون لم تكن ظاهره مشهوده فى عالم

ص: ١٣١

١- بحر المعارف لعبد الصمد الهمدانيّ، ص ٣١٢.

الملك، بل كانت في عالم المعنى و الملكوت، كما قال الإمام عليّ عليه السّلام:

«كنت مع جميع الأنبياء سرّاً، و مع خاتم الأنبياء جهرًا» (1)، فهم عليهم السّلام - و لو ببعض أشخاصهم - كانوا غالبين بمعيتهم مع الأنبياء على غيرهم.

السابعة: أنّ حجّيتهم عليهم السّلام على غير القرون الماضيه - بأىّ تقدير كان - تكون كمالاته فعلية خارجية لهم، و على القرون الماضيه كان كمالاته نفسانية.

و لا نعيد الكلام في تفسير «و رحمه الله و بركاته» بعد أن فسّرناه في الفصل الخامس عشر.

تذنيب

هذا هو الفصل الثانى على حسب تفصيل الإمام عليه السّلام للزياره (لا - على تفصيلنا للكتاب)، و صلته بسابقه هو أنّ الفصل السابق (كما اشير إليه) كان يبيّن الكمالات الذاتية لهم عليهم السّلام، و هذا الفصل مبيّن لكمالاتهم الفعلية، كالفروع المترتبة على اصولها.

فانظر في هذا الفصل أيضا بنظر دقيق حتّى يتّضح نظير ما اتّضح في ما قبل، و هو أنّهم و صفوا أوّلا بكونهم أئمة الهدى، و تكون الأوصاف التسعة الآتية كتفسير لذلك الوصف على ترتيب رائع كما يلي:

لا - يكون الإمام إمام هدى، حتّى يتبيّن به النور من الظلمه غايه التبيّن، بحيث لا يقع للمأموم أىّ اشتباه بينهما، فلهذا كانوا عليهم السّلام مصابيح الدجى.

ص: ١٣٢

١ - أسرار الحكم للملا هادى السبزواري، ص ٣٩٨.

و لا يفيد المصباح حتى يكون علما للمأموم الذي يطلب الحقيقه.

و لا يكون الإمام مصباحا و لا علما حتى يميز بنفسه بين مأمومه و عدوه، و بين المقصد و المسير و غيرها من الأمور، و لا يكون مميزا لذلك إلا- بكمال عقله؛ (لأنّ الطيب العليل يستطيع أن يداوى عليلا آخر؟!) فلهذا وصفوا بكونهم «ذوى النهى و أولى الحجى»، و بعد ذلك كله يلزم كونه ملجأ لمن يأتّم به (١).

ثمّ إنّه لا- تكون إمامته متحقّقه إلاّ أن تتأيد بما فى منوب عنه من الكمالات كالعلم، لهذا وصفوا بكونهم «و ورثه الأنبياء»، و بعد ذلك لا يكون الإمام إماما إلاّ بكونه الأمثل و المثل الأعلى فى جميع الكمالات، فلهذا كان أحد أوصافهم «المثل الأعلى».

أمّا كون دعوتهم «دعوه حسنى» أو كون أنفسهم كذلك، فهى متممه لإمامتهم و مفزق عن إمامه الضلاله.

و أمّا كونهم حجج الله، فهذا الوصف مبين لتماميه إمامتهم و كمالها بالنسبه إلى الكمالات السابقه عليها.

ص: ١٣٣

١- . كما قال تعالى: «وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ» . (التوبه: ٦). [١]

«السَّلام على محالّ معرفه الله» (١)

و فيه سبع نكات:

الأولى: استعملت لفظه «المحالّ» بصيغته الجمع من المحلّ على حسب النسخه المشهوره، وكذا المحلّ في بعض النسخ، والمآل منهما (النسختين) واحد (٢)؛ لأنّ كلّ واحد منهم محلّ معرفه الله أو حلول مراتب التوحيد فيه، كلاهما بالاعتبار الأوّل (المحالّ)، وكلّهم حقيقه واحده من جنس الواحد بالاعتبار الثانى (محلّ)، كما تقدّم نظائره كـ «موضع الرساله» و «معدن الرحمه».

توضيح ذلك: أنّ كلّ وعاء لكلّ أحد من الإنس و الجنّ و الملك لا يسع له حلول المعرفه كاملا في جميع مراتب التوحيد، وإن كان عرشا للرحمان كما روى «... أنّ قلب المؤمن عرش الرحمن» (٣)، سوى أوعيه ذواتهم الشريفه. فإذا كانوا محالّ المعرفه بهذا البيان فإنّ حقيقه التوحيد تظهر و تتجلّى بجميع مراتبها في أفعالهم و خصالهم و أقوالهم، فصفاء قلوبهم

ص: ١٣٤

-
- ١- ليس في إضافه الأوصاف و الكمالات المذكوره في هذا الفصل من الزياره إلى لفظه «الله» غرض خاص، إلاّ- تكون لفظه «الله» الشريفه علما فقط، و إن كانت مستجمعه لجميع الكمالات، و لكن هذا الاستجماع غير مقصود هنا.
 - ٢- ٢) و هو حلول معرفه الله فيهم جميعا أو في كلّ واحد منهم.
 - ٣- ٣) بحار الأنوار ٣٩: ٥٨- الباب الرابع: باب العرش و الكرسيّ و حملتهما. [١]

مثلاً- مظهر لتنزّهه تعالى، و لا-يتهم على الأشياء مظهر لقيوميته جلّ شأنه، و أسماءهم الشريفة المبيّنه كلّ واحد منها عن كمال وجوديّ مظهر لكمال من كمالاته تعالى.

الثانيه:الحالّ و المحلّ متلازمان من حيث الوجود و الأهمّيّه، و لا يمكن أحدهما بدون الآخر، فكون المعرفة (الحالّ) أهمّ حقائق الوجود، ووجب كون محلّها أهمّ المحالّ، و أنت خير بأنّ معرفه الله هي المقصد الأعلى للتكوين و التشريع لأنّها موصله إلى خلافه الله العظمى و كون الإنسان مثلاً- أعلى له تعالى، و هذا كاف في أهمّيّه المعرفة و لزومها، و حاك عن كمال قابليتهم و لياقتهم عليهم السّلام.

الثالثه:الفرق بين الإيمان و التصديق و المعرفة:

أمّا الإيمان فهو إفعال من الأمن، و هو خلاف الريب و التزلزل، و ليس بذى أهمّيّه بالغه؛ و التصديق خلاف التكذيب، و هو أيضا كصاحبه، و مع ذلك فهما حقيقتان إجماليتان قابلتان للزوال، و لكنّ المعرفة بالشىء- مضافا إلى كونها فى الرتبه الأعلى منهما- هي حقيقه تفصيليّه غير قابله للزوال، و القرآن لا يؤكّد على المعرفة كثيرا، بل يؤكّد على الإيمان لما يلزم من تأكّيده بالمعرفه عسر و مشقّه لأ- كثر الناس. و الحاصل أنّهم يكونون محالّ معرفه الله لا محالّ الإيمان به سبحانه؛ لأنّ الإيمان أنزل من المعرفة، فما لم يكن آل البيت عليهم السّلام فى الرتبه الأعلى من الإيمان (المعرفه) لا يمكن لهم دعوه الناس إلى الإيمان.

الرابعه: لا شكّ في كون آل البيت عليهم السّلام محالّ معرفه الله من جهه نفوسهم الشريفه الغير مادّيّه، و المعرفه أيضا حقيقه غير مادّيّه، مع أنّ كلّ من الحالّ و الحلول و المحلّ حقيقه مادّيّه، فيلزم أن نحقق في سرّ هذا الاستعمال الذي تتبادر منه مادّيّه الحالّ و المحلّ. نجيب عن ذلك: بأنّ الإشكال هنا باق على زعم المتكلمين من قولهم بأنّ النفس حقيقه مادّيّه لطيفه في غايه اللطافه، و أنّ المعرفه حقيقه غير مادّيّه فلا يرتفع الإشكال كما قلنا.

و أمّا على قول الحكماء من تجرّد النفوس فيرتفع الإشكال لإمكان القول بمجازيّه هذا الاستعمال، أو القول بأنّ مفهوم الحلول و أخويه (الحالّ و المحلّ) أوسع من متفاهم العرف، فلا ينحصر إذا تحقّق الحلول في المادّه فقط.

الخامسه: إقامه الدليل على كونهم عليهم السّلام في هذا الشأن الشريف:

أولاً: الدليل على ذلك -مضافا إلى الأدلّه الكثيره من النقل- هو أفعالهم الزكيه و أقوالهم المهذبّه و روابطهم الطيبه مع الخلق و الخالق؛ لأنّ كلّ ذلك مبنّى على الاعتقاد، و لا -شكّ في أشرفيّه الاعتقاد بالله و المعرفه به؛ فكلّما كانت المعرفه و الاعتقاد به تعالى أكمل كان كلّ من الفعل و القول و الارتباط مع الغير أزكى و أرضى و أطيب.

ثانيا: أنّ أقوالهم و خطبهم في التوحيد، و احتجاجاتهم مع المنكرين، و إجاباتهم على المسائل التوحيديه التي تنحلّ بها أصعب المسائل

الكلامية و الفلسفة و العرفانية، أدلّ دليل على المدعى، و مع ذلك لم نفضّل القول فى المقام فإنّ لتفصيله محالّ أخرى يعرفها المتتبعون فى التاريخ و الحديث و غيرهما.

السادسه: كيفيه معرفتهم عليهم السلام به تعالى:

إنّ العرفان بالشىء إمّا تحصيلي، و إمّا حصولي، فإن كان تحصيليًا فلا يجمع مع الحلول، لأنّ الحلول يتصوّر مع كونه حصوليًا، فيعلم من كونهم محلًا لمعرفة الله و أنّ معرفتهم عليهم السلام حصوليّة كالبياض للجصّ، فكما أنّ البياض للجصّ غير تحصيلي بل من نفس ذاته، لهذا نطلق عليه أنّه محلّ للبياض، فبهذا يتبيّن سرّ استعمال الإمام عليه السلام المحلّ بدل المكان أو الموضع أو غيرهما.

السابعة: الإجابة عن سؤال، و هو أنّ جميع الناس و غيرهم من المخلوقات الغير شاعره مفطورون بالمعرفة- كما يصرّح بذلك القرآن من تسبيح كلّ شىء لله تعالى- فهو فرع على المعرفة به؛ ينتج ذلك محلّية الشعراء و غيرهم لمعرفة الله، فحينئذ كيف يكون شأن المحلّية امتيازًا لآل البيت عليهم السلام؟

نجيب عنه: أوّلاً، لا ندرى كيفيه تسبيح الأشياء الغير شاعره حتّى نعتقد بأنّ تسبيحها يتفرّع على المعرفة، إذا يخرج كلّ غير شاعر من مورد السؤال، و على فرض دخوله نقول: يحتمل أن لا يكون تسبيح الأشياء

معلوماً لها، لأنَّ الفرق بين الأشياء الغير شاعره و الشاعر هو أنَّ غير الشاعر لا علم له بفعله و فاعليته حتّى بوجوده و سائر شؤونه، و هذا العلم حاصل فى الشاعر و العاقل فقط.

و ثانياً، بين معرفه غير المعصوم بالله و معرفه المعصوم فروق ثلاثه:

١- معرفه غير المعصوم إجمالاً.

٢- معرفته و إن كانت راسخه، لكنّ زوالها- مع ذلك- بعوامل أقوى غير محال.

٣- معرفه المفطورة فى غير المعصوم تكون بالقوه، و لكنّها فى المعصوم تخالف المعرفه فى غيره فى جميع ذلك.

فالحاصل أنّ الإنسان عارف بالله بالقوه فطره (١)، فيجب له أن يسيرها إلى أن تبلغ الفعليه، و لكنّ آل البيت عليهم السّلام هم العارفون بالله بالفعل و لا- يبلغون إليها من طريق السير بالقوه، كما يحكى التاريخ قصه ولاده الإمام على عليه السّلام و قراءته آيات من سوره المؤمنون قبل نزول القرآن بعشر سنين.

فتحصّل أنّ محلّيتهم كهذه المعرفه منحصره فيهم، و هى كمال نفسانيّ لهم، فإذا كانوا هم على هذا الشأن العالى فلا يمكن لغيرهم أن يعرف الله إلاّ بهم و من خلالهم، كما ورد عن الإمام على عليه السّلام: «نحن الأعراف الذين لا

ص: ١٣٨

١- . كما قال رسول الله صلّى الله عليه و اله «كلّ مولود يولد يولد على الفطره» (الكافى ٢: ١٣٣/٤، باب فطره الخلق على التوحيد...). إن لم تكن بالقوه لا تناقضها الآيه الكريمة: «وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا» (النحل: ٧٨). [١]

«و مساكن بركه الله»

و فيه خمس نكات:

الأولى: «المساكن» جمع مسكن، و هو اسم مكان، يقال للموضع الذى يسكن فيه: ساكن، و الساكن هو ما له قرار فى مسكنه، كقوله سبحانه:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا (٢)، و قد تقدّم للبركه معناها اللغوى فلا حاجة إلى التكرار.

الثانية: موارد استعمال «البركه» فى القرآن:

المستفاد من الاستعمالات القرآنيه لهذا اللفظ، هو أنه يطلق على النعم المعنويه الغير مادّيه باعتبار ثباتها، و إن استعمل فى القرآن غباً فى النعم المادّيه، فالغرض منه هو آثاره المعنويه لا نفس المادّيه، كما استعمل فى سوره المؤمنون بعد ذكر مراحل الاستعماليه المادّيه للإنسان: ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (٣)، و إن ترك استعمال البركه فى مادّيه الإنسان و استعمالها بنفخ الروح الغير مادّيه فيه، كقوله سبحانه: تَبَارَكَ

ص: ١٣٩

١- بصائر الدرجات للصفار القمى / ٥١٧ ح ١٦-الباب ١٦ [١] من الجزء العاشر.

٢-٢ (٢). الروم: ٢١. [٢]

٣-٣ (٣). المؤمنون: ١٤. [٣]

الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١). و معلوم أيضا أن نزول الفرقان و كذا كونه سبحانه ملكا، و كون الملك يده، ليسا أمرين ماديين، فيحصل مما ذكر أن الخيرات و الأمور المستعمله فيها البركه فى القرآن، هى أمور معنويه، و لا شبهه فى أن القرآن أفصح الكلام، فيكون استعماله برهانا لنا على المدعى، و هو اختصاص البركه بالمعنويات لكونها ثابتة غير قابله للزوال. و الحاصل أن المراد من كون المعصومين عليهم السلام مساكن بركه الله، هو الأمور و الشؤون و الحقائق المعنويه فيهم عليهم السلام.

الثالثه: بعد ما أتضح لك معنى البركه و مورد استعمالها، تعلم أن الثبات و الدوام مأخوذان فى البركه، فالصلوات التى تقدمها إليهم نسألها من الله لهم أيضا، تكون دائمه، فعلى هذا يمكن كون المراد من كونهم مساكن بركه الله هم مساكن الصلوات الدائمه. و ينبغى هنا نقل حديث نبوى صلى الله عليه و اله فى فضل الصلوات: «أنا عند الميزان يوم القيامة، فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاه على حتى أثقل بها حسناته» (٢)، فإتيان الصلوات عند الميزان دليل على بقائها، و هذا هو معنى البركه.

الرابعه: لا يكون غيرهم عليهم السلام فى هذا الشأن العالى على حد كماله، لتغيره و عدم الثبات فيه، فلا يتناسب الغير ليكون مسكنا للبركات الدائمه؛ للزوم

ص: ١٤٠

١- الفرقان: ١. [١]

٢- ٢. ثواب الأعمال للشيخ الصدوق، باب ثواب الصلاه على النبى [٢] ص ٣٤٤/ ح ١.

التناسب بين الساكن و المسكن، لأنّ الغير مفروض في معرض التلوّن و التغيّر، و بهذا يظهر أنّ بعض الشّراح فسّروا البركه عمدا في المادّيّات، و لكن الحقّ هو ما قلناه، و لا منافاه في كونهم مساكن بركه الله. و كون المراد من البركات هو الحقائق المادّيّه أيضا، و لكن باعتبار آثارها المعنويّه، كما نسأل الله بركه لمال شخص، و ليس المقصود كثره المال، بل المقصود أن يرزقه الله بسبب ماله في الخيرات المعنويّه كالثواب الوافر و الأجر الكبير.

الخامسه: مأخذ هذه الفقره:

مضافا إلى كون هذا الكمال كمالا نفسانيا لهم عليهم السّلام، فإنّ هذه الفقره الشريفه مأخوذه من الآيه الكريمه التاليه: وَ بَارَكْ فِيهَا (١)، فيكون المراد من الأرض (على ما تقدّم من البيان للبركه و مسكنها و تناسب بينهما)، هي أراضى نفوسهم الشريفه (قبال سماوات عقولهم القادسه) (٢).

٢٥

«و معادن حكمه الله»

و فيه سبع نكات:

الأولى: قد تقدّم معنى المعدن فلا حاجه إلى التكرار، و لكن نضيف

ص: ١٤١

١- فصلت: ١٠. [١]

٢- ٢). و يشابه قولنا هذا قول صاحب تفسير «بيان السعاده في مقامات العباده» للجنابذى في تفسير هذه الآيه.

إليه سرّ استعماله مفردا هناك و جمعا هنا، لعلّ استعماله مفردا لإرادته الجنس أو وحدانيته حقيقتهم في النشأ الغائبه عنّا، و تعدّدهم في نشأ الملك الشهود، كما أنشدت في أرجوزه:

تعدّدوا في ظاهر الإنشاء توحدوا في عالم المعناء

لكونهم حقيقه نوريه تجرّدت عن مثل الصوريه

الثانيه: معني الحكمة: ما يناسب ذكره هنا من معانيها الكثيره و تعاريفها العديده هو: «أنّ الحكمة هي القضايا الحقه المطابقه للواقع من حيث اشتمالها بنحو على سعادته الإنسان» (١).

الثالثه: إضافة المعادن إلى الحكمة، و هي يمكن أن تكون لاميه أو بيانيه، فإن كانت لاميه كان معناها: أنهم عليهم السّلام معادن حكمه لله تعالى، و الحكمة على هذا الفرض هي ما تعدّد إحدى صفاته القدسيه، و لا يمكن إعطاؤها إلى الغير، و بهذا الاعتبار تظهر حكمه الله في نفوسهم الشريفة.

فيكونون هم مظاهر هذه الحكمة الذاتيه لله، لكونهم مظاهر لأسمائه الحسنی الأخرى، كالعليم و القدير و غيرهما. فعلى هذا يكون هذا الكمال كمالا نفسانيا، و على التفسير الآتي يكون كمالا فعليا خارجيا لهم، و هو أنّ الحكمة هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليها في نفس الأمر؛ فإن كانت الإضافة بيانيه فيكون آل البيت عليهم السّلام معادن حكمه من الله التي أعطاهم لهم، فتكون إذا حكمه فعليته؛ و بتعبير آخر: فعل حكمه أي إيجادها منه

ص: ١٤٢

١- إطلاق الحكمة على هذه القضايا لاستحكامها و عدم تطرّق عيب أو خلل إليها.

سبحانه فيهم عليهم السلام، و هي الحكمة البشريه التي أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بتعليمها للغير، قال تعالى: وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ... (١).

و الحاصل أنّ حكمته تعالى قسمان: ذاتيه و هي ما يطلق اسم الحكيم باعتبارها عليه سبحانه، و لا تقبل الإعطاء إلى الغير، و فعلية قابله للإعطاء، كما قال سبحانه: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا (٢)، و كقوله سبحانه: وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ (٣)، و لكنّ الإنصاف أنّ فقره تحتل كلا المعنيين.

الرابعة: منابع الحكمة التي هم عليهم السلام معادنها:

إن قلنا بكونهم معادن الحكمة الفعلية، أى كون الإضافه بيانته، فتكون لها منابع: الكتاب، و سنّه النبيّ، و تحديث الملك، و إلهام الله إياهم... و غير ذلك؛ لأنّ الكتاب و السنّه مشتملان على الحكمة بلا ريب، و تحديث الملك و كذا إلهام الله إياهم لا يكونان خلاف الحكمة.

و إن كانت الإضافه لامية تكون معدنيّتهم عليهم السلام لها بنحو ظهور ظاهر فى المظهر، و هذا أنسب لكونهم معدنا لها (كما سبق ذكره)، فهذه الحكمة تكون منشأ للحكمة الفعلية، فلا منافاه فى كونهم عليهم السلام جامعين للحكمتين.

الخامسة: الفرق بين العلم و الحكمة: لا نحتاج فى معنى العلم إلى

ص: ١٤٣

١- الجمعة: ٢. [١]

٢- ٢. البقره: ٢٦٩. [٢]

٣- ٣. لقمان: ١٢. [٣]

تعريف، لأنَّ معناه وجدانيّ، و ما قيل في تعريفه لفظي لا حقيقيّ، و لكنّ مفهوم الحكمة يشمل العلم و العمل أيضاً، فتكون النسبه بينهما هي العموم و الخصوص مطلقاً، و بذلك يظهر الفرق بين كونهم عليهم السّلام خزّان العلم و معادن الحكمة، لأنَّ العلم مخزون فيهم عليهم السّلام، و الفعل المحكم الذي هم معادنه يظهر و يستخرج منهم، كاستخراج الفلزّات من معادنها.

السادسه: انحصار الشّان الشريف بهم عليهم السّلام:

يستفاد من استعمال الإعطاء و التعليم للحكمه و ترك استعمال المعادن لها في غيرهم، أنّ المعدنيّه منحصره فيهم، و لكنّ الآخذين و المتعلّمين لها من غيرهم عليهم السّلام كثيرون، كما قال سبحانه: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا.

السابعه: وجه امتيازهم عليهم السّلام عن غيرهم بهذا الشّان: يقع هنا سؤال و هو:

إن كان المراد من كونهم معادن حكمه الله المعنى الثّاني (الحكمه الفعلية التي هي قابله للإعطاء و التعليم إلى الكلّ)، فكيف يمتازون به عن غيرهم؟

نجيب عن السؤال: بأنّهم يمتازون بوجوه:

الأوّل: أخذهم عليهم السّلام الحكمة من منهلها بغير واسطه، و هو رسول الله صلّى الله عليه و اله، و سائر الناس يأخذونها منهم، فهم عليهم السّلام باقون على مستوى التعليم، و هذه فضيله خاصّه بهم عليهم السّلام.

ص: ١٤٤

الثانى: يكون أخذهم لها من خير الأوعيه و أوسعها و أصفها من الكدر و لا يسع ذلك لغيرهم. و الحاصل أنّ أخذهم عليهم السلام لها باختلاف عن غيرهم بالكَم و الكيف، بحيث لا يمكن قياس الغير معهم فى الجهتين.

الثالث: أنّ فى أخذهم لها مقربيه لا يمكن حصولها لغيرهم؛ لقوّه إخلاصهم فى العبوديه، و للكمال فى عرفانهم بساحه الربوبيه.

٢٦

«و حفظه سرّ الله»

و فيه خمس نكات:

الأولى: أنّ «الحفظه» جمع حافظ، على وزن طلبة جمع طالب، و «السرّ» اسم مصدر. يقترّ الزائر بهذا التعبير بكونهم عليهم السلام حافظين لسرّ الله و يشير فيه إلى كمال فعليّ لهم عليهم السلام؛ لأنّ ترك إفشاء السرّ يكون فعلا و إن كان منفيا.

الثانيه: الغرض من حفظ الأسرار إنّما يكون للصيانه من خطر إفشائها، فينبغى هنا أن يعرف ما الأسرار (١)، و ما الخطر من إفشائها؟

و نجيب عن الثانى (الأخطار): أنّ المفسده التاليه لإفشائها جعلها فى محلّ غير مناسب لها هى تبدّلها أو تغيرها و بالنهايه زوال أصالتها و ذهاب سلامتها، و حيث إنّهم يحفظون الأسرار من أى ضياع و زوال فإظهارهم عليهم السلام إيّاها للكتمين الخّص لا ينافى كونهم حفظه لها.

ص: ١٤٥

١- الإجابة عن هذا ستأتى تفصيلا.

الثالثة: تبين مقدمات حفظها، و هي عبارته عن:

ألف) العلم بالأسرار و تمييزها عمّا ليس سرّاً.

ب) العلم بالأخطار.

ج) العلم بحكمه حفظها و الفائده المترتبه عليه.

د) سعه صدر الحافظ لئلا يضيق أو يتعب من الحفظ.

ه) كون الحافظ حرّاً، و هذه الحرّيه مأخوذه من كلام العرفاء حيث قالوا: «صدور الأحرار قبور الأسرار»، و تعدّ هذه الأخيره من المقدمات لكونها حقيقه و شرطاً في نفس الأمر لحفظ السرّ، لأنّ الشخص ما لم يكن حرّاً عن قيود الأغراض لا يقدر على حفظ الأسرار.

فالحاصل أنّ هذه المقدمات مقدمات عقليه للنتيجه، فعلى هذا أنّ كونهم عليهم السّلام حفظه للأسرار الإلهيه في عينه كمالاً نفسانيّاً، و يكون كاشفاً عن كماله أخرى (المقدمات الخمسه) لهم، فتبين من هذا البيان أنّ بين الأوصاف و الشؤون و الحقائق الكونيه صله كصله بين الأعيان و الهويات العييه، و لا يقف عليها (أى على الصله بين الأوصاف و الشؤون) إلاّ أولو الدرايات و الألباب.

الرابعه: أنّ نظام الوجود (لا النظام المادّي منه فقط)، كان كبحر زخار ملئ بالأسرار، و هي على أقسام:

١) من الأسرار ما تكون وديعه في النشأه المادّيه كالحقائق القابله

و الحاصل أنّ من كونهم حفظه للأسرار (1) يتبين علمهم بجميع ذلك، و لم يفشوها لجهتين:

ألف) لكون الحياه المادّيه فى حاشيه الحياه الحقيقيه الأصيله الإنسانيه، لأنّ الإنسان لم يؤمر بجعل الحياه المادّيه غرضاً نهائياً لخلقه، فآل البيت عليهم السّلام لو أفشوا العلوم المادّيه و نشرها لحصل خلاف المقصود، و لغلبت الحاشيه الفرعيه على المتن الأصلي، و لكانت خلاصه رسالات الأنبياء هى عقائد مادّيه.

ب) و لتنمو القوى و الاستعدادات المودعه فى الإنسان بنفسها و لا- تضيع و لا- تزول، و يكون هذا الارتقاء مقدّمه لرقبه المعنوي، كما قال سبحانه: **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ، يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (٢).**

٢) منها الأسرار المودعه فى الشرائع السماويه على الخصوص فى أوسعها و هى شريعه الإسلام. إنّ جاهلون بأسرار الشريعه إلا قليلا منها، و قد كانت المصلحه فى إخفائها، لأنّ ظهورها جميعا منافع للتسليم لله تعالى، و لا سيّما بالنسبه إلى ضعفاء الإيمان و العقل، و لهذا لا يصلح علم

ص: ١٤٧

١- مع كون اللام، لام الكلّ أو الجنس.

٢-٢. الطلاق: ١٢. [١]

الناس بجمعها لكي يبلغوا مع هذا الجهل بتسليمهم و تعبدهم مراتب العرفان، ولا ينافي علم المعصومين عليهم السلام تسليمهم و تعييدهم لكون إيمانهم و عرفانهم أقوى من أن يتصوّر، و حضورهم لدى الله، و كونهم مع الله، و ظهور صفات الله و أسمائه في أنفسهم غالب على جميع ما سوى الله حتّى على أنفسهم.

٣) و منها الأسرار التكوينيّة الغير مادّيّه، إنّنا جاهلون بجلّها لولا الكلّ، و إن علمنا بعضها بعقولنا الضعيفه فلا يعدّ البعض هو السرّ الحقيقيّ في نفس الأمر، بل يمكن أن يكون في حقيقته خلافاً معلوماً. مضافاً إلى ذلك فإنّ ما علمنا من تلك الأسرار بالنسبه إلى ما جهلنا كنسبه القطره إلى بحر واسع، كسرّ خلقه الشيطان لعنه الله، و سرّ كون آدم في الجنّه، و سرّ إخراجها منها و تعييشه في الأرض، و سرّ توبته إلى الله و قبولها منه عليه السلام، و سرّ سلطه الطواغيت على الأتقياء و غلبه الباطل حيناً بعد حين على الحقّ و أهله، و غير ذلك من الأسرار التي كانت جميعها مقضيات لله سبحانه و مقدّراته؛ فهم عليهم السّلام كانوا عالمين بذلك كلّهم و حفظه له من جهه اخرى. إنّنا لمعترفون بأنّ جميع ما خلق الله هم جنوده سبحانه، كلّهم منقادون لأولياء الأمر و لا أولياء كتمل على الإطلاق لله سبحانه سواهم، إذا يقطع قاتل المعصوم أوداجه المباركه و فعله و آله القطّاعه تحت ولايه المعصوم عليه السّلام الكليّه، و مع ذلك لا يوجد أيّ مانع للخبيث في فعله الشنيع، و لا نعلم ما هو السرّ في عدم تأثير ولايه المعصوم عليه السلام و تركه عليه السلام إرادته القاهره للمنع

و سلب الأثر، و لكن نؤمن بأن ذلك كله موافق للحكمه المطلقه الإلهيه البالغه، و لا- يسع لنا المجال سوى التسليم لما يريدہ الحكيم.

(٤) و من الأسرار الإلهيه أيضا: هي الإشراقات الغيبية الذاتية و الأسمائيه التي تتجلى في نفوسهم الشريفه، فهم كانوا يكتمون تلك الإشراقات، لأن «صدور الأحرار قبور الأسرار»، كما قال الإمام علي عليه السّلام: «بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشيه في الطوى البعيده» (١).

(٥) و من الأسرار التي هم عليهم السلام حافظوها ما يتعلّق بأبناء البشر، حيث إنّ الله تعالى يحفظها بحلمه و رحمته، فلازم مظهريتهم لصفات الله كونهم حفظه لتلك الأسرار. و لا- ينافى كونهم حفظه إفساؤهم عليهم السّلام إيّاها لمن كان له أهليه، كإراءه الإمام الصادق عليه السّلام بواطن الحجيج لأحد أصحابه حين قال له أبي بصير بالأبطح: «...ما أكثر العجيج و الضّجيج، و أقلّ الحجيج! (إلى أن قال): فمسح يده على وجهي و قال: يا أبا بصير، انظر. قال: فإذا أنا بالخلق كلب و خنزير و حمار إلّا رجل بعد رجل» (٢).

الخامسه: أنّ إضافه السرّ إلى الله تحتمل أن تكون لاميه، و هي فيما إذا

ص: ١٤٩

١- نهج البلاغه، الخطبه ٥. [١]الأرشيه: جمع رشاء بمعنى الحبل. الطوى: جمع طويه و هي البئر البعيده العميقه.
٢- ٢). إثبات الهداه ٥/١٠٧: ح ١٠٤ الباب ٢١. [٢]ينبغي على كلّ مؤمن بهم عليهم السّلام و بكونهم حفظه لسرّ الله أن يكون حافظا لأسرار إخوانه المؤمنين، ليكون تابعا لهم عليهم السّلام في ذلك. و إليك الخبر التالي: قال الإمام الرضا عليه السّلام: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتّى يكون فيه ثلاث خصال: سنّه من ربّه، و سنّه من نبيّه، و سنّه من وليّه، فأما السنّه من ربّه فكتمان السرّ...» (أمالى الصدوق / ٢٧٠/ ح ٨-المجلس ٥٣). [٣]

قلنا بأن المقصود من الأسرار هو ظهور أسماء الله و صفاته فيهم، و فيما سوى ذلك تكون الإضافة بياتيه، فتفطن و فرّق بين هذه النكته و بين كونهم عليهم السلام حفظه لسرّ الله من أى نوع من الكمال.

٢٧

«و حملة كتاب الله»

و فيه ستّ نكات:

الأولى: «حملة» جمع «حامل»، كحفظه جمع حافظ، و «الكتاب» بمعنى «المكتوب»، (لا معناه المصدرى) أى الثابت و المقضى و ما يلزم به.

الثانية: بيان حملهم عليهم السلام كتاب الله، و هو يتصوّر كما يلى:

ألف) حمل الأوراق و الصفائف المكتوبه كالقرطاس، فهذا النوع من الحمل كمال لكلّ مؤمن للتبرّك بكتاب الله، لأنّ فيه أثرا تربويّاً، و المؤمن يستحى من فعل القبيح لأنّ مصاحبه كتاب الله، بشرط أن لا يستخفّ به كالإدبار و الجلوس عليه و مسّه على غير طهاره (نعوذ بالله من ذلك كلّه).

و لكنّ هذا الحمل ليس بكمال هامّ لهم، لأنّه يمكن للمنافق أيضاً، فضلاً عن المؤمن العامى، و لهذا أمر أمير المؤمنين عليه السّلام فى قتال الخوارج أصحابه بإلقاء تلك المكتوبات من القرآن على الأرض، لأنّ المنافقين توّسلوا بها لإحياء الباطل و إماته الحقّ و تضييع حقيقه القرآن بأوراقه و صحفه، فلا تبقى إذا حرمه لتلك المكتوبات.

ص: ١٥٠

ب) حمل ألفاظ الآيات و السور و عباراتها اللفظية، و هذا النوع من الحمل أيضا كمال هامّ لكلّ مؤمن، و لكنّه غير مراد فيهم عليهم السّلام لعدم بقاء مّيّز لهم عليهم السّلام عن غيرهم، و إن لم ننظر إلى إيمان المؤمن بكتاب الله لا- يعدّ حفظه كمالا له أيضا، و قد يستطیع المناق ذلك، قال سبحانه: إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (١).

ج) حمل السور مع معانيها اللفظية كما قال الإمام السّجاد عليه السّلام: «كتاب الله عزّ و جلّ على أربعة أشياء: على العبارة، و الإشارة، و اللطائف، و الحقائق.

فالعباره للعوام، و الإشارة للخواصّ، و اللطائف للأولياء، و الحقائق للأنبياء» (٢).

و ليس المقصود من حملهم هذا أيضا عدم امتيازهم به، و إنّما استشهدنا بهذا الحديث لإثبات كون الكتاب ذى مراتب.

د) حمله مع جميع مراتبه المذكوره بالإضافة إلى حقائقه العينية الجارية في الملك و الملكوت و الغيب و الشهود المطابقه لعائمه المكوّنات، لأنّ جميع ما في الكتاب التدوينيّ حقائق علمية منطبقه مع ما في عالم التكوين من حقائق عينية، فكلّ منهما (الحقائق العلمية، و العينية) تنطبق مع صاحبته، و كلّ ما في الكون و كتاب التكوين من الموجودات فهو موجود في الكتاب التدوينيّ بالرمز و الإشارة و التلويح و الكناية.

فالحاصل كونهم حمله لكتاب الله بالمعنى الأخير من الحمل.

ص: ١٥١

١- المائدة: ٢٧. [١]

٢- ٢. بحار الأنوار ٩٢: ٢٠١/ح ١٨- [٢] عن: جامع الأخبار للسبزواريّ ١١٦/ح ٢١١. [٣]

الثالثة: في إمكان هذا النوع من الحمل، لا شك في أنّ الحمل بهذا المعنى ممكن لهم عليهم السلام لتجرّد الحقائق الموجوده في كتاب الله، و لتجرّد نفوسهم الشريفه و سعتها بأوسع ما يمكن للممكن، فتتناسب الظروف مع مطروفاتها، و الأوعيه مع محتواها، فيثبت هذا الحمل بالكشف و النقل.

أمّا الكشف فهو كما يلي: قال السيد حيدر الآملي فيما كشف له: «و الله، لو صارت أطباق السماوات أوراقا، و أشجار الأرضين أقلاما، و البحور السبعه- مع المحيط- موادّ، و الجنّ و الإنس كتابا، لا يمكنهم شرح عشر من عشر ما شاهدت من المعارف الإلهيه و الحقائق الربانيه، الموصوفه في الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر» (١)، المذكوره في القرآن: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢). و لا يتيسر لهم بيان جزء من أجزاء ما عرفت من الأسرار الجبروتيه و الغوامض الملكوتيه المعبر عنها في القرآن بما لم يعلم لقوله تعالى: اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٣)، المومي إليها (أيضا) بتعليم الرحمن؛ لقوله تعالى: الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)، المسّماه

ص: ١٥٢

١- .بحار الأنوار ٩٢: ٨-الباب ٢٣- [١] الجنّه و [٢] نعيمها...

٢- ٢. السجده: ١٧. [٣]

٣- ٣. العلق: ٣-٥. [٤]

٤- ٤. الرحمن: ١-٤. [٥]

بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَبِيدُ وَلَا تَنْفَدُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١)، و لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢) « (٣).

و هذا انكشاف آخر وقع للعارف الرباني الحاج ملا فتح على الأراكتي، حيث رأى رسول الله صلى الله عليه و اله في المنام، رأى وجهه المبارك نيرا و نقطه خاصه منه أنور من بقيه وجهه الشريف، فتوجه بدقه إليها، و كلما نظر إليها بدقه توسع نورها حتى ملأ الخافقين، فيلهم بعد انتباهه بحقائق خفيه كثيره من القرآن، فهذا هو الرجل الذي فسّر آيه من القرآن بعشرين معنى في عشرين ليله.

و أما النقل كقوله سبحانه: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (٤).

الرابعه: يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنَ كِتَابِ اللَّهِ أُمُورًا:

ألف) هو القرآن.

ب) هو مع سائر الكتب السماويه.

ص: ١٥٣

١- الكهف: ١٠٩. [١]

٢-٢. لقمان: ٢٧. [٢]

٣-٣. جامع الأسرار و منبع الأنوار، ص ٦.

٤-٤. العنكبوت: ٤٩. [٣]

ج) جميع الكتب السماويّه مع الكتاب التكوينيّ، أى العالم كلّهُ.

د) جميع ذلك بالإضافة إلى الألواح السماويّه (كاللوح المحفوظ و لوح المحو و الإثبات) و هى التى تندرج فيها المقضيات و المقدّرات الإلهيتان.

ه) جميع ما سبق بالإضافة إلى نفوسهم الشريفه، و لا يشكل هنا اتّحاد الحامل و المحمول، لأنّهما يتغيّران بالاعتبار، كما نقول: أيّها الإنسان! أنت عاقل لبيب، فكما لا يشكل الأمر هنا من حيث كون المخاطب و المخاطب به متّحدين، و كما لا ينجز الأمر إلى محال فكذلك هناك.

فالحاصل أنّ نفوسهم باعتبار تكون كتابا محمولا و باعتبار آخر تكون حامل الكتاب، فيرتفع الإشكال. و محصّل القول تتأيد جميع الأقوال بإطلاق الكتاب، لأنّ الكتاب هو الذى تندرج فيه الحقائق، فيلزم إذا القول بسعه مفهوم الكتاب.

الخامسه: الاستدلال على المراد: يدلّ على ذلك نظير قوله تعالى: فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ (١)، فإذا ثبت بما تقدّم أنّهم عليهم السّلام آل إبراهيم، فيثبت المراد هنا بهذه الآيه الكريمه، مضافا إلى لونها من المصطفين الأخيار، قال تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٢).

السادسه: أنّ حمل الكتاب-على ما سبق بيانه- يكون كاملا نفسائيا

ص: ١٥٤

١- النساء: ٥٤. [١]

٢- ٢. فاطر: ٣٢. [٢]

لهم عليهم السلام ولا يشاركونهم فيه أحد؛ والدليل على عدم مشاركته أحد لهم فيه هو أن سليمان عليه السلام قال: يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا؟ (١)، قال الذي عنده علم من الكتاب: ٢ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ . (٢) ترى أنه ليس بعالم على كل الكتاب بل كان له منه نصيب؛ ولكن يقول تعالى في موضع آخر:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، ترى أن هؤلاء كانوا ورثته لجميع الكتاب لا بعضه، فكم من فرق بين من هو عالم بالكتاب كله ومن هو يعلم بعضه؛ وهذا الفرق جار في سعة أثر هذين العلمين، ويقول تعالى أيضا: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٣).

فالحاصل أن المراد من العالمين بالكتاب كله وورثته وحملته هم آل البيت عليهم السلام، كما جاء في (الكافي) و(الخرائج) و(تفسير العياشي) عن الباقر عليه السلام: «إِنَّا نَا عَنِ» (٤)، وفي تأويل هذه الآيات روايات أخر بهذا المضمون؛ فيكون هذا الشأن كاملا خاصا بهم، ولا نصيب فيه لغيرهم.

ص: ١٥٥

١- النمل: ٣٨، [١] بعرشها أي: عرش ملكه سبأ.

٢- ٣. النمل: ٤٠. [٢]

٣- ٤. الرعد: ٤٣. [٣]

٤- ٥. تفسير الصافي للفيض الكاشاني ٣: ٨٨٠- [٤] ذيل الآية ٤٣ من سورة الرعد المباركة.

«و أوصياء نبى الله»

و فيه ثلاث نكات:

الأولى: يذكر الزائر هنا كمالاً - فعلياً خارجياً لهم عليهم السلام و هو شأن الوصاية، و من تصريحه بشأن الوصاية لهم يظهر اختصاص هذه الزيارة الشريفه بالأئمة عليهم السلام دون رسول الله صلى الله عليه و اله و دون الصديقه الطاهره (عليهما و آلهما السلام)، و لعلّ سراً هذا الاختصاص هو عدم اختلاف الأئمة فى رسول الله صلى الله عليه و اله و عدم شأن ظاهرى متعلق بالأئمة فى الصديقه، و وجود شأن الإمامه للأئمة مع اختلاف الأئمة فيه (فتدبر).

الثانية: الأوصياء جمع الوصى، كالأنبياء جمع النبى (١)، و يلزم هنا توضيح معنى الموصى و الوصى و الموصى به و الموصى له، فالموصى هو رسول الله صلى الله عليه و اله و يمكن أن يكون المراد من نبى الله هنا جنس النبى (لا- خصوص النبى الخاتم صلى الله عليه و اله) كما فى زياره الوارث، حيث نسبت وراثه آدم و نوح و إبراهيم و غيرهم عليهم السلام إلى مولانا الحسين عليه السلام، و مفاد أدلّه كثيره من عدم اختصاص وصايتهم عليهم السلام للرسول الخاتم يؤيد ذلك، و قد سبق شرح فقره «و ورثه الأنبياء» (فى الفصل التاسع عشر) و هو أيضا مؤيد لذلك، و يقتضيه العقل أيضا، لأنهم إذا كانوا أوصياء للنبى الخاتم يكونون بتوسطه صلى الله عليه و اله

ص: ١٥٦

١- قد تقدّم البحث فى باب النبى و النبوه فى أول الزيارة الشريفه، فلا نعيده.

أوصياء لجميع الأنبياء، لكون دين الأنبياء واحداً، والتفاوت و التفاضل إنما هو في الشرائع، مضافاً إلى أنّ تعيين الوصى سنّه جاريه بين جميع الأنبياء، فلا يستثنى النبي الخاتم منهم، فيلزم إذا تعيينه أوصياءه عليهم السلام بأمر الله تعالى.

فالحاصل أنّهم أوصياء جميع الأنبياء بلا واسطه بالنسبه إلى الخاتم أو معها بالنسبه إلى غيره من الأنبياء، فيلزم تصريح الأنبياء أو تلويحهم على وصايتهم عليهم السلام كما قدّمنا نظير ذلك في ما سبق، كما أوصى المسيح بنبوّه النبي الخاتم في قوله سبحانه: يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ (١)، فكون إيصائهم و إخبارهم في نبوّه النبي الخاتم يلزم إيصائهم في وصايه آل البيت عليهم السلام؛ لأنّ وصايه آل البيت عليهم السلام تكون من لوازم النبوّ الختميه، و التفريق بين الشئ و لوازمه قبيح لا يرتكبه نبيّ.

و أمّا «الموصى به» فهو أمور:

ألف) تفسير كتاب الله و بيان مراده سبحانه.

ب) إجراء الحدود الشرعيّه.

ج) الرئاسة على الأمّة.

د) منع الظالم عن ظلمه، و الانتصاف للمظلوم.

و أمّا «الموصى له» (و هو غرض الوصيّه)، فهو تحقيق أغراض رساله و غاياتها من: إقامة القسط، و تربيّه الناس و إنقاذهم من الضلاله و الجهاله،

ص: ١٥٧

١- الصّف: ٦. [١]

و حثّهم على عباده الله وحده، و وضع الأغلال و العسر عنهم، و غير ذلك، و غاية الأمر تحصيل رضا الله سبحانه و التقرب إليه.

الثالثة: توضيح كلّ نسبه لهم إلى رسول الله صلّى الله عليه و اله، لتبيين معنى الوصايه متميزه عن النسب الأخرى:

ألف) الوزاره، مورد الوزاره هو ما إذا كان الوزير و من ينتخبه للوزاره حاضرين، و يتحمّل الوزير إذا أثقل الأمور و مهامها، لأنّ الوزير و الوزاره من «الوزر» بمعنى «الثقل»؛ فمعنى كون عليّ عليه السّلام وزيراً لرسول الله صلّى الله عليه و اله هو تعهّده للمباشرة بأمواره، كما قال سبحانه (حاكيا عن قول موسى عليه السّلام):

وَ اجْعَلْ لِي وَ زِيْرًا مِّنْ أَهْلِيْ * هَارُونَ أَخِيْ * أَشَدُّ بِهِ أَزْرِيْ * وَ أَشْرِكُهُ فِيْ أَمْرِيْ (١). ترى أنّ موسى و هارون عليهما السّلام يؤمران معا بدعوه فرعون و قومه، و لا اختصاص لهذا الأصل بهما، بل يشمل الرسول و عليّ؛ لقوله صلّى الله عليه و اله لعليّ عليه السّلام: «أنت منّي بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى» (٢)، فحديث المنزله يعمّ شأن الوزاره أيضا لعليّ عليه السّلام.

ب) الخلافه، و هي ما إذا كان المستخلف غائبا (إمّا بوفاه أو بسبب آخر) و الخليفه حاضرا، فواضح كون عليّ عليه السّلام خليفه عن رسول الله صلّى الله عليه و اله بعده، و يدلّ عليه أخبار كثيره منها «أنت الخليفه من بعدى» (٣).

ص: ١٥٨

١- طه: ٢٩-٣٢. [١]

٢-٢. الخصال ٣١١/ ح ٨٧-باب الخمسه، و مصادر و فيره جدّا.

٣-٣. بحر المعارف، الطبعه الحجرية ص ٣٧٩. [٢]

ج) الولايه، و المراد منها هو الأولويّه في التصرّف بعد النبيّ (و لا حاجه لنا إلى المعاني الأخرى من مادّه «وليّ»)، فقد قال سبحانه: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (١)**.

د) الأخوّه، و معنى الأخوّه واضح، و الأخوّه بين رسول الله و عليّ (عليهما و آلهما السلام) أوضح؛ لأخبار كثيره مع شمول حديث المنزله المتقدم للأخوّه أيضا.

ه) الإمامه، و المراد منها في الإسلام التقدّم على الأئمّه، فصاحبها يقف أمام الأئمّه و الأئمّه تأتمّ به.

و) الوصايه، و المراد منها (على معناها المتبادر بين العموم)، هي ما إذا مات الموصى و كان صاحب الوصايه حيّاً، و الشاهد على وصايه الأئمّه عن رسول الله صلّى الله عليه و اله كثير في الأخبار و قد صارت وصايتهم ضروريّه في مذهب الشيعه لتكاثر الأخبار فيها، و لا يلزم محال فيما إذا كان بين الموصى و الوصيّ بعد زمانيّ، كوصايه الإمام الرضا عن رسول الله (عليهما و آلهما السلام)؛ لعدم وقوع الانقطاع في أمر الوصايه بعد موت النبيّ صلّى الله عليه و اله.

ص: ١٥٩

«و ذرّيه رسول الله صَلَّى الله عليه و اله، و رحمه الله و بركاته»

و فيه أربع نكات: (١)

الأولى: التكرار يفيد التذكار، و هو يستفاد هنا أيضا من عدم دخول رسول الله صَلَّى الله عليه و اله في عداد المزورين عليهم السلام في هذه الزيارة الشريفه، و لا شكّ في كون المراد من رسول الله صَلَّى الله عليه و اله هو محمّد صَلَّى الله عليه و اله لا غير، أى لا يشمل لفظ رسول الله صَلَّى الله عليه و اله إبراهيم عليه السلام مثلا و الأئمّه عليهم السلام، سوى أبيهم على عليه السلام كانوا ذرّيه له، فإطلاق الذرّيه عليهم يشمل عليا عليه السلام من باب التغليب مع أنّه ابن عمّه صَلَّى الله عليه و اله.

الثانية: في بيان كونهم ذرّيه له صَلَّى الله عليه و اله، الذرّيه هي أولاد الابن لا- البنت، فالأئمّه عليهم السلام (سوى على عليه السلام) هم أولاد بنت له صَلَّى الله عليه و اله، فلا يعدّون أولاده فضلا أن يكونوا ذرّيه له، و الجواب عن الإشكال هو أن القرآن يصحّح بل يثبت كون أولاد البنت ذرّيه، كما عدّ عيسى عليه السلام ذرّيه لإبراهيم عليه السلام على ما في سورة الأنعام، مع أنّه ولد من غير أب، بل كانت نسبته إلى إبراهيم عليه السلام من طريق أمّه. فيثبت بإطلاق القرآن أن الذرّيه تطلق على ولد البنت أيضا، كما قال تعالى: وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ، كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٢)،

ص: ١٦٠

١- في توضيح معنى الذرّيه تراجع النكته الخامسة من الفصل الأوّل.

٢- (٢). الأنعام: ٨٥. [١]

و يقول الله تعالى فى الآيات المتقدمه على الآيه الشاهده: وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كَلَّا هَـ دَيْنَا وَ نُوحًا هَـ دَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُـلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ، وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١). ترى تصريحه سبحانه بكون المذكورين ذريته، و عطف عيسى عليهم عليهم السلام، فيثبت المطلوب بكون أولاد البنت ذريته، و هكذا يثبت أنهم أبناء رسول الله صلى الله عليه و اله من خلال الآيتين التاليتين:

١- فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ (٢)، اتفق المفسرون على أن المراد من الأبناء فى الآيه هو الحسنان عليهما السلام.

٢- حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بنَاتُكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ خَالَاتُكُمْ وَ بنَاتُ الْأَخِ وَ بنَاتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ رِبَائِيكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَضْلَابِكُمْ (٣).

و الحاصل من الآيه أن حرمة تزوج رسول الله صلى الله عليه و اله من زوجه كل واحد من الأئمه تثبت أنهم عليهم السلام أبناءه صلى الله عليه و اله، و يشهد على المراد ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «دخلت على الرّشيد... ثم قال: لم جوزتم للعامة و الخاصه أن ينسبواكم إلى رسول الله صلى الله عليه و اله و يقولون لكم: يا بنى رسول الله صلى الله عليه و اله

ص: ١٤١

١- الأنعام: ٨٤. [١]

٢- ٢. آل عمران: ٦١. [٢]

٣- ٣. النساء: ٢٣. [٣]

و أنتم بنو عليّ و إنّما ينسب المرء إلى أبيه، و فاطمه إنّما هي و عاء و النّبىّ جدّكم من قبل أمّكم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين! لو أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و اله نشر فخطب إليك كريمتك، هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحان الله! و لم لا أجيبه؟! بل أفخر على العرب و العجم و قريش بذلك. فقلت: لكنّه صلّى الله عليه و اله لا يخطب إليّ و لا أزوجه، فقال:

و لم؟ فقلت: لأنّه صلّى الله عليه و اله ولدنى و لم يلدك، فقال: أحسنت يا موسى! (١).

الثالثة: فى بيان هذا الشأن ميّزه لهم عن غيرهم، فنقول: يتقوّم كلّ امتياز بثلاثة أشياء و هي: الممتاز، و الممتاز به، و الممتاز منه. فكونهم عليهم السّلام ذريّه هو امتياز لهم، و الممتاز به كلّ واحد من الأئمّه، و يكون الناس الممتاز منهم، فكونهم عليهم السّلام ذريّه أحد امتيازاتهم، و هو كمال عرضيّ؛ فعلى حسب قاعده فلسفيّه من انتهاء كلّ عرضيّ إلى ما فى الذات فهو مطلوب، و إن لم ينته إلى كمال ذاتيّ لا- يعدّ كمالاً- أصلاً، و لكنّ الحقّ أنّ كونهم ذريّه كان كمالاً- عرضيًّا منتهيًا إلى الذاتيّ و هو ذات الرسول الشريفه. فالحاصل أنّ هذا كمال عرضيّ انتهى إلى الذاتيّ و هو مسانخه ذاتيه بينهم و بين الرسول صلّى الله عليه و اله، لأنّ الرساله الإلهيه كانت كمعلوله، و علّتها الطهاره و العصمه الذاتيتان، و سعه العلم و المظهرية لأوصاف الإلهيه، و الولايه التامه و الخلافه الكبرى و الإلهيتين، كلّ ذلك كمالات ذاتيه انتهت إلى كونهم ذريّه بحيث لو لم تكن تلك الكمالات فى نفس الرسول صلّى الله عليه و اله لم تكن الرساله، إذا لم يعدّ شأن الذريّه كمالاً لهم؛ فالحاصل أنّ هذا الكمال كان

ص: ١٤٢

١- عيون أخبار الرضا عليه السّلام، ٨٣: ١-٨٤/٩-الباب ٧، [١] جمل من أخبار موسى بن جعفر عليهما السّلام.

كمالا خارجيًا غير فعليّ لهم.

الرابعة: تكرار الرحمة والبركة هو إشارة الزائر إلى كونه عارفاً بكمالاتهم و طالباً للرحمة والبركة من الله لهم في مختتم كلّ فصل من الزيارة.

تذنيب

يمكن أن يكون هذا الفصل من الزيارة مجمعا لشرائط الحجّية التامة لله على عامّة البشر في جميع العوالم والنشآت، فالحجّية العامّة كهذه لا تتحقّق إلاّ بالكمالات الآتية:

الأوّل: يجب أن تحلّ فيه معرفه الله على معناها الصحيح، وتترتّب على هذا (على حلول المعرفه) بركات، ولا يمكن ذلك إلاّ بكون الحجّيه (من الأشخاص) معدنا للأفعال والأقوال المحكمتين، ويمتنع كون أقواله وأفعاله هكذا إلاّ بحفظه للأسرار، حتّى لا تختلّ الحكمه في أفعاله وأقواله بإضاعه الأسرار، ولا يتحقّق هذا الأمر إلاّ بكونه حاملا لكتاب الله ومعناه وتفسيره وتأويله وغير ذلك، ويجب أن تكون الحجّيه كهذه متأيّده بكون صاحبها وصيّاً للنبيّ، وتكون وصايته بكون الوصيّ من ذرّيّه الرسول صلّى الله عليه وآله.

ص: ١٤٣

«السَّلام على الدَّعاه إلى الله»

و فيه خمس نكات:

الأولى: «الدعاه» جمع الداعي، كالقضاء جمع القاضي. إنَّ استعمال الاسم (دعاه) بدل الفعل (يدعون) هنا و في كلِّ مورد شبيه بهذا كالفقرات التالية: «و الأدلاء و المستقرين و التامين و المخلصين و المظهرين و المكرمين» يدلُّ على الثبات و الدوام، و ليس ذلك في استعمال الفعل.

الثانية: قد تقدّم في الفصل الحادى و العشرين تفسير «و الدعوه الحسنى» و هى تشبه مضمونا هذه الفقرة الشريفه، و لكن بينهما فرق من جهتين:

الأولى: يَحتمل أن يكون المراد من «الدعوه الحسنى» هو المبالغه فى كونهم داعين من حيث استغراقهم فى الدعوه إلى الله و أمّا فى هذه الفقرة فالمبالغه غير منظوره، بل ينظر إلى كونهم فاعلين للدعوه فقط، فعلى هذا يكون هذا الشأن كمالا فعليا لهم.

الجهه الثانيه: يمكن كون المراد فى «الدعوه الحسنى» أن يكون آل البيت عليهم السَّلام أنفسهم، فعلى ذلك يكون هذا الشأن كمالا نفسائيا لهم، أمّا هذه الفقرة فمشيره إلى كمال فعلى، و إن قلنا بالمبالغه فى ما سبق فتكون تلك مشيره إلى حسن فاعلى، و فى هذه إشارة إلى حسن فعلى، و الحسن

الفعليّ متفرّع على الحسن الفاعليّ، كما قيل: «لولا- الكمال الذاتيّ للفاعل لما صدر من الفاعل فعل كماليّ. وبتقرير آخر، تلك الفقرة تبين حسنا وصفيًا لهم، وهذه مبيّنة لحسن فعليّ. والحاصل: إذا كان آل البيت عليهم السّلام مستغرقين في الدعوه، صارت الدعوه صفه حسنه لهم، ينشأ منها فعل حسن.

الثالثه: الفرق بين المعصومين عليهم السّلام و غيرهم من الداعين:

يمكن لغير المعصوم أن يكون داعيا إلى الله بعلمه و عمله و قوله كما قال سبحانه: **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَ قَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١)**، و قال الإمام الصادق عليه السّلام: كونوا دعاه للناس بغير ألسنتكم (٢).

فلا يختصّ هذا الشأن الشريف بهم. إذا ينبغي ذكر الفرق بينهم و بين غيرهم من الداعين، فنقول: نعم، لا ينحصر الشأن بأصله فيهم عليهم السّلام و لكن للشأن خصوصيات توجب الانحصار فيهم.

ألف) كون دعوتهم على بصيره، كما قال سبحانه مخاطبا للنبيّ صلّى الله عليه و اله:

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي (٣)، فكلّ دعوه كهذه قد صدّقها الله بكونها على بصيره لتقارن العصمه في ناحيه العلم بالدعوه، أى لا يعرض للداعى خطأ علميّ. و أنت ترى، لا يمكن لغير المعصوم كالعالم

ص: ١٦٥

١- فضّلت: ٣٣. [١]

٢- ٢. الكافي ٢: ٧٨/ح ١٤-باب الورع.... [٢]

٣- ٣. يوسف: ١٠٨. [٣]

أن يكون داعياً مصاحباً للعصمه، إذ يعرض له الخطأ و النسيان و تشبهه عليه الأمور، و غير ذلك من التوالى. فعلى هذا يمكن وقوع التخالف بين ظاهر دعوته غير المعصوم التي تكون إلى الله، و باطنها التي تكون إلى غير الله حقيقته لعروض الخطأ أو النسيان في العلم، يقول سبحانه: **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١)**، و **دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا (٢)**، و يحتمل كون الدعوه المذكوره في هذه الآيه الكريمه أن تكون في ناحيه العمل. إذا المعصوم عليه السلام كما لا يعرض خطأ أو نسيان على علمه و هكذا لا يخطأ في عمل دعوته.

ب) أن دعوته غير المعصوم إلى الله مندوبه و فضيله غالباً و للمعصوم عليه السلام فريضه واجبه لما تقتضى النبوه أو الإمامه، و لا يقاس مندوب مع واجب.

الرابعه: أن دعوته المعصوم عليه السلام على أنحاء، فمنها: الدعوه بالحكمه، حيث تكمل بها النفوس القابله و تبلغ إلى يقين علمي (علم اليقين)، و قد تكون من طريق الكشف، بأن يكشف المعصوم عليه السلام لمخاطبه حقيقه من الغيب برفع الحجاب عن بصيرته، لتبلغ القوابل إلى اليقين العيني (عين اليقين)، كما فعل مولانا الحسين عليه السلام في ليله عاشوراء لأصحابه المستشهدين، حيث أراهم مكان كل واحد منهم في الجنه على حسب

ص: ١٦٦

١- الفتح: ٨. [١]

٢- ٢. الأحزاب: ٤٦. [٢]

المنقول، و منها دعوته عليه السّلام بالقول و العمل و الطاعة و التقوى، فتكون الدعوه إذا الدعوه بالعمل.

الخامسه: إن قيل: الدعوه إلى الغيب المطلق أمر مستحيل، و هو تعالى غيب مطلق بحسب الذات، فلا- تسع كنهه العقول و لا العلوم، فكون الدعوه إلى الله محال ثان، و يكون المعصومين عليهم السّلام داعيا إليه محال ثالث.

نجيب عنه بجوابين:

الأوّل: أنّ الدعوه هي الدعوه إلى معرفه وجوده سبحانه و وجود صفاته تعالى، فهو أمر ممكن بل المأمور به، و هو أعظم التكليف، و غايه الخلق لا إلى كنه ذاته أو كنه صفاته تعالى، فالحاصل أنّ الممكن غير المحال، و هم عليهم السّلام يدعون إلى الممكن.

الثاني: أنّ المعصوم عليه السّلام يكشف الحقيقه للقابل برفع الحجاب عن عينه كما قلنا، إذا يبلغ العبد إلى مقام الفناء في الله و اندكاك ذاته في ذاته تعالى (و إن حصل له البقاء بالله)، فيصير وجهه الباقي، كما قال سبحانه: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (١)، فلهذا النوع من العرفان لا- يمكن التقرير و لا- البرهان، لأنّه يحصل بالوجدان. فالحاصل أنّهم يدعون إلى الله بكلام المعنيين: برهانّي و عرفانّي.

ص: ١٦٧

«و الأدلاء على مرضاه الله»

و فيه ثمانى نكات:

الأولى: «الأدلاء» جمع «دليل»، كالأخلاء جمع خليل، و«المرضاه» مصدر ميمى (و ليس جمعا) و كان أصله «مرضى» كمخوف، قلبت ياؤه ألفا و تاؤه مصدرية.

الثانية: كونهم أدلاء يتأيد بما ورد عن مولانا الرضا عليه السلام: «الإمام الماء العذب على الظماء، و الدال على الهدى، و المنجى من الردى» (١)، و هو كمال فعلى خارجى لهم؛ لأن الدلالة على مرضاته تعالى كانت من مقوله الفعل و إن كانت حاكية عن كمال فاعله.

الثالثة: الدليل (اصطلاحاً)، هو ما يلزم من العلم به العلم بشىء آخر، كالعلم بالدخان الذى يلزم منه العلم بالنار. فمعنى كونهم أدلاء هو لزوم علمنا بمرضاه الله من علمنا بهم عليهم السلام، و هذا إنما يصح فيما إذا كان الأمر معقولاً أو ينشأ من معقول، و إلا فمع كونهم أدلاء تفوق العقول فلا يمكن العلم بهم، فضلاً عن العلم بمرضاه الله من طريقهم، كما أن دلالة الدخان على النار أمر قابل للإدراك، و الحاصل أن لكونهم أدلاء دلائل كثيرة من

ص: ١٦٨

١- الكافى ١: ٢٠٠/١ ح ١-باب نادر جامع فى فضل الإمام و صفاته. [١]

الرابعة: الفرق بين الدلالة و الهدايه و الدعوه:

إن كان المراد من الهدايه (1) هو إراءه الطريق، تكون الهدايه قريبه المعنى من الدلاله، فيكون معنى كونهم أئمه الهدى هو معنى كونهم أدلاء، و إن فسّرناها بالإيصال إلى المطلوب تكون ذات فرق مع الدلاله، لأنّ الهادى هو الآخذ بيد الطالب الموصل إلى مطلوبه.

و أما الفرق بين «الدلالة» و «الدعوه» أيّتهما متقدّمه على الأخرى؟ فنقول: الدلاله مسبوقة للدعوه، لأنّ الإنسان على ما توجهه طبيعته الضالّ الطاغيه ساكن مسكن الشرك و الكفر، فيلزم أن يدعى بسبب داع، فإن قبل الدعوه و تحرّك، لزمه دلالة الدليل ليعرّفه الطريق إلى المقصد؛ لأنّ الإنسان الطبيعيّ جاهل بحريم القرب و منزل الأُنس، فتبيّن تقدّم الدعوه و الداعى على الدلاله و الدليل، فعلى هذا راعى الإمام الهادى عليه السّلام هنا الترتيب الطبيعيّ فى ذكر «الدعاه إلى الله» قبل «الأدلاء على مرضاه الله».

الخامسه: أنحاء دلالتهم عليهم السّلام:

الدلاله على ثلاثه أنواع: مطابقى، و التزامى، و تضمّنى.

فالمطابقى هو دلالة تمام الدليل على تمام المدلول وضعا، كدلاله زيد على تمام الشخص المعين من غير تجزئه فى اللفظ أو الشخص،

ص: ١٦٩

والتضميني هو ما يدلّ جزء اللفظ على جزء المسمّى، كالناطق الدالّ على نطق الإنسان، والتزاميّ هو ما إذا دلّ الدليل على خارج المعنى من المدلول، كالحاتم الدالّ على الجود التزاماً، فكون المعصومين أدلاءً بالمطابقه بمعنى أنّ أوامرهم و نواهيهم بالقول دلالات تامّيات على مرضاه الله من غير تقييد و لا تخصيص و لا تفريق لغوا، بحيث يقولون شيئاً لم يقولوا لازمه أو ينسوه، مثلاً إجابتك على سؤال الإنسان ما هو بالناطق، إجابته ناقصه، لتركك ذكر الحيوان؛ و دلالتهم بالفعل و الترك دلالة تضمينيّه، لأنهم بأنفسهم مكلفون بالفعل و الترك لوظيفه العبوديّة لله، و لم يضع واضح لغويّ صلاه المعصوم عليه السلام و إنفاقه لغير المعصوم، و الناس مأمورون باتّباعهم كما قال سبحانه: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١).

و أمّا إذا عمل عامل فعلاً من عند نفسه ثمّ أيده المعصوم عليه السلام و أمضاه، يكون تأييد المعصوم عليه السلام و إمضاؤه دلالة التزاميّة؛ لأنّه خارج المعنى، فيكون عمل هذا الشخص مدلولاً، و تأييد المعصوم عليه السلام دالاً، و الحاصل يكون العمل مرضياً لله تعالى و مشروعاً و إن لم يشرّع، فتبيّن مشروعيتّه العمل من الخارج بتأييد المعصوم عليه السلام. فتحصل كونهم أدلاءً بالأقسام الثلاثة للدلالة، و على هذا نعتقد أنّ تقرير المعصوم عليه السلام حجّه كما كان كلّ

ص: ١٧٠

من فعله و قوله حجّه، و لا منافاه بين كونهم أدلاء بأنفسهم (كما قال النبيّ «صلّوا كما رأيتموني أصليّ» (١)) و بين كون أقوالهم و أعمالهم أدلاء، لإطلاق الدليل عليهم حقيقه، و على أقوالهم و أفعالهم مجازا، أو بالعكس.

السادسه: بيان حاجه الناس إلى دلالة آل البيت عليهم السّلام: الضلاله مطبوعه للناس، كما قال سبحانه: وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٢)، فيحتاجون إلى الدلاله ليهدوا بالأدله من الضلاله، و الذين يضلّونهم في الجاهليه (قبل الإسلام) هم الشياطين الجيّئه (٣) و بعد الإسلام هم الشياطين الإنسيه أيضا، ففي الجاهليه كانت الأنبياء حجّه تامه لهم، و لكن بعد الأنبياء خصوصا بعد خاتمهم (عليه و آله السلام) كانت الحجّيه تامه لهم، و مراد الشياطين الإنسيه هو إضلال الناس بعد مجيء الحجّيه و العلم، فالأئمّه عليهم السّلام يصدّونهم عن هذا النوع من الضلال.

السابعه: توضيح مرضاه الله (و هي مدلول عليه):

المسائل العارضه للإنسان على ثلاثه أنواع:

ألف) الموافقه للعقل، كحسن العدل و قبح الظلم.

ب) المخالفه للعقل، كقبح العدل و حسن الظلم.

ص: ١٧١

١- غوالي اللآلي ٣/٨٥ ح ٧٦-باب الصلاه. [١]

٢-٢. الضحى: ٧٠.

٣-٣. و إن قيل مع وجود الشياطين الإنسيه في العصر الجاهليّ: لما ذا خصّ الجيّئه بالذكر؟ نجيب: من باب تغليبهم على الإنسيه.

ج) المسائل الفائقة على العقل، كأكل لحم الخنزير و التيمم على التراب.

فالمراد من كونهم عليهم السلام أدلاء على مرضاه الله هو النوع الثالث من المسائل، لأنّ الأوّلين (العقائد و الأخلاق) من المدركات العقليّة، و لا- تحتاج المدركات العقليّة إلى دليل، و لكنّ النوع الثالث (الفائقة على العقول) يحتاج فيه إلى الدليل، لأنّ الإنسان بما هو غير قادر على معرفه ب«مرضاه الله» تفصيلا، كما قال تعالى: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (١)، وَ عَلَّمَكْ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ (٢)، فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٣)، فيحتاج إلى الدليل، و لا يمكن لغير المعصوم أن يدلّ على حقائق النفس الأمرية (مرضاه الله) الحقيقيه.

الثامنه: بيان صلّه هذه الفقره بسابقتها:

مفاد الفقره المتقدمه (الدعاه إلى الله) هو تكميل القوه النظرية، و هذه الفقره المبحوث عنها هي تكميل القوه العمليه؛ و بتعبير آخر: الأولى:

لحصول الكمال في قوه العلامه، و هذه (الدلاله) لحصول الكمال في قوه العمّاله، اللتين هما كجناحين للإنسان، ليطيّر بهما من مسكن الطبيعه إلى مجلس الربانيين المؤكّدين في القرآن، من الأولى بالإيمان، و من الثانيه

ص: ١٧٢

١- .العلق: ٥. [١]

٢-٢. النساء: ١١٣. [٢]

٣-٣. البقره: ٢٣٩. [٣]

فالحاصل أنّ جميع الأمور، الإمامه و شؤونها تكمل بهذين الدورين، فبالنظر إلى دعوه المعصومين بالقول و العمل لا تتفاوت الدعوه مع الدلاله، و لكن إن قلنا بكون دعوتهم هي الكشف و الإشهاد و إراءه الحقائق للنفوس القابله تكون الدعوه و الدلاله متفاوتتين، و تكون الدعوه متقاربه المعنى بالهدايه بمعنى الإيصال إلى المطلوب، كما ذكرنا.

٣٢

«و المستقرّين في أمر الله» (١)

و فيه خمس نكات:

الأولى: «المستقرّين» أي «المستقيمين» الغير متزلزلين؛ و الأمر الذي معناه «الشأن» جمعه الأمور، و الذي معناه «الطلب» جمعه الأوامر.

الثانيه: يذكر الزائر هنا كمالاتهم عليهم السلام، فإن فسّرنا «أمر الله» فيما بعد بشأنه سبحانه، يكون الكمال نفسائياً، و إلا فالكمال فعليّ خارجيّ لهم ناشئ من كمال ذاتيّ.

الثالثه: يتصوّر ثلاثه فروض في المراد من أمر الله (بمعنى الشأن)، و هي:

التوحيد، أو الإمامه، أو الولاية.

ص: ١٧٣

١- لم نأخذ بالمستقرّين أو المستوفرين بعد النسخه المشهوره.

الأول: أن آل البيت عليهم السّلام هم المستقرّون في التوحيد، فيكون الشأن إذا هو التوحيد الربوبيّ، والاستقرار هو الكمال في الشأن العبوديّ، بعكس سائر الموحّدين الذين كان توحيدهم خليطاً بالشرك الخفيّ، ضعيفه أو قوّيه، كما قال النبيّ صلّى الله عليه و اله: «الشرك أخفى في أمّتي من ديب النمل على الصّفا في الليله الظّلماء» (١).

فالحاصل أنّ قوّه التوحيد في أيّ موحّد موقوفه على قدر ضعف الشرك، كما روى عن رسول الله صلّى الله عليه و اله: «العلماء كلّهم هلكت إلاّ العاملون، و العاملون كلّهم هلكت إلاّ المخلصون و المخلصون على خطر» (٢).

الثاني: أو المراد من أمر الله هو الإمامه؛ لكونها مجعوله من الله، كما قال سبحانه: «و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا» (٣) بمعنى أنّ الأئمة عليهم السّلام لم ينكروا إمامه أنفسهم في أشدّ الظروف و أصعبها و إن عملوا بالتقيّه في بعض الأحيان، فعدم إنكار الإمامه كهذا يؤيّد كون المقصود من أمر الله هو الإمامه.

الثالث: أو المراد من الأمر هو الولاية التكوينيّة على الأشياء، فهم المستقرّون فيها بحيث لا يمكن لأحد غضبها من أيديهم لظهور المعجزات الباهره منهم، و الحال أنّ فعل المعجز يكون من شؤونه

ص: ١٧٤

١- حليه الأولياء، لأبي نعيم الأصفهانيّ ٩: ٢٥٣.

٢- ٢. تنبيه الخواطر و نزّهه النواظر [١] (مجموعه ورام)، ١١٨: ٢. [٢]

٣- ٣. الأنبياء: ٧٣. [٣]

الرابعه: إن قلنا بكون المراد من الأمر بمعنى «الطلب»، كان معنى فقره أنهم استقرّوا دون أى زعزعه فى عباده الله، ولا يمكن ذلك لأكثر العباد.

لإمكان استقرارهم فى صور العبادات و تلوّنهم فى الشرائط الباطنيه لها، لأنّ العابد قد يكون مخلصا فى عباده و قد يكون مرائيا و قد يكون نشيطا فيها، و قد يكون كسلانا و غير ذلك من الأحوال المختلفه، كما قال النبىّ صلّى الله عليه و اله: «إنّ قلب ابن آدم مثل العصفور، ينقلب فى اليوم سبع مرّات» (١)، و لكنّ آل البيت عليهم السّلام لبعدهم عن أى تلوّن، و كونهم فى كمال التمكين، كانوا هم المستقرّين فى العباده، كما قال أبو الأئمه و أوّلهم و خاتم الأوصياء (بالنسبه إلى الأوصياء الماضين للأنبياء) و سيدهم، علىّ بن أبى طالب عليه السّلام:

«لا يقيم أمر الله سبحانه إلّا من لا يصانع، و لا يضارع، و لا يتبع المطامع» (٢)، فلا يقدر المصانع أو المضارع، أو التابع للمطامع على إقامة أمر الله فى العباده كما هو حقّه سوى آل البيت عليهم السّلام. فالحاصل أنّ الاستقرار يتقدّم على إقامة الأمر، فما لم يكن العابد منزّها عن هذا الأسلوب لا يمكن له الاستقرار فى أمر الله، أى فى عبادته، فإن أخذنا الأمر بمعنى الطلب، و قلنا بكون المراد منه العباده، و كنا قائلين بأنّ آل البيت عليهم السّلام هم المستقرّون فى عباده الله، يتبيّن تحقّق مقدمات هذا الاستقرار فيهم عليهم السّلام و براءتهم منها، كما يؤيد

ص: ١٧٥

١- المستدرک على الصحيحين، للحاكم النيسابورى ٤: ٣٠٧.

٢- ٢. نهج البلاغه: الحكمة ١١٠. [١]

التاريخ براءتهم لعدم رحيل أى منهم بموت طبيعى.

الخامسة: فى الجمع بين التفسيرين للأمر، نقول: إنَّ الفقرة تحتل معنيين جميعا، لأنَّ الاستقرار فى الأمر بمعنى العباده يتفرّع على استقرارهم فى الأمر بمعنى التوحيد أو الإمامه، كتفرّع العمل على الاعتقاد، وهكذا استقرارهم فى الأمر بمعنى التوحيد أو الإمامه كان كأصل ملازم لفرعه و هو الاستقرار فى العباده، لأنَّ كلَّ علّه و سبب ملازم لمعلولها و مسببه.

٣٣

«و التّامين فى محبّه الله» (١)

و فيه ستّ نكات:

الأولى: «التّام» اسم فاعل من «التمام»، كما أنّ الفاعل الفرار. و قد استعمل الإمام عليه السلام لفظ التّام دون الكامل، فيلزم هنا بيان الفرق بينهما، فنقول: إنّ التّمام و الكمال ليسا مترادفين، ليكون لهما معنى واحد، بل كانا متقاربي المعنى، و بينهما فرق دقيق كما قال سبحانه: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** (٢). بهذه الآيه، و استعمال اللفظين فيها و عطف التّمام على الكمال يبطل الترادف بينهما.

ص: ١٧٦

١- قال السيّد عبد الله شبر فى (الأنوار اللامعه) فى شرح هذه الفقرة ما هذا لفظه: و نقل عن بعض النسخ القديمه «التّامين» بالنون من النمو، أى أنّهم نشأوا فى بدو سنّهم فى محبّه الله، أو أنّهم فى كلّ آن و زمان يزدادون فى حبه تعالى.

٢-٣. المائده: ٣. [١]

إنَّ الحكماء يعبرون في وصفهم لله تعالى بالتمام و فوق التمام دون الكمال و فوقه؛ فلو كان الكمال فوق التمام لزم الغلط و الخطأ في تعبيرهم، فتبين من ذلك أولاً الفرق بينهما، و ثانياً تفوق التمام على الكمال، لأنهم يريدون استعمال أحسن الألفاظ و أبلغها في وصفه تعالى، فلو كان الكمال فوق التمام لزم النقص في وصفهم له سبحانه، مضافاً إلى أنَّ ذكر التمام بعد الكمال في الآية هو عطف القوي على الضعيف، كقولهم: «مات الناس حتى الأنبياء عليهم السلام» فهذا التقرير ثبت إجمالاً أنَّ التمام أنسب للبلاغه من الكمال و أبلغ في بيان المراد.

توضيح الفرق: هو أنَّ لكلٍّ موجود أجزاء أصليته تتشكل منها هويته و ماهيته، فهذا يبلغ كماله و هكذا له آثار و فضائل مضافاً إلى أجزائه الأولى، فإذا بلغ إلى هذه المرتبة و ظهرت منه آثاره و فضائله المذكورة تم، كما قال الإمام عليّ عليه السلام: «إذا تمّ العقل نقص الكلام» (١)، و روى عن مولانا الرضا عليه السلام أنه قال: «لا يتمّ عقل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، و الشرّ منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، و يستقلّ كثير الخير من نفسه، لا يسأم من طلب الحوائج إليه، و لا يملّ من طلب العلم طول دهره، الفقر في الله أحبّ إليه من الغنى، و الدّلّ في الله أحبّ إليه من العزّ في عدوّه، و الخمول أشهى إليه من الشّهره. ثمّ قال عليه السلام: العاشره و ما العاشره! قيل له: ما

هى؟ قال عليه السّلام: لا- يرى أحدا إلا- قال: هو خير منى و أتقى. إنّما النّاس رجلاّن، رجل خير منه و أتقى، و رجل شرّ منه و أدنى، فإذا لقي الذى شرّ منه و أدنى قال:

لعلّ خير هذا باطن و هو خير له: و خيرى ظاهر و هو شرّ لى! و إذا رأى العدى هو خير منه و أتقى تواضع له ليلحق به، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، و طاب خيره، و حسن ذكره، و ساد أهل زمانه» (١).

لا شكّ فى كمال عقل الرجل الموصوف قبل ظهور هذه الآثار، و إلاّ لم يكن مكلفا أصلا، فبظهور هذه يكون عقله تاما. و إنكّ خير بأنّ من هذه الآثار و الخصال (المذكوره فى الحكم القصار للإمام علىّ عليه السّلام و فى حديث ابنه الرضا عليهما السّلام) و لها أثر مترتب على تماميّة عقل الرجل و لم يترتب شىء منها على كماله مضافا إلى عدم ذكر الكمال فى الحديثين.

الثانيه: نقل السيّد شبّر رحمه الله عن قوم ما هذا لفظه: «و هذه الفقره صريحه فى الردّ على قوم من البهائم أنكروا محبّه الله، بل أحوالوا و قالوا لا- معنى لها إلاّ المواظبه على طاعه الله عزّ و جلّ»، و أمّا حقيقه المحبّه فمحال إلاّ مع الجنس و المثل. و قال فى ردّ هذا القول: «يلزم من إنكار المحبّه إنكار الأنس و الشوق و لذّه المناجاه، و سائر لوازم الحبّ و توابعه»، نجيب عنه بجوابين مضافا إلى ردّه رحمه الله:

الأوّل: أنّ القرآن يثبت حبّ الله للعباد و حبّهم له فى كثير من الآيات، و لا يمكن رفع اليد عن ظاهر تلك الآيات الكثيره كقوله سبحانه: فَسَوْفَ

ص: ١٧٨

١- بحار الأنوار ٧٨: ٣٣٦/ح ١٧-الباب ٢٦- [١] مواعظ الرضا عليه السّلام، عن: تحف العقول ٤٤٣.

يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ (١)، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ (٢)، وكما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي دَعَائِهِ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَحِبُّكَ، وَحُبَّ مَا يَقْرِبُنِي إِلَى حُبِّكَ، وَاجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ» (٣).

الثاني: نعم، إننا قائلون مثلكم بالتناسب و التجانس بين الحبيب و المحبوب؛ و لكنّ التناسب و التجانس على قسمين: وجوديّ و ماهويّ، و أنتم خلطتم بين التجانسين، فما أنكرتموه هو التجانس الماهويّ، و ما أثبتناه هو الوجوديّ منهما، أي أنّ الله تعالى موجود، و المحبّ (العبد) أيضا موجود، و الوجود ما يناقض العدم، و لا فرق في هذا الوجود أكان لله أم للعبد، و أصل المحبّه أيضا كمال و جوديّ (و لا حاجة لنا إلى خصوصيّاتها و توابعها أو لوازمها أو فروعها الملحقة بالماهية)، فبهذا ثبتت المساخه بين المحبّ و المحبوب، و هكذا يثبت إمكان أصل المحبّه في كلّ منهما للآخر، و إلّا لزم تعطيل التكوين و التشريع.

الرابعه: للتاميه في محبه الله لوازم و توابع:

منها: المحبه لكلّ شيء تحصل من المعرفة به، فدرجات المحبه متفاوتة بتفاوت المعرفة به، فكلّما كانت المعرفة أنقص كانت المحبه أنزل، و هكذا في كمال المعرفة تكون المحبه أتمّ و أكمل. و منها:

ص: ١٧٩

١- المائدة: ٥٤. [١]

٢-٢. البقره: ١٦٥. [٢]

٣-٣. الأنوار اللامعه، ذيل العبارة المبحوثة.

الاشتياق إلى المحبوب، فهو من توابع شدّه المحبّه و ضعفها. ومنها:

إخلاص المحبّ للمحوب و ذكره إيّاه. و بيانهما في ما سيأتي كلّ في محلّه (إن شاء الله) في الاشتياق إليه، فإذا قلنا بتماميّة محبّه استتبع ذلك تماميّة المعرفة و الاشتياق و الذكر و الإخلاص، و جدّ المحبّ في طلب وصال المحبوب، و غيرها من الآثار و اللوازم.

الخامسة: يلزم للتماميّة في محبّه الله أمران:

(١) الاقتضاء: و المراد منه هو القابليّة لهذا الكمال في المحبّ.

(٢) الباعث: و المراد منه هو المعرفة.

و قد تقدّم أنّ تماميّة المحبّه بتماميّة المعرفة، و لكنّ المعرفة التامّة لا تكفي، إذا يلزم الكمال في القابليّة قبلها، فلو كانت محبّه آل البيت عليهم السّلام لله مثلاً فينا لاحترقنا و تمزّقنا، كما قال جبرائيل عليه السّلام في المعراج لرسول الله صلّى الله عليه و اله حين عجز عن المصاحبه له صلّى الله عليه و اله: «لو دنوت أنمله لا-حترقت» (١)؛ لما لم تكن له سعه الوجوديّة و لا-صفاء القابليّة الذاتيتين فيه ما كان في رسول الله صلّى الله عليه و اله، كذلك لم توجد فينا بطريق أولى، فنحن عاجزون عن كوننا تامّين في محبّه الله؛ لعدم الاقتضاء لذلك أو الباعث إليه، فالحاصل أنّ غيرهم عليهم السّلام لا يمكن له أن يكون تامّاً في هذا الشأن.

السادسة: هو أنّ هذا الكمال كمال نفسانيّ لهم، و يلازم كمالاً فعليّاً،

ص: ١٨٠

١- .بحار الانوار ١٨: ٣٨٢/ح ٨٦-الباب ٣، [١] إثبات المعراج-عن: مناقب آل أبي طالب.

مضافا إلى أن هذا الكمال (التامّي) -على ما فسّرنا به التمام- له آثار مذكوره في الفقرات الآتية.

٣٤

«و المخلصين في توحيد الله»

و فيه خمس نكات:

الأولى: يمكن قراءه هذه الفقره بصيغه الفاعل (مخلصين كما هو معروف) من باب الإفعال، أو المفعول (مخلص) من الباب.

فالأول، يمكن أخذه لازما كما قال سبحانه: **وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ (١)** أو متعدّيا بمعنى أنهم فاعل و الإخلاص في أتباعهم بالتعليم و التزكيه و الهدايه و غير ذلك.

و يمكن أخذه بصيغه المفعول، إذا هذه الفقره تكون مقتبسه من قوله سبحانه، حكاية عن قول إبليس (لعنه الله): **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٢)**. فالحاصل إن قرئت الكلمه بالفاعل يكون هذا الكمال كمالا فعليا لآل البيت عليهم السلام، و بالمفعول يكون كمالا نفسائيا لهم.

توضيحه: إن عدّ الكمال فعليا يكون لأفعالهم الحميده دخل في

ص: ١٨١

١- النساء: ١٤٦. [١]

٢- ٢. ص: ٨٢، ٨٣.

الإخلاص (على أى من التفسيرين)، فبعد الكمال نفسائياً لا يكون هناك دخل لأفعالهم الحميده فى ذلك الكمال، لأنهم خلقوا هكذا، فنستنتج من هذا أن خلقهم مخلصين يكون كمالاً لهم، وتأثير هذا الكمال يكون الإخلاص فى العباده والعمل، وهذا موجب لكون إخلاصهم التكويني تاماً.

الثانيه: ترتب هذا الكمال على غيره:

إن كان بين كمال و كمال آخر صله و ربط من العليّه و المعلوليه أو الفاعليه و القابليه، و غير ذلك من الروابط و الصلات، فيكون أحد الكمالين بالنسبه إلى الآخر طولياً، و إلا كان عرضياً، فهذا الكمال (كونهم مخلصين فى توحيد الله) بالنسبه إلى ما قبله (كونهم التامين فى محبه الله) يكون كمالاً- طولياً، فبهذا يتبين أن الإمام الهادى عليه السلام راعى ترتيبه الطبيعي؛ لأن كونهم «التامين فى محبه الله» عله لإخلاصهم فى توحيد الله.

الثالثه: يستنتج من مراعاة الإمام هنا الترتيب الطبيعي فى فقره «المستقرين فى أمر الله»، بمعنى أن الاستقرار فى أمر الله يكون عله لكونهم تامين، كما أن كونهم تامين عله لكونهم مخلصين، فعلى هذا يضعف الأمر هناك معنى الطلب و يقوى معنى الشأن، فمن حيث كونهم عليهم السلام المستقرين فى شأن الله يكونون تامين، و من هذا الحيث يكونون مخلصين، و بهذا يقوى أن التعبير بالمخلصين بصيغه الفاعل.

فى تلك المراتب فى هذه الفقرة الشريفه، ينظر إلى جميع مراتب التوحيد (الذاتى و الصفاتى و الأفعالى و العبادى و الأسمائى (١)) و إخلاصهم فيها، أنّ ذواتهم القدسيه عليهم السلام من حيث فنائها فى ذاته تعالى تكون مخلصه فى توحيد الذاتى سبحانه، و هكذا صفاتهم فى صفاته و أفعالهم فى أفعاله، لأنّ المظهر فان فى الظاهر، و المجلى فى المتجلى، كالظلّ بالنسبه إلى الجدار و الموج بالنسبه إلى الماء، و من حيث عدم توجّههم إلى كونهم عبادا يثبت إخلاصهم فى توحيد العبادى لوجود الشرك و لو بأضعف مراتبه فى غيرهم عليهم السلام و عدمه بالكلّيه فيهم و حتّى عدم توهمه فيهم عليهم السلام. و من حيث اشتقاق أسمائهم الشريفه من أسمائه الحسنى يثبت إخلاصهم فى توحيد الأسمائى، و لا شكّ فى غالبية المشتقّ منه على جميع مشتقاته، و كون المشتقات مغلوبات له.

الخامسه: يستلزم كونهم عليهم السلام المخلصين أو المخلصين فى توحيد الله أن يكونوا تامّين فى مقدّمات هذا الشأن الشريف، و هى مندرجه مترتبه منتهيه إلى الإخلاص فى الخطبه التاليه عن الإمام على عليه السلام: «أولّ الدّين معرفته، و كمال معرفته التصديق به، و كمال التصديق به توحيد، و كمال

ص: ١٨٣

١- هذه المرتبه (أى التوحيد الأسمائى) ممّا تفرّد به أستاذنا سماحه آيه الله الآخوند ملاّ على المعصومى الهمدانى (نور الله قبره و أعلى قدره).

«والمظهرين لأمر الله ونهيه»

و فيه ست نكات:

الأولى: الإظهار نقيض الإخفاء، ومعنى فقره هو: أنهم عليهم السلام لم يخفوا أمر الله عزّ وجلّ ولا نهيه، قال سبحانه: يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته (٢)، فلو كانوا غير ذلك لزم تخلفهم عمّا أمروا به، و لزم العبث بل القبيح فى جعلهم للإمامه، وهذا مناف لعصمتهم عليهم السلام و ينافى حكمته سبحانه و صدق قوله: الله أعلم حيث يجعل رسالته (٣)، و الرساله هنا تشمل الإمامه أيضا لإرادته معناها العام.

الثانية: مفهوم الأمر و النهى:

المراد منهما هو المعنى المطلق لكلّ منهما، فيكون معنى الأمر: «طلب ما يرغب فيه الأمر»، و النهى: «طلب ترك ما يرغب عنه الناهى». فالحاصل ليس المراد من الأمر و النهى ما استعمل فى كلّ منهما على صيغته الأمر أو النهى، نحو: أقيموا الصّلاة و لا تكونوا من المشركين (٤)، أو لفظ الأمر أو

ص: ١٨٤

١- نهج البلاغه: الخطبه ١. [١]

٢-٢. المائدة: ٦٧. [٢]

٣-٣. الأنعام: ١٢٤. [٣]

٤-٤. الروم: ٣١. [٤]

النهي مثل: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (١)، فتحصل كونهم عليهم السلام مظهرين لكل ما يحبه الله و ما يبغضه و يكره من العقيدة و الخلق و العمل في أى لفظ كان و بأى تعبير.

الثالثة: تعيين مصاديقهما:

مصاديق أوامر الله و نواهيه سبحانه لا- تعدد و لا تحصى، خصوصا و هى تتزايد على مر الدهور و الأزمان فى الشؤون العديده للإنسان و الكتب السماويه، و لا- سيما القرآن و أقوال جميع الأنبياء و الأوصياء و العلماء و الحكماء الإلهيين المحتويه لها بعد التشريع، و ما تقتضى العقول السليمه و الفطرات الصحيحه فى باب التكوين، و لكن يمكن تلخيصها و إحصائها فى ثلاثه أنواع، كما أحصاها النبى فى الروايه التاليه: «دخل رسول الله صلى الله عليه و اله المسجد فإذا جماعه قد أطافوا برجل، فقال: ما هذا؟ فقيل علامه، فقال: و ما علامه؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب و وقائعها و أيام الجاهليه و الأشعار العربيه، قال: فقال النبى صلى الله عليه و اله: ذاك علم لا- يضمر من جهله، و لا- ينفع من علمه. ثم قال النبى صلى الله عليه و اله: إنما العلم ثلاثه: آيه محكمه، أو فريضه عادله، أو سنه قائمه، و ما خلاهنّ فهو فضل» (٢).

فالمراد من الآيه المحكمه- كما فسرها الشارحون- هو العقائد، و من الفريضه العادله الأخلاق، و من السنه القائمه الأعمال. فتحصل أنّ مصادق

ص: ١٨٥

١- النحل: ٩٠. [١]

٢- ٢. الكافى ١/٣٢: ١-، باب صفه العلم و فضله و فضل العلماء. [٢]

جميع الأوامر و النواهي الإلهيتين هو هذه العلوم الثلاثة.

الرابعة: كيفيه هذا الإظهار من آل البيت عليهم السلام:

جميع الصفات و الكمالات المذكوره للمعصومين عليهم السلام من أول الزياره إلى هنا كانت كأسباب قريبه أو بعيده، و لها دخل في وجود كمال إظهار الأمر، فتشكّل من مجموعها علّه تامّه لا- ينفكّ عنها المعلول؛ فكونهم مظهرين لأمر الله، معلول و الصفات السابقه الذكر، فكما لا تنفكّ الإناره عن الشمس و السراج، كذلك لا يمكن انفكاك الإظهار عن المعصوم عليه السلام إذ كيف يمكن كون المعصوم عليه السلام تامًا في محبّه الله أو مستقرًا لأمر الله أو دليلا على مرضاه الله (أو غير ذلك) و لا يكون لأمره و نهيه سبحانه؟!!

الخامسه: إقامة الدليل على إثبات هذا الكمال للمعصومين عليهم السلام:

الدليل إمّا إنّي، و إمّا لمّني (1). فاللّمّني هو العلم بالمعلول من العلم بالعلّه، و عكسه الإنّي (و إن كان اللّمّني أليق من الإنّي في إعطاء اليقين). و قد تقدّم أنّ إمامه آل البيت عليهم السلام مجعوله من عند الله سبحانه، فلو لم يكونوا هم المظهرين لأمر الله و نهيه، لم يجعلهم الله أئمّه، كما قال سبحانه: **اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ (2)**، فينكشف من هذا عدم وجود أدنى تخلف منهم في

ص: ١٨٦

١- . كما قال الحكيم السبزواري في منظومته: برهاننا باللّم و الإنّ قسم علم من العلّه بالمعلول لمّ و عكسه إنّ و لمّا أسبقوا و هو

بإعطاء اليقين أليق

٢-٢. الأنعام: ١٢٤. [١]

إظهار أوامره و نواهيه سبحانه، لاستحاله انفكاك المعلول عن علته التامه، و أما الإنّي فهو متبين لكل متبوع في أخبارهم المتواتره و آثارهم المتكاثره المحتويتين على أوامر الله و نواهيه.

السادسه: إمكان الجمع بين إظهارهم هذا و بين تقيتهم من الأعداء:

إنهم عليهم السلام لا يخافون في الله لومه لائم، و تكون تقيتهم إطاعه؛ لأنه تعالى أمرهم بها في قوله سبحانه: لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً (١).

٣٦

إشارة

«و عباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون،

و رحمه الله و بركاته»

و فيه ست نكات:

الأولى: الفرق بين العبد و العابد:

تعبير الإمام عليه السلام هنا بالعباد يكون لإرادته عليه السلام معنى العبد لا العابد، لأن بينهما فارقاً، و هو أنّ العابد من يعبد الله بأعماله و أخلاقه و عقائده خالصاً له تعالى، لتحصل له الجنة أو النجاه من النار، و لكن العبد من لم يكن له إتيه أو إرادته في جميع شؤونه و أفعاله سوى مولاه و مرضاته كما

ص: ١٨٧

١- آل عمران: ٢٨. [١]

جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «العبوديّه جوهره كنهها الرّبوبيّه» (١).

فالحاصل أنّ معنى العبد هو ما قدّمناه، ولكنّ العابد هو من يعمل أعمال العبد وإن لم يكن حقيقه عبداً، وبتوضيح آخر أنّ العبوديّه متقوّمه بالعبد والمولى، لكنّ العباده متقوّمه بالعابد والمعبود و ما قصده العابد من عبادته. والضمير الغائب المستعمل في هذه الفقره مشير إلى مولويته سبحانه، فلو عبّر الإمام عليه السّلام هنا بالعباد أو العابدين دون العباده، لم يكن لهم عليهم السّلام كمال هامّ، لأنّ العباده تقع قبال المعصيه العمليه، ولكنّ العبوديّه واقعته قبال الشرك باللّه الناشئ من استقلال المشرك وإتيته تجاهه تعالى، وبتعبير آخر يجمع الشرك الخفيّ مع العباده، فالعابد يمكن فيه أدنى درجه من الشرك فيه ولا يجمع الشرك مع العبوديّه من أصله، فمنشأ العبوديّه هو استغراق العبد في مولاه، ونفى وجوده عنده.

الثانيه: بيان ثمره القول بعبوديتهم عليهم السلام:

ثمره ذلك هو الامتناع عن الغلوّ فيهم، الذي هو كفر بوحدانيته تعالى وإشراك به سبحانه، فالغالون في حقّ آل البيت عليهم السّلام والنصارى في حقّ المسيح عليه السّلام قد أشركوا لما اعتقدوا فيهم (آل البيت عليهم السلام والمسيح) من الألوهيه، ولو في بعض شؤون اللّه المختصّه به سبحانه. وهذا باطل بالعقل والنقل؛ أمّا العقل فلاستحاله صفات الربّ في العبد الفقير المحتاج

ص: ١٨٨

١- مصباح الشريعه، الباب الثاني، ص ٧. [١]

إلى ربّه، و امتناع صيروره الممكن واجبا، و أمّا النقل فلقوله سبحانه: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ (١).

الثالثة: نقول فى بيان إضافة العباد إلى ضمير مرجعه الربّ سبحانه، الإضافة على قسمين: حقيقته، و تشريفيه.

فالحقيقته هى التى لا يكون المضاف موجودا بدون مضاف إليه كإضافة المعلول إلى علته، و التشريفيه هى التى لا دخل لمضاف إليه فى وجود المضاف، و إنّما ينتسب إليه المضاف باعتبار شرف له عند مضاف إليه، إضافة العباد هنا إليه سبحانه إضافة تشريفيه (و إن كان مضافا إليه بالاعتبار الأوّل أيضا، و هو معلوليتهم له تعالى)، فانظر إلى الإنسان العجيب و ما يحدث له من الغرائب، كيف يصير من العدم إلى الوجود و من أخسّ الأشياء (كالتراب و النطفه) إلى أعلى المراتب التى لا يتصوّر لها فائق، و هى الانتساب إلى الواجب تعالى أى الكمال المحض و محض الكمال، كما قال سبحانه: يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (٢)، و فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٣) و هى الرتبة التى لا يبلغ إليها ملك مقرب. و فى مثل هذا المقام قال الإمام على عليه السلام: «إلهى كفى بى عزّا أن أكون لك عبدا، و كفى بى فخرا أن تكون لى

ص: ١٨٩

١- النساء: ١٧٢. [١]

٢- ٢. الزمر: ١٦. [٢]

٣- ٣. الفجر: ٢٩. [٣]

الرابعة: هذه الفقرة الشريفه مقتبسه من الآيه المباركه: بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢)، و مبيّنه لثلاث فضائل (٣) لهم عليهم السلام.

و الآيه ردّ على القائلين بأنّ الملائكه بنات الله، لكونهم عباد الله، فلو قيل:

إذا ما هو الامتياز لآل البيت عليهم السلام على الملائكه إذا كانوا معهم في رتبه واحده؟ نجيب عنه: أولاً: أنّ الملائكه لم يبلغوا إلى مقام العبوديّة و الإكرام إلاّ بالاستفاضه من آل البيت عليهم السلام، فتثبت فضيله آل البيت عليهم السلام على الملائكه، كما قال الإمام الباقر عليه السلام: «بنا عبد الله، و بنا عرف الله» (٤)، بمعنى أنّ أيّ عبادته تصدر عن أيّ عابد إنّما تكون بسبب آل البيت عليهم السلام. ثانياً: قد تقدّم في شرح «و مختلف الملائكه» القول المختار عندنا أنّ آل البيت عليهم السلام هم الملائكه المتعلّقه بالأبدان العنصريه، و لم تتأثّر نفوسهم الشريفه بالكدورات الطبيعیه من المادّه أو الواهمه، بل كانت باقيه شفافه صافيه أشدّ صفاء من ذات الملك (فاطلب تفصيله في محلّه).

الخامسه: يمكن أن يقال بأنّ جميع فضائل آل البيت عليهم السلام - ممّا مضى

ص: ١٩٠

١- بحار الأنوار ٧٧: ٤٠٠ ح ٢٣- الباب ١٥- [١] مواظ أمير المؤمنين عليه السلام- عن الخصال / ٢٠٤ ح ١٤- باب التسعه.

٢- ٢. الأنبياء: ٢٧، ٢٦. [٢]

٣- ٣. الأولى، كونهم عباداً، و الثانيه: مكرمين، و الثالثه: عدم سبقهم لله في القول، و كونهم عاملين بما أمرهم الله.

٤- ٤. الكافي ١: ١٤٥ ح ١٠- باب النوادر. [٣]

و ما سيأتي -ناشئه من إكرامه تعالى لهم، و ذلك لجهتين:

الأولى: قد كان في علمه تعالى أنهم لا يسبقونه بالقول إذا وجدوا، و الثانية: أنهم سيعملون بأمره آن ذاك، و هو تعالى عالم بكمال قابليتهم لأكمل الإكرامات و الإفاضات.

السادسه: أن للآيه المباركه: لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ معنيين:

ألف) كون هذه الجملة من الآيه تفسيرا لإكرامه تعالى بأن خلقهم الله هكذا في عدم سبقتهم له بالقول و كونهم ممتثلين لأوامره.

ب) إكرامه تعالى لهم شيء آخر و سبب في ذلك الإكرام، و هو هاتان الصفتان: أى عدم السبق في القول، و امتثال الأمر، فعلى التفسير الثانى يكون إكرامه لهم أمرا تحصيليا و كمالا- فعليا، و على التفسير الأول يكون الإكرام حصوليا و كمالا نفسانيا لهم، و بتحليل آخر أن كونهم مكرما كمال نفساني بنفسه، لكل واحد من عدم السبقه في القول و الامتثال كمال فعلي خارجي لهم.

تذويب

إن صلة هذا الفصل (من الزياره) بالفصل السابق كصله أغراض و نتائج بمقدماتها، فيكون هذا الفصل مستجمعا للأغراض و الغايات المترتبين على وصايه الرسول. إذا قد راعى الإمام عليه السلام الترتيب بين الفصول (كما هو حقه) كرايته عليه السلام له بين الفقرات كما يلي:

فمن غايات الرساله للرسول أن يكون الوصيّ داعياً إلى الله كموصيه، و لا- يكون داعياً إلا- بالدلاله، و لا يكون داعياً إلا إلا باستقرار نفسه في أمر الله (١)، و لا- يكون مستقرّاً في أمر الله إلا- بكونه تامّاً في محبّه الله، و هكذا لا يكون تامّاً في المحبّه إلا بإخلاص العقيدّه في التوحيد، و يلزم ذلك إظهاره لأمر الله و نهيه، و يتفرّع على ذلك كلّ أن يكون عبداً مكرماً لله.

٣٧

«السّلام على الأئمّه الدّعا»

و فيه ستّ نكات:

الأولى: كانت الإضايفه في هذه الفقره و شبيهاً «أئمّه الهدى» إضايفه الموصوف إلى الصّفه؛ لأنّ الأئمّه في كليهما موصوف أضيف إلى صفتّه و هي: الهداه و الدعا، و الصفتان المذكورتان تكونان أمرين خارجيين (٢).

الثانيه: يمكن أن يكون قيد الدعا للأئمّه قيماً توضيحياً و يمكن كونه احترازياً، لأنّه إن قلنا بانفكاك الدعا عن حقيقه الإمامه يكون الإمام على قسمين: داعياً و غير داع، فيكون القيد إذا احترازياً لأنّ الإمامه إنّما تتقوم بوجود المأموم و بدونه لا تتحقّق مع كون الموصوف بها مستجمعا لشرائطها، يكون شخص المنظور إذا إماماً غير داع، و إلا مع القول بجزئيّه

ص: ١٩٢

-
- ١- فلو لم يكن مستقرّاً للتعزّع و تزلزل، فتختلّ دعوتّه و دلالتّه، فإذا اختلّت كان أمر الوصايه مختلاً أيضاً.
 - ٢- ٢. قد تقدّم في شرح الفقره «أئمّه الهدى» أفضليّه شأن الإمامه على النبوه و الرساله المطلقتين، فراجع.

الدعوه لحقيقه الإمامه بحيث لا تقبل الانفكاك عنها يكون الداعى قيدا توضيحيا، إذا يكون الدعاه و الهدى قيدين توضيحين، و مرجعهما واحد.

الثالثه: قد يكون متعلق الدعوه فى الإمامه هو الله تعالى و قد يكون غيره، و هكذا متعلق الهدى فى (أئمه الهدى)، فالشاهد على الثانى هو قوله سبحانه: وَ جَعَلْنَا هُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّارِ (١)، و كذا قول الرسول بروايه الإمام عليّ عنه عليهما السلام: قال لى رسول الله صلى الله عليه و اله فى وصيته: «يا عليّ، أربعه من قواصم الظهر: إمام يعصى الله عزّ و جلّ و يطاع أمره...» (٢)، ترى إطلاق النبىّ صلى الله عليه و اله لفظ الإمام على شخص مطاع و هو يدعو إلى غير الله.

الرابعه: ينبغى هنا الإجابة على إشكال، و الإشكال يطرح قبل الجواب بعده مقدمات:

إحداها: أنّ عدد الأئمه على قول الحق لا يزيد على اثنى عشر.

ثانيتها: أنّ لكلّ إنسان عمرا طبيعيا.

ثالثتها: أنّ مدّه التكليف أطول من العمر الطبيعى لمجموع الأئمه الاثنى عشر.

رابعتها: لم يمت حتى واحد من الأئمه بأجل طبيعى، بل قتلوا جميعا إمّا بالسّم و إمّا بالسيف.

ص: ١٩٣

١- القصص: ٤١. [١]

٢- ٢). من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٦٥/٤-٥٧٦٢-باب النوادر و هو آخر أبواب الكتاب.

خامستها: لزوم كون الإمام إلى آخر زمان التكليف.

سادستها: أنّ قاتليهم قد أقدموا على قتلهم اختياراً، و كان يمكن لهم عدم قتلهم، فلو لم يختاروا قتلهم كيف يجمع وجود الإمام بهذا العدد مع قصر أعمارهم بالنسبة إلى طول زمان التكليف؟

نجيب عنه: أولاً: يمكن أن يكون العمر الطبيعي بتقدير الله أكثر ممّا نعرفه، و يمكن أيضاً أن يكون زمان التكليف عدلاً لأعمارهم الطبيعيه في علم الله، فلا يقلّ عمر الإمامه عن زمان التكليف بعد النبي. و ثانياً: تقسيم الله تعالى جميع زمان التكليف على السويّه بين هؤلاء الأشراف عليهم السلام بحيث لا يبقى زمان قصير من غير إمام منير. و ثالثاً: إمامته تعالى كلّاً منهم في عمره الطبيعي و مدّه سبحانه عمر خاتمهم إلى آخر زمان التكليف.

الخامسه: الفرق بين القيادة و الإمامه:

قد تقدّم في ما سبق معنى الإمامه، و هي: رئاسه عامّه إلهيه في امور الدين و الدنيا نيابه عن النبي؛ و يمكن أن تكون هذه الرئاسه بالتعليم و التبليغ و استخدام العمّال من غير قياده عمليه من قبل الإمام على الأئمّه، فتكون النسبه بينهما العموم و الخصوص مطلقاً، فالإمامه تكون عامّاً و قياده خاصّاً، فالحاصل عدم إمكان تخلف المنقاد عن القائد و إمكان ذلك عن الإمام الغير قائد، فلا يرد إشكال في إمامه الإمام و في جعل الله إياه إماماً بتخلف المأموم عنه، كما لم يرد الإشكال في نبوّه الأنبياء و في

ص: ١٩٤

بعثه سبحانه إليهم إلى الناس بعدم قبول الناس دعوتهم.

السادس: تتقوم الدعوه بعده أمور:

(١) الداعى، وهم آل البيت عليهم السلام أنفسهم.

(٢) المدعو، وهم جميع المكلفين من الجنّ والإنس، وإذا حسبنا الملائكة أيضا من المدعويين فهو على مقتضى شأن الولاية لآل البيت عليهم السلام؛ لأنّ إمامتهم متعلّقه بمن تتعلّق به الشريعة وهو يستلزم المادّيّه وتحوّل الشرائط، والملائكة عليهم السلام ليسوا كذلك، أى لا يكونون مادّيّين ولا محكومين بأحكام الشرائط المتحوّله، فلا يحكم عليهم بالشرائع، فالحاصل أنّ الملائكة مدعوون بدعوتهم الناشئه عن ولايتهم كما قد تعلموا التسبيح والتهلّيل عنهم عليهم السلام على ما جاءت به الأخبار المتعلّقه به.

(٣) المدعوّ إليه، وهو غرض نسبى لدعوتهم، توضيحه أنّ جميع ما يدعو إليه النبيون من امّهات المسائل، وهو: معرفه المبدأ (الله سبحانه)، والمسير (النبوه وملحقاتها)، والسير (العمل والأخلاق)، والمقصد (المعاد وفروعه)، وهى الحقيقتات (١).

(٤) المدعوّ فيه، والمراد منه الزمان والمكان، وهو: جميع الأزمنه بعد النبيّ صلى الله عليه و اله إلى آخر زمان التكليف، والأمكنه جميع البقاع المسكونه للمكلفين.

ص: ١٩٥

١- يكون المكلف كمسافر لا بدّ لسفره من هذه الأربعه.

(٥) المدعوّ عليه، و هو مبنى دعوتهم و أساسها، أى البصيره (و المراد منها العصمه) كما قال سبحانه: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (١)، فالبصيره كما كانت أساس دعوه النبيّ، كذلك تكون أساسا لدعوتهم عليهم السلام.

(٦) المدعوّ له، و هو غرض نهائى للدعوه، و المقصود من هذا الغرض هو عباده الله الخالصه، كما قال سبحانه: وَ مَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (٢).

(٧) المدعوّ به، و هو سبب الدعوه، أى: الكتاب و السنّه، فلا يدعو إمام بسبب غيرهما؛ لأنّ الإمامه فرع النبوه، و الإمام تابع للنبيّ فى جميع هذه الموارد السبعه.

٣٨

«و القاده الهداه، و الساده الولاه»

و فيه خمس نكات:

الأولى: هنا يذكر الزائر أربعة من كمالاتهم الخارجيه، و هى: القياده، و الهدايه، و السياده، و الولايه. و قد تقدّم البحث فى الهدايه لدى شرح «و أئمّه الهدى» (فى الفصل السادس عشر) كما سبق البحث فى القياده

ص: ١٩٦

١- يوسف: ١٠٨. [١]

٢- ٢. البينه: ٥. [٢]

أيضا في الفصل التاسع في «وقاده الأمم». فالحاصل أنّ آل البيت عليهم السّلام قاده صالحون للأئمّه لاستجماعهم الشرائط المذكوره، على معنى أنّهم عليهم السّلام صالحون لأن يقودوا الأئمّه الإسلاميه للغلبه على الأعداء جنّا و إنسا في الجهات الاعتقاديّه و العمليّه و الأخلاقيه، بالتقيّه أو التصريح، و الموعظه أو البرهان.

الثانيه: الهدايه فرع القياده و نتيجتها، هذا إذا فسّرت الهدايه بالإيصال إلى المطلوب؛ و لكن إذا كان المراد منها إراءه الطريق فلا، و لكنّ الأقوى في النظر هو كون المراد من الهدايه هنا هو الإيصال، و لا يلزم للهادي أن يصاحب المهتدي في المسير، إن فسّرت الهدايه بالإراءه، و يلزم ذلك للقائد أن يذهب أمام التابع. فالحاصل أنّ الهدايه عباره عن إراءه الطريق ليذهب الطارق بنفسه و يصل إلى غايته، و لكنّ القياده هي جذب القائد بنفسه، التابع إلى مقصده.

الثالثه: معنى السيادة: أنّ نظام العالم هو نظام طولّي، بمعنى أنّ المخلوقات يترتّب بعضها على بعض كترتّب الفرع على أصله، إذا توجد المتبوعيه و التابعيه، فيكون كلّ متبوع سيّدا بالنسبه إلى التابع، و التابع يكون مسودا لسيّده و يكون سيّدا لما يتبعه (١)، شاعرين كانا- كسياده النبيّ على ولد آدم، كما قال: «أنا سيّد ولد آدم و لا فخر» (٢)، و كسياده ابن زكريّا

ص: ١٩٧

١- . كالجمله سيّد الأيام، و رمضان سيّد الشهور، و اسم «الله» المبارك سيّد الأسماء.

٢- (٢). وسائل الشيعه ٢٥/٢٣: ح ٣٨٠٣١٠-١٠-باب جمله من الأطعمه التي ينبغي..- [١] عن: عيون أخبار

على بنى إسرائيل كقوله سبحانه: وَ سَيِّدًا وَ حَـصُورًا وَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١) - أو غير شاعرين، وإلا- لم يكن موجود على طريق الكمال أو حصل له الكمال بطفره، أى بغير ترتيب أو نظم، كصيروره النطفه إنسانا مره واحده قبل أن تكون علقه و العلقه مضغه و غيرهما من المراتب، فالطفره محال كما قالت به الحكماء، و العقل السليم يؤيده أيضا، أى يرى العقل ارتقاء الموجود بلا ترتيب محالا. فالحاصل أن استكمال الموجودات يكون فى مسير الترتيب، فتوجد المتبوعيه و التابعيه و السيادة نتيجة؛ فالحاصل أن هذه السيادة العامه الجاربه فى جميع ما سوى الله و تكون من شؤونه سبحانه، فكون آل البيت عليهم السلام ساده الولاه ظهور و تجل من السيادة الإلهيه، و هكذا تكون السيادة فى كل سيد على قدر قابليته و وعائه الذاتى.

الرابعه: «الولاه» جمع «والى»، كقضاه جمع قاضى. إن إضافة الساده إلى الولاه يمكن أن تكون لاميه (و بياتيه)، فعلى الأولى يكون معنى فقره أنكم ساده لجميع ولاه الأمور فى العالم، بمعنى أن جميع الولاه يكونون تحت سيادتكم (سيادتكم العامه على جميع الولاه)، كما أن كلاً من العبد و القاضى و النائب ولى تحت سيادتكم، و على الأخرى يكون معناها أنكم ساده، و تختص بكم الولايه و الحكومه، و على هذا تكون «الولاه» صفه لهم، و هذا الكمال (سيادتهم على الولاه) كمال ذاتى لهم، و ينبغى

ص: ١٩٨

١-١). آل عمران: ٣٩.

ذكر أنّ إضافتين في ساده الولاه باينهما في قاده الهداه.

الخامسه:الفرق بين الوالى و الولي:

إنّ والى (مفرد ولامه) كما ترى اسم فاعل و هو يقبل الانتزاع عن فاعله، و لكنّ الولي (مفرد أولياء) صفة مشبّهه غير قابله للانتزاع (و هذا تناقض بعينه). بعبارة اخرى: ننظر إلى كونهم ولاء و أولياء من جهتين: مرّه إلى مجعوليّه ولايتهم من قبله سبحانه، فبهذا المعنى ولايتهم عليهم السّلام تقبل الانتزاع، و اخرى إلى أنّ ولايتهم و إن كانت مجعوله من الله و لكنّ المجعوليّه غير مقصوده، بل ننظر إلى كون الولايه ذاتيه لهم، إذا لا- تقبل الانتزاع، فإطلاق الولاه أو الوالى عليهم صحيح باعتبار الأوّل، كما يصحّ إطلاق الولي أو الأولياء بالاعتبار الثانى.

٣٩

«و الذاده الحماه»

و فيه ثمانى نكات:

الأولى: ما أحسن الترتيب بين العبارات و الفقرات فى هذه الزياره الشريفه لذكر الأصول أى الكمالات النفسائيه غالبا فى الفصول المتقدّمه و فى الفصول الأخيره، ذكرت الفروع، أى الكمالات الفعلية أو الخارجيه المتفرّعه على النفسائيات، و منها هذه الفقره.

الثانيه: كان «الذاده» فى الأصل «ذوده» فقلبت واوها ألفا، و هى جمع

ص: ١٩٩

«ذائد» (أصله ذاود)، فمعنى الذود هو الدفع و المنع. و ما ينبغي ذكره هنا أنّ كلاً من القيادة أو الدفع أو المنع إنّما يكون في ما إذا كان هجوم في البين و قتال من قبل العدو، و إلا فلا مورد لأيّ من القيادة و صاحبتيها.

و هو يخرج على امور:

(١) المهاجم كان موجودا عيتيا:

(٢) أو شأيتيا. (٣) أو ذاتيا. (٤) أو وصفيًا.

الثالثه: في بيان كلّ من هذه الأنواع:

الف) الدفع العلمى، و هو في ثلاثه موارد:

(١) في باب التوحيد؛ و هو مثل ما علمه الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل الذي جمع الدروس و ألفها في كتاب قيم (١).

(٢) في الإمامه؛ و هو ما روى عن الأئمّه كثيرًا، و لا سيّما الاحتجاجات و المناظرات التي وقعت ما بين الإمام الرضا عليه السلام و المأمون.

(٣) في الشرعيّات، و أكثر المباحث في هذا المقام فيما روى عن الصادقين عليهما السلام كى يسان فقه الشيعة عن الاختلاط بالبدع المضلّه من الأجانب، فيلزم هنا التّبع التامّ لحصول الخبره في جميع ما ذكر.

ص: ٢٠٠

١- و هذه التعاليم و الدروس إنّما كانت قبال تشكيكات المشكّكين في مسائل شتى من الإلهيات، و هكذا دفاعيات مولانا الرضا عليه السلام، فقد كانت الفلسفه اليونانيه تترجم إلى العربيّه، و لو لا إجابات المعصومين و لا سيّما الإمام الرضا عليه السلام لانهدم الدين عامّه، خصوصًا اصول الإسلام في التوحيد.

ب) دفعهم عليهم السّلام باب السياسة؛ و هو كمصالحه مولانا المجتبي عليه السّلام مع معاويه، و نهضه أخيه المفدى عليه السّلام فى حكومه يزيد (عليه اللعنه).

ج) المنع فى باب الأخلاق المتعلقه بعواطف الناس و الروابط بينهم، و هذا يوجد فى تعاليمهم الأخلاقية؛ لئلا تختلط الأخلاقية الموهونه بالأخلاق الدينيه للمسلمين.

د) المنع فى باب الفتن و البلايا، كال فقر و المرض و غيرهما للشيعة.

الرابعه: سبب دفعهم: كان دأب هؤلاء الأشراف عليهم السّلام فى باب أى هجوم من أى عدوّ هو استعمال السبب المناسب، كما ورد كثير من أدعيتهم عليهم السّلام فى دفع البليات و الفتن، و إليك نموذج منها:

عن بشار المكارىّ أنّه قال: «دخلت على أبى عبد الله عليه السّلام بالكوفه و قد قدّم له طبق رطب طبرزد و هو يأكل، فقال لى: يا بشار ادن فكل، فقلت: هناك الله و جعلنى فداك، قد أخذتنى الغيره من شىء رأيت فى طريقى أوجع قلبى و بلغ منى، فقال لى: بحقّى لّمّا دنوت فأكلت. قال: فدنوت و أكلت، فقال لى: حديثك، فقلت: رأيت جلوازا يضرب رأس امرأه يسوقها إلى الحبس و هى تنادى بأعلى صوتها: المستغاث بالله و رسوله! لا يغيثها أحد، قال: و لم فعل بها ذاك؟ قال:

سمعت الناس يقولون: إنّها عثرت فقالت: لعن الله ظالميك يا فاطمه، فارتكب منها ما ارتكب. قال: فقطع الأكل و لم يزل يبكى حتّى ابتلّ منديله و لحيته و صدره بالدموع، ثمّ قال: يا بشار، قم بنا إلى مسجد السّهله فدعو الله و نسأله خلاص هذه المرأه. قال: و وجه بعض الشيعة إلى باب السلطان، و تقدّم إليه بأن لا يبرح

إلى أن يأتيه رسوله، فإن حدث بالمرأه حدث صار إلينا حيث كنا. قال: فصرنا إلى مسجد السهله و صلّى كلّ واحد منّا ركعتين، ثمّ رفع الصادق عليه السّلام يده إلى السّماء و قال: أنت الله لا إله إلا أنت مبدئ الخلق و معيدهم. (الدّعاء المذكور فى كتب الأدعيه و المزار) قال: ثمّ خرّ ساجدا لا أسمع منه إلا النّفس، ثمّ رفع رأسه فقال: قم، قد أطلقت المرأه. قال: فخرجنا جميعا، فبينما نحن فى بعض الطّريق إذ لحق بنا الرّجل الّذى و جهنا إلى باب السّليطان فقال له: ما الخبر؟ قال: لقد أطلق عنها. قال: كيف كان إخراجها؟ قال: لا أدرى، و لكننى كنت واقفا على باب السّليطان إذ خرج حاجب فدعاها فقال لها: ما الّذى تكلمت به؟ قالت عثرت فقلت: لعن الله ظالميك يا فاطمه، ففعل بى ما فعل، قال: فأخرج مائتى درهم و قال: خذى هذه و اجعلى الأمير فى حلّ. فأبت أن تأخذها، فلما رأى ذلك منها دخل و أعلم صاحبه بذلك، ثمّ خرج فقال: انصرفى إلى بيتك. فذهبت إلى منزلها» (١).

الخامسه: كيفيه منعهم عليهم السّلام على قسمين: إمّا بالتسيب كتعليم صلاه جعفر الطيار (عليه الرضوان)، أو بالمباشره، أى أنّهم بأنفسهم يباشرون الدعاء و التضرّع إلى الله، كما أشير إليه آنفا.

السادسه: تظهر عموميه دفعهم حتّى عن غير شيعتهم للمتتبع فى تاريخ حياتهم الطيبه، أنّهم عليهم السّلام قد يدفعون البلايا عن غير شيعتهم، كما يشهد

ص: ٢٠٢

١- مستدرک الوسائل ٣: ٤١٩- ٤٢٠/ ح ٣٩٠٨- [١] عن المزار الكبير للمشهدى ١٦٥، و رواه المجلسى فى بحار الأنوار ١٠٠: ٤٤١- ٤٤٣/ ح ٢١ كما فى المزار الكبير كاملا.

عليه ما روى عن معلّى بن خنيس قال: «خرج أبو عبد الله عليه السّلام في ليله قد رشّت (١) و هو يريد ظلّه بنى ساعده، فاتّبعته فإذا هو قد سقط منه شيء، فقال: بسم الله، اللهمّ ردّ علينا. قال: فأتيته فسلمت عليه، قال: فقال: معلّى؟ قلت: نعم جعلت فداك، فقال لى: التمس بيدك، فما وجدت من شيء فادفعه إليّ. فإذا أنا بخبز منتشر كثير، فجعلت أدفع إليه ما وجدت، فإذا أنا بجراب أعجز عن حمله من خبز، فقلت: جعلت فداك أحمله على رأسى؟ فقال: لا، أنا أولى به منك، و لكن امض معى. قال: فأتينا ظلّه بنى ساعده فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يدسّ الرّغيف و الرّغيفين حتّى أتى على آخرهم، ثمّ انصرفنا، فقلت: جعلت فداك، يعرف هؤلاء الحقّ؟ فقال: لو عرفوه لو اسيناهم بالدّقّه (و الدّقّه هى الملح).» (٢).

لا شكّ فى أنّ الفقر عدوّ قوَى للإنسان، فعلى هذا كانوا عليهم السّلام يدفعونه حتّى عن غير شيعتهم من العدو، كما نقل فى قصّه المتوكّل المتقدّمه.

فلو سئل عن سبب دفعهم البليّه عن الأعداء كما أنّ عليّاً عليه السّلام كان يغيث الخلفاء من قبله و يدفع عنهم البلوى فى إجاباته لهم عن المعضلات و غيرهما، حتّى قال الثانى منهم كترّات و مرّات: «لو لا علىّ لهلك عمر» (٣)، و لو فوّض الأمر إلينا لتركنا الدفع عنهم، و لكن نجيب عنه بجوابين:

(١) أنّ حكمتهم فى مصالح الفرد و المجتمع فى الأمور الدنيويّه

ص: ٢٠٣

١- (*). أى أمطرت.

٢- (١). الكافى ٨: ٤٠-٩٠ ح ٣-باب صدقه الليل. [١]

٣- (٢). الكافى ٧: ٤٢٤ ح ٦-باب النوادر، و [٢] من مصادر علماء السنّه عشرات منها.

و الأخرويه بالغه مبتنيه على عصمتهم الكبرى و علمهم الواسع، و لعل من ثمراته تأليف القلوب و حفظ المصالح المهمه للأمة.

(٢) أنهم عليهم السلام مظاهر صفات الله الجلايه و الجماليه، و منها الرحمه الرحمانيه التي وسعت كل شيء، فهذه الرحمه الواسعه تتجلى فيهم عليهم السلام كسائر أخواتها من الصفات، فهذا التجلى لا يقتضى غير ذلك الدفع العام، كما في دعاء شهر رجب «يا من يعطى من لم يسأله و من لم يعرفه تحننا منه و رحمه» (١).

السابعه: دفعهم فى الآخره عن شيعتهم خاصه يكون بالشفاعه التي لا تليق لغير المؤمن بهم، و يطردون الخير عن أعدائهم، ليكون الشر للأعداء و الخير للأولياء خالصا محضا، كمنعهم الأعداء من الكوثر، لأن الرحمه الشامله فى الآخره هى الرحمه الرحيميه المختصه بالمؤمنين كما قال سبحانه: وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُوْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (٢).

الثامنه: أن «الحماه» جمع «حامى»، كرماه جمع «رامى»؛ بيانه أنهم عليهم السلام عند هجوم الأعداء على الأولياء كانوا ذاده، و فى سوق أوليائهم إلى الأعداء مضافا إلى قيادتهم كانوا حماه، و هذا كمال فعلى خارجى

ص: ٢٠٤

١- إقبال الأعمال ١٤٧- [١] أدعيه كل يوم من رجب- طبعه مؤسسه التاريخ العربى،- انتشارات أهل الذكر. و جمال الأسبوع للسيد ابن طاووس ٢٣٥. [٢]
٢- ٢. الأعراف: ١٥٦. [٣]

«و أهل الذّكر»

و فيه خمس نكات:

الأولى: قد تقدّم معنى الأهل فى الفصل الأوّل فلا- حاجه إلى تكراره، و لكنّ الجدير بالذكر أنّ هذه الفقرة مأخوذه من القرآن، حيث قال سبحانه:

فَسَيَتْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢)، المراد فى الآيه من «أهل الذّكر» هم العلماء من أهل الكتاب، أى اليهود و النصارى، و فى تأويلها هم الأئمّه عليهم السلام كما ورد كثير من الأخبار فى المقام، منها ما فى (البصائر) عن

ص: ٢٠٥

١- و وجه كمالته لهم هو عدم الخطأ، لدفعهم للتأثير، و أنت خبير بأنّ كلّ دفع من غير المعصوم لا يمكن عدم الخطأ فيه، كما أنّ فى دفعهم لا- يمكن الخطأ، فلو وقع الخطأ أو الخلاف فى دفعهم لا- تقرضت الشيعة و اختلّ نظام الشريعة، و لا- يختصّ دفعهم بالمؤمنين بهم من البشر، بل يعمّ المؤمنون من الجنّ أيضا. و لكنّ ينبغى أن يقال: إنهم عليهم السلام يدفعون البلاء و الشرّ عن أىّ مبتلى ما لم يناف الدفع التكليف، أمّا إذا كان بين دفع و تكليف منافاه فلا، بل يبقى الأمر فى أفق التكليف و اختيار العباد («لِيَهْلِكَ مِزْنَ هَلْمِكَ عَيْنَ بَيْنِهِ وَ يَحْيَى مِزْنَ حَيِّ عَنْ بَيْنِهِ» (الأنفال: ٤٢). و [١] لا- يلزم لهم عليهم السلام فى مثل هذه الموارد الدفع بنحو الإعجاز، كقضه كربلاء و غيرها؛ لثلاث- يقع البطالان فى التكليف و التبديل فى سنّه الله، كما قال سبحانه: «وَ لَنْ تَجِدَ لِسِنَّهُ اللَّهَ تَبْدِيلًا» (الفتح: ٢٣). [٢] فالحاصل ما ينظر إليه هو أهمّيه الباعث على الإعجاز، فإن كان الباعث من أمّهات المسائل و مهمّاتها، كإثبات النبوه أو الإمامه أو إثبات التوحيد أو إبقائه و لا طريق للوصول إليه إلا بالإعجاز، فحينئذ يلزم فعل المعجز، كما فى غزوه بدر حيث لم يبق طريق طبيعى للغلبه على الأعداء و إثبات النبوه و المنع من انهدام أساس التوحيد، فأنزل الله الملائكه لنصره الإسلام.

(٢-٢). الأنبياء: ٧. [٣]

الباقر عليه السّلام: «الذّكر القرآن، و نحن أهله» (١). و الحاصل أنّ بعض الكمالات لآل البيت عليهم السّلام مصرّح بها في القرآن، كما في أنّهم موضع الرسالة و أهل الذكر و غيرهما، و بعضها ملوّح به و العلم به، يحصل لمن يحصل بتوفيق الله و منه، و لو لم يحصل هذا العلم لنا، فإنّا مؤمنون بأنّ كلام الإمام هو كلام الله في كتابه الناطق، و هو العدل لكتابه الصامت، و بتعبير آخر:

الطائفة الأولى من الكمالات مأخوذة من الثقل الأكبر، و الثانيه من الثقل الأصغر، و الثقلان متوافيان و لا يتفارقان، و يتفرّع على هذا أنّ وصفهم بما جاء في القرآن أو في كلامهم واحد؛ لأنّ كليهما كتاب الله، و كلّ كلام من أيّ واحد منهما يكون كلام الله، لأنّ القرآن كتاب مبين كما قال سبحانه:

وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٢)، و كلّ واحد منهم عليهم السّلام إمام مبين، كما قال سبحانه: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (٣).

الثانيه: يقع التحقيق في الذّكر من جهتين:

ألف) ما هو معنى الذّكر؟ الذّكر ما يقابل الغفلة أو السهو، و هو حقيقه حاصله في قلب الذاكر للمذكور بزوال سهوه أو زوال غفلته عن المذكور، قال سبحانه: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعْتَدْ بَعْدَ الذُّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ

ص: ٢٠٦

١- بصائر الدرجات، ٣/٦٣ ح ٢٧-الباب ١٩ [١] من الجزء الأوّل.

٢-٢ (٢). الأنعام: ٥٩. [٢]

٣-٣ (٣). يس: ١٢. [٣]

ب) أسباب الذكر: إن اطلق الذكر في الآيات و الأخبار على حقائق كالقرآن (٢) و النبي محمد صلى الله عليه و اله (٣) و الصلاة (٤)، فلا منافاه بين هذه الإطلاقات و المعنى الكلّي للذكر؛ لأنّ في جميع هذه الإطلاقات ذكر السبب و اريد المسبّب، فالنبي صلى الله عليه و اله هو سبب الذكر لا- نفسه، لأنّه صلى الله عليه و اله يزيل الغفله عن الغافلين فيحصل ذكر الله في قلوبهم كحصول الذكر و زوال الغفله بسبب الصلاة، كما قال سبحانه: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ (٥).

الثالثة: قد تقدّم أنّ إطلاق الذكر على كلّ من القرآن و النبي و سائر الكتب السماويّه و النبي صلى الله عليه و اله و الصلاة اريد به المسبّب بذكر السبب، فالقرآن أو الكتب الماضيه أو النبي أو الصلاة سبب لزوال الغفله أو السهو، فيظهر ممّا ذكر علم آل البيت عليهم السّلام بجميع الكتب من القرآن و غيره لسقوط أهليّه الآخرين عن الذكر بعدم العلم بها. إذا هم عليهم السّلام عالمون بها

ص: ٢٠٧

١- الأنعام: ٦٨. [١]

٢- ٢. عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «الذكر، القرآن» (بصائر الدرجات، ٥٧/١- الباب ١٨ من الجزء الأوّل).

٣- ٣. عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «الذكر، محمد صلى الله عليه و اله» (بصائر الدرجات، ٦٠/١١- الباب ١٩ من الجزء الأوّل).

٤- ٤. وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (طه: ١٤). [٢]

٥- ٥. العنكبوت: ٤٥. [٣]

جميعا كما يشهد عليه ما ورد عن الإمام عليّ عليه السّلام: «لو ثبت لي الوساده فجلست عليها لحكمت بين أهل التّوراه بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزّبور بزبورهم، و بين أهل القرآن بقرآنهم» (١).

الرابعه: في بيان المذكور، نقول: إنّ كلّ حقيقه في جنب الكمال المطلق حقير صغير، فلا- ينبغي للعاقل المتفكّر و لذى الفطره السليمه أن يذكر سواه، و ذلك واضح بأنّ لا- كمال مطلقا غير الحقّ سبحانه، كما قال الإمام عليّ عليه السّلام في وصف المتّقين: «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم» (٢)، و قال أيضا: «عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك» (٣). و قد أمر القرآن بكثرة ذكر الله في كثير من آياته الشريفة و وصف الذاكرين و مدحهم و وعدهم، و ذمّ الغافلين عنه تعالى و المعرضين عن ذكره و أوعدهم، منها قوله تعالى: وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيْرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ (٤)، وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيْرًا وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيْرِ وَ الْبَيْكَارِ (٥)، الَّذِينَ يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ قِيَامًا وَ قُعُوْدًا وَ عَلٰى جُنُوْبِهِمْ (٦)، حيث عدّهم من أولى الألباب.

الخامسه: في بواعث الذكر؛ أنّ كلّ ذاكر لأئى مذکور يرى في مذكوره ما

ص: ٢٠٨

١- بحار الأنوار ٣٥: ٣٩١/١٤ - [١] عن: تفسير فرات ٦٩. [٢]

٢- ٢. نهج البلاغه: الخطبه ١٩٣. [٣]

٣- ٣. نهج البلاغه: الحكمه ١٢٩. [٤]

٤- ٤. الجمعه: ١٠. [٥]

٥- ٥. آل عمران: ٤١. [٦]

٦- ٦. آل عمران: ١٩١. [٧]

لا يرى في غيره من الكمال أو غيره من الميزات، فذاكر الله يذكره سبحانه، لأنه عارف به موقن بوجوده و صفاته من الجماليه و محامد أفعاله، بحيث يعشقه و يشتاق إليه و لا يحب أن ينساه و لو لحظه واحده، و لا يملّ بذكره، كما قيل: «الغفله عن الله كفر، و الغفله عن حقيقه ذات الله توحيد».

فتحصّل أنّ الباعث إلى ذكر الله هو كماله، بل كونه تعالى كمالاً محضاً، و يتفرّع على ذلك أنّ آل البيت عليهم السّلام هم أهل الذكر و الكاملون في هذا الشأن، بحيث لا يبلغ أحد في ذلك إليهم، فإطلاق أهل الذكر لا يناسب حقيقه إلاّ عليهم، لسعه علمهم بأسباب الذكر و كمال عرفانهم بالمذكور و كماله، و لكن ليس كلّ ذاكرون من أهل الذكر على حدّهم عليهم السّلام لضعف علمه بأسبابه و ضعف عرفانه بالمذكور و كماله، كما قال الإمام عليّ عليه السّلام: «أهل القرآن أهل الله و خاصّته» (1)، و جدير بالذكر أنّ هذه الفقره مشيره إلى واحد من كمالاتهم النفسانيه.

٢١

«و أولى الأمر»

و فيه ستّ نكات:

الأولى: هذه الفقره الشريفه متّخذة من صريح القرآن في كونهم عليهم السّلام أولى الأمر، كما قال سبحانه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ

ص: ٢٠٩

١- .غرر الحكم ٣٤، [١] عيون الحكم ٣٣٧:٥، كتر العمال/خ ٢٢٧٨.

وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١)، وهذه (الفقره) مشيره إلى كلِّ كمال من كمالاتهم عليهم السّلام الذي سيّضح لك و من أى نوع هو.

الثانيه: لفظه «أولى» قريبه المعنى من «الصاحب» و«ذى»، و تختلف عن الصاحب بكونها مستعمله على قصد التشريف و التكريم غالباً، و لكنّ الصاحب ليس كذلك فى الاستعمال، فبينهما عموم و خصوص، فيكون «الصاحب»، عامّاً و«أولى»، خاصّاً. و أمثليتهم كالأتى: أوّلو الأبصار (٢)، أوّلو الألباب (٣)، أوّلو النعمه (٤)، أوّلو العلم (٥)، أوّلو القوّه (٦)، أوّلو النّهى (٧)، أوّلو الفضل و أوّلو القربى (٨)؛ أوّلئك أصحابُ النَّارِ ٩.

الثالثه: نقل بالتواتر ١٠ فى شرح المجلسى الأوّل (لزياره الجامعه) من أنّ المراد من أولى الأمر هم الأئمه الاثنا عشر عليهم السّلام، منها: خبر جابر الجعفى

ص: ٢١٠

١- النساء: ٥٩. [١]

٢-٢. «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولَى الْأَبْصَارِ» (آل عمران: ١٣). [٢]

٣-٣. «وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ» (البقره: ٢٦٩). [٣]

٤-٤. «وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا» (المزمل: ١١). [٤]

٥-٥. «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ» (آل عمران: ١٨). [٥]

٦-٦. «مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ» (القصص: ٧٦). [٦]

٧-٧. «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولَى النَّهْيِ» (طه: ١٢٨). [٧]

٨-٨. «وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى...» (النور: ٢٢). [٨]

قال: «سمعت جابر بن عبد الله يقول: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ قلت: يا رسول الله، عرفنا الله و رسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ قال: هم خلفائي يا جابر و أئمة المسلمين من بعدى، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراه بالباقر، و ستدرکه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمی و کتبی حجه الله في أرضه و بقيته في عباده، ابن الحسن ابن علي، ذاك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض و مغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته و أوليائه غيبه لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان. قال: فقال جابر: يا رسول الله، فهل ينتفع الشيعة به في غيبته؟ فقال صلى الله عليه و اله إي و العذی بعثني بالنبوة، إنهم لينتفعون به يستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس و إن جللها السحاب. يا جابر، هذا مكنون سر الله و مخزون علم الله، فاكتبه إلا عن أهله» (١).

الرابعه: الاعتقاد بالشىء يستلزم الاعتقاد بلوازمه (و إلا - لا تنتفت الملازمه بينه و بينها)، فلكونهم عليهم السلام أولى الأمر لوازم، فبالاعتقاد بأنهم اولو الأمر يعتقد المؤمن باللوازم التاليه.

أحدها: وجوب إطاعتهم؛ لاستحاله كونهم أولى الأمر و عدم وجوب

ص: ٢١١

١- . تفسير الصافي [١] للفيض الكاشاني ١: ٤٦٤- [٢] ذيل الآيه ٥٩ من سوره النساء.

ثانيها: أنّ وجوب طاعتهم طولّي؛ لوجوب طاعه الله ورسوله، لا عرضي؛ لتفرّغ الإمامه على الرساله و تفرّعهما على الألوهيه.

ثالثها: أنّ طاعتهم منجيه ككون معصيتهم مهلكه، وإلا لم تتفرّغ الإمامه على الرساله.

رابعها: أنّهم عليهم السّلام معصومون و ما ضلّوا (في عقيدتهم) و ما غوا (في عملهم)، و لا ينطقون عن الهوى، كما كان الرسول صلّى الله عليه و اله، و إلا كانوا غير معصومين.

الخامسه: في بيان أمر الذي هم عليهم السّلام أولوه؛ إنّ للأمر معنى كثيّر و مفهومًا واسعًا، و لهذا الكلّيّ الواسع مصاديق ثلاثه، الأجلّي و الجليّ، و الخفيّ..

فأجلاها هو عالم الأمر الذي يقابل عالم الخلق، كما قال سبحانه: **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ (١)**، قالت الحكماء: «إنّه عالم المجرّدات التي توجد بلا مادّه و لا مدّه و لا تدريج، كالعقول و الأرواح و الملائكه»، خلافا لعالم الخلق الذي يحكم عليه بالمادّه و المدّه و التدريج، المعبّر عنه بعالم الملك و الشهود، فالحاصل أنّ أجليّ المصاديق من الأمر هو عالم المجرّدات، و آل البيت عليهم السّلام هم صاحبوه و الآمرون فيه.

و الجليّ من مصاديق الأمر، هو عالم الكون و الفساد، المعبّر عنه بعالم

التكوين أو المادّه، فعلى هذا يقرّ الزائر بأنّهم قادرون على كلّ ما يشاؤون بإذن الله فيه من القبض و البسط و التصرف، كصعود الأبخرة و نزول الأمطار و إنبات النبات و حركه الأرض و غير ذلك، و إليك ما نروى عن مولانا الباقر عليه السّلام: «كلّ شيء خلقه الله من طير أو بهيمه أو شيء فيه روح فهو أسمع لنا و أطوع من ابن آدم» (١).

فبهذا يثبت نفوذ ولايتهم التكوينيّة في عالم المادّه كلّها (٢)، و الخفيّ من مصاديق الأمر هو أمر قبال النهي، فعلى هذا قد تجرى أوامرهم و نواهيهم و تنفذ بطاعه الناس منهم و قد لا تجرى. و هذا هو السرّ في خفاء هذا المصداق للأمر، لكون المأمورين بها مختارين، و الأمرين (آل البيت عليهم السّلام) كمستخلفهم ليسوا بمصيطنين، كما قال سبحانه: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٣).

السادسه: أنّ هذا الشأن لهم عليهم السّلام كمال نفسانيّ باعتبار الأوّلين لمصاديق الأمر، و كمال فعليّ بالاعتبار الثالث.

٤٢

«و بقیه الله و خیرته»

و فيه ثمان نکات:

ص: ٢١٣

١- الكافي ١/٤٧١: ٤-باب مولد أبي جعفر محمد بن عليّ عليهما السّلام. [١]

٢-٢. سيأتيك بسط الكلام في محلّه إن شاء الله تعالى.

٣-٣. الغاشية: ٢٢، ٢١. [٢]

الأولى: هذان الوصفان في هذه فقره مأخوذان من الآيتين التاليتين:

الأولى: بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)، والثانية: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ (٢). وهذا الاتخاذ و نحوه شاهد قوى على الالتيام التام بين القرآن و بين ما صدر من الأئمة الكرام، كما هو مفاد حديث الثقلين المتواتر من عدم وقوع المفارقة بينهما إلى يوم القيامة.

الثانية: في هذه فقره معطوف و معطوف عليه، فالمعطوف هو الصفه الثانيه «و خيرته»، و المعطوف عليه هو «بقية الله»، و ليس عطف الثانيه على الأولى عطفًا لفظيًا فقط، بل هو عطف معنوي أيضا، لأن الوصف الثاني (خيرته) يترتب على الوصف الأول (بقية الله)، و الترتب بينهما يمكن أن يكون ترتب المعلول على علته أو ترتب المقتضى على مقتضيه، بمعنى أن كونهم عليهم السلام «خيرته الله» معلول أو مقتضى لكونهم بقية الله.

الثالثة: إضافة البقية إلى لفظه «الله» هنا لاميّه لا بيانيّه، لأن البيانيّه لا تتم إلا ب «من»، إذا يكون آل البيت عليهم السلام «بقية»، و يكون الحقّ تعالى مبقيا منه، و قد يتصور في «المبقى منه» زوال (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)، و لكن إذا كانت الإضافة لاميّه يكون آل البيت عليهم السلام بقية لله، أى بقية مختصّه أو مملوكه (و نحو ذلك) له تعالى.

ص: ٢١٤

١- هود: ٨٦. [١]

٢- ٢. القصص: ٦٨. [٢]

الرابعة: يتصوّر كونهم بقيه له تعالى على وجوه ثلاثه:

الأول: بمحو ذاته بقاء أحد أوصافه سبحانه و لهذا سَمِيَ بالباقي، قال الطوسي في «تجريد العقائد»-المسألة السابعة: في أنه تعالى باق، توضيح الكلام أن صفاته تعالى الذاتيه تنقسم على حقيقته ذات إضافه، كالقادر و العالم، و حقيقته محضه، و هي التي لا متعلق لها سوى ذاته المقدسه، بخلاف الأولى المتعلقه بالمقدور و المعلوم و نحوهما، فالبقاء من النوع الثاني من الصفات.

فالحاصل أنهم عليهم السلام بقيه الله بهذا المعنى في مقام المفهوم الذي هو مقام الاستدلال و الإثبات، و لكن لا يدرك كونهم بقيه الله بهذا المعنى مصداقا، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه و اله: «لا تسبوا عليا فإنه ممسوس (١) في ذات الله» (٢)؛ فبهذا المعنى يعلم إجمالا كونهم بقيه الله، و لكن ينبغي أن يعلم أن ليس عندنا دليل على اختصاص هذا الشأن بالإمام علي عليه السلام فقط، و أيضا ينبغي ذكر أننا مسجونون في عدّه سجون: سجن الإمكان الذاتى، و سجن الطبيعه المادّيه، و سجن الأوهام الباطله، إذا لا يمكن لنا إدراك ما وراء السجون و حقيقه الحال في كون آل البيت عليهم السلام بقيه لبقائه الذاتى سبحانه.

ص: ٢١٥

١- يلزم ذكر أن المراد من المسّ في الخبر ليس كمسّ جسم بجسم، حتّى ينجزّ إلى الحلول أو الاتّحاد الباطلين، كما اعتقد به بعض المنحرفين عن الحقّ من الغلاة في حقّ آل البيت عليهم السلام و لا سيّما علي عليه السلام أو النصارى في حقّ المسيح عليه السلام، و أيضا لا يمكن لنا العلم بحقيقه الحال من مراد المسّ.

٢- (٢). بحار الأنوار ٣٩: ٣١٣/٥- [١] عن: مناقب آل أبي طالب ١٨: ٢-١٩. [٢]

الثانى: كونهم بقيه الله بمحو وصفى، و هو أن كل واحد منهم فان فيه تعالى، يستلزم ذلك كونهم فى أعلى مرتبه البقاء به، أى ظهر بقاؤه تعالى فيهم بأقوى الظهورات لله و أتم التجليات فيهم، فبهذا الاعتبار و كذا بالاعتبار الأول يكون هذا الكمال كاملا ذاتيا لهم، و لكن بالاعتبار الثالث كان من نوع الكمال الفعلى لسببهم فى بقاء غيرهم من التكوين و التشريع.

الثالث: كونهم بقيه الله بنحو فعلى، و هو كونهم سببا (من قبله تعالى) لبقاء نظامى التكوين و التشريع، و سببهم لبقاء التكوين هى ولايتهم التكوينية، و لبقاء التشريع إمامتهم و خلافتهم عن رسول الله صلى الله عليه و اله بلا واسطه و عن جميع الأنبياء و الرسل معها، كما يشهد عليه كلام مولانا الرضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و اله: «لو خلت الأرض طرفه عين من حججه لساخت بأهلها» (١).

الخامسه: الدليل على المراد، و يستدل على كونهم بقيه الله بكونهم «وجه الله» و وجه الله لا يقبل الفناء، كما قال سبحانه: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (٢)، كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (٣)،

ص: ٢١٦

١- بصائر الدرجات / ٤٨٩ ح ٨-الباب ١٢ [١] من الجزء العاشر.

٢-٢ (٢). القصص: ٨٨. [٢]

٣-٣ (٣). الرحمن: ٢٧، ٢٦. [٣]

و يشهد على كونهم وجه الله هو ما ورد عنهم عليهم السّلام: «نحن وجه الله»، (١) وإطلاق الوجه على الإمام المهديّ صاحب الزمان عليه السّلام: «أين وجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء؟» (٢) وأيضاً قال النبيّ صلّى الله عليه و اله: «تنام عيناى و لا ينام قلبى» (٣)، و أبين من ذلك قول الإمام علىّ عليه السّلام: «إنّه يموت من مات منا و ليس بميت» (٤).

السادسه: لا يختصّ هذا الشأن ببعض آل البيت عليهم السّلام (المراد من البعض هو الإمام المهديّ صاحب الزمان عليه السّلام)، لأنّ الموجب يعمّ الجميع، و هو كونهم وجه الله، و لا دليل على التخصيص.

السابعه: يمكن أن يكون المراد منه (الخيره) معنى مصدرياً أو وصفيّاً أو تفضيلاً، فمن الأوّل قوله سبحانه: ما كان لهم الخيره (٥) (الاختيار)، و من الثانى قوله سبحانه: أن يكون لهم الخيره (٦) (الخير و المختار)، و من

ص: ٢١٧

١- الكافي ١: ١٤٣/٣-باب النوادر. [١]

٢-٢. مصباح الزائر للسيد ابن طاووس ٢٣٠. [٢]

٣-٣. مستدرک الوسائل ٥: ١٢٣/٥-٥٤٨٤- [٣] عن مصباح الشريعه، ص ٢٤٩- [٤] باختلاف فى لفظه. وجه دلالة هذا الخبر على المراد هو أن نوم القلب ينافى بقاء ذاته الشريفه، فيعلم من ذلك أن قلبه الشريف يقظان دائماً، و هو نحو من البقاء، مضافاً إلى أن عروض النوم أو الموت الطبيعى على من كان وجه الله يوجب خلوّ الأرض عن واسطه الفيض، و ينجّر إلى انقطاع عالم الشهود من النشاط الربويّه و تعطيل الكون و الشريعه بالكليه.

٤-٤. نهج البلاغه: الخطبه ٨٧. [٥]

٥-٥. القصص: ٦٨. [٦]

٦-٦. الأحزاب: ٣٦. [٧]

الثالث قوله سبحانه: وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى (١).

فالحاصل إن قلنا خيره على المعنى الأوّل، يكون المراد منه المبالغه كـ«زيد عدل»، وإن قلنا على الثانى يكون كلّ واحد منهم الذى اختاره الله، و إن قلنا بالثالث فظاهر أنّهم خيره الخلق و أفاضلهم حتّى على النبيين و الملائكه المقربين، و لا استحاله فى ذلك عقلا، بل و يشهد عليه كثير من الأخبار، فيجب الاعتقاد بأفضليتهم عليهم السّلام على غيرهم.

الثامنه: تفسير كونهم عليهم السّلام خيره (٢): لا يخرج موجود عن حالين:

ألف) أن يكون مادّيّا من عالم الكون و الفساد، كالعنصر و الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان (باعتبار هويّته الخارجيه لا من حيث إنّه نوع من الحيوان أو ذو بعد مجرّد)، فكلّ ما كان من حيث الوجود و الكمال أضعف فهو إلى العدم أقرب، و وجوب الوجود و ثبوته فيه أضعف، و هكذا كلّ ما كان الوجود و الكمال فيه أشدّ و أكد كان إلى وجوب الوجود أقرب، (المراد من وجوب الوجود هنا هو الوجوب الغيرى لا الذاتى الذى لا يمكن له أكثر من واحد و هو منحصر فى الله تعالى)، فيكون العنصر من النوع الأوّل كلّ من البواقى بالقياس إلى الأكمل منه، يكون إلى العدم أقرب، فبالنسبه إلى أنقص منه، يكون إلى وجوب الوجود أقرب. و قس على هذا الأصل: الجماد الذى هو أكمل من العنصر فى شدّه

ص: ٢١٨

١- الأعلى: ١٧، [١]

٢- ٢). غير ما تقدّم فى النكته السابقه من حيث لغه الخيره.

الحركة و الكمال، و النبات الذى أكمل من الجماد حركه و وجودا، و هكذا الحيوان بالنسبه إلى النبات مع كونه مدركا. فالإنسان الذى هو فوق هذه الأجناس المتقدمه، الوجود فيه أكد و أشد (1)؛ لأنه للحركه و الإدراك أجمع من السوابق، فهو أقرب الأجناس إلى الوجود و أبعدها من العدم.

ب) أن يكون مجردا غير مادى، و لا شك فى كون المجردات (كالملائكه و العقول) خيرا بالنسبه إلى الماديات، لكون المادى فى معرض الكون و الفساد و التبدل و الاضمحلال و الاندثار و الزوال و غير ذلك و المجردات مصونه عن جميعها، مضافا إلى أنها دفعيه الوجود مع الإثبات و الدوام، و لا حد سوى الإمكان الذاتى لحياتها، مضافا لعدم تراحم أو تعارض بينها.

فالحاصل أن الملائكه و العقول تفوق على الماديات، لأن الوجوب فيهم أقوى و الإمكان فيهم أضعف، فبهذا التقرير يتبين خيريه آل البيت عليهم السلام بالنسبه إلى جميع ما سوى الله حتى الملائكه، لكون الوجود و الوجوب الغيرى فيهم أكد و أشد من الملك، و كونهم للكمالات أجمع؛ لكون الملك مستفيضا من الإنسان الكامل، لكمال علمه، كما قال سبحانه:

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ

ص: ٢١٩

١- . لكونه عالما بنفسه من جهه حركته و إدراكه، و بما سواه من الموجودات و بما فيها من الإدراك و الحركة و الكمال.

كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١)، و أنت خير بأن العلم أشرف الكمالات بل هو كمال وحيد بعد العقل يمتاز به المجرد عن المادّي، كما قال سبحانه: وَ لَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢). و يتبين أيضا ميزان تفاضل الكملين من الإنسان فيما بينهم، فكل من كان منهم أعلم يكون الخير و الأفضل بالنسبة إلى أدناه في العلم، فآل البيت عليهم السّلام أشرف من الأنبياء (سوى النبي الختمى و أفضلهم)، كما كان علمهم عليهم السّلام أوسع منهم، كما تقدّم بعض الكلام في المقام (٣)، و لعلّ مزيد بيان يأتي من بعد إن شاء الله.

٤٣

«و حزبه»

و فيه ستّ نكات:

الأولى: معنى الحزب؛ إنّ للفظه «حزب» مع ألفاظ أخرى كالطائفه

ص: ٢٢٠

١- البقره: ٣١. [١]

٢-٢. الدخان: ٣٢. [٢]

٣-٣. إجابة عن سؤال، و هو: أنّ آل البيت عليهم السّلام لا شكّ في تقدّم وجوداتهم الشريفه على غيرهم في عالم الغيب (كما هو مفاد كثير من الأخبار و الأدلّه)، فإن قلنا بأنّ المراد من كونهم خيره هو معناه التفضيليّ لزم منه كون المفضّل عليه حتّى يقاس بين المفضّل و المفضّل عليه، و يكون آل البيت عليهم السّلام مفضّلين و الفرض عدم الموجودات هناك، نقول: إنّ للموجودات (كما أشرنا في ما مضى) قبل وجودها العينيّ وجودا آخر في علمه سبحانه، يعبر عنه بالوجود العلميّ، فكون الموجودات أى المفضّل عليه حاصل في علمه الذاتيّ كالمفضّل، مضافا إلى أنّهم كانوا خيره بالنسبه إلى ما يأتي من كون الموجودات، لأنّه تعالى كان عالما بما سيخلق المفضّل و المفضّل عليهم، فيكون خيريتهم بالنسبه إلى ما سيتحقّق من كون الموجودات.

و الجماعة و القوم تقاربا فى المعنى، و لكنّ الفروق الدقيقه بينها مانعه من الترادف، فيكون لكلّ منها معنى خاصّ به غير مشترك مع نظائره، لا- حاجه لنا إلى ذكر هذه الفروق، و لكن نحتاج إلى معنى الحزب و هو لفظ يستعمل فى جماعه بينها و بين غيرها منافسه و مخاصمه، كقوله سبحانه:

كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (١)، أى لكلّ حزب مع أحزاب اخرى مفارحه، و كلّ واحد منها يفرح لنفسه بالنسبه إلى الآخرين.

الثانيه: يظهر بالتأمل فى الآيات القرآنيه انقسام الحزب إلى قسمين:

حزب الله، و حزب الشيطان، كما يظهر أيضا أنّ لكلّ منهما توابع، كالخسران يتلو حزب الشيطان: أَلَا- إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢)، و الغلبه و الفلاح يتبعان حزب الله، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣)، و مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٤).

فالحاصل أنّ الزائر مع إقراره بكون آل البيت عليهم السّلام حزب الله يعترف بتاليه، أى الفلاح و الغلبه، و بالتضمّن يعترف بأنّ كلّ حزب غير آل البيت عليهم السّلام يكون حزب الشيطان، و له الخذلان و الخسران، و لا- يخفى عليك أنّ ما يفهم من لفظه حزب أيضا مضافا إلى المنافسه و المبارزه،

ص: ٢٢١

١- المؤمنون: ٥٣. [١]

٢-٢. المجادل: ١٩. [٢]

٣-٣. المجادل: ٢٢. [٣]

٤-٤. المائده: ٥٦. [٤]

احتمال وجود الآفه و الآهه، يكون استعمال المبارزه و الفلاح فى غير موردهما، فتدبر.

الثالثه: حزبيته آل البيت عليهم السّلام مع خصمهم: إنّ للمخاصمه مع حزب الله (و هم آل البيت عليهم السّلام) منشأين (1): إمكانيّ و عدوانيّ.

ألف) المنشأ الإمكانيّ: إنّ كلّ معقول سوى الواجب الذاتى و الممتنع الذاتى ممكن، و بإمكانه لا- يقتضى وجودا و لا عدما، فبحصول العله التامه يوجد و بعدم حصولها لا يوجد، و لا شكّ فى العله التامه للبارى سبحانه، و هو تعالى لا يفيض الوجود لأى ممكن إلاّ بتوسّط واسطه أو وسائط، فلو لا إرادته الله القاهره و وساطه العتره الطاهره لم يخرج عالم الإمكان من أسفل العدم إلى غرفه الوجود، فبهذا يتبين كون آل البيت عليهم السّلام حزبا غالبا مفلحا على خصمهم، و هو ليس ناشئا من الإمكان الذاتى للممكنات لتوجد، و عدم الثانى لها لتبقى و عدم الكمال فيها لتكتمل، لأنهم إطلاق وسائط الفيض وجودا و بقاء و كمالا.

ب) المنشأ العدوانيّ: يلزم لكونهم حزبا لله غالبا مفلحا غلبتهم على جميع أعدائهم و غاصبى حقوقهم و منكرى مناقبهم فى كلّ عصر و مصر، لكون حزبيّتهم لله محققه، و غلبه حزب الله مسلّمه. و لكن ليس هذه الغلبه جسديّه حتّى يشكل الأمر فى قتال مولانا المفدى الإمام الحسين عليه السّلام

ص: ٢٢٢

١- و إلاّ لا يصحّ فيهم إطلاق الحزب أو وصفهم بالفلاح و الغلبه.

و غلبه يزيد(عليه لعنه الله).فالحاصل أنّ الحسين عليه السّلام خصوصاً و سائر أهل البيت عموماً غالبون على أعدائهم الملعونين من جهات شتى، و هي:

ألف)بالحجّه و البرهان، و ذلك يّين بالمقاييسه بين مسلك كلّ منهما مع الآخر كما يشهد عقل كلّ حرّ و التاريخ في كلّ عصر من هو الغالب و من هو المغلوب.

ب)بالشأن و الشوكه: إنّ شخصيّة آل البيت عليهم السّلام كالشمس المضيئه، و شخصيّة أعدائهم كالسحب المظلمه، و لا يشكّ في هذا من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد.

ج)في الهدف و المقصد: إنّ كثيرا من الأقبام و الأمم- كما يحكى القرآن الكريم-قد انقرضوا و هلكوا بالسيول و الزلازل و الصواعق و غيرها من المهلكات، و لكنّ مسلك الأنبياء و سالكيه باق حتّى الآن و سيبقى بعون الله المّنان إلى آخر الزمان، لكون الأنبياء حزب الله كما صار المسلك كاملا من حيث العلم و العقيدته بسبب خاتم الأنبياء و سيصير كاملا من حيث العمل بنصر الله العزيز بسبب خاتم الأوصياء(المهديّ روى له الفداء)، و هذه غلبه في مقصد نسبيّ.

و أمّا غلبتهم في المقصد النهائي، و هو بلوغ المؤمنين إلى جنّه الرضوان، فستحصل في الآخره إن شاء الله. و الحاصل أنّ هذه الغلبات تكون بالجملة(و لله الحمد)لا في الجملة، لكمال الشرائع يوما بعد يوم،

و ظهور الإسلام كنتيجه هادفه لجميع الكتب الماضيه و الأنبياء الماضين، و بقاء الشيعة (و لله المنه) من بين المذاهب الباطله الإسلاميه مع شدّه محاربه أعدائهم لهم على مدى قرون طويله.

الرابعه: أنّ للولايه المطلقه لآل البيت عليهم السلام شأنين:

الأول: الشأن الجميل، كالمعجزات الصادره عنهم، أو إخباراتهم عن المغيب أو كشف بعض الأسرار لبعض أصحابهم من الأحرار فى غير مقام الخصومه.

الثانى: الشأن الجليل مع المخاصمه، و هذا فى مقام دفع الأعداء و مكائدهم و الغلبه عليهم. و الحاصل أنّ حزبيتهم لله تكون من شؤونهم الجليله، و لا يخفى عليك أنّ ولايتهم التى تكون منشأ لهذين الشأنين ليست معارضه لولايه الله سبحانه (1)، و إلاّ تكون ولايتهم مستقله، و الاعتقاد باستقلال ولايه غير الله هو عين الغلوّ و الشرك (نعوذ بالله من ذلك).

توضيح الكلام: ينظر إلى ولايتهم عليهم السلام نظرتين:

الأولى: ينظر إلى وجود ولايتهم، فبهذه لا استقلال لها قبال ولايه الله.

الثانيه: إلى هويتها؛ فبهذه النظره تكون ولايتهم مستقله، هذا إذا اعتقدنا بولايتهم على مشرب أهل الكلام، و إلاّ تكون ولايتهم ظهور ولايه الله

ص: ٢٢٤

١- . كما تقدّمت غلبته على غلبه الرسل، و عطفت غلبه الرسل على غلبته سبحانه فى الآيه التاليه: «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي» (المجادله: ٢١). [١]

و تجليها فيهم و على أيديهم و ألسنتهم، كما قال سبحانه: **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (١)**، و قال سبحانه: **وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (٢)**.

الخامسة: في تعيين نوع هذا الكمال، إنّ لهذا الكمال اعتبارين: فهو (كمال الحزبيّ) باعتبار إظهارهم المعجزات و خوارق العادات، و إخبارهم عن المعنويات، فيكون كمالا فعليّا، و باعتبار وساطتهم للإفاضات عن المبدأ الفيّاض يكون كمالا نفسانيّا.

السادسة: في بيان الصلّه بين كونهم خيره و بقيته و حزبا له سبحانه؛ فنقول: إنّ دوام الحكومه ذاتيه لله، يستلزم بقاء آل البيت عليهم السّلام و سائرهم المبقية؛ فيكونون هم بقيته، و لازم ذلك كونهم خيره، لأنّ كلّ سلطان يخصّ المقربين له بشؤونه العاليه في ملكه، و لا أخصّ له سبحانه من آل البيت عليهم السّلام فيكونون هم خيره. و من لوازم الحكومه هذه وجود الأعداء المردّه من الإمكان و غيره من الإنس و الجنّ، فيلزم ذلك إذا حزبا غالبا على أولئك الأعداء.

٤٤

«و عيبه علمه»

و فيه أربع نكات:

ص: ٢٢٥

١- الأنفال: ١٧. [١]

٢- ٢. التكوير: ٢٩. [٢]

الأولى: «العيبه» ما تحفظ فيها أشياء نفيسه، كالصندوق، وتطلق على آل البيت عليهم السلام مفردة باعتبارين:

الأول: بإرادته الجنس، والثاني؛ لكونهم حقيقه واحده فيما سوى نشأه الملك والشهود.

الثانيه: فى هذه الزياره الشريفه وصف آل البيت عليهم السلام بالعلم (و هو كمال نفسانى) فى ثلاثه مواضع، بعبارات ثلاث:

١- «و خزان العلم» وقد تقدم شرح هذه الفقره.

٢- «و خزنه لعلمه» سيأتى بيانها إن شاء الله.

٣- «و عيبه علمه».

و هذا حاك عن كمال الأهميه لكمال العلم، فلو كان كمال أهّم من العلم لذكر و تكرر دونه، و لكن بين التعبيرات الثلاثه فرق. و المراد من التعبير بالخزنه أو الخزان للعلم سعه نفوسهم الشريفه، و إحاطتهم الواسعه بها كخزانه السلطان لكلّ ما يخزن فى بلاده، و لكن فى التعبير بالعيبه إشاره إلى أنفس الأشياء (الحقائق البالغه فى الأهميه) و أقومها المحفوظه فيها.

الثالثه: فى بيان فرق الإضافات الثلاث فى العلم؛ لعلّ المراد من إضافه الخزان إلى العلم هو علومهم الإمكانيه دون إضافه العيبه أو الخزنه، و لعلّ العلم الذى اضيفت إليه العيبه أو الخزنه هو العلم الوجوبى الذى هو أنفس من صاحبه؛ لأنّ فى إضافه الخزان إليه إطلاقاً، و فى هذين اضيف العلم

إلى العلم الذى اضيف إلى ذاته سبحانه، فالحاصل أن التفاوت بين الإضافات بتفاوت متعلقات العلم.

الرابعه: يقع هنا سؤال، وهو: كيف يكون آل البيت عليهم السلام خزنه أو خزاناً لعلمه تعالى مع أنهم محدودون بالإمكان، وأن علمه سبحانه لا يحدّ لأنّه عين ذاته التى لا تحدّ، فيلزم إذا أحد المحالين: إما عدم تناهى أوعيتهم الذاتيه حتىّ تسع العلم الغير متناه، أو محدوديته علمه سبحانه ليتناسب الظرف مع المظروف؟ انجيب عنه: أمّا على مبنى الكلام أو العرفان، فنقول:

أمّا الأوّل: فقد قسم المتكلمون علمه تعالى بحسب متعلّقه (متعلّق العلم) على: الذاتيّ (و هو العلم الوجوديّ)، و الفعليّ. فالذاتيّ منهما ما يتعلّق بذاته المتعالیه و صفاته الذاتيه، لأنّه سبحانه عالم بذاته، و الفعليّ من العلمين ما يتعلّق بعالم الإمكان أجمع. و قد اشير إلى كلا- العلمين فى قوله: عالم الغيب و الشّهاده (١)؛ لأنّ ذاته المقدّسه و صفاته الذاتيه هى غيب المطلق، و المراد من الشّهاده هو معلوماته الإمكانيه؛ فالحاصل أنّ العلم الفعليّ يحدّ تعلّقه بمحدوديه معلوماته الإمكانيه العيئيه، فلا يرد الإشكال فيما إذا كان آل البيت عليهم السلام خزنه أو خزاناً لهذا العلم.

و أمّا الثانى: و هو كما يقتضى العرفان، فنقول: إنّ سير الموحّدين إماماً سير إلى الله و أنّ إلى ربّك المُنْتَهى (٢)، و إمّا سير فى الله، فالأوّل للناقصين

ص: ٢٢٧

١- الأنعام: ٧٣. [١]

٢- ٢. النجم: ٤٢. [٢]

المستكملين (وهم غير المعصومين) وهو أن يكون السائر قصير في تحصيل الكمال مع كون وعائه أوسع مما حصل له، فهذا رقي من النقص إلى الكمال. والثاني هو السير في الله، وهذا السير لا نهايه له ولا نهايه أيضا لوعاء السائر إذ لم يقصر السائر في سيره ولم يترك موضعا خاليا من الكمال، بل كلما دام السير زاد في سعه وعائه، وكلما توسع وعاءه زاد في كماله، إلى غير نهايه، فهذا رقي من الكمال إلى الكمال، فكون آل البيت عليهم السلام «عبيه، أو خزنه لعلمه» هو من هذا القبيل (١).

٤٥

«و حجته»

و فيه ست نكات:

الأولى: قد تقدم معنى الحجته في الفصل الثاني والعشرين، ومضافا إلى ما تقدم نقول هنا: قال الراغب في (المفردات) في معناها: «الحجته، الدلالة المبيّنه للمحجّه، أى المقصد المستقيم و الذى يقتضى صحّه أحد النقيضين» (٢).

الثانية: بالنظر إلى ظاهر الأمر وقع تكرار حجبتهم عليهم السلام هنا و في فقره «و حجج الله»، و لكن يظهر بالدقه أنّ التكرار لا يكون غير مفيد، لأنّ التعبير

ص: ٢٢٨

١- كما أنّ حال أهل الجنّه أيضا يكون كهذا، بلّغنا الله تعالى إلى هذا الشأن بحقّ الحقّ.

٢-٢. مفردات ألفاظ القرآن، [١] أو: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانيّ ١٠٧ ([٢] حجج).

هناك بصيغه الجمع أولًا؛ و هنا بالإفراد، و ثانياً؛ قد ذكر هناك متعلق حجيتهم و هم أهل الدنيا و الآخرة و الأولى، و لم يذكر هنا شيء من المتعلق. و ثالثاً: لعلّ الإفراد هنا اشير به إلى وحدتهم فى المقصد و الهدف، كوحده الغرض فى بعث جميع الرسل، فيكونون جميعاً كشخص واحد بهذا الاعتبار. (1)

و يمكن أن يكون المراد من الأفراد هنا، جنس الحجّه أو وحده حقيقتهم عليهم السّلام فى ما سوى هذه الشّاه، و يحتمل أن يكون المراد من حجيتهم فى ما تقدّم حجيتهم على سعتها بأقوالهم و أعمالهم و نيّاتهم هناك، و المقصود من حجيتهم هنا حجيتهم بالعلم فقط لتعقب هذه الفقره بفقره «و عيبه علمه».

الثالثه: أنّ لحجيتهم عليهم السّلام توابع و فروعاً:

أحدها: وجود إنكار المنكر.

ثانيها: الاحتجاج على المنكر على حقائيتهم.

ثالثها: غلبه حجّيه الحقّ على الاحتجاجات الباطله للمنكر.

رابعها: كون الناس مخيرين فى الردّ أو القبول لحجيتهم.

خامسها: وجود الطريقتين: أحدهما الحقّ، و ثانيهما الباطل.

يفهم جميع هذه الفروع من لفظ الحجّه، و إلاّ لم تصحّ حجيتهم كما

ص: ٢٢٩

١- و قد قدّمنا فى ما مضى وحده غايات الأنبياء، و استشهدنا بآيات عديده من القرآن، فراجع.

فى قصه آدم و الملائكه عليهم السلام مثلا و تعليم الله الأسماء له و إنباء آدم الأسماء إياهم، فإن لم تكن الملائكه جاهلين بفضله و لم يكن هناك إنكار من قبلهم لم يلزمهم الله بالاحتجاج عليهم على فضله. فتبين من كونهم حجّه وجود المنكر و إنكاره و هكذا كونه، و كذا الناس مخيرون فى الردّ و القبول. و يتبين أيضا وجود الطريقتين: الهدايه و الضلاله، و خلق الإنسان لأن يسلك الأوّل و يترك الثانى، الذى وجوده تبعى و لا- استقلالى، ليصحّ الاختيار و الامتحان، و يقع الفرق بين الملك و الإنسان، و إلا لم تكن حكمه جاعلهم حجّه بالغه. و يقتضى بلوغ الحكمه كونهم حجّه بالغه تكون حكمته غير بالغه، و يشهد القرآن على بلوغ حجّه الله كما قال سبحانه: **فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ (١)**، و هذه الآيه مضافا إلى تأييد ما قلناه آنفا تؤيد ما قدّمناه من لزوم اختيار الناس فى الردّ و القبول.

الرابعه: أنّ لكونهم حجّه مضافا إلى هذه الفقره المصرّحه و ما يشبهها فى هذه الزياره أدلّه كثيره، منها ما قاله الإمام الكاظم عليه السلام: «إنّ لله على الناس حجّتين: حجّه ظاهره، و حجّه باطنه، فأمرّا الظاهره فالرّسل و الأنبياء و الأئمّه عليهم السّلام و أمّا الباطنه فالعقول. يا هشام، إنّ العاقل الذى لا يشغل الحلال شكره، و لا يغلب الحرام صبره» (٢).

الخامسه: أنّ حجّيتهم عليهم السلام ليست معارضه لحجّيه العقل، بل تكون

ص: ٢٣٠

١- الأنعام: ١٤٩. [١]

٢- ٢. الكافى ١: ١٥/١٢- كتاب العقل و الجهل. [٢]

متتاليه لها، وإلا- يلزم التعدّد في صراط اللّه المستقيم، لكلّ منهما صراط، وهذا ينافي مرحلتين من التوحيد: الربوبيّه و العبوديّة، خلافاً للتوحيد المحض الكامل في جميع المراتب، وأيضاً ينافي وحده الغايه، فالحاصل يلزم وحده الصراط، وحده الحجّه، ظاهره و باطنه، (كما قال تعالى: وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ (١))، و يلزم وحده حكم الحجّتين إلاّ بالإجمال و التفصيل، و كون أحدهما (و هي حجّيه العقل):

ذاتيّه، الأخرى: المقبوله بالعقل (و هي حجّيه الرسول و الإمام) عرضيه (٢).

السادسه: في معنى بلوغ الحجّه؛ قد تقدّم في ما مضى بلوغ الحجّه تلويحاً في الفصل المتعلّق بالموضوع، و هنا نفسيره بأوضح ممّا مضى، فهو كون الحجّه بالغه من جهات المقتضى و الكمّ و الكيف و المتعلّق؛ أمّا مقتضى الحجّه بالغه فهو حكمه الله البالغه و مقصده نيل جميع المؤمنين إلى رضوان الله، و المنكرين إلى غضبه و نيرانه، (ليتحقّق بالأوّل فضله، و بالثاني عدله سبحانه). و أمّا كمّا فشمولها و سعتها لجميع البشر، و أمّا كيفاً فتحققها بالعلم الواسع بأوسع ما يمكن، و العصمه الكامله من أبعاد الدعوه بالحكمه و الموعظه الحسنه و الجدل مع الأعداء بالتي هي أحسن.

و ينبغي القول بأنّ لحجّته البالغه مصاديق أخرى دون آل البيت عليهم السّلام

ص: ٢٣١

١- الأنعام: ١٥٣. [١]

٢- ٢). و لا يخفى أنّ تفاوت الحجّتين في الذاتيه و العرضيه، إنّما هو في العقول الجزئيه و في العقول الكلّيه، كلتاها ذاتيتان فلو كانت عقولنا كلّيه كُنّا معتقدين بحجّيه النبيّ أو الإمام من غير دليل (فافهم ذلك).

كما جاء في الحديث: قال أبو عبد الله عليه السلام: «تؤتى بالمرأه الحسناء يوم القيامة، ألتى قد افتنتت فى حسنها، فتقول: يا رب، حسنت خلقى حتى لقيت ما لقيت! فيجاء بمريم عليها السلام فيقال: أنت أحسن أو هذه؟! قد حسناها فلم تفتتن...»، (1) و لكن آل البيت عليهم السلام أجلى المصاديق للحجّه البالغه.

٤٤

«و صراطه»

و فيه تسع نكات:

الأولى: «الصراط» مفرد جمعه «صراط»، و إنما أطلقه الإمام عليه السلام فى آل البيت عليهم السلام مفردا لجهات ثلاث:

إمّا أريد منه الجنس، أو وحده جميعهم عليهم السلام فى النشآت النوريّه الغيبية دون هذه النشأه، أو البدليه بأنّ كلّ واحد منهم بدل لما سبقه، و لا- يرد على هذا الوجه إشكال سقوط مبدل منه بالبدل، لأنّ كونهم صراطا كمال فعليّ لهم، و هو (الإمامه الظاهريّه) مقصوره فى الحكومه و التشريع الظاهريين، و لا يمكن حاكمان أو إمامان مستقلّان فى عصر واحد، فسقوط السابق باللاحق لا ينتهى إلى محال أو قبيح.

الثانيه: وجه إطلاق الصراط فيهم عليهم السلام دون السبيل أو الطريق، هو أنّ الصراط موصل إلى المطلوب و لا يمكن فيه عدم الوصول إليه، لأنّ

ص: ٢٣٢

الاستقامه لازمه له (1)، و وصفه بالمستقيم، كما جاء في القرآن هو قيد توضيحيّ أو تأكيدى، و لكنّ ذلك في متقاربيه في المعنى لإمكان الاعوجاج فيهما، و لا- يرد الإشكال في استعمال السبيل أو الطريق منسوبين إلى الله في القرآن و الحديث مع إمكان اعوجاج فيهما، لأنّه أوّلا- المراد من أيّهما هو الصراط لإضافته إلى الله، و لا- يمكن الاعوجاج في سبيل أو طريق منسوب إلى الحكيم المطلق، و ثانيا: يرد إشكال فيما إذا استعملا و نسبا إلى الله دون استعمال الصراط، لأنّ القرآن يفسّر بعضه بعضا، و ينحلّ المشكل عن بعض آياته بالأخرى و هو (القرآن)، ففي نفس الوقت هو أحد ملاكات صحّه الحديث.

الثالثه: في إضافه الصراط إليه سبحانه؛ فإن كانت الإضافه لاميه بمعنى أنّهم صراط تكوينيّ لله تعالى، جعله الله مسيرا لفيضان:

الفيض من مبدئه إلى جميع ما سوى الله، و مسيرا إلى عود الخلق إليه سبحانه، كما قال تعالى: مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ

ص: ٢٣٣

١- لا ينافي كون الصراط مستقيما موصلا إلى المطلوب، و استعماله في غير الموحدين كالمغضوب عليهم و لا الضالين، لإمكان المراد من استعماله فيهم هو السبيل و إن استعمل صراطا، فيكون إطلاقه فيهم من باب التغليب الأشرف على غيره، أو المراد من كون طريقهم مستقيما أيضا كصراط المهتدين؛ لكونه موصلهم إلى مقصودهم و هو نار الجحيم. أو يمكن أن يكون الصراط واحدا، و لكنّ الضالين سلكوا فيه إلى الخلف و وصلوا إلى ما وصلوا، و لكنّ المهتدين ساروا فيه إلى الأمام و وصلوا إلى رضوان الله.

فبهذا الاعتبار يكون هذا الكمال كمالاً- نفسائياً لهم عليهم السّلام، فعلى هذا لا يختصّ كونهم صراطاً بالمكلفين فقط، بل يعمّ جميع ما سوى الله.

و أمّا بالاعتبار الثّانى- أى فيما إذا كانت الإضافة بيانيّة- فالمراد من كونهم صراطاً (شأن الإمامه) مختصّاً بالمكلفين يكون كمال صراطيتهم كمالاً فعليّاً خارجيّاً لهم كما ذكر.

الرابعه: قد تواترت الأخبار- على ما نقله الشيخ المجلسيّ- فى أنّ المراد من الصراط الموصوف بالسوى أو المستقيم، هو أئمّه آل البيت عليهم السّلام و نحن نورد هنا بعضاً منها:

١- قال أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام: «أنا صراط الله المستقيم، و عروته الوثقى التى لا انفصام لها» (٢).

٢- عن الإمام السّجاد زين العابدين عليه السّلام: «نحن الصّراط المستقيم، و نحن عيبه علمه» (٣).

٣- قال الإمام الصادق عليه السّلام فى معنى الصراط: «و هو الطّريق إلى معرفه الله عزّ و جلّ، و هما صراطان: صراط فى الدّنيا، و صراط فى الآخرة. فأما الصّراط الذى فى الدّنيا فهو الإمام المفروض الطّاعه، من عرفه فى الدّنيا و اقتدى بهداه مرّ

ص: ٢٣٤

١- هود: ٥٦. [١]

٢- ٢. بحار الأنوار ٧٠: ٨- باب الصراط- [٢] عن الشيخ المفيد فى بعض مؤلفاته فى تعريف الصراط.

٣- ٣. تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد، ص ١٠٨، فصل فى الصراط.

على الصراط الذي هو جسر جهنم» (١).

الخامسة: في بيان كونهم عين الصراط، فنقول: كونهم صراطا مغاير لكونهم هاديا فيه، إذا أخذ الكمال لا يتناهى و الحياه الأبدية مقصدا، و التوحيد بجميع مراتبه حتى يعم الأفعال و الأخلاق طريقا إليه، فيكون آل البيت عليهم السلام عين الصراط؛ لأن المعرفة بهم شرط لكمال التوحيد، و بدونها كأن التوحيد لم يكن: «صلوا كما رأيتموني أصلي» (٢).

و لكن إذا كان التوحيد مقصدا، كانوا هم هادين إليه، لأن التوحيد الصحيح لا يحصل إلا بتعليمهم و تربيتهم بأقوالهم و أخلاقهم و أعمالهم، فالحاصل يعتبر كونهم صراطا بالمعنى الأول.

السادسة: إنما يبدأ كونهم صراطا من نشأه قبل هذه النشأه، و سالكوه هم الملائكة؛ عن الثمالتي قال: دخلت حبابه الوالبيّه على أبي جعفر عليه السلام فقالت:

أخبرني يا ابن رسول الله أي شيء كنتم في الأظله؟ فقال عليه السلام: كنا نورا بين يدي الله قبل خلق خلقه، فلما خلق الخلق سبنا فسبحوا، و هللنا فهللوا، و كبرنا فكبروا، و ذلك قوله عزّ و جلّ: وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ، الطَّرِيقَهُ حَبَّ عَلَى صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، و الماء الغدق الماء الفرات، و هو ولاية آل محمد عليهم السلام» (٣).

ص: ٢٣٥

١- معاني الأخبار للشيخ الصدوق، ص ٣٥-باب معنى الصراط.

٢-٢ (٢). غوالي اللآلي لابن أبي جمهور ١٩٧:١-الفصل التاسع.

٣-٣ (٣). بحار الأنوار ٢٥/٢٤٤ ح ٤٠-باب بدء خلقهم و طينتهم و أرواحهم، و [١] الآية في سورة الجن: ١٦- [٢]

و يمتد الصراط إلى الدنيا، فيكون معناه ما فسّرنا من كونهم عين الصراط، و يمتد من الدنيا إلى الآخرة، فيكون جسرا على جهنم، و يسلك فيه المؤمن و الكافر، فينتهي المؤمن منه إلى الجنّة، و ينتكس غيره في النار.

السابعة: في إقامه الدليل على وحده الصراط في النشآت الثلاث، يدلّ على المراد، أو لا يلزم من تعدد الصراط إمّا تجانب الصراطين، و إمّا كون الثاني بعد الأوّل و يكون بينهما فاصل، فمن فرض تجانبهما مع كونهما مستقلّين يلزم استقامه كلّ واحد منهما و له مقصد غير مقصد الآخر، و هذا يستلزم أن تكون لكلّ منهما شريعة مستقلّة و عبادة على حده و معرفه غير تابعه لشريعته كلّ واحد منهما، و هذا كلّه يناهى التوحيد الربوبىّ و العبودىّ، و هو عين الشرك، و يلزم من فرض كون أحد الصراطين بعد الآخر، فإن لم يتميّزا بفاصل يكون واحدا، و إن تمايزا يكون الصراط الأوّل غير مفيض إلى مقصد البارى سبحانه، فيكون وجود الأوّل لغوا و الثانى مفيضا إلى الغايه المنظوره للبارى، و هو صراط واحد، و ذلك هو المطلوب.

و ثانيا: أفراد الصراط المنسوب إلى الله في القرآن و استعمال الضمائر المفردة الراجعه إلى هذا الصراط كقوله تعالى: وَ أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ (١)، ترى أنّ كلّ من الصراط و وصفه مستقيما و الضمير الراجع إليه

ص: ٢٣٦

فى «فأبوعوه» مفرد، فلو كان الصراط متعددا لم يستعمل هكذا.

الثامنة: فى بيان صلة هذه الفقرة بسابقتها «و حجته»، لعل الصلة بينهما هو هذا، إن لهؤلاء الأشراف عليهم السلام اعتبارين:

الأول: كونهم حججه فى مقام التغالب مع الخصم حتى تحصل الغلبة للسالك إلى الله بهم والخيبة والخسران لخصمه، لأنه ما لم يكن للسالك خصم و ما لم يكن بينهما مغالبه لا يتقوم سلوكه بقيمه أصلا، و يسير السالك فى سلوكه كالملائكة الذين حكى الله سبحانه قولهم: وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١)، و الحاصل أن ليس له كمال كما ليس للملائكة، و لكن السالك الذى يريد أن يسير إلى الله ثم فى الله، و يريد أن لا ينتهى كماله فى سيره فى الله، يلزم وجود الخصم له، و يلزم إذا الحججه فى البين، مضافا إلى أن الصراط كنتيجه للحججه، فيها تثبت حقيته الصراط ثم يسلك السالك فيه.

الثانى: أن الصراط فى الأخبار بأوصاف عديده، فإذا كان آل البيت عليهم السلام صراطا لزم اجتماع تلك الصفات فيهم، و إلا لم يكونوا صراطا، منها ما روى عن الإمام العسكرى عليه السلام فى قوله تعالى: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٢).

ص: ٢٣٧

١- الصافات: ١٦٤. [١]

٢- ٢. الفاتحه: ٦. [٢]

يقول: آدم لنا توفيقك الذى به أطعناك فى ماضى أيامنا، حتى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمارنا. و الصِّراط المستقيم هو صراطان: صراط فى الدنيا، و صراط فى الآخرة. فأما الصِّراط المستقيم فى الدنيا فهو ما قصر عن الغلو، و ارتفع عن التقصير، و استقام فلم يعدل إلى شىء من الباطل. و أما الطِّريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنَّة الذى هو مستقيم..» (١).

أما الصفات المذكوره فى هذا الحديث و التى ينبغى ذكرها فكالآتى:

إحداها: يسأل المؤمن الله بقوله: «إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» دوام توفيقه حتى لا ينحرف بعد اهتدائه (٢)، فيكون أعظم الأسباب آل البيت عليهم السلام، فيرجع سؤاله حينئذ فى الحقيقة أن لا يسلبه تعالى منه، بل يديمه له فى يده فى ما بقى من عمره.

ثانيها: كون الصراط متوسطا بين الإفراط و التفريط، كما قيل فى وصف الصراط المستقيم: «هو الطريق الوسط الذى يفضى سالكه إلى المطلوب»، و ورد عن الإمام على عليه السلام: «نحن التمرقة الوسطى، بها يلحق التالى، و إليها يرجع الغالى» (٣)، كما ذكر فى قول الإمام عليه السلام فيكون آل البيت عليهم السلام هكذا.

ثالثها: بدء الصراط من الدنيا و إدامته فى البرزخ، و يمتد كجسر على

ص: ٢٣٨

١- بحار الأنوار ٢٤: ٩/ ح ١- [١] عن: تفسير الإمام العسكرى عليه السلام ١٥-١٦، و [٢] معانى الأخبار / ٣٣ ح ٤.

٢- ٢. قيل فى تعريف التوفيق: «التوفيق هو توجيه الأسباب نحو المطلوب الخير».

٣- ٣. نهج البلاغه: الحكمه ١٠٩. [٣]

جهنم في الآخرة، وينتهي إلى الجنة. تكون ولايه آل البيت عليهم السلام وإمامتهم هكذا، وبدونها لا يتيسر دخول الجنة لأحد (١).

رابعها: المأخوذة من قول الإمام الصادق عليه السلام دقه الصراط، فإذا كان آل البيت عليهم السلام هم الصراط وكون الصراط دقيقاً، لزم هذه الدقة في آل البيت عليهم السلام وهو هكذا في كل زمان؛ لكثرة أعدائهم وتوافر مكائد الأعداء عليهم وقله أنصارهم عليهم السلام، فهذا يقتضى كون صراطهم دقيقاً، بل أدق من الشعر، ولا يثبت فيه كثير، لا سيما في عصر غيبه قائمهم عليهم السلام، لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أثبتكم قدما على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي» (٢).

٤٧

«و نوره»

و فيه خمس نكات:

الأولى: يسلم الزائر بهذه الفقرة بواو العطف على آل البيت عليهم السلام تسليماً وإن لم يتلفظ به صريحا، ويذكر فيها كاملاً نفسانياً آخر لهم، فالحاصل

ص: ٢٣٩

١- قال الإمام الصادق عليه السلام: «الناس يمرّون على الصراط طبقات، والصراط أدق من الشعر و من حدّ السيف، فمنهم من يمرّ مثل البرق، ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ حيوياً، ومنهم من يمرّ مشياً، ومنهم من يمرّ متعلّقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً» (بحار الأنوار ج ٨، ص ٦٤، باب ٢٢، الصراط)... أقول: يكون محبّو آل البيت عليهم السلام وأشياعهم هكذا، أى متفاوتين فى مشيهم على الصراط، ومنشأ هذا التفاوت تفاوت إيمانهم بآل البيت و أتباعهم لهم.

٢-٢. فضائل الشيعة للشيخ الصدوق / ج ٦ / ح ٣.

أنهم عليهم السلام نور الله ككونهم صراط الله و حجته، و ذلك يثبت بأخبار كثيره مرويه في تأويل عدد من الآيات في القرآن. عن أبي خالد الكابلي قال:

«سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: «فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا» فقال: يا أبا خالد، النور و الله الأئمه عليهم السلام من آل محمّد صلى الله عليه و اله إلى يوم القيامة... و الله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئه بالنهار، و هم و الله يتورون قلوب المؤمنين، و يحجب الله عزّ و جلّ نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم» (١).

الثانيه: قد تكرّر في هذه الزياره الشريفه كمال نوريتهم مفردا (النور) و جمعا (الأنوار)، أو بلفظ غير النور ك(مصاييح الدّجي) (٢)، فيلزم هنا تعريف النور و توضيح كونهم عليهم السلام مصداقا له.

قيل في تعريفه: «النور ما هو ظاهر بذاته، مظهر لغيره»، فيجب شمول هذا التعريف لهم حتّى يكونوا ظاهرين بذواتهم الشريفه و مظهرين لغيرهم، و الحال أنّهم هكذا تكوينا و تشريعا، أمّا تكويننا فإنّهم كانوا ظاهرين قبل وجود الطبيعه، كما تشهد عليه الأخبار، كخبر مشاهده آدم عليه السلام صورهم (أشباههم) التّيره في العرش و قد قرأ أسماءهم الساميه مكتوبه فيه.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في قوله تعالى: فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

ص: ٢٤٠

١- الكافي ١/١٩٤-باب أنّ الأئمه عليهم السلام نور الله عزّ و جلّ، و [١] الآية في سوره التغابن: ٨.

٢- ٢). كما سبق شرحه في الفصل السابع عشر.

كَلِمَاتٍ (١): كان آدم وحواء جالسين فجاءهما جبرئيل و أتى بهما إلى قصر من ذهب و فضّه شرفاته من زمرد أخضر فيه سرير من ياقوته حمراء، و على السرير قتيه من نور فيه صورته على رأسها تاج و فى أذنيها قرطان من لؤلؤ و فى عنقها طوق من نور، فتعجبوا من نورها حتى أنّ آدم نسي حسن حواء، فقال: ما هذه الصورة؟ قال: فاطمه، و التاج أبوها، و الطوق زوجها، و القرطان الحسن و الحسين. فرفع آدم رأسه إلى القبة فوجد خمسة أسماء مكتوبه من نور: أنا المحمود و هذا محمّد، و أنا الأعلى و هذا عليّ، و أنا الفاطر و هذه فاطمه... يا آدم لو سألتنى فى جميع ذريّتك لغفرت لهم» (٢).

و خلاصه الكلام هو أنّ الله خلق نشآت الملك و الملكوت من نورهم، فأصبحوا ظاهرين بذواتهم، مظهرين لغيرهم و لو كوسائط، و يبقى الخلق و يكمله بوساطتهم أيضا.

إلى هنا تنتهى نوريتهم تكوينيا، و أمّا نوريتهم فى نظام التشريع فظاهر لا يحتاج إلى البيان لانتشار علومهم فى البشر عامه و بين المسلمين خاصه و فى شيعتهم بالأخصّ، و هكذا ظهور أعمالهم الحميده و أخلاقهم الشريفة و حياتهم الطيبه فى منشورات الكتب و منشورات الصحف، مضافا إلى أنّ الحكماء قالوا: «النور و الوجود متساوقان»، فإذا كانوا هم عليهم السّلام و سائط الوجود و البقاء و الكمال، أتضح نوريتهم بكمال الوضوح.

ص: ٢٤١

١- البقره: ٣٧. [١]

٢- ٢. إحقاق الحقّ (الملحقات) ٩: ٢٦٠-٩ عن: نزّهه المجالس للصفورى الشافعى ٢٣٠: ٢- ط القاهره. [٢]

الثالثة: فى تبين نوع نوريتهم؛ ينقسم كل من النور و نقيضه (الظلمه) و البصر المدرك لهما إلى الحسي و غير الحسي، كما قال سبحانه: **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (١)**.

المراد من النور و الظلمات غير الحسيين، فيلزم لكل نوع من الظلمه ما يناسبها من النور و البصر من الحسيه و غيره، فتصدق النوريه لآل البيت عليهم السلام بكلا- المعنيين، و لكن المراد فى هذه الفقره من النور هو غير المحسوس منهما، فيلزم لإدراكه بصر فى القلب.

الرابعه: فى تبين نوريتهم عليهم السلام بتحليل عقلي، فنقول: إن بين النور الحسي و غير الحسي تشابهات عديده لا يمكن لنوع منهما تخلفه عن النوع الآخر فى جهه، و نحن نذكر هذه الجهات و نطبقها مع آل البيت عليهم السلام حتى تتضح لك نوريتهم بتمامها.

١) لا يمكن ستر النور المحسوس بساتر، فإن ستره أحد فهو يستر المستنير (بصر الرائي) من النور، فشؤون آل البيت عليهم السلام و فضائلهم ظاهره جليّه لا يمكن و لن يمكن لأعدائهم إخفاؤها أو سترها على مدى القرون و الأعصار مع شدّه مكائدهم و كثره نفقاتهم فى ذلك.

٢) لو كان النور المحسوس شديدا فلا يمكن إدراكه كاملا بالأبصار، كنور الشمس، بل تدرك كل عين منه بقدر قوتها، كما لا يمكن معرفه

ص: ٢٤٢

حقيقه آل البيت عليهم السلام معرفه كامله، كما قال رسول الله صلى الله عليه و اله: «يا عليّ، ما عرفك إلا الله و أنا، و ما عرفني إلا الله و أنت، و ما عرف الله إلا أنا و أنت...» (١).

٣) يلزم اتّصال عين الرائي بالنور المتّصل بالمرئي حتّى تحصل الرؤيه، إذا يلزم أن يتّصل قلب الإنسان بنور آل البيت عليهم السلام من أقوالهم و أفعالهم حتّى يرى الإنسان به الكمال المطلق (الله سبحانه).

٤) النور واحد لا- يتعدّد إلا- بقوابله، كما قيل في آل البيت عليهم السلام: «كلّهم نور واحد» (٢)، فتعدّد نورهم بتعدّد أشخاصهم الكريمه البشريه.

٥) كلّ فاقد للنور يقع في الظلمه و البلاء، كما أنّ فاقد الاعتقاد الصحيح السليم بآل البيت عليهم السلام يكون ضالّاً و منحرفاً عن الحقّ (٣).

الخامسه: في بيان انطباق نوريتهم عليهم السلام مع القرآن، فنقول: الشواهد

ص: ٢٤٣

١- بحر المعارف، ص ٤٣٣. أقول: المراد من نفى المعرفه هنا هو نفى المعرفه على حدّ الكمال في الممكن لا المعرفه من رأسها.
٢- ٢) نعم كلّهم نور واحد، في أصل النوريه، و لا يمنع ذلك من تعدّد نوريتهم في مراتبه، لأنّ النور مقول بالتشكيك بالشده و الضعف، فالحاصل أنّ كونهم نورا واحدا في غيب هذا العالم لا يمنع من كون بعضهم أقوى في النوريه من الآخرين، كرسول الله بالنسبه إلى أمير المؤمنين و كعلّي بالنسبه إلى الباقيين (سلام الله عليهم)، و يمكن تشدّد نوريه بعضهم بالكمالات الفعاليه التحصيليه في عمر طويل بالنسبه إلى الباقيين كتشدّد نوريه المهديّ منهم بعبادات أكثر ممّن بقي منهم في عمره الطويل (أدام الله ظلّه الظليل على كافّه المخلوقين من الدقيق و الجليل).

٣- ٣) فهذه الجهات الخمسه ليست بمحصوره في العقل، فإن وجدت جهه أو جهات أخرى فهي تكون أيضا قابله للتطبيق مع آل البيت عليهم السلام لكونها من خصوصيات النور، كما تقدّم كمال المشابهه بين المحسوس و غير المحسوس منه.

القرآنيّه على المدعى عديده، ونحن نورد بعضها مع تأويل كلّ منها:

ألف) اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (١): المراد من النور هنا هو رسول الله صَلَّى الله عليه و اله خاصّه و آل البيت عليهم السّلام عامّه، و هذا مفاد جميع ما ورد في المقام) منه ما نقل عن مولانا الرضا عليه السّلام أنّه قال: «نحن المشكاه في المصباح، و هو محمّد صَلَّى الله عليه و اله يهدى الله لنوره من يشاء، و يهدى الله لولايتنا من أحبّ» (٢).

ب) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُورًا (٣).

إنّ الأئمّه عليهم السّلام اكتسبوا العلم من رسول الله صَلَّى الله عليه و اله، فإطلاق القمر على الأئمّه و النور على علمهم يكون بهذا الاعتبار، لكون نور القمر يكتسب دائما من الشمس، و إطلاق الشمس على رسول الله صَلَّى الله عليه و اله و على علمه (الضياء) يكون باعتبار أنّه صَلَّى الله عليه و اله لم يكتسب العلم من غير الله. ففي (روضه الكافي) عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «فصرب الله مثل محمّد صَلَّى الله عليه و اله الشمس و مثل الوصيّ القمر، و هو قوله عزّ و جلّ: جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُورًا...» (٤).

ج) فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)، المراد من اتّباع النور هنا هو الاتّباع عن ولايه آل البيت عليهم السّلام

ص: ٢٤٤

١- النور: ٣٥. [١]

٢- ٢. تأويل الآيات الظاهره للسيد الأسترآبادي النجفي ص ٣٥٦. [٢]

٣- ٣. يونس: ٥. [٣]

٤- ٤. نور الثقلين ٢: ٢٩٣/ح ١٦- [٤] عن: روضه الكافي / ٣٨٠/ ح ٥٧٤.

٥- ٥. الأعراف: ١٥٧. [٥]

كما في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: «النور في هذا الموضع على أمير المؤمنين و الأئمة عليهم السلام» (١)، و لا يرد إشكال هنا من أن المراد من النور المتبع هو القرآن، نجيب عنه من القرآن و الحديث: أما من القرآن فعطف الكتاب المبين على النور في الآية السابقة الذكر، و المعطوف عليه غير المعطوف، لأن ظاهر العطف المغايره، و أما الحديث فلا شك في أن القرآن نور، فيلزم ذلك نوريه العتره التي هي عدل القرآن، لأن الظلمه لا تكون عدلا للنور و لا مساويه له.

(د) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ (٢)، الاعتقاد بالنبوه العامه غير النبوه الختميه ظلمه، لأن حقيقه كل شيء دون جزئه الأخير حقيقه ناقصه، بل لا هويّه للشئ أصلا، و الإيمان بالنبوه الختميه دون تاليها و هي الخلافه و الوصايه عنها غير تامه، بل غير كائنه، فكون النبوه نورا موقوف على وصايه آل البيت عليهم السلام و خلافتهم عن النبي صلى الله عليه و اله، فمن أنكر إمامتهم للأئمه و وصايتهم عن النبي صلى الله عليه و اله وقع في الظلمه الظلماء، كمن لم يصدق بالنبوه أصلا. و بهذا التحليل ثبتت نوريه آل البيت عليهم السلام لظهور حقيقه النبوه الخاصه و العامه بهم، و لولاهم لم تظهر إحداهما بحقيقتها المرضيه الإلهيه، كما يشهد عليه ما في (الصافي) عن الصادق عليه السلام: «النور

ص: ٢٤٥

١- الكافي ١: ١٩٤/٢-باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله عزّ و جلّ. [١]

٢-٢. البقره: ٢٥٧. [٢]

آل محمّد، و الظّلمات عدوّهم» (١)، و ثبت أيضا كون أعدائهم في هذه المرتبه طواغيت مخرجه من النور إلى الظلمات، لأنّ للكفر مراتب، فإمام كلّ مرتبه من المراتب طاغوت.

هـ) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ (٢) قد تقدّم في ما مضى من الكلام كون آل البيت عليهم السّلام نورا، و هنا نقول: إنّهم النور الذي يريد الأعداء إطفاءه بأفواههم، و لا يقدرّون على ذلك و إن قدروا على تضعيفه أحيانا، لأنّ الله وعد: أَنْ يُسَمِّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، (٣) و في (الإكمال) عن الصادق عليه السّلام: «و قد ذكر شقّ بطون الحوامل في طلب موسى، كذلك بنو أميّه و بنو العباس لما وقفوا على أنّ زوال ملكهم و الأمراء و الجبابره منهم على يد القائم منّا، ناصبونا العداوه و وضعوا سيوفهم في قتل آل بيت رسول الله صلّى الله عليه و اله» (٤).

ص: ٢٤٦

١- تفسير الصافي ١: ٢٦٢، [١] تفسير العياشي ١: ١٣٩. [٢] عن الكافي ٨: ٢٨٩. [٣]

٢- ٢. التوبه: ٣٢. [٤]

٣- ٣. التوبه: ٣٢. [٥]

٤- ٤. تفسير الصافي ٢: ٣٣٧. [٦]

«و برهانه، و رحمه الله و بركاته» (١)

(٢)

و فيه خمس نكات:

الأولى: تقتضى العبودية ترك البدع في الدين و الشريعة، فلهذا إن كان كل واحد منّا متعبداً و كان ظنه قوياً بورود هذا اللفظ عن الإمام، فيأتي به في زيارته و إلاّ - يتركه مع كونهم في الحقيقة براهين الله الباهرة على حقايقه المبرهنه، إذا لا يرد إشكال في عدّ هذا الكمال من كمالهم العاليه من غير مقام العباده؛ لأنهم عليهم السلام مجامع الفضائل بأجمعها بحيث لم تفتهم فضيله من الفضائل، لا كما (في العدد) و لا كيفاً (في الرتبة).

الثانية: معنى البرهان؛ يطلق على كل دليل باعتبار غلبته على الخصم حجة (كما تقدّم في موضعه)، و باعتبار وضوح برهانا و يجب أن تكون أجزاءه من عقليات محضه، و مع كون بعضها من العقليات و بعضها و همياً لا يطلق عليه البرهان، فالحاصل أنّ البرهان هو دليل واضح عقلي لم يختلط بالوهم، (٣) كما تقول: «العالم ملئ بآثار العلم و القدره، و كلما كان

ص: ٢٤٧

١- ٢). لم ترد لفظه (برهانه) في الشرحين للزياره: «الشموس الطالعه» للسيد حسين الهمداني و «شرح أحمد الإحسائي» لها و لكنها موجوده في «الأنوار اللامعه» للمرحوم السيد عبد الله شير و «مفاتيح الجنان» للمحدث القمي رحمهم الله، و نحن نشرحها بعون الله عاملين بالاحتياط.

٢- و هو خاتم الفصول من باب التسليمات.

٣- ٣). الفرق بين [١] البرهان و الحجّه البالغه، يمكن أن لا يكون فرق بينهما باعتبار كون البرهان دليلاً واضحاً،

كذلك كان مؤثراً قادراً عالماً، فثبت وجود مؤثر قادر عالم للعالم».

الثالثة: فى صله البرهان بالنور؛ قد تقدم كونهم نورا، فكونهم برهانا لا- يتضح فى عين العقل إلا بوجود النور فى البين، كما أن السالك لا يجد مقصده الحسي برايه منصوبه فيه إلا إذا رآها، ولا تتحقق الرؤية الرايه إلا بالنور، وإلا كان نصب الرايه لغوا، فثبت ترتيب الإمام عليه السلام فى تقديم النور على البرهان.

الرابعه: التعليل على كونهم برهانا؛ يحتاج إلى البرهان أشد حاجه فى ما إذا كان المنكر أشد لجاجه، وإلا يهتدى بإشاره من دليل ما، فمن كونهم برهانا يستنتج أن هناك لجاجه شديده من أعدائهم، كما قال سبحانه فى تعجيز الكفار: قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١)، فثبت كونهم برهانا لجهتين: الأولى: تبيينهم قولا وفعلا فى الحجية.

الثانيه: كون أعدائهم أشدء فى لجاجهم، كما قال سبحانه (فى شأن المنافقين): وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢).

الخامسه: إن هذا الكمال، كمال فعلى لهم باعتبار أفعالهم الحميده

ص: ٢٤٨

١-١. البقره: ١١١. [١]

٢-٢. البقره: ٢٠٤.

و أقوالهم الرضيّه و كمال نفسانيّ باعتبار تعيّن أوصافهم الشريفه و كونهم أسوه و قدوه.

تذنيب

في الفصل الأوّل تبينّت الكمالات الذاتيه لآل البيت، و في الفصل الثاني الكمالات الفعليه، و في الفصل الثالث شرائط الحجّيه، و في الرابع الأغراض المترتبه على الفعليّات، و لكنّ هذا الفصل يستجمع شؤونهم العاليه، لأنّ الشؤون كأركان لإمامه الإمام في المجتمع، فمن الشؤون، كونهم أئمه دعاه و هذا الشأن كأصل لما يتفرّع عليه من كون الإمام قائدا و هاديا، و سيّدا واليا، و ذاندا حاميا، و أهلا للذكور، و صاحب الأمر و بقيه و خيره لله و من حزه سبحانه، و يكون أيضا عيبه لعلمه تعالى، و هكذا البواقي.

أقول: إنّ هذه التذنيبات هي ما خطر ببالي بعد التأمل في كلّ منها، و لا أدعى أنّي بلغت إلى كمال مراعاة الإمام فيها و غايه حسن كلامه، و لعلّ هنالك من كان له أهليه غيرى بلغ إلى ما لم يبلغه فكري.

ص: ٢٤٩

«أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كما شهد الله

لنفسه و شهدت له ملائكته و أولوا العلم من خلقه،

لا إله إلا هو العزيز الحكيم».

و فيه ست نكات:

الأولى: هذه الفقرة الشريفه كظايرها مقتبسه من الآيه الكريمة: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢).

ص: ٢٥٠

١- هذا الباب، كالباب السابق (باب التسليمات)، مشتمل على فصول كثيره، التي فيها يشهد الزائر المؤمن بفضائل أخرى من فضائل آل البيت عليهم السلام و التي يعجز البشر عن عدّها و إحصائها، لأنّ فضائلهم هي كلمات الله التي لا تنفد.

٢-٢. آل عمران: ١٨. [١]

و معلوم أنّ هذه الاقتباسات توجب مزيد الاعتبار لهذه الزياره، لأنّ الكتاب المجيد عدّ معيارا بين الحقّ و الباطل، كما قال أبو عبد الله عليه السّلام: قال رسول الله صلّى الله عليه و اله: «إنّ على كلّ حقّ حقيقه، و على كلّ صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه» (١).

الثانيه: بيان النسبه بين هذه الشهادات و بين ما سبق من التسليمات؛ تبدأ شهادات كثيره من أوّل هذا الفصل و ابتداء هذا الباب، و هي بعد أن ذكر الزائر قريبا من ستين كمالا (٢) لآل البيت عليهم السّلام، يتدبّر هنا في ما بقى من زيارته بشهادات، أوّلها: الشهاده على التوحيد لله سبحانه، بين أحد الشّراح في هذه النسبه وجهها غير جيّد عندنا، و هو كون الزائر يشهد بالتوحيد حتّى يعلن أنّه ليس بغال في حقّ آل البيت عليهم السّلام و غير زاعم ارتقاء رتبهم الساميه إلى الربوبيّه، و قد قلت في ردّ هذا الوجه: لا حاجه إلى هذا التوجيه في الامتناع عن الغلو، لأنّ الزائر نسب في ما مضى فصلا

ص: ٢٥١

١- الكافي، باب ٢٢، الحديث الأوّل. [١] فانظر أيّها الفطن اللبيب إلى هذا الحديث و نظائره، حيث جعل القرآن فيها ميزانا للتمييز بين الحقّ و الباطل في الأخبار المنسوبة إلى المعصومين الأطهار، و مع ذلك قال عدّه بالتحريف في القرآن مع تصديقهم للأخبار الجاعله القرآن ميزانا، انظر إلى هذه العقيدته المتناقضه المصدّقه بكون القرآن ميزانا من جهه بموجب الأخبار الوارده و المنكره لذلك لعدم اعتبار القرآن في كونه ميزانا.

٢- ٢). لا يقدر أحد على عدّ كمالاتهم غير الله سبحانه، و لكن يمكن القول بأن يكون ما عدّدنا و سيعدّ في ما بعد ذلك من الكمالات لهم، هي الكمالات الأصوليه التي ترجع إليها كمالاتهم الغير معدوده في علم الله، كما في صفات الله الثبوتيه.

مشبعا من كمالاتهم عليهم السّلام إلى الله سبحانه، وهو كافٍ في المقام، ككونهم «التّامين في محبته الله»، و«والمخلصين في توحيد الله» (١) وغير ذلك، أمّا الوجوه المقبولة المبيّنه لهذه النسبه فكما يلي:

الأول: إنّ الزائر العارف بالمزورين عليهم السّلام يجد نفسه عندهم حين الزياره، فيشهد بالتوحيد إذا ليستشهد بآل البيت عليهم السّلام على كونه موحّدا غير مشرك، لأنّ الإيمان بالله و توحيده في جميع المراتب غايه الخلق، كما قال سبحانه: وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٢)، ولا يمكن أن يعبد الله أحد دون الاعتقاد بالوحدانيه. إذا يريد الزائر أن يكون له في ذلك شهود صادقون، فمن أصدق منهم في الشهاده و أقبل لشهادته عند الله منهم؟ وهم الذين أشهدهم الله على الجنّ و الإنس من هذه الأمه (على تفسير لآيه التاليه)، و على جميع الأمم (على تفسير آخر لها)، كما قال الله تعالى: وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٣).

ينبغي هنا ذكر خبر في تفسير الآيه؛ عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّه قال: «فرسول الله في هذا الموضوع: النّبيون، و نحن الصّديقون و الشّهداء» (٤).

ص: ٢٥٢

١- في الفصل ٣٤.

٢- ٢. الذاريات: ٥٦. [١]

٣- ٣. النساء: ٦٩. [٢]

٤- ٤. أعلام الدين للديلمي، ص ٤٥٢-باب ما جعل الله تعالى بين المؤمنين من الإخاء و الحقوق. [٣]

كما سيجيء إن شاء الله كونهم شهداء دار الفناء، فمن حيث كونهم شهداء مستقلين أو على البدليته من النبي صلى الله عليه و اله تكون الأئمة مع جميع ما تعتقد به (و منهم الزائر) مشهوده لهم.

الثانى: إن الزائر بعد ذكر عدّه كمالات لهم، يتوجّه إلى كونهم عليهم السّلام آيات الله التّيره، و علاماته الباهره، و مظاهره التامه و مجاليه الجليله. و مع هذه الكمالات يخطر بباله ذوو الآيات و منبع الكمالات، و قد كان الله جاعلها لهم و موجدتها فيهم، و لا يكون هذا (ذو الآيه) أحدا سوى الله تعالى، لأنّ الآيه شاهده على ذى الآيه، و المظهر يشهد على الظاهر تبعا.

الثالث: يستحبّ للزائر أن يكبر الله تعالى قبل شروعه بالزياره مائه تكبيره و أن يسمّى الله تعالى حين الشروع، فهو ذكر الله قبل زيارته مرّتين بالتكبير و البسمله، فتكون زيارته مسبوقة بالتوحيد، و يلزم أن يختم كمالاتهم المذكوره بالتوحيد أيضا، لأنّ الله كما كان أوّلا يكون آخره، كما قال سبحانه: هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ (١)، و قال تعالى على لسان المؤمنين:

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٢).

الثالثه: الشهاده إن كانت واقعته فى معرض الإنكار يكون معناها الإقرار، و إلّا كان معناها المشاهده، فإن أخذنا الشهاده هذه بمعناها الأوّل، كان

ص: ٢٥٣

١- الحديد: ٣. [١]

٢- ٢. البقره: ١٥٦. [٢]

المنكر كل كافر بوحدياته الله من الجنّ و الإنس، إذا يقرّ الزائر بما يقرّ من التوحيد خلاف زعم المنكرين. و إن أخذنا المراد منها المشاهده كانت شهادته بيانا لكمال إيمانه البالغ من العلم إلى العين، (هذه شهادته على التوحيد دون شهادته الآتية في حق آل البيت عليهم السّلام).

الرابعه:الشاهدون أربعه:

١-الزائر(على ترتيب ما فى الفقره).٢-الله تعالى.

٣-الملائكه.٤-أولو العلم.

كلّ أولئك موحدون إلاّ الثانى منهم و هو متوحد بالذات.

الخامسه:فى أنواع الشهاده على معناها الأوّل:

١-شهاده غير الله(من الزائر و أولى العلم)على التوحيد، إمّا أن يكون قوليّاً أو قلبيّاً، فالقلبيّ منهما إمّا أن يكون قد بلغ إلى عين اليقين فتكون شهادته شهوديّاً أو كشافياً أو عرفانياً(بأىّ تعبير شئت فعبر)، و إلاّ تكون إيمانياً، و هى ما لم تتجاوز عن العلم اليقين، و لكنّ شهاده الملائكه ملازمه لعين اليقين (و هو معناها الثانى)لأنّهم كاملون فى عقولهم و صفاء ذواتهم. أمّا المؤمنون من غير الملك فيمكن أن يكون فيهم نقصان معرفه عن عين اليقين. و أمّا شهاده الله على وحدانيته قولاً- و فعلاً- فتكون شهاده ذاتيه حقيقته، و توضيح كلّ من هذه الأنواع كما يلي:

ألف)الشهاده القوليّه للزائر:و هى شهادته باللسان إذا قلّد غيره فى

الإقرار بالتوحيد من غير دليل.

ب) الشهادة الإيمانية للزائر: و هي أن تكون بالأدلة و البراهين، كما في علم الكلام. (١)

ج) الشهادة الشهودية: حيث يعترف الزائر في مرآه آل البيت عليهم السّلام، التي شاهد فيها كمالات ظاهره لهم من جهة و لمن تجلّى فيهم من جهة أخرى، ثم يشهد على وحدانيته الظاهر و المتجلّى، خصوصا في ذكره صفتي: «العزیز» و «الحكيم»، الجامعتين لجميع صفات الجمال و الجلال (٢).

٢- و أمّا الشهادة القولية لله على وحدانيته ذاته، فهي عبارة عن جميع ما جاء في المقام في الكتب السماوية خصوصا القرآن، كسوره الإخلاص و آيه الكرسي و غيرهما من الآيات، و أمّا شهادته الفعلية على ذلك فهي عبارة عن وحده العالم في انتظام الموجودات و كون بعضها مرتببا ببعض بالتعامل و التأثر و العلّية و السببية و غير ذلك من الروابط، و أمّا شهادته سبحانه الشهودية، فهي عبارة عن ظهور ذاته و كمالاته و منها الوحدانيّة

ص: ٢٥٥

١- يلزم هنا أنّ الزائر في تصريحه بوجود الملائكة هو تصريح إقرارى يعتمد على الأدلة النقلية لعدم دليل عقليّ في المقام (و إمكان ذلك ليس بدليل)، فيكون تصريحه من الإقراريات الإيمانية المصاحبه بالأدلة العقلية.

٢- ٢) و لا- يرد هنا إشكال أنّ جميع العالم كان مظهرا و مجلى لله سبحانه، فما هو الفضل لآل البيت في المقام! لأنّ آل البيت عليهم السّلام هم أصفى آيه و أوسع مرآه لظهور كمالاته تعالى من غيرهم، كما قال الإمام على عليه السّلام: «ما لله آيه أكبر منّي» (بصائر الدرجات / ٩٧ ح ٣- باب النوادر من الأبواب في الولاية- الجزء الثاني).

۳- و أمّا الشهاده القولیه للملائکة على التوحيد فهی اعترافاتهم عليهم السّلام به، و شهادتهم الفعلیه هی إطاعتهم له سبحانه و عبادتهم إیّاه فقط، و هی شهاده فعلیه عبودیّه لهم على الوحديّته، و أمّا شهادتهم بمعنى المشاهده فهی عباره عن استغراق كلّ على حسب قابليّته ذاته فى جمال الله و ذاته و عدم رؤيه غيره سبحانه.

۴- و أمّا الشهاده القولیه لأولى العلم على التوحيد فهی كما تقدّمت فى الشهادات القولیه السابقه و الفعلیه منهم كنظائره المتقدّمه و الشهودیه هی عباره عن علمهم التحقیقیّ، أى العلم المقارن لإيمان العالم بمعلومه، فتكون وحدانيّته سبحانه معلومهم و لهم علم مقارن لتصديقها بها (۱).

السادسه: نقول فى نسبه ذكر عزّه الله و حكمته، أنّ الزائر لما رأى و ذكر حجّيتهم من جهات شتى على سعتها الواسعه، انتقل إلى جاعل الحجّيه لهم و جاعلهم حجّه على الخلق، فهذان الجعلان يكون من شؤون عزّته سبحانه، و لما رأى و ذكر كمالات مهمّه (۲) لآل البيت عليهم السّلام مع الإيمان

ص: ۲۵۶

۱- و ما ينبغى ذكره هنا أنّ العلم بوجوده سبحانه كان علما نظريّا و برهانيّا، و عدم الواجب عند المنكرين أمر استبعاديّ منشأ توهم العدم و ليس استدلاليا كى يكون ناشئا عن التعقّل، و لكنّ الوحديّته مورد لتشكيك المنكر الغير معاند و المعاند أيضا، فلهذا خصّت بالذكر هنا.

۲- ۲) و لا- يرد إشكال فى عدم ذكر الزائر التوحيد قبل ابتدائه بزيارته، لأنّ المعرفه الإجماليّه به تعالى و إن كانت مفطوره فى الإنسان و لكنّ التفصيليّة العلميّة منها موقوفه على التحصيل من تعليمات المعصوم عليه السّلام، و العيّيّه منها متوقّفه على المشاهده فى مرآه وجود المعصوم عليه السّلام، كما قال سبحانه: «وَأُتُوا الْبُيُوتَ مِنْ

و اليقين بها،انتقل إلى حكمه جاعلها فيهم (١).

٥٠

«و أشهد أنّ محمّدا عبده المنتجب و رسوله المرتضى، أرسله

بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدّين كلّ و لو كره المشركون»

و فيه ستّ نكات:

الأولى: يتأيد إطلاق كلّ واحد من ألفاظ هذه الفقرة بآيه من القرآن، إطلاق العبد هنا على رسول الله صلّى الله عليه و اله مأخوذ من أى آيه اطلق العبد عليه فيها قوله سبحانه: «فمحمّد صلّى الله عليه و اله»، نحو قوله سبحانه: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (٢)، و«العبد»: تَبَارَكَ

ص: ٢٥٧

١-١. لأنّ الحك [١] يم هو الذى تكون أفعاله محكمه ثابتة و متقنه غير قابله لأصغر عيب فيها، مستجمعه لفوائد عجيبة و منافع غريبه بديعه.

٢-٢. الفتح: ٢٩.

الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)، و«المنتجب»:

مأخوذه من معنى قوله: إِنَّا أَخْلَصْنَا نَاهُمْ بِخَالِصِهِ ذِكْرَى الدَّارِ (٢)، لأنَّ «الخلوص و النجابه» مترادفان (كما فى المنجد) (٣): «نجائب الشىء خالصه، لبابه الذى ليس عليه نجب، أى قشر»، و الرسول المرتضى من نحو قوله:

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُهُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ (٤)، و أرسله بالهدى و دين الحقّ: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٥).

الثانيه: نقول فى صله هذه الفقرات الشريفه بما تقدّم، قد سبق منّا تقرير فى وجه تسميه الجامعه بالجامعه، و قلنا هناك إمّا لأنّ الزائر يزور جميع المعصومين عليهم السّلام بزياره واحده، أو لكون الزياره مستجمعه لجميع كمالا-تهم، هنا يظهر وجه ثالث، و هو استجماع جميع العقائد الأصوليه:

من التوحيد و النبوه (هنا)، و المعاد (كما سيأتى إشاره)، و الإمامه (و هى ظاهره). و لعلّ النسبه بين هذه الفقرات و ما سبق هو الوجه الثالث، حيث يقرّ الزائر بجميع أجزاء الدين و يعترف بحقيتها. و يمكن فى بيان الصله

ص: ٢٥٨

١- الفرقان: ١. [١]

٢- ٢. ص: ٤٦.

٣- ٣. مادّه «نجب»

٤- ٤. الجنّ: ٢٦-٢٧. [٢]

٥- ٥. التوبه: ٣٣. [٣]

وجه آخر، وهو أن الزائر في جميع ما أقرّ في حق آل البيت عليهم السّلام من الكمالات ينتقل إلى من كان واسطه في إفاضه الله هذه الكمالات عليهم، ولا تكون الواسطه في الإفاضه إلا رسول الله صلّى الله عليه و اله، كما روى عن أبي عبد الله عليه السّلام إذ قال: «علم رسول الله صلّى الله عليه و اله عليّ ألف حرف، كلّ حرف يفتح ألف حرف..» (١).

فالحاصل أن الزائر يمتنع في حق آل البيت عليهم السّلام عن الغلوّ إلى النبوه الختميه (المنحصره في رسول الله صلّى الله عليه و اله)، فضلا أن يكون غالبا فيهم إلى الربوبيه، فأعراضه عن هذين الغلوين هو جعله الأئمّه في المرتبه التي ربّهم الله فيها.

الثالثه: وصف النبيّ صلّى الله عليه و اله هنا بوصفين، وهما: العبوديّة و النجابه، فنقول: ذكر العبوديّة قبل الرساله في القرآن، أصل جار في حق الأنبياء و في حقّه صلّى الله عليه و اله (أيضا): قال إنّي عبّد الله آتاني الكتاب و جعلني نبيا (٢)، و اذكّر عبادنا إبراهيم و إسحاق و يعقوب أولى الأيدي و الأبصار (٣)، تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين

ص: ٢٥٩

١- بصائر الدرجات / ٣٠٨ ح ٢-الباب ١٧ [١] من الجزء السادس: في الحروف التي علم رسول الله صلّى الله عليه و اله عليّ عليه السلام.

٢-٢. مريم: ٣٠. [٢]

٣-٣. ص: ٢.

فالحاصل أنّ الزائر يشهد طبقاً للأصل الجارى المذكور على عبوديته النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ عَلَى رِسَالَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لأنّ العبوديّة تكون كمقدّمه عامّه لجميع الكمالات، ثمّ يذكر بعد العبوديّة وصف النجابه، لأنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان من أولاد الأنبياء فنجابته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله راجعه إلى شرافه نسبه، و هى تكون ككمال ذاتى حصولى، من قبل أجداده الكرام، و يتأيد ذلك الكمال بحسن سيرته من بدء صغر سنّه إلى آخر عمره الشريف، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أدبني ربّي فأحسن تأديبي» (٢)، و أمّا دلالة هذا الخبر الشريف على المراد فهو من جهه أنّ التأديب (المتقارب المعنى بالتربيه و الصنع)، إنّما فعل فى حقّه تكويناً، و ما يؤيد هذا المعنى التكوينيّ للتأديب هو قوله سبحانه: **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصِهِ ذِكْرِي الدّارِ (٣)**.

الرابعه: فى رسالته و ارتضاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله:

نقول شهاده الزائر على رسالته المرتضاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و اله تكون: **إِمّاً إِيْمَانِيّاً**، و هى الرساله المرتضاه الثابته بالأدله العقليّه و النقليه (٤)، و إمّا أن تكون عرفانيّاً،

ص: ٢٦٠

١- الفرقان: ١. [١]

٢- ٢. بحار الأنوار ٧١/٣٨٢: ١٧- [٢] عن: مجمع البيان للطبرسى ٣٣٣: ١٠.

٣- ٣. ص: ٤٦.

٤- ٤. و الدليل العقليّ فى زماننا هذا و من بعد رحلته إلى آخر الدهر هو القرآن فقط، الذى كان و سيبقى معجزه خالده على ما زعمه المتكلّمون، و لا أثر لسائر معجزاته فى المقام و نحن نقول: لماذا لا تثبت

و هي مشاهدته المراد (الرساله المرتضاه) في مرايا وجود خلفائه المكرّمين مع تلك الكمالات الأصيله الوافره المذكوره لهم، تنقل أى أولويّه وجود هذه الكمالات و أتمّيتها إلى من استخلفهم و أوصاهم بالخلافه كنظيره المتقدم في التوحيد.

الخامسه: في بيان المقارنه:

نقول: يشهد الزائر (مضافا إلى كون رساله النبي صلّى الله عليه و اله مرتضاه) بأنّ رسالته مقترنه بالهدايه و دين الحقّ، لأنّه لو لم تكن الرساله مقترنه بالهدايه و دين الحقّ لم يكن خلفاؤه مستجمعين للكمالات المذكوره، ككونهم:

خزنه للعلم، و اصول الكرم، و قاده الأمم، و حجّه على أهل الدنيا و الآخره و الأولى، و التامين في محبّه الله، و غير ذلك، لامتناع دعوه إنسان كامل غيره إلى خلاف ما تقتضيه كمالاته الذاتيه و الوصفيّه (خصوصا العصمه) و الفعلية، فوجود هذه الكمالات في خلفاء الرسول كهذا و أتمّها فيه، يقتضى أن تكون رسالته مقترنه بالهدايه و دين الحقّ، و ظاهره و غالبه على كلّ الأديان سواه، كما وردت في المقام أخبار، منها: «عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السّلام، قال قلت: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ؟ قال: هُوَ الَّذِي أَمَرَ رَسُولَهُ بِالْوَلَايَةِ لَوْصِيَّتِهِ،

ص: ٢٤١

و الولايه هى دين الحق. قلت: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ؟ قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم» (١).

السادسه: تعيين و تطبيق؛

يذكر الزائر هنا عدّه كمالات لرسول الله صَلَّى الله عليه و اله، و حيث إنّ الأئمه يكونون خلفاءه يلزم ما كان للمستخلف من الكمال أن يكون فى خليفته، فتكون كمالاته صَلَّى الله عليه و اله فى الأئمه حتّى لا تقع السينونه بين المستخلف و خلفائه:

أولها: العبوديّة؛ و هى كمال و صفّى له صَلَّى الله عليه و اله كما فى الأئمه بلفظه «عباده المكرمين».

ثانيها: الانتجاب؛ و هو كمال ذاتى، و فى الأئمه «و انتجبكم لنوره».

ثالثها: الرساله؛ و هو كمال فعلّى له صَلَّى الله عليه و اله كما فى الأئمه «و موضع الرساله»، فإن كانت الرساله مأخوذه على معناها العامّ اللغوى فإنّ الأئمه أيضا يكونون رسلا.

رابعها: الارتضاء؛ و هو كمال و صفّى كما فى الأئمه «و ارتضاكم لغيبه».

خامسها: إرسال الله إياه صَلَّى الله عليه و اله بالهدايه؛ و هو كمال فعلّى، و وصف أوصياءه المعصومين بـ «أئمه الهدى».

سادسها: إرسال الله إياه بدين الحق؛ و هو كمال فعلّى، كذا فى الأئمه:

ص: ٢٦٢

١- الكافى ١/٤٣٢: ح ٩١، و [١] الآيه فى سوره الصف: ٩. [٢]

«و الحقّ معكم و فيكم، و منكم و إليكم».

سابعها: ظهوره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ؛ وَ هُوَ كَمَالُ فِعْلِيٍّ، وَ فِي الْأَثْمَةِ:

«و حزبه»، للملازمه بين كونهم حزب الله و الغلبه.

٥١

«و أشهد أنكم الأئمة الرّاشدون المهديون»

و فيه خمس نكات:

الأولى: سلّم الزائر و قرن كلّ تسليم مع ذكر كمال لهم في الباب السابق، و لكن يقارن هنا كلّ كمال بالشهادة، لعلّ الوجه في ما سبق ابتداءه بالملاقاه و يلزم له دوام تحيّاته على المزور، ثمّ تبيين مطالبه للمزور، لأنّ ما يظهر يقع بعد تحيّاته.

الثانية: في عطف الزائر ما للأئمة عليهم السّلام على ما لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ جِهَان:

ألف) عطف ذكرى، و هو ما لا ينظر فيه إلى بعديه وقوع المعطوف على معطوف عليه، كما لو قرأت الدرس أولاً و كتبتة ثانياً، تقول قاصدا للإخبار: «كتبت درسى و قرأته».

ب) عطف رتبيّ، و في ذلك ينظر إلى الترتب الزمانيّ، و العطف بالواو هنا هو عطف رتبيّ، لتبين كون الإمامه بعد الرساله، كما اتّفقت الأئمة عليه، مضافا إلى الأمر بإطاعه أولى الأمر بعد الأمر بإطاعه الله و الرسول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ١.

ص: ٢٤٣

ب) عطف رتبتي، و في ذلك ينظر إلى الترتب الزماني، و العطف بالواو هنا هو عطف رتبتي، لتبين كون الإمامه بعد رساله، كما اتفقت الأئمه عليه، مضافا إلى الأمر بإطاعه أولى الأمر بعد الأمر بإطاعه الله و الرسول: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١).

فالحاصل من هذا العطف رتبيا لا ذكريا، فنستنتج أنّ الإمام الهادي عليه السلام راعى الترتيب الطبيعي هنا لجعله شهادات الزائر في حق آل البيت عليهم السلام بعد ما يشهد في حق رسول الله صلى الله عليه و اله.

الثالثه: تحليل علمي في المقام:

قالت الحكماء: «إنّ تماميه العله تكون بجزئها الأخير»، فلو اجتمعت أجزاء لعله و لو بلغت إلى آلاف أجزاء دون جزئها الأخير كان وجودها كعدمها.

فالحاصل: إنّ صحه الشهاده على وحدانيه الله و تحقّقها بعد الشهاده على رساله، و لم تكن بعدهما الشهاده على الإمامه، فتكون الأوليين كأن لم تكونا ما لم تذكر الإمامه بعدهما، لأنّ الإمامه هي جزء أخير في الدين و متممه، كما يستفاد ذلك من قوله تعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ (٢).

الرابعه: إنّ كانت شهاده الزائر على ما يشهد في آل البيت عليهم السلام حاصله بالأدله كانت شهادته إيمانيه (بلّغنا الله إلى ما فوقها) و إلا كانت عرفانيه؛ لأنّه قد شاهد في مرايا وجود آل البيت عليهم السلام ما يقرب من ستين كمالا،

ص:

١- النساء: ٥٩. [١]

٢- ٢. المائده: ٦٧. [٢]

فيشاهد إمامتهم و خلافتهم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي مَجْمُوعِ الْكَمَالَاتِ لِامْتِنَاعِ اجْتِمَاعِ تِلْكَ الْكَمَالَاتِ عَلَى سَعْتِهَا فِي رَجُلٍ وَ عَدَمِ كَوْنِ الرَّجُلِ إِمَامًا وَ خَلِيفَةً عَنِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ، إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُ عَقْلًا- وَ عِرْفًا وَ عَادَةً، وَ أَيْضًا عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ وَ عَصَمَهُ الرَّسُولُ، كَوْنِ رَجُلٍ مُسْتَقَرًّا فِي أَمْرِ اللَّهِ، تَامًّا فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ، مُخْلِصًا فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَ كَوْنِهِ بَرَهَانًا وَ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى وَ غَيْرِ ذَلِكَ، وَ لَا يَكُونُ هُوَ إِمَامًا بَلْ يَكُونُ مَأْمُومًا وَ يَقْتَدِي بِمَنْ لَهُ سَابِقُهُ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَطَاعِنِ وَ الْقَبَائِحِ إِذَا لَحِظْنَا أَنَّ الزَّائِرَ بِشَهَادَتِهِ هَذِهِ عَلَى إِمَامَتِهِمْ يَقْرَأُ بِلُؤْزِمِهَا التَّالِيَةَ:

ألف) مجعوليته إمامتهم من الله سبحانه.

ب) كونهم منصوصا عليهم بالإمامة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

ج) كونهم أولى العلم.

د) ضلاله من خالفهم و هلاكته.

ه) نجاه مواليتهم و مطيعهم.. و غير ذلك.

الخامسة: نقول في لفظتي (الراشدون، و المهديون): إنهما وصفان ذاتيان حصوليان، و لهذا لم يعبر الإمام عليه السلام عنهم بالمسترشدين و المهتدين (و غير ذلك) حتى يفهم عن التعبيرين المتروكين كونهما تحصيليين. فالحاصل أن كلاً من هذين الوصفين حاصل لآل البيت عليهم السلام في ذواتهم الشريفة قابلية و فعلية ككمال نفساني لهم، و ينبغي هنا توضيح

كلّ من الوصفين على حده، فنقول:

أمّا الرّشد فهو (على ما استفدنا من موارد استعماله) عبارته عن الكمال المطلوب بخلاف مطلق الكمال، لأنّه نقيض النقص و أعمّ من أن يكون مطلوباً أو غير مطلوب، مثلاً- لا- نقص في كفر فرعون لدعواه الربوبيّة، و لكن كماله في الكفر و الإلحاد كمال غير مطلوب؛ و لهذا قال سبحانه:

وَ مَا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (١)؛ و أيضاً ليس في قوم لوط مع كمالهم في الفجور رشيد كما حكى عنه سبحانه: أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٢)، و يؤيّد هذا المعنى ما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه و اله: «عليكم بسنتي و سنّة الخلفاء الراشدين (٣) من بعدى» (٤).

و أمّا الهدايه الذاتيه فحاصله لآل البيت، و هي مفهومه و استفاده من الأوصاف و الكمالات التي سبق ذكرها، خصوصاً من النفسانيات المذكوره، فتيبين كونهم راشدين و مهديين كما خلقوا.

ص: ٢٤٤

١- هود: ٩٧. [١]

٢- ٢. هود: ٧٨. [٢]

٣- ٣. يلزم هنا ذكر ما لعله يكون مفيداً من كان راشداً كما فسّرناه لا يكون مسترشداً، لأنّ الرشد حاصل خلقه للراشد أو الرشيد دون المسترشد، فعلى هذا يمكن كون الحديث مجعولاً- من المخالفين لوصف خلفائهم الثلاثة به، كما يمكن كونه صادراً عن النبي فتكون صفه الرشد مسروقه للثلاثة كالصديق و الفاروق و سيّد شباب أهل الجنّه، و غيرها من المسروقات.

٤- ٤. السيّد عبد الله شبر، شرح الزياره الجامعه، ص ١١١. [٣]

«المعصومون»

و فيه أربع نكات:

الأولى: معنى «العصمه» في اللغة «الإمساك»، كما في (المفردات)، و«المنع» كما في (المنجد). و لم يستعمل في آل البيت عليهم السلام غير مادّه العصمه ما يقاربها من اللغات في المعنى كردع و منع و غيرهما، لأنّ المراد إمساكهم عليهم السلام عن الذنوب و المعاصي اختياراً، و هذا المعنى ليس موجوداً في اللغات القريبه معنى، هذا ما اكتفينا به في توضيح معنى العصمه لغه.

الثانيه: قبل الورود في تعريف العصمه و اختيار القول المختار، يلزمنا إثبات إمكانها، فنقول: لا- شكّ في إمكان كون الإنسان معصوماً من جهة الفاعل و القابل، أما الفاعل (الله سبحانه)، فهو قادر على كلّ شيء، و ذلك ثابت بالبرهان و القرآن، و يثبت في محلّه، و أمّا القابل، فلكون تعلّق قدرته تعالى به لا يلزم منه محال عقليّ، فثبت إمكان العصمه من جهتين، و هو المطلوب.

الثالثه: أمّا تعريفها اصطلاحاً فكما يلي:

نذكر أولاً بعض تعاريفها من غيرنا، ثمّ نأتى بتعريف آخر منّا، قيل:

١- «العصمه ملكه باعته على فعل الواجبات و ترك المحرّمات»، و هذا

ص: ٢٤٧

التعريف غير تام؛ لأنَّ حقيقه الملكه فيه مجهوله من أى مقوله هي، و لم يذكر فيها، هل هي منافية للقدره على ارتكاب الذنب أم لا؟

٢- وعرفها العلامة الحلبي بما هذا لفظه:

«العصمه، لطف خفي يفعله الله بالمكلف بحيث لا- يكون له داع إلى ترك الطاعه و ارتكاب المعصيه مع قدرته على ذلك»، و هذا أيضا غير تام، لكون اللطف الخفي مجهولا (١)، مضافا إلى أن جميع المكلفين ليسوا بمعصومين.

٣- وقيل: «العصمه: حاله علميه نفسانيه تصون الإنسان عن الزلل في القول و الرأي و العمل»، و هذا أيضا غير خال من إشكال، لأنَّ الحاله تتحول، فقد تزول و قد لا تزول، إذا لا تكون صفه ثابتة، مع أن العصمه ثابتة في المعصوم (٢)، و لكن يمكن.

٤- تعريف آخر أجود منه، و ستطلع على جوده تعريفنا: «العصمه، عباره عن أقوى الدواعي إلى الطاعه و أقوى الصوارف عن المعصيه (٣) في نفس المعصوم الرشيد (٤)، فيوجبان عدم أدنى توجه إلى غير الله».

ص: ٢٤٨

١- .يحتمل أن يكون المراد منه تأييد روح القدس، كما قال سبحانه: «وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (البقره: ٨٧). [١]

٢- ٢). نحن أصلحنا التعريف بتبديل لفظه «الحاله» الملكه حتى يرفع الإشكال.

٣- ٣). تقييدنا بالأقوى في الصارف و الداعي، لئلا يكون صارفا أقوى من داعيه الأقوى حتى يصرفه عن الطاعه، و لا يكون داعيا أقوى في صارفه حتى يدعوه إلى المعصيه، فتدبر.

٤- ٤). هذا التعريف، و كذا التعريف الأول و الثاني و الثالث بإصلاحنا، تصرّح بكونها كاملا نفسانيا للمعصوم عليه السلام.

أمّا قيد الرشيد في أخير التواريخ لكون الرشيد (و المراد من الرشيد هو القابليته الواسعه) في نفس المعصوم، فلو لم تكن نفس المعصوم رشيد بهذا المعنى، فلا تسع أقوى الدواعي و أقوى الصوارف.

الرابعه: تحليل أقوى الدواعي و أقوى الصوارف بالكلام و الحكمه و العرفان.

أمّا الكلام، فكلّ واحد من أقوى الدواعي و أقوى الصوارف هو علمه الواسع بعواقب الطاعه الحلوه فينبعث إليها، و عواقب المعصيه المرّه كذلك، فينصرف عنها لآثارها الوضعيه و القريه في الفرد و المجتمع في الدنيا و الآخره، بل في كلّ نظام التكوين.

و أمّا الحكمه، فلكون المعصيه صغيره كانت أو كبيره أمر عدميّ، و الأمور العدميه لا تساعد مع أكد الوجودات و أشدها، فكلّما كان فاعل المعصيه وجوده أشدّ و أكد كان عن المعصيه أبعد. و الحاصل أنّ وجود المعصوم كذلك، فبعده عن المعصيه هكذا، يتبين مقصودنا بمثال طفلين، أحدهما في السنه السابعه من عمره، و ثانيهما ولد اليوم، و أنت تعلم أنّ الثاني أقرب إلى الموت من الأوّل، لضعفه أمام الحراره أو البروده الشديدين، و لكنّ الأوّل أقوى بالنسبه إلى الثاني لضعف تأثيرهما عليه بالنسبه إلى الثاني. فالحاصل أنّ وجود المعصوم أشدّ الوجودات و أكدها، فهو أبعد عن المعصيه من غيره، فيكون أقوى الدواعي و أقوى الصوارف

فيه، عباره عن تأكّد وجوده المسعود و شدّته، فينبعث إذا إلى الطاعه ما يناسبه في قوّه الوجود و شدّته و سعته، فينصرف عمّا لا يناسبه في الوجود و هو المعصيه التي هي أمر عدمي.

و أمّا العرفان، فلّمّا كان المعصوم عليه السّلام مظهرًا و مجلى لصفات الله القدسيّه و أسمائه الساميه مع عيّيّه صفاته مع ذاته، كان ظهوره تعالى عنده أقوى الحقائق ظهورًا، و لمّا كان حضور المعصوم لسعته معرفته به و انجذابه إليه سبحانه أشدّ الانجذاب كان حضوره عند الله أقوى الحضور، بحيث لا يمكن له الغفله عنه سبحانه فضلًا عن أن يعصيه تعالى، فهذا هو المراد من أقوائن على مشرب العرفان، و يدلّ على ذلك كثير من النقل، كحديث قرب النوافل (1)، و وصف أمير المؤمنين عليه السّلام بأنّه عين الله و أذن الله و يد الله، و هما دالّان على الشطر الأوّل من المراد (الظهور و التجلّي)، و قول النبي صلّى الله عليه و اله: «لى مع الله وقت لا يسعه ملك مقرب و لا نبي مرسل» (2) الدالّ على الشطر الثاني منه، و سيأتي مزيد بيان في محله إن شاء الله.

ص: ٢٧٠

١- «في الحديث القدسيّ: ما تقرب إلى عبد بشيء أحبّ إلى ممّا افترضت عليه، و إنّه ليتقرب إلى بالنافله حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الّذى يسمع به، و بصره الّذى يبصر به، و لسانه الّذى ينطق به، و يده الّتى يبطش بها، إن دعاني أحببته، و إن سألتني أعطيتّه، و ما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددى عن موت المؤمن، [١] يكره الموت و أكره مساءته.» (الكافي ٢: ٣٥٢/ح ٧-باب من آذى المسلمين و احتقرهم). [٢]

٢- ٢. بحار الأنوار ١٨: ٣٦٠، باب إثبات المعراج و.... [٣]

«المكْرَمون»

و فيه أربع نكات:

الأولى: «المكْرَم» مفعول من التكريم، أى «جعل ذات الشيء كريماً» بحيث يظهر كماله من غير اختيار للغير، كزوج كريم من النبات.

الثانية: يشهد الزائر هنا بأن آل البيت عليهم السّلام هم الذين كَرَّمهم الله (١) وإن كان تكريمه تعالى لا ينحصر بهم، لأنه عام بالنسبة إلى جميع بنى آدم، كما قال سبحانه: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ (٢)»، لكون التكريم مقولاً بالشّدّه والضعف على حسب القوابل، ويمكن القول بأنّ تكريمه لبنى آدم يكون فى الجملة، أى بعضهم كريمه الذات و بعضهم كريمه الصفات و بعضهم كريمه الذات و الصفات، و فى الأقوال و الأفعال. كذلك نقول بالتبعيض، و لكنّ آل البيت عليهم السّلام هم المكْرَمون بالجملة، أى فى جميع الشّؤون، فعلى ذلك تكون المرتبه الأعلى من التكريم مختصّه بهم عليهم السّلام، لأنّهم لو لم يكونوا مكْرَمين كانوا مهانين (لعدم ثالث بين التكريم و التوهين)، كما قال زين العابدين عليه السّلام: «و الحمد لله الذى و كلنى إليه فأكرمنى، و لم

ص: ٢٧١

١- كما قال النّبىّ صلّى الله عليه و اله: «...و لكنّ الله تبارك و تعالى خلق آدم و أودعنا صلبه، و أمر الملائكه بالسّجود تعظيماً لنا و إكراماً، و كان سجودهم لله عزّ و جلّ عبوديّة، و لآدم إكراماً و طاعه لكوننا فى صلبه». (شرح الزياره الجامعه للأحسانى فى ظلّ الفقره الشريفه).

٢-٢. الإسراء: ٧٠. [١]

يكلني إلى الناس فيهنوني» (١).

و يشهد الزائر بكون كرامه الله لهم كجزء متمم لإمامتهم، لأنّ المأموم ما لم يعتقد بأنّ إمامه مكرّم لا ينقاد لأمره و نهيه، و لا يؤمن بفرض طاعته على نفسه، و ينجزّ إلى لغويّه نصبه من الله للإمامه (نعوذ بالله من ذلك) و لكن إذا اعتقد بكون إمامه مكرّما يعترف بكون أتباعه فريضه مع ثقلها أحيانا.

الثالثه: الفرق بين كونهم «عباد مكرمون» (٢) و كونهم مكرّمين؛

أمّا معنى كونهم مكرّمين، فهو جعل الله تعالى إيّاهم كرماء في خلقتهم، و أمّا كونهم مكرّمين، فهو جعله تعالى إيّاهم بحيث يكرّمهم كلّ مؤمن، لإيمانه و كلّ مسلم غير شيعيّ لكونهم آل النبيّ، و كلّ كافر حرّ لكونهم أهل الكمال، مضافا إلى أنّ ذكر إكرام هناك وقع بعد ذكر العبوديّة، و هنا يقع ذكر تكريمهم بعد العصمه، و لعلّ التكريم هو مبالغه في إكرام الله لهم.

الرابعه: تبين سعه كرمهم؛ إذا قلنا بأنّهم مكرّمون في أكمل مراتب التكريم، لزم في كرمهم سعه لأنّ ضيق النفس نقص، و هو مناف لأكمل مراتب التكريم. إذا هذا التكريم الواسع من الله لهم يشمل ذواتهم و صفاتهم و أحوالهم و أقوالهم و أفعالهم و غير ذلك من شؤونهم، فإن قلنا

ص: ٢٧٢

١- مصباح المتهدّج ٤٠٥-دعاء أبي حمزه الثمالّي، طبعه مؤسسه [١]الأعلميّ-بيروت.

٢-٢). في الفصل السادس و الثلاثين.

بأنَّ المراد من تكريم الله لهم إيجادهم مع سعه قابليتهم ذاتا كان الكمال كمالا ذاتيا، وإلا كان الكمال فعليا خارجيا حاصلًا بسبب عباداتهم و أعمالهم الزاكية.

٥٤

«المقربون»

و فيه ست نكات:

الأولى: هذا الإطلاق فيهم عليهم السلام مقتبس من نحو قوله تعالى:

السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أولئك المقربون (١)، و فأمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرُوحٌ وَ رِيحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ (٢)، و عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٣). و يشهد على كون المراد منهم فى الآية هم الأئمة أخبار، منها: عن محمد بن زيد عن أبيه قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز و جل: فأمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرُوحٌ وَ رِيحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ ، فقال: هذا فى أمير المؤمنين و الأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين» (٤).

ص: ٢٧٣

١- الواقعة: ١١، ١٠. [١]

٢- ٢. الواقعة: ٨٨، ٨٩. [٢]

٣- ٣. المطففين: ٢٨. [٣]

٤- ٤. تأويل الآيات الظاهرة ٦٢٩- فى ظلّ الآيتين ٨٨ و ٨٩ من سورة الواقعة.

و ينبغي أن يقال بأن ظاهر هذه الآيات الكريمات من القرآن يفيد بلوغ غيرهم أيضا إلى هذا الكمال، لكنّ تأويل الآيات في آل البيت عليهم السّلام لا يوجب الاختصاص بهم و عدم بلوغ غيرهم إلى مقام القرب و جدير بالذكر أنّ ما يبدو في ظاهر الآيات أنّ هذه المرتبة عامّه بالنسبه إلى كلّ من يليق بها، و يعارضه ظاهر الروايات الواردة في المقام في كونها مختصّه بآل البيت عليهم السّلام. نجيب عنه أنّ التأويل لا- يحدّ مفهوم الآيات، لأنّ التأويل يشير إلى أجلى المصاديق في المقرّبين، و يشهد عليه روايات أخرى عدّت الشيعة فيها من المقرّبين أيضا، منها: عن ابن عبّاس قال:

«سألت رسول الله صلّى الله عليه و اله عن قول الله عزّ و جلّ: وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فقال: قال لى جبرائيل: ذاك على و شيعته، هم السّابقون إلى الجنّة، المقرّبون من الله بكرامته لهم» (1).

و ينبغي أيضا ذكر أنّ القرب: إمّا نسبيّ و إمّا تامّ، فالنسبيّ يعمّ كلّ من يليق حتّى غير الأنبياء عليهم السّلام، و التامّ منحصر في آل البيت عليهم السّلام.

الثانيه: يلزم لكلّ مقرّب مقرّب إليه، فالمقرّب إليه لجميع ما سوى الله هو الكمال المطلق (البارى سبحانه) تكوينا، كما عليه اعتقاد كلّ عارف، و يمكن وقوع الاشتباه في المسير إليه أو المصادق، و لكن لا شكّ في سير

ص: ٢٧٤

١- .تأويل الآيات الظاهره ٦٢٠- في ظلّ الآيتين ١٠ و ١١ من سوره الواقعه، عن: أمالي الشيخ الطوسي ١: ٧٠.

الجميع إلى الكمال المطلق، ويشهد عليه قوله سبحانه: إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (١)، وَ أَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٢)، فيكون المقرب إليه لآل البيت وغيرهم هو الله سبحانه.

الثالثة: ليس قربهم عليهم السلام إلى الله تعالى زمنيًا ولا مكانيًا، لأنه تعالى لا يحيط به الزمان ولا المكان، بل هو فوق الزمان والمكان، ولا نسبيًا لعدم وجود مجانسه بينه وبين غيره سبحانه، لكون ذلك في خواص الممكنات، والله تعالى منزّه عن الإمكان، ولا عليًا ومعلوليًا، لأن هذا النوع عام لكل الممكنات بالنسبة إليه سبحانه، الذي هو علّه تامه لها، بل القرب هو قرب حقيقي لا زوال فيه للمقرب إليه ولا للمقرب أيضًا، كما يشهد عليه ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام: «لنا مع الله حالات نحن فيها هو و هو نحن، و نحن نحن و هو هو» (٣)، ويقول العارف في المقام:

ص: ٢٧٥

١- العلق: ٨. [١]

٢- ٢. النجم: ٤٢. [٢]

٣- ٣. (شرح الزيارة الجامعة للأحسائي، ص ١١٣، [٣] ذيل عبارته المقربون). و أمّا توضيح الحديث بقدر الحاجة؛ فالحالات جمع الحالة، يمكن إطلاق الجمع فيها بتعدد المعصومين عليهم السلام: كما قال عليه السلام لنا، ويمكن كون الحالات لكل واحد منهم و لكن المعصوم عليه السلام قد يكون مجذوبا لجماله، وقد يكون مندفعًا عنه لدفع جلاله. و أمّا ما قال: نحن، فيها هو، لو استضاءت الغرفة بضياء الشمس من زجاجات متلوّنه متعدّده، فمع كل زجاجه كان ضياء الشمس بلونها، و لكن إذا ارتفعت الزجاجات بقى نور الشمس نورا واحدا على ما كان، فالمعصومون مظاهر الله و مندكّه الإتيه بالنسبه إليه، بفرض رفع وجودهم كانوا كمن لم يكونوا، فبقى هو سبحانه وحده، و أمّا ما قال: هو نحن، فلا تتحد الظاهر و المظهر مع فرض بقاء المظهر، إذا كما قيل في التمثيل؛

أنا من أهوى و من أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

الرابعة: بيان طلبهم القرب:

فإنَّ المعصوم يسأل الله تعالى القرب إليه مع كونه في المقرّبين و هو تحصيل الحاصل، كما ورد عن عليّ عليه السّلام: «و أسألك بوجودك أن تدنيني من قربك» (١)، أو «و أدنو منك دنوّ المخلّصين» (٢)، يرتفع الإشكال: إمّا بعدم توجهه عند السؤال إلى كونه مقرّبا، و إمّا لكون سيره سيرا في الله الذي لا ينتهي، لا سيرا إلى الله الذي ينتهي، فسؤاله القرب هو طلبه لظهورات جديده لكون الظاهر غير متناه، فيكون ظهوره هكذا.

الخامسة: ينظر إلى قربهم عليهم السّلام إليه باعتبارين: الأوّل: هو من باب المزيد (التقريب)، فهذا القرب يكون تحصيليّا، و لهذا النوع من القرب شواهد كثيره من القرآن، فيكون لأعمالهم الزاكية و عباداتهم الخالصة أثر و دخل في حصول هذا القرب، و بهذا الاعتبار يكون هذا الكمال فعليّا خارجيّا.

و الثاني: من باب المجرد، فيكون قربهم إليه مع عدم كونه من نوع

ص: ٢٧٦

١- ١). المصباح للكفعمي، ص ٥٥٥-الفصل الرابع و الأربعون. [١]

٢- ٢). إقبال الأعمال، ص ٧٠٩-فصل فيما نذكره من الدعاء...

القرب العَلِّيّ و المعلولِيّ، كمالا ذاتيا لكونهم خلقوا قرباء إليه.

السادسه: ينتج قربهم الحقيقي أن يكون فعلهم فعل الله، و طاعتهم طاعته و معصيتهم معصيته، و هكذا أمرهم و نهيهم، و هدايتهم و مرادهم مراده سبحانه، و يشهد عليه بعض الآيات: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (١)، و مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (٢)، و مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (٣).

٥٥

«المتّقون»

و فيه أربع نكات:

الأولى: إنّ أصل التقوى «وقيا»، فقلبت واوه تاء، فبنى المتّقى فاعلا منه، و جمعه «المتّقون». فهذه شهاده سادسه من الزائر على كمال سادس فى هذا الباب لآل البيت عليهم السّلام بعد شهادته على التوحيد و الرساله، لتفرّع جميع الشهادات فى الباب عليها، ثمّ إنّ مصداق التقوى و حقيقتها (كما قال علماء الأخلاق) ليس كمالا- فى نفسه؛ للزوم كلّ كمال أن يكون ثبوتيا وجوديا، و التقوى ليست كذلك بل تكون أمرا منفيًا، و لكنّها كمقدّمه لكلّ

ص: ٢٧٧

١- النساء: ٨٠. [١]

٢-٢. الإنسان: ٣٠. [٢]

٣-٣. الأنفال: ١٧. [٣]

كمال لعدم تحقّق كمال بدونها.

الثانيه: أنّ آل البيت عليهم السّلام هم أجلي المصاديق للمتّقين؛ لأنّ إطلاق المطلق ينصرف إلى فرد أكمل، وقد دريت ما لهم عليهم السّلام من الكمالات في ما سبق، فمن كان موصوفا بها لا يمكن كونه مصداقا خفيا للتقوى فضلا عن أن يكون فاقدها.

الثالثه: يقع هنا سؤال حول امتياز آل البيت عليهم السّلام عن غيرهم في التقوى، نجيب عنه مضافا إلى ما سبق آنفا (في هذه النكته)، أنّ بينهم وبين غيرهم من المتّقين فروقا، منها:

الأوّل: أنّ التقوى في غيرهم تابعه لتعاليمهم عليهم السّلام بالأقوال الصادره عنهم و تأديباتهم (المراد من التأديب الترييه) بالأعمال المشهوده منهم، و لكنّ تقواهم عليهم السّلام كانت أصيله.

الثاني: لا- يمكن حصول التقوى عاده عن غيرهم من غير شائبه من الشّرك الخفيّ، كما قال النبيّ صلّى الله عليه و اله: «الشّرك اخفي في أمّتي من ديب النمل على الصفا في الليله الظلماء» (١).

لأنّ للتقوى ثلاثه أجزاء: «إطاعه من غير عصيان، ذكر من غير نسيان، و شكر بلا كفران»، كما قال الإمام الصادق عليه السّلام في قوله تعالى: «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ»: أن يطاع فلا يعصى و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا

ص: ٢٧٨

١- حليه الأولياء لأبي نعيم الأصفهانيّ ٢٥٣:٩.

فالحاصل أنّ التقوى المتحقّقه من غير المعصوم: إمّا أن تكون فاقده لبعض هذه الأجزاء، وإمّا أن تستجمع الأجزاء مع نقيض ما أحيانا أو مع ضدّ ما أحيانا، ولكن لا يتصوّر منهم عليهم السّلام أيّ واحده من الصور المتصوّره فى تقوى غيرهم.

الثالته: أنّ تقوى غيرهم تتكدر (و إن كانت تامّه كامله من الأجزاء الثلاثه) بالكدورات الطبيعّيه خلقه و جبراً، و ليس من خلقتهم عليهم السّلام إلّا تمام النور و الصفاء، و كمال البهجه و البهاء، فتدبّر.

الرابعه: مقومات التقوى:

إنّ التقوى متقومه: بالمتقى، و المتقى منه و المتقى به. أمّا المتقى هنا فهو كلّ واحد من آل البيت عليهم السّلام، و المتقى به عباره عن كمال حضورهم لدى الله سبحانه و تمام ظهوره تعالى فيهم، مع أنّ المتقى به فى غيرهم عباره عن العلم الحصوليّ بالمبدأ و المعاد و عواقب العصيان و خواتيم الطاعه، و غير ذلك.

و أمّا المتقى منه لغير آل البيت عليهم السّلام فهو عذاب النار و غير ذلك من أسباب الخوف، و فيهم عليهم السّلام ما سوى الله حتّى أنفسهم الشريفه، كما قال الإمام علىّ عليه السّلام: «فهبنى يا إلهى و سيّدى و مولاي و ربّى صبرت على

ص: ٢٧٩

عذابك، فكيف أصبر على فراقك؟! أو هبني صبرت على حرّ نارك، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك؟!» (١).

٥٦

«الصادقون»

و فيه خمس نكات:

الأولى: ترتّب الصدق على التقوى:

إنّ الصدق مترتّب على التقوى، والصادقون أكمل من المتّقين، لأنّ التقوى على معناها العامّ من مقوله الفعل و إن كان فعلا منفياً (و هو الترك)، و لكنّ الصدق من مقوله الوصف و هو أمر وجودي، و يحصل في النفس من دوام التقوى، و يتبيّن من ذلك أنّه كمال نفسانيّ و ليس فعلية خارجية، كما يظهر من تفسير القائلين بكون الصدق وصفا للقول، فهنا نعود إلى أصل الكلام (و هو ترتّب الصدق على التقوى). و نحن نرى ذكر التقوى في القرآن مصاحبا بالتقوى، و لعلّ الإمام عليه السّلام اقتبس فقرتين على هذا الترتيب من الآيات التالية: لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى

ص: ٢٨٠

١- مفاتيح الجنان، دعاء كميل [١]

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١)، وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٢)، ترى أَنَّ التقوى فى الآيتين أخذت مدلولاً لخبائها، لكونها أمراً عدمياً، والصدق دليلاً عليها لكونه ثبوتياً، وفى الآيه التالىة جعل التقوى سبباً لحصول الصدق الذى هو الكمال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (٣)، و جعلت التقوى فى هذه الآيه سبباً للكون مع الصادقين: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ* فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٤)، و صفت الجنات و النهر نتيجة تقوى المتقين، و كونها مقعد صدق كمال أعلى من النهر، و أعلى منه كون المتقين عند ملك مقتدر، و ملخص القول أَنَّ الصدق مترتب كنتيجة على التقوى كمقدمه.

الثانية: تعريف الصدق:

إنَّ الصدق هو ما يطابق الحق، و هو أعم من أن يكون قولاً أو فعلاً أو قصداً أو عقيدة، خلافاً لمن يتصوره وصفاً للكلام أو القول خاصه، و لهذا

ص: ٢٨١

١- البقره: ١٧٧. [١]

٢- ٢. الزمر: ٣٣. [٢]

٣- ٣. التوبه: ١١٩. [٣]

٤- ٤. القمر: ٥٤، ٥٥. [٤]

ذكره المتكلمون في كتبهم عقيب كونه سبحانه متكلمًا، ولا يمنع كونهم عليهم السّلام صادقين بالجملة غيرهم من الصدق و لو في الجملة، فلا يزالون يمتازون عن الصادقين الغير معصومين عليهم السّلام.

الثالثة: أنّ المراد من الصادقين هم أهل البيت عليهم السّلام كما نقل المجلسي التواتر في تأويل الآيه: وَ كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ (١).

و أمّا الإجابة على اشتهاار سادس الأئمّه بالصادق فهى أنّ المذاهب الباطله-و لا سيّما الفقهيّه منها-حدثت فى عصره عليه السّلام كثيرا، و كلّ مبدع كان يدعى صدق مذهبه، لهذا اشتهاار الإمام بالصادق عليه السّلام، ثانيا لا دليل على انحصار الصدق فيه دون سائر الأئمّه عليهم السّلام بعد قيام الأدلّه العقليّه و النقليه المفيده للقطع بكونهم صادقين.

الرابعه: كونهم عليهم السّلام صادقين على الإطلاق:

إنّهم عليهم السّلام كانوا صادقين و لم يتقيّد صدقهم بقيد، كقوله سبحانه: مِنْ

ص: ٢٨٢

١- و أمّا وجه إطلاق الصّدّيق عليهم و «الصّدّيق الأكبر» على «الإمام على عليه السّلام» و «الصّدّيقه الكبرى» على «فاطمه الزهراء عليها السّلام»، [١] فهو عبارته عن استغراقهم فى جميع شؤونهم فى الصدق، و أمّا كون الإمام على عليه السّلام أكبر الصّدّيقين، فهو أكبر بالنسبه إلى الصّدّيقين فى الأمم الماضيه، و هكذا كون فاطمه الصّدّيقه الكبرى بالنسبه إلى جميع النساء الصّدّيقات. قال الإمام الصادق [٢] عليه السّلام فى تأويل قوله سبحانه: «وَ مِمَّنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ...»: نحن فى هذا الموضع الصّدّيقون و الشّهداء، قال رسول الله صلّى الله عليه و اله فى الإمام على عليه السّلام: «فإنّه الصّدّيق الأكبر»، و قال الإمام الصادق عليه السّلام فى فاطمه الزهراء عليها السّلام: «[٣] هى الصّدّيقه الكبرى، و على معرفتها دارت القرون الأولى» (بحار الأنوار ١٠٥/٤٣ ح ١٩- عن: أمالى الطوسى). [٤]

الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ (١)، و لم يجعل الصدق شرطا لمشروط، كقوله سبحانه: فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢)، فيكون صدقهم مطلقا، وهذا الصدق ملازم للعصمه، خصوصا إذا أمر الله تعالى بالكون مع موصوفين به، قال الله سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (٣).

الخامسه: تمايز آل البيت عليهم السلام في الصدق عن الأنبياء:

إن آل البيت عليهم السلام يمتازون في هذا الوصف عن النبيين والمرسلين، لكون عصمتهم هي العصمه الكبرى، وفطرتهم أصفى و علمهم أوسع و صلتهم بالغيب و الملائكه أقوى بالنسبه إلى النبيين في جميع تلك الجهات، فيكون صدقهم أكمل، كما يشهد على ما قلنا صدور ترك الأولى من آدم و غيره من الأنبياء عليهم السلام و عدم صدور ذلك من آل البيت عليهم السلام على التحقيق.

٥٧

«المصطفون»

و فيه نكتتان:

ص: ٢٨٣

١- الأحزاب: ٢٣. [١]

٢-٢. البقره: ٩٤. [٢]

٣-٣. التوبه: ١١٩. [٣]

الأولى: تحليل هذه الفقره الشريفه يلزم توضيح عدّه ألفاظ:

١-«الاصطفاء»افتعال من«الصّفوه»،و هو بمعنى التصفيه إلى أخذ كدره ليكون ما بقى منه صافيا،قال سبحانه: أَفَأَصِّفَاكُمْ رَّبُّكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ (١)، أى هل اختصّكم بالبينين؟أخذ منكم كدر البنات(بزعم عبده الأوثان)، فالحاصل:لا يتحقّق كمال دون تصفيه فى كلّ موجود خليط بالكدر.فمع ثبوت حصول الكمال كأصل عامّ فى كلّ موجود يتبيّن جريان أصل الاصطفاء.

٢-المصطفى(فاعل الاصطفاء)،يجب أن يكون المصطفى عالما بالصفوه و الكدر،وقادرا على الاصطفاء و أخذ صفوه الشىء و ترك كدره،و حكيما فى فعل الاصطفاء،ليكون فعله هذا موافقا للحكمه أى خاليا من أصغر عيب و جامعا لجميع المصالح الممكنه دون فوت أىّ منها،فبهذا التقرير يعلم أنّ المصطفى كهذا لا يكون إلاّ الله سبحانه، فمصطفى الأئمّه عليهم السّلام هو الله وحده.

٣-المصطفى(على البناء المفعول)،يجرى أصل الاصطفاء فى كلّ من الملائكه و الناس، كما يشهد عليه القرآن: اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنْ النَّاسِ (٢)،و يفهم من هذه الكريمه أنّ فى كلّ منها كدرا،و هو

ص:٢٨٤

١- الإسرائ:٤٠. [١]

٢-٢. الحجّ:٧٥. [٢]

سبحانه بتفريق الكدر يصطفى عدّه من كلّ منهما رسلا، فيكون المصطفون من الناس هم المعصومين عليهم السلام، كما خاطب سبحانه موسى عليه السلام: قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي (١)، فالحاصل أنّ آل البيت عليهم السلام مصطفون من جميع المعصومين عليهم السلام، والآيات التالية شاهده عليه: قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى (٢)، والمراد من هؤلاء العباد آل البيت عليهم السلام كما قال عليّ بن إبراهيم في تفسيره للآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٣). عن إبراهيم عن أبي الحسن الأول عليه السلام أنّه قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ فَنَحْنُ الَّذِينَ اصْطَفَانَا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ...»، و إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤). وقد تقدّم بعض الكلام في أنّ آل البيت عليهم السلام هم آل إبراهيم، فيتبيّن من هذه الآيات مع تأويلاتها أنّ آل البيت عليهم السلام هم المصطفون.

٤- المصطفى منه، يجب أن يكون المصطفى و المصطفى منه من جنس واحد، فلا يصحّ مثلا اصطفاء الذهب و الفضة من الماء أو الخبز فكون آل البيت عليهم السلام مصطفين يجب أن يكون المصطفى منه هو سائر

ص: ٢٨٥

١- الأعراف: ١٤٤. [١]

٢- ٢. النمل: ٥٩. [٢]

٣- ٣. تأويل الآيات الظاهرة ٤٧٢، والآية في سورة فاطر: ٣٢. [٣]

٤- ٤. آل عمران: ٣٣. [٤]

الناس؛ لأنَّ الإنسان مصطفي على الجنِّ، فإذا كان آل البيت عليهم السَّلام مصطفين من الإنس كانوا مصطفين من الجنِّ بطريق أولى.

٥-المصطفى عنه، والمراد من المصطفى عنه، هو كدورات موجوده فى غيرهم من الناس، كضيق الأنفس و الجهل و غيرهما، دون الكدورات الإمكانية اللازمه للإمكان، غير القابله للتفريق عن الممكن، كما شهدت عليه آيه التطهير.

٦-المصطفى فيه، والمراد منه هو الأبعاد الوجودية لهم من الأجسام و الأرواح، و توضيح ذلك أنَّهم مصطفون فى أجسامهم كما تدلُّ عليه أخبار الطينه من أنَّ طينتهم عليهم السَّلام غير طينات سائر الناس، و هكذا نفوسهم القدسيه، فهى مصطفاه من كدورات سائر النفوس.

الثانيه: أنَّ لهذا الشأن لهم عليهم السَّلام اعتبارين: فباعتبار صحَّه أخبار الطينه يكون هذا الشأن كمالا ذاتيا لهم (و هو يعم أجسامهم و أرواحهم)، و إلاَّ كان كمالا نفسائيا.

٥٨

«المطيعون لله»

و فيه خمس نكات:

الأولى: يشهد الزائر صريحا فى هذه فقره على كمال من الكمالات الفعلية فى مزوريه الأظهار، و قد قلنا بأنَّ الشهاده بأى كمال فعلى صريحا،

ص: ٢٨٦

شهاده بكمالات نفسانيه كمقدمات لهذا الكمال الفعلي ضمنا، كالمعرفه الباعثه إلى هذا الكمال الفعلي و غيرها.

الثانيه: معني الطاعه و أقسامها:

معني «الطاعه» هو «الانقياد»، لأنها من الطوع و هي على قسمين:

تكوينيّه و تشريعيّه، فالتكوينيّه منها جاريه في جميع الموجودات للواجب تعالى، و التشريعيّه خاصّه بالمكلفين، و بينهما فروق كالتالي:

أ: التكوينيّه غير قابله للتخلف، كما قال سبحانه: فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١).

ب: لا يستحقّ فاعلها المدح و لا الأجر (٢).

ج: و لا يتوعدّ فاعلها.

د: أنّها لا- تنشأ من اختيار فاعلها، و لكن يتحقّق جميع ذلك في التشريعيّه، كما قال سبحانه مادحا و مثيبا للمكلفين المطيعين: اُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٣).

ص: ٢٨٧

١- فضلت: ١١. [١]

٢- ٢). و إن كان المطاع محمودا في كلّ حال أعمّ من أن تكون الطاعه تكويّنه أو تشريعيّه، لتعلّق الحمد بصفات الله الكماليّه الذاتيه لا- بأفعاله الحسنه، كالمدح المتعلّق بالؤلؤ؛ لصفائه، كما قال سبحانه في التكوينيّات: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» (الأنعام: ١)، و [٢] في باب التشريع، قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ» (الأعراف: ٤٣). [٣]

٣- ٣). الحجر: ٤٦. [٤]

الثالثة: أن الطاعة التشريعية التي تصدر من المكلفين مبتنية على معارف خمسة:

الأولى: معرفه المطيع بالمطاع، لأنه ما لم يعرف الله المكلف كمطاع حقيقى و لم يقف على مولويته سبحانه، لا معنى لطاعته إياه.

الثانية: معرفته بالمطيع (و هو نفسه) لأن ما لم يعرف نفسه (بعنوان أنه مكلف) و لم يعرف لوازم الطاعة و آلائها فى نفسه و لم يعرف كيفيه طاعته، لا تقع الطاعة.

الثالثة: معرفه بالمطاع به، (و هو التكليف)، فيلزم عليه أن يعرف جميع ما كلف به من الأفعال كالواجب و المندوب، و الترك كالمحرّم و المكروه.

الرابعة: معرفه بلزوم الطاعة، فلو وقع فى اشتباه و علم من الطاعة بأنه لغو (معاذ الله) لا يطيع.

الخامسة: معرفه بنقيض الطاعة (و هى المعصية)، فيلزم عليه أن يعرف المعصية كخارج من حدود الله حتى لا يتعدى إليها، و لا يعدّ المعصية طاعة و لا يحسب العاصى مطيعاً؛ لأنه حينئذ يصير مصداقاً لقوله سبحانه: **وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١)**.

و قد جمع الإمام الصادق عليه السلام هذه الخمس فى أربع، و ذلك بقوله:

ص: ٢٨٨

«وجدت علم النَّاس كُلَّهُ فى أربع: أوَّلها أن تعرف ربِّك، والثَّانى أن تعرف ما صنع بك، والثَّالث أن تعرف ما أراد منك، والرَّابع أن تعرف ما يخرجك من دينك» (١).

فالحاصل أنَّ الزَّائر إذا وصف آل البيت عليهم السَّلام بأنَّهم «المطيعون لله» يكون معناه أنَّهم عليهم السَّلام عارفون بهذه الأصول الخمسة معرفة بالغه بما لا يمكن فوقها.

إذا تقع الطاعة الكاملة منهم عليهم السَّلام ولا يقع من غيرهم فى هذه المرحلة الكاملة لضعف معرفه غيرهم بالأصول المذكوره.

الرابعه: نقيض الطاعة هو العصيان (كما قدَّمنا) فلو لم يكن آل البيت عليهم السَّلام مطيعين لكانوا عاصين، وهو ناقض للعصمه، فحيث ثبت كونهم معصومين و مستجمعين لجميع الفضائل النفسائيه، فلا يمكن أن يكونوا غير مطيعين؛ لأنَّ عدم الطاعة معلول لأمرين:

ألف) حصول الصارف عن الطاعة.

ب) حصول الداعى إلى المعصيه.

فالحاصل أنَّ جميع الكمالات النفسائيه المذكوره لآل البيت عليهم السَّلام تقتضى الطاعة لا المعصيه، ولهذا لا يختارون بأنفسهم إلا ما يشاء الله كما

ص: ٢٨٩

١- الكافى ١: ٥٠/ح ١١-باب النوادر. [١] لم يذكر لزوم الطاعة فى الحديث؛ لأنَّه يفهم من المعرفه بالربوبيه بأنَّ كلَّ ربِّ يجب طاعته و شكره.

قال: وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (١).

الخامسة: لوازم الطاعة:

فإذا تبين أن آل البيت عليهم السلام هم المطيعون الكاملون في الطاعة، لزم لطاعتهم امور:

الأول: الهدايه، وهى الوصول إلى الغايه، كما قال سبحانه: وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا (٢).

الثانى: الظفر بإطاعه الله، كما قال تعالى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (٣).

الثالث: حصول غفران الله، كما قال تعالى: وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤).

الرابع: الفوز، قال تعالى: وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥).

الخامس: البلوغ إلى أجر حسن، قال سبحانه: فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ

ص: ٢٩٠

١- التكوير: ٢٩. [١]

٢-٢. النور: ٥٤، [٢] ينبغي ذكر أن الهدايه بمعنى إراءه الطريق، هى متقدمه على الطاعه لا نتيجه لها.

٣-٣. النساء: ٨٠. [٣]

٤-٤. البقره: ٢٨٥. [٤]

٥-٥. النور: ٥٢. [٥]

أَجْرًا حَسَنًا (١).

السادس: عدم ضياع الأعمال، قال تعالى: **إِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا (٢).**

السابع: دخول الجنّة: **مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (٣).**

الثامن: المعية مع النبيين و الصّديقين و الشهداء و الصالحين: **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصّٰلِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلِيَٰكَ رَفِيقًا (٤).**

التاسع: نوال رحمة الله: **وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ (٥).**

٥٩

«الْقَوَامُونَ بِأَمْرِهِ»

فيه خمس نكات:

ص: ٢٩١

١- الفتح: ١٦. [١]

٢-٢. الحجرات: ١٤. [٢]

٣-٣. النساء: ١٣. [٣]

٤-٤. النساء: ٦٩. [٤]

٥-٥. التوبة: ٧١. [٥]

الأولى: «القوامون» جمع «القوام» وهو مبالغه من القائم، و(القائم) فاعل القيام، فيكون المعنى «أشهد أنكم كثير القيام بالجدّ و الجهد مع تحمّل المشاقّ بأمر الله و نهيه»، و هذا كمال خارجي فعلي لآل البيت عليهم السّلام.

الثانية: الاحتمالات في معنى القوام ثلاثة:

ألف) شديد القيام، و فيه ينظر إلى كيفيّة القيام.

ب) كثير القيام، و فيه ينظر إلى كمّيّته.

ج) الشدّه و الكثره في القيام معاً، ينظر في ذلك المعنى إلى كمّيّته و كيفيّة، و هذا هو المقصود من كونهم قوامين، و يؤيّدّه الكمالات و الفضائل المتقدّمه لهم، مثلاً ما لم يكن العبد شديداً في قيامه و ما لم يكن قيامه كثيراً لا يكون مستقراً في أمر الله، و هكذا كون العبد تاماً في محبّه الله يستلزم كثره قيامه و شدّته في طريق رضی المحبوب.

الثالثة: أنّ آل البيت عليهم السّلام أمروا بأن يكونوا قائمين أوّلاً، و أن يكونوا قوامين ثانياً، فالأوّل في امتثال الأوامر الصادره منه سبحانه إليهم، و هذا ما توجه عبوديتهم، و يلزم كونهم مكلفين كسائر الناس، كما قال سبحانه:

وَ قَوْمُوا لِلّهِ قَانِتِينَ (١). و الثانی فيما يتعلّق بإمامتهم و كونهم هادين و قائدين يلزم لتلك الشؤون كون الهادي و القائد و الإمام و النبی و الرسول

ص: ٢٩٢

قَوَامِينَ، مثل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ * قُمْ اللَّيْلَ (١) ناظر إلى الأول، وقوله تعالى: إِلَّا قَلِيلًا * نَصِيفُهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٢) ناظر إلى الثاني، لأن الإمام أو القائد ما لم يكن قوامًا لا يمكن له تربيته قائم.

فالحاصل يفهم من ثانی الأمرين بهذا التأكيد و التشديد شدّه القيام و كثرته، و هكذا فى الأمر بالجهاد بقوله سبحانه: «جاهد الكفار» إشاره إلى تكليف العبودية للرسول، و فى قوله: «وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ» (٣) إشاره إلى وظيفه القيادة الحاصل أن آل البيت عليهم السلام مع كونهم قائمين يكونون قوامين بأمر الله، كما روى عنه صلى الله عليه و اله و سلم: «أنه قام فى الصلاه حتى تورمت قدماه» (٤)، و لا فرق فى أمثال ذلك من الشؤون و الوظائف بين الرسول و الأئمة، لكونهم خلفاءه فى الأئمة و أبداله فى العبودية و فى كل كمال، و يؤيد ذلك (عدم الفرق) مبالغه الأئمة عليهم السلام كزين العابدين و جدّه أمير المؤمنين عليهما السلام فى العباده.

الرابعة: معنى الأمر و الباء الجارة:

ص: ٢٩٣

١- المزمّل: ٢، ١. [١]

٢- ٢. المزمّل: ٢-٤. [٢]

٣- ٣. التوبه: ٧٣. [٣]

٤- ٤. غوالى اللالكى ١: ٣٢٦/١ ح ٦٩. [٤]

يمكن تفسير الأمر هنا بالشأن، فتكون الباء بمعنى «فى»، فيصير معنى الفقرة «القوامون» فى شأن الله (و المراد من الشأن، هو الجنس) من شؤون العباده المتعلقه بعبوديتهم، أو غير العباديه التى تتعلق بها إمامتهم.

و الحاصل أنّ آل البيت عليهم السلام كانوا قائمين و كذا قوامين فى كلّ واحد من هذين الشأنين (١)، و تشهد على كونهم قائمين الآيتان التاليتان: قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفِرَادَى (٢)، يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ (٣)، و على كونهم قوامين أيضا هاتان الآيتان: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ (٤)، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ (٥) و يمكن أيضا تفسير الأمر بمعنى «الطلب». فتكون الباء سببيه فلا تتوجه إذا تكاليف الله إليهم، لأنها وظائف عبوديه، بل يكون التوجه إلى أنهم لا- يقولون و لا- يفعلون (على المعنى الكامل من القول و الفعل) إلا- بأمر الله. قال تعالى: وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا

ص: ٢٩٤

١- إن سأل سائل: كيف يوجد للمعصومين أمر غير عبادي؟ نجيب عنه، أنّ الأمر العبادي هو ما جعل و شرع من قبل الله عباده و لكن يمكن للعبد الكامل، العمل بما لم يجعل، هكذا على قصد القربه كتعليف الدابه و رعايه العدل بين الناس و تقبيل الولد و غير ذلك، فتصير أعماله عباده بالتشريع و عباده بالقصد.

٢- ٢. سبأ: ٤٦. [١]

٣- ٣. المدثر: ٢، ١. [٢]

٤- ٤. النساء: ١٣٥. [٣]

٥- ٥. المائدة: ٨. [٤]

وَحَيُّ يُوحَى (١). والحاصل أنّكم قوّامون بأمر الله لا من قبل أنفسكم ولا بميولكم؛ وهذا مؤيّد للمعنى الثانى (الطلب)، والفقره التالى (العاملون بإرادته) فإنّه إن كان المراد من الأمر هو الشأن فلا تبقى صلته بين الفقرتين، ومع تفسيره بالطلب تحفظ الصلته بينهما.

الخامسه: كلام فى تعارض أمرين أو فى تزاحمهما:

إنّ كونهم عليهم السّلام القوّامين بأمره بمعنى لا- تعارض عندهم بين الأمرين؛ لأنّهم عليهم السّلام عالمون بمرادات الله الحقيقيه، ولكن يتعارض الأمران بالنسبه إلينا لأننا جاهلون بما صدر من الله، ولكن يمكن تزاحم الأمرين عندهم، فإذا وقع التزاحم فيختارون الأشقّ منهما، كما إذا حضر وقت الصلاه و فى نفس الوقت تنجّس المسجد، فهم عليهم السّلام يختارون ما هو أصعب على ما يقتضى كونهم قوّامين، لما قدّمنا من أنّ معنى القوّام هو كثير القيام و شديده.

٤٠

«العاملون بإرادته»

و فيه ثمانى نكات:

الأولى: يشهد الزائر بما حصل له من المعرفه بكمالاتهم السابقه، أنّهم عاملون بإرادته، لأنّ ما سبق من كمالاتهم كان كعله أو كالمقتضى، و يكون

ص: ٢٩٥

١- النجم: ٤، ٣. [١]

هذا الكمال الفعلى الخارجى كالمعلول أو المقتضى.

الثانيه: قد تقدم فى باب التسليمات شرح نظير هذه الفقرة فى كونهم «و عباده المكرمين، الذين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون» (1)، و لكن بين الفقرتين فرقان:

ألف) ذكر الأمر فى الفقرة السابقه و الإراده ذكرت هنا، و معلوم أنّ الإراده متقدمه على الأمر وجودا و الأمر يتأخر عنها، فتكون هذه الفقرة متأخره عنها ذكرا و متقدمه حقيقه، بمعنى أنّ الأمر بشىء يريدّه أولا و يأمر به ثانيا. و الحاصل أنّ هذه الفقرة تبين كمالا أرقى ممّا سبق؛ لأنّ عمل آل البيت عليهم السّلام بما يأمر الله ليس بهمّ بالنسبه إلى كونهم عاملين بإرادته، (فانتظر مزيد بيان فى المقام).

ب) أنّ لفظه «يعملون» فى تلك الفقرة، لا تفيد الدوام بالنسبه إلى الماضى و المستقبل، بخلاف لفظه «العاملون» التى تفيد الدوام فى الأزمنه الثلاثه: الماضى و الحاضر و المستقبل.

الثالثه: استعمل الإمام عليه السّلام لفظه العمل و لم يستعمل الفعل فى كلتا الفقرتين؛ لأنّ النسبه بين الفعل و العمل نسبه العموم و الخصوص مطلقا، فالفعل عامّ و العمل خاصّ، لأنّ الفعل يطلق على كلّ ما صدر من ذى

ص: ٢٩٦

شعور و غيره، (1) و لكن العمل هو ما يصدر من ذى شعور و علم و اختيار فقط، فهذا هو السرّ فى أخذ الإمام عليه السلام و تركه.

الرابعه: يثبت من أقوال المتكلمين و المفسرين و الحكماء و المحدّثين و اعتقاد المليين أنّه تعالى مرید، و لا حاجه لنا إلى إيراد مقالا-تهم فى أنّ الإراده هل هى صفة الذات أو الفعل، و ما هو تفسيرها و هل هى حادثه أو قديمه؟ و غير ذلك من المسائل المتعلقه بها، و ذلك خشيه الخروج عمّا نحن بصدده.

الخامسه: إذا كان آل البيت عليهم السّلام العاملين بإرادته، لزم ذلك كونهم عالمين بها، لأنّ العمل فرع العلم، و ما لم يكن العامل عالما كان عمله كما لم يعمل.

السادسه: يلزم من كون إرادته تعالى صفة ذاتيه (و هى علمه تعالى بالأصلح) علم آل البيت عليهم السّلام بما يعلمه الله أزلا مصلحه الأمور و الأشياء، إذا يتعلّق علمهم عليهم السّلام بجميع ما كان أصلح فى علم الله، و إن فسرت إرادته تعالى بالإيجاد (و هى صفة فعليه) يكون معنى فقره أنّهم عليهم السّلام عاملون بما يوجد الله، و لكنّ الأظهر أنّه ليس المراد هنا هذا و لا ذاك، بل المراد من الإراده هو القصد و المشيئه، فيكون معنى فقره أنّكم تعملون

ص: ٢٩٧

١- . كالنار تكون فى إحراقها فاعله و لا- تكون عامل، و لكنّ المؤمن فى صلاته كما أنّه فاعل فيها، و لهذا كلّما أطلق الفعل فى القرآن فهو منسوب إلى الإنسان و غيره من ذوى الشعور.

باستمرار بما شاء الله عمله كما قال سبحانه: وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (١).

السابعة: قد قلنا بأن العمل بإرادته تعالى مستلزم للعلم بمراداته سبحانه، إذا علمهم بمراداته إما أن يكون من طريق صلتهم بعالم الوحي أو الإلهام أو تحديث الملائكة إياهم أو مطالعتهم الألواح السماوية، أو من طريق التجلي، بمعنى تتجلى إرادته تعالى في نفوسهم الشريفه، والكُلّ ممكن، ولكن يتأيد الأخير بقوله تعالى: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (٢). فالحاصل أن كونهم عاملين بإرادته على أي تفسير مبيّن لتوحيدهم الأفعالي المحض الخالص (٣).

الثامنة: أن أصل العمل المداوم من آل البيت عليهم السلام بإرادته ليس كمالاً - خاصاً بهم، لإمكان مشاركته غيرهم في هذا الوصف، ولكن الأزكى والأخلص منه خاصٌ بهم، لإمكان الكدورات النفسانية و ضيق النفس و عدم العصمه، و خلط العلم في غيرهم من العاملين، وهكذا ضعف

ص: ٢٩٨

١- التكوير: ٢٩. [١]

٢- ٢. الأنفال: ١٧. [٢]

٣- ٣. فإن قال قائل: لا يستلزم كونهم عاملين، هكذا علمهم بمرادات الله لأنّ متشرّعا عامّياً يعمل أيضا بإرادته الله مع عدم علمه بما قلت؛ نقول: نعم، يعمل المتشرّع المفروض بما يريد الله، ولكن عمله ينشأ من التعيّد و التقليد؛ مضافا إلى القول بالصله بين كمالات آل البيت عليهم السلام يوجب ذلك الاستلزام، ولكنّ المتشرّع المفروض ليس موصوفا بالأوصاف السابقه الذكر لآل البيت، ففقده هذه الأوصاف يمنع عن ذلك الاستلزام.

«الفائزون بكرامته»

و فيه سبع نكات:

الأولى: يشهد الزائر هنا على كمال آخر لآل البيت عليهم السَّلام من كمالاتهم النفسانيَّة، وهو فوزهم بكرامه الله، ولكنَّه يؤدِّي هذه الشهادات عند جميعهم لا مع حضور واحد منهم، فكُلُّهم شاهدون عليه، لهذا يلزم أن تكون شهاداته في كمال الإخلاص لأنَّ علم هؤلاء الشاهدين نافذ في قلبه و لا يغيب أيَّ توهم له عن علمهم عليهم السَّلام و إن كانت مرتبه إخلاصه موقوفه على مرتبه عرفانه.

الثانيه: الفرق بين الفوز و الفلاح:

لا- يرى فرق فارق بينهما في كتب اللغه، و لكن ما استفدناه من موارد استعمالهما في أبلغ الكلام (و هو القرآن العزيز)، هو أنَّ الفلاح- عبارته عن «الإخلاص من المكروه»، و الفوز هو «النيل بالمحبوب». و معلوم أنَّ في الفلاح غبارا من العدم، و في الفوز صفاء الوجود، فكرامه الله هو أمر وجودي، لهذا وصف آل البيت عليهم السَّلام بكونهم فائزين بالكرامه، و لا يتصوَّر لهم عليهم السَّلام مكروه حتَّى يتخلَّصوا منه فيصيروا مفلحين لها فيهم من التمكين و عدم مشيئه إلا ما يشاء الله.

الثالثة: قد تقدّم آنفاً أنّ الإخلاص في شهادات الزائر متوقّف على معرفته بهم نقصاً وكمالاً، فعلى هذا يمكن أن تكون شهادته هذه شهادة إيمانيّة ناشئة من علمه بكمالاتهم السابقة، ويمكن أن تكون شهوديّة عرفانيّة بالكشف كما سبق نظيره.

الرابعة: مقدمات الفوز:

يلزم من كونهم فائزين أن يستجمعوا جميع مقدمات الفوز، وهي - على ما يستفاد من الكتاب العزيز أمور:

أحدها: طاعه الله و الرسول صلّى الله عليه و اله و سلّم، قال تعالى: **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (١)**.

ثانيها و ثالثها و رابعها و خامسها: الإيمان و الهجره و الجهاد بالمال و الجهاد بالنفس، قال تعالى: **الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢)**.

سادسها: هي الصبر بجميع أقسامه، قال تعالى: **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (٣)**.

ص: ٣٠٠

١- الأحزاب: ٧١. [١]

٢- ٢. التوبة: ٢٠. [٢]

٣- ٣. المؤمنون: ١١١. [٣]

سابعها: خشية الله، و ثامنها: التقوى: وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (١). و لا شك في جميع هذه المقدمات أنهم أبلغ ما يمكن فيهم، كما تشهد على كل واحد منها فقرات هذه الزيارة و الأخبار الكثيره و تاريخ حياتهم الطيبه.

الخامسه: في بيان مصداق الفوز المستفاد من القرآن؛ الأول: الوقايه عن العذاب و صرفه عمّن يصرف (٢)، كما قال تعالى: وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٣) وَ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٤).

الثاني: الظفر بأعلى القيم و أكثر المنافع في المبايعه لله تعالى:

فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥).

ص: ٣٠١

١- النور: ٥٢. [١]

٢- ٢). و هذا كما ترى أضعف مصاديقه، و لا ينافي كون هذا فوزا مع كونه فلاحا، لما تقدّم من الفرق بين الفوز و الفلاح، لأنه و إن كان من الحقيقه خلاصا من العذاب و هو فلاح، و لكن من حيث كونه (صرف العذاب) أمّتيه يأملها كل مؤمن و يتمناها أن تكون فوزا و معلوم أنّ هذه المرتبه الضعيفه للفوز غير مناسبه لآل البيت عليهم السلام لكونها نتيجه وقايه العذاب و صرفه، و مثل هذه المقدمه [٢] ملازمه لصدور الذنب عمّن سيصرف العذاب و يفوز به، لكونهم عليهم السلام موصوفين بالعصمه الكبرى و يمتنع معها صدور ذنب أو تفكير فيه.

٣- ٣). غافر: ٩. [٣]

٤- ٤). الأنعام: ١٦. [٤]

٥- ٥). التوبه: ١١١. [٥]

الثالث: الخلود في الجنة: خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم (١).

الرابع: البلوغ إلى رضوان الله و هو أكبر من المصاديق الأخرى للفوز:

و رضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (٢).

فعلى هذا، فالبيت عليهم السلام من حيث بلوغهم إلى أكمل مقدمات الفوز و نيلهم إلى أعلى المصاديق هم أجلى المصاديق للفائزين.

السادس: عله فوزهم:

هل هي أنفسهم عليهم السلام مع الجِدِّ و الجهد و تحمّل المشاق، أو كرامه الله لهم؟ نقول: لا- شك في كونهم عليهم السلام مختارين كسائر الناس، و لاختيارهم و تحمّلهم المشاقَّ حظَّ وافر في فوزهم، و لكنَّ تأثير الإنسان المختار يكون في ماهيته أفعاله و أعماله بتعيين حدودها و قيودها و شرائطها، و لكنَّ وجود الفوز و وجود كلِّ شيء هو من الله (٣)، كما قال سبحانه: وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ (٤).

السابعة: في بيان الصلة بين هذه الفقره و سابقتها الشريفتين:

يحتمل أن يكون المراد من كرامه الله لهم هو إرادته الله الخير بأي معنى

ص: ٣٠٢

١- النساء: ١٣. [١]

٢- ٢. التوبة: ٧٢. [٢]

٣- ٣. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: «شيعه على هم الفائزون يوم القيامة»، (أمالى الصدوق ٨٩- [٣] المجلس العشرون) إذا لا امتياز لآل البيت عليهم السلام، قلت: قد تقدّم نظير هذه الأسئلة و إجابتنا عنه في ما مضى فلا نحتاج إلى التكرار.

٤- ٤. الصافات: ٩٦. [٤]

كان فيهم، الموجه لعلمهم بالخيرات، الإيمان (العمل) كان كمقدمه لفوزهم، فعلى هذا يكون الترتيب بينهما ترتيبا طبيعيا و الثاني مرتبه على الأولى.

٦٢

«اصطفاكم بعلمه» (١).

و فيه خمس نكات:

الأولى: قد مضت من هذه الزياره (حسب ترتيب الإمام عليه السلام) حتى الآن فصول مشتمله على تسليمات الزائر على آل البيت عليهم السلام، و فصل مشتمل على شهاداته في حقهم، و يمكن أن تكون هذه الفقره و ما تلوها من الفقرات فصلا جديدا في بيان إفاضات الله عليهم، و يحتمل أن تكون هذه و ما بعدها من الفقرات - و لو بالصيغ الفعلية لا - الاسميّة السابقه في الاستداه لشهاداته. و الحاصل يشهد الزائر من هنا على مفيض الكمالات و في السوابق المبتدئه ب «أشهد أنكم الأئمه...» إلى قابل الإفاضات، كما قال سبحانه: ما أصابك من حسنّه فَمِنَ اللَّهِ (٢).

ص: ٣٠٣

١- هذا التعبير هو ما جاء في كتاب مفاتيح الجنان، و لكن نقل في بعض الشروح بدل حرف الباء، لام؛ فكانت العبارة «اصطفاكم لعلمه» و الترجيح في نقل المفاتيح لأنه يقع التكرار غير مطلوب مع الفقره التاليه (و ارتضاكم لغيبه) و هو بعيد عن البلاغه، و لكن ما رجحناه هو أقرب إلى بليغ الكلام الموصوف به الإمام.

٢- ٢. النساء: ٧٩. [١]

الثانية: اصطفاكم بعلم ذاته المقدّسه، أى اصطفاهم و هو عالم بأنهم لائقون بالاصطفاء، لا لكونهم عالمين، و إليك التقرير التالى: قد يكون المعلوم تابعا للعلم و قد يقع الأمر معكوسا، أى قد يكون العلم تابعا لمعلومه فتبعيه العلم للمعلوم هو قول المتكلمين، إذا يكون للمعلوم وجود فى نفس الأمر يقتضى ذلك الوجود للمعلوم تعلق العلم به، فيتحقّق المعلوم، فيكون البارى عالما به على ما كان المعلوم فى الواقع، بحيث لو لم يكن المعلوم هكذا فى الواقع بل كان طورا آخر لم يتعلّق علمه به هكذا، و أمّا تبعيه المعلوم للعلم (و هو قول الحكماء) فهو ما إذا لم يكن للمعلوم وجود لا- فى الواقع العينيّ و لا- فى نفس الأمر الخارج من علمه تعالى، بل حقيقه المعلوم هو ما يقتضى علم العلّه التامه، أى يتحقّق المعلوم بمقتضى علم الواجب تعالى. فمحصل القول هنا أن اصطفاهم الله بسبب اللياقه التى كانت فى آل البيت عليهم السّلام فيكون علمه تعالى تابعا و تكون لياقتهم الذاتيه متبوعا و علّه لاصطفاء الله إيّاهم، و إلا- إذا فرضنا عدمهم و عدم لياقتهم فأصبحوا لائقين على ما يقتضى علم الله يكون علم البارى علّه و هم مع لياقتهم معلولا، و لا يمكن للممكن اصطفاء شىء على ما يقتضيه علم المصطفى؛ لأنّ ذلك خاصّ للعلّه الموجد، و الممكن لم يكن علّه وجوديه لشىء بل هو علّه ماهويه، فالحاصل تحقّق آل البيت عليهم السّلام تحقّقا عيتيا لا على ما تقتضى ذواتهم الشريفه ثمّ تعلق علمه بهم، بل كان تعينهم فى الخارج حسب مقتضى علمه سبحانه، (فتدبر فيه

جيدا ليحصل الفرق بين القولين).

الثالثة: تفسير قول المختار (١) (اصطفاكم بعلمه):

إنّ في التعبير بعلمه يكون معنى الباء سببا، وقد اصطفاكم الله بسبب علمه، ففيه احتمالان:

الأول: إنّ اصطفاه إياهم يكون بالعلم المخزون و المحفوظ فيهم، و يتأيد هذا الاحتمال بقوله سبحانه: وَ لَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢)، أى اصطفيناهم فكان اصطفاؤنا مبرهنا على كونهم عالمين (٣)، فعلى هذا تكون علّه اصطفاه آل البيت عليهم السلام هى العلم الذى أعطاه تعالى إياهم، كما فى آدم عليه السلام أعطاه العلم أولا ثم أثبت بهذا الفضل (بفضل العلم المعطى له) فضيلته على الملائكة.

الثانى: اصطفاهم الله بسبب علمه الذاتى الذى أوجب لياقتهم، فعلى هذا يكون علمه تعالى الموجب لياقتهم علّه و متبوعا، و لياقتهم معلولا تابعا (٤).

ص: ٣٠٥

١- إن كان صادرا من الإمام لفظه «لعلمه» تكون اللام هنا كـ «لام» الغاية، فيكون معناه: اصطفاكم الله لأن تكونوا أنتم خزنة أو خزّانا أو عيبه لعلمه، و قد شرحنا كلّ واحد من هذه الفقرات فى موضعها..

٢-٣. الدّخان: ٣٢. [١]

٣-٣. هذا تفسير كلامى، لأنّ المتكلم يقول: باللياقة الذاتيه فى الأشياء و مصلحه الأمور (المعلوم) و الله تعالى عالم بتلك اللياقة و المصلحه، فيوجد ها، فعلى هذا يكون علمه تعالى تابعا للمعلوم (اللياقة و المصلحه).

٤-٤. و هذا تفسير فلسفى، إذ الحكيم يعتقد بأنّ كلّ ما يوجد يكون موجودا على ما يقتضى علمه تعالى، فبذلك ليست المصلحه فى ذاته حتّى يكون علمه تابعا له، بل الشئ و مصلحته يتبعان علمه سبحانه،

إن استعمال الإمام هنا العلم دون الحكمة مع كونها أنسب من العلم (1)؛ لكون العلم قريبا من الحكمة الذاتية لله، لأنها أيضا علم بحقائق الأشياء على ما هي عليها في نفس الأمر، فتكون المغايره بينهما مغايره في المفهوم، وإلا- فإن المراد منهما واحد مصداقا، فالحاصل اصطفاء الله آل البيت عليهم السلام بالعلم كاصطفائه إياهم بالحكمة.

الخامسه: إن كان الصادر عن الإمام (اصطفاكم لعلمه) يكون هذا الكمال نفسانيا لهم عليهم السلام، ولكن إن صدر عنه عليهم السلام (بعلمه) على أى من التفسيرين يكون كمالا- خارجيا غير فعلى، لأن الاصطفاء يكون فعل الله تعالى الذى نشأ من علمه الذاتى بهم أو بكونهم خزّان علم الله و عيبه لعلمه، و غير ذلك.

٦٣

«و ارتضاكم لغيبه»

و فيه خمس نكات:

الأولى: يشهد الزائر هنا على كمال آخر لهم عليهم السلام من الكمالات الخارجيه الغير فعليّه، و هو ارتضاء الله إياهم لغيبه المقتبس من قوله

ص: ٣٠٦

سبحانه: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ... (١). والحاصل أنّ مراد الإمام عليه السّلام من بيان هذه الفقرة كمالاً- لآل البيت عليهم السّلام هو الرسالة على معناها العام المشتملة على الإمامه أيضاً، وإلا لا يعدّ هذا الارتضاء كمالاً لهم لأنّه وصف للرسول.

الثانية: بيان صلته هذه مع سابقتها:

إنّ الإمام عليه السّلام راعى الترتيب الطبيعيّ بين الفقرتين، لأنّ الارتضاء كنتيجة للاصطفاء و الاصطفاء مقدّمه له، فصفاء ذاتهم و بهاء جوهرهم سبب لاصطفائهم. لأنّه لو لا اصطفائهم و بهاؤهم لم يصطفئهم الله حتّى يقبلهم مرضيين، فكون كلّ واحد مرتضى يتفرّع على كونه مصطفى فرع على كونه ذا بهاء و صفاء ذاتي، فظهر من هذا البيان أنّ لقب المصطفى لا ينحصر في رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم و يؤيّده قوله تعالى: وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٢) و هكذا لقب المرتضى غير مختصّ بأمر المؤمنين و الإمام الرضا عليهما السّلام كما قال الإمام: «و ارتضاكم لغيبه»، و يؤيّده قوله سبحانه: إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ .

الثالثة: الغيب ما يقابل الشهود، و هو على قسمين: ذاتي و نسبيّ.

ص: ٣٠٧

١- الجنّ: ٢٧، ٢٦. [١]

٢- ٢. ص: ٤٧.

و المراد بالغيب الذاتى هو حقيقه ذات البارى و كنهه، و هوئته سبحانه، و هذا المصداق من الغيب لا يمكن إدراكه للممكن لا حسًا و لا تخيلاً و لا عقلاً، و لا يعلم ما هو إلا هو (١).

و أما الغيب النسبى، فهو كل ما غاب عن الإدراك، لقصور إدراك المدرك، لا لخفاء المدرك، لعدم خفاء فيه، لأنه أمر وجودى، و الأمر الوجودى لا يقبل الخفاء، لأن الوجود مساوق للنور و الظهور. فالحاصل أن الله سبحانه ارتضى آل البيت عليهم السلام لهذا النوع من الغيب، كوقت نزول الغيث و ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى و زمان موت كل حى و وقوع القيامة، و غير ذلك من المغيبات، و الشاهد على علمهم بالغيب كثير من إخباراتهم عمًا سيقع و بعض المعجزات الصادره عنهم و قول على عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» (٢).

الرابعه: إضافة الغيب هنا (و فى الآيه المباركه أيضا) إلى «الله» ليست الإضافة لامئيه، لاستلزامها أن يكون لله أيضا غيب كما للممكنات القاصره الإدراك (نعوذ بالله منه)، بل كانت الإضافة بياتيه، و هو الغيب المجهول من قبله غيبا لخلقه.

الخامسه: رفع تعارض:

ص: ٣٠٨

١- و إن كان وجوده أظهر من كل ظاهر، و يشهد عليه الكشف لأهله و أدله اخرى للناظرين.

٢- ٢). غرر الحكم، ص ١١٩، [١] فضائله...

إن الروايات في علم آل البيت عليهم السّلام بالغيب، تنقسم على ثلاث طوائف: نافية، (١) مثبتة، (٢) إرادية، والمراد بالإرادية أنّ علم الإمام عليه السّلام بكلّ غيب هو علم إرادىّ إذا أراد أن يعلم علم و إلا فلا (٣).

و أنت ترى التعارض بين هذه الطوائف، فيلزم لنا رفع التعارض من البين:

فالطائفة الأولى، ناظره إلى العلم بالغيب بالذات لعدم إمكان ذلك على أحد سوى الله تعالى، لأنّه هو العالم بالغيب فقط و علمه به ذاتى، ولكنّ آل البيت عليهم السّلام هم العالمون بالغيب لا- بعلم ذاتى فيهم، بل بإظهار الله الغيب لهم و تعليم عالم الغيب لهم، (فالحاصل أنّهم عالمون بالغيب). و الإرادية مضافا إلى ضعف سندها- معارضه بالعقل و النقل المعتمد من كونهم عالمين بما كان و بما يكون و ما هو كائن.

ص: ٣٠٩

- ١- كما قال الصادق عليه السّلام في تفسير «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» (لقمان: ٣٤) « [١] هذه الخمسة أشياء لم يطلع عليها ملك مقرب و لا نبيّ مرسل، و هى من صفات الله عزّ و جلّ » (تفسير نور الثقلين ج ٤، ص ٢١٩). [٢]
- ٢- ٢). عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ» (الكافي ج ١ ص ٣٤٦. كتاب الحجّة، الحديث ١). و من النقل كما تقدّم، أمّا من العقل فليس لكون العلم إرادىّا وجه معقول لأنّ العلم كمال نفسانى يبتهج به كلّ أحد يتمناه، و لا يعقل أن لا يريد المعصوم و لا يطلبه، لأنّه كلّما كان قلبه أصفى و أبهى، كان طلب العلم و تمنيه- خصوصا العلم بالمغيبات- أزيد و أكثر.
- ٣- ٣). عن عمّار الساباطى قال سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن الإمام يعلم الغيب؟ فقال: لا و لكن إذا أراد أن يعلم الشّى أعلمه الله ذلك» (الكافي ج ١ ص ٣٨٠- كتاب الحجّة، باب نادر فيه ذكر الغيب... الحديث ١).

«و اختاركم لسره» (١)

و فيه أربع نكات:

الأولى: يشهد الزائر بكمال آخر من الكمالات النفسانيه لهم، و هو كونهم مختارين لسرّ الله، و هذا الكمال لا يمكن حصوله لأى إنسان لما بين الناس من الفرق فى سعه النفوس و ضيقها و قوه القلوب و ضعفها، و كذا فى درجات المعرفه بالله.

الثانيه: فى ذكر شاهد، إن كونهم عليهم السّلام مختارين لسرّ الله لا يثبت بهذه الفقره فقط، بل له مؤيّدات فى الأخبار، منها عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم دعا عليّاً عليه السّلام فى المرض الذى توفى فيه فقال: يا علىّ ادن منى حتّى أسرّ إليك ما أسرّ الله إليّ، و أئتمنك على ما أئتمنى الله عليه. ففعل ذلك رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم بعلىّ عليه السّلام و فعله علىّ عليه السّلام بالحسن عليه السّلام و فعله حسن عليه السّلام بالحسين عليه السّلام و فعله الحسين عليه السّلام بأبى عليه السّلام و فعله أبى عليه السّلام بى صلوات الله عليهم

ص: ٣١٠

١- إنّ بعض الشارحين كالعلّامه المجلسىّ ترك شرح هذه الفقره الشريفه لاعتقاده بأنّها تأكيد للفقره السابقه، و غيره (غير المجلسىّ) لاعتقاده بأنّ هذه كفقره «حفظه سرّ الله» لا تحتاج إلى الشرح، و لكنى لم أرض بأى من القولين، كما يأتى شرحها إن شاء الله.

الثالثه: الفرق بين الفقرات الثلاث (حفظه سرّ الله، و ارتضاكم لغيبه، و اختاركم لسره):

الفقره «و حفظه سرّ الله» (كما هو واضح) تتقدّم مع فصل طويل على هذه، لأنّ هناك ذكرا من كمالاتهم النفسائيه و كونهم حفظه كان من تلك الكمالات، فيجب أن يذكر هناك و لكنّ كونهم مختارين لسره هنا، فيكون ذلك من الإفاضات الإلهيه لهم، فيجب أن يذكر بين نوعه من الإفاضات في هذا الفصل من الزياره، و لكنّ في الحقيقه كونهم مختارين يسبق على كونهم حفظه، لأنّ حفظ الشخص سرّا لا يمكن إلاّ بعد اختياره لذلك، فتحصّل الفرق بين كونهم حفظه و كونهم مختارين.

و الفرق بين السرّ و الغيب اللذين يتبيّن بالفرق بينهما الفرق بين الفقرتين (الارتضاء للغيب و الاختيار للسرّ) كما يلي: أنّ الحقائق في التكوين و التشريع (من جهه الظهور و الخفاء) تنقسم إلى ثلاثه أقسام:

جليه و سرّيه و غيبيه.

فالجليه منها هي التي لا- يترتب خطر على ظهورها و لا يستحيل إدراكها لكلّ عاقل، كوجوب الركعتين لصلاه الصبح و ظهور الشمس من وسط النهار. و أمّا الغيبيه منها فهي التي لا يسع للناس إدراكها حتّى

ص: ٣١١

تحصل لهم المكنه لذلك في ما بعد، كخفاء أسرار القضاء و القدر في التكوينيّات، و خفاء الحكم و المصالح في أكثر التعبديات (١).

و لكنّ الحقائق السريّه هي التي يتفرّع على ظهورها خطر مهمّ، فقول النبيّ صلّى الله عليه و اله و سلّم: «لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لكفره» (٢) من هذا القبيل، و كذا قول عليّ عليه السّلام، كما روى عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عليهما السّلام قال: «ذكر عليّ عليه السّلام التّقيه في يوم عيد فقال: «و الله لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان لقتله» (٣).

فظهر الفرق بين الغيب و السرّ، و لا- تكون فقره «و اختاركم» تأكيدا لفقره «و ارتضاكم»، كما قال الأصوليون: «التأسيس أولى من التأكيد»، و لا يمنع هذا الفرق من اجتماعهما في حقيقه واحده لا يسع للناس إدراكها و حصول خطر في ظهورها.

الرابعه: أنّ لفظ «السرّ» اضيف إلى ضمير راجع إلى الله، فهذه الإضافه بيانيّه، فيكون معنى الفقره «اختاركم الله لسرّ منه»، فهذه الإضافه العاليه منه سبحانه إليهم لا تكون إلّا لسعه نفوسهم الشريفه؛ لأنّ الله تعالى منّ عليهم

ص: ٣١٢

١- و قصّه آدم و سؤال الملائكه عن حكمه خلّقه بقوله تعالى: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ» (البقره: ٣٠) [١] من هذا القبيل.

٢-٢. المولى عبد الصمد الهمدانيّ، بحر المعارف، ص ٢٦١.

٣-٣. و هكذا حديث أمير المؤمنين عليه السّلام كثيرا ممّا جرى عليه في البئر من أمثال السريّات؛ لأنّ في ظهورها ربّما قتل نفوس و سفك دماء و هتك أعراض، و غير ذلك من المخاطر، و لا يمنع ذلك إظهار بعضها لخواصّ أصحابه..

من سعه النفس بما منّ على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما قال: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ
(١)، أى خففنا لك تحمّل المشاق، ويسرنا لك كتمان الأسرار.

٦٥

«و اجتباكم بقدرته»

و فيه خمس نكات:

الأولى: لا شكّ في أنّ الاجتباء كمال لآل البيت عليهم السّلام كنظائره، و لكن من أى نوع من الكمال هو؟ يتعيّن بعد تفسير كامل
للفقره مع تثني الاحتمال في تفسيره، إذا يمكن كونه كمالا ذاتيا لهم على الاحتمال الثاني، و كمالا خارجيا على الاحتمال الأوّل.

الثانية: «الاجتباء»، افتعال من «الجبي»، و هو بمعنى الجذب و الجمع.

الفرق بين الاجتباء و الاختيار و الاصطفاء يظهر من المعنى المادّي لكلّ واحد منها، و المشترك بين جميعها هو «الأخذ ببعض و
ترك البعض الآخر»، فهذا البعض المأخوذ إن كان لصفاء الشىء و ترك البعض الآخر لكدره سمى الأخذ اصطفاء، و إن كان
المأخوذ لمطلق حسنه و ترك نظيره لعدم ذلك الحسن سمى الأخذ اختيارا، و إن كان الأخذ بجذب آخذ

ص: ٣١٣

المأخوذ سَمِي اجْتِبَاءً، فكون آل البيت عليهم السّلام مجتبيين بالاعتبار الثالث (1)، و مختارين بالاعتبار الثاني، و مصطفىين بالاعتبار الأوّل.

الثالثة: يلزم هنا توضيح ما يشتقّ من هذه المادّه، أمّا الاجْتِبَاء فقد تقدّم آنفاً، و أمّا المجتبي (الفاعل) فهو الله تعالى كما هو ظاهر من فقره، و أمّا المجتبي فهو عبارته عن ذات قدسيّه لكلّ واحد لآل البيت عليهم السّلام، و المجتبي منه هو سائر الناس، و المجتبي إليه سيّضح لك إن شاء الله.

الرابعه: يحتمل لهذه الفقره معنيان:

الأوّل: قد اجتباكم الله بقدرته، أي بقدرته الذاتيه عليكم، فمعلوم أنّه تعالى على كلّ شيء قدير يخلق كلّ شيء بها و يغيّره بها و يكمله، و يوصل بينه و بين سائر الأشياء و يفنيه بها، فلا يبقى إذا بين آل البيت عليهم السّلام و بين سائر الأشياء ميّز لعدم اختصاص هذا الشأن بهم، و لكنّ وصف الإمام الهادي عليه السّلام لهم بهذا الوصف حاكك عن عظمه المقدور المجتبي التي جميع الأشياء فاقدته لها، كما خاطب بنى إسرائيل حين أعطاهم التوراه:

خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ (2)، و ذلك (الأمر بالأخذ بالقوّه) إنّما هو لأهمّيّه التوراه.

الثاني: أنّه تعالى اجتباكم بالقدره الخاصّه الممتازه التي أعطاكموها

ص: ٣١٤

١- إذا لا يختصّ لقب المجتبي بثاني الأئمّه السبط الأكبر الحسن بن عليّ عليهما السّلام و إن اشتهر به.

٢- ٢. البقره: ٦٣. [١]

و جعلكم بها مظاهر أسماء له: كالقاهر و القادر و القدير و المقتدر، و ما يشبه هذه، لهذا تصدر المعجزات و خوارق العادات عنهم في حياتهم الطيبة و الكرامات أيضا بعد وفاتهم (١)، و يؤيد ذلك ما روى: «إنه رأى بيده (الإمام عليّ عليه السّلام) كسره خبز من شعير يابسه يريد أن يكسرها فلا تنكسر، ففعل له يا أمير المؤمنين، أين تلك القوّة التي قلعت بها باب خبير؟ فقال عليه السّلام: «تلك قوّة ربّانيّة، و هذه قوّة جسمانيّة» (٢).

الخامسة: في تعيين المجتبي إليه، و فيه احتمالان:

الأول: إنهم صاروا مجذوبين إلى هذا العالم بقدرته تعالى بعد أن كانوا ملائكة مجردين نوريين (كما هو مختارنا المشروح عند قوله عليه السّلام «و مختلف الملائكة») و متباينين لهذا العالم المادّي الظلمانيّ الموصوف بالكون و الفساد، مع ذلك اقتضت حكمه الله البالغه تعلّقهم بالأبدان العنصريّة و انجذابهم إلى عالم الطبيعة (٣)، أو اجتباكم إلى هذا العالم مع قدرته التي منّ عليكم بها كي تكونوا بها قادرين على أيّ تدخّل و تصرف و قبض و بسط في كينونه الخلق بإذن الله و على ما تقتضيه الحكمة.

ص: ٣١٥

١- و لا يشكّ منصف محقّق في صدور هذه الأمور منهم، و إن شئت الاطلاع تفصيلا فراجع إلى الكتب المؤلّفة في هذا الباب ك«إثبات الهداه» و غيره.

٢- ٢. الأنوار اللامعه ١١٩.

٣- ٣. كما قال سبحانه: «و ما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ» (الفرقان: ٢٠). [١]

و أمّا ثانی الاحتمالین فهو کون المجتبیٰ إلیه هو الباری سبحانه كما قال: اللَّهُ یَجْتَبِیْ إِلَیْهِ مَنْ یَشَاءُ وَ یَهْدِیْ إِلَیْهِ مَنْ یُنِیبُ (١)، لکونهم من هذا العالم من جهه كما قال سبحانه: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ (٢) و مع ذلك اجتباهم الله و جذبهم إلی حضرته بحيث كانت أقدامهم تتورّم، لکثره القيام فی العباده، فلُقب بعضهم (زین العابدین علیه السّلام) بذی الثّغفات فی مواضع سجوده، و غیر ذلك ممّا يدلّ علی استغراقهم فی جمال المعبود تعالی و جلاله، و عدم اعتنائهم بما سوى الله.

٦٦

«و أعزّکم بهداه»

و فيه أربع نکات:

الأولی: يشهد الزائر هنا علی کمال آخر ممّا أفاض الله علیهم السّلام، و هو کونهم معتزّین بهدایه الله. و قد سبق ممّا فی ما مضى تفسیر الهدایه، فلا حاجه إلی الإعاده و التکرار، و لكن یلزمنا هنا ذکر ترتّب الهدایه علی الاجتباء كما قال سبحانه: اجْتَبَاءٌ وَ هِدَاةٌ إلی صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣)، و قال سبحانه: ثُمَّ اجْتَبَاءُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَیْهِ وَ هَدَى (٤)، وَ مِنْ آبَائِهِمْ

ص: ٣١٦

١- الشوری: ١٣. [١]

٢-٢. الکهف: ١١٠. [٢]

٣-٣. النحل: ١٢١. [٣]

٤-٤. طه: ٢٢. [٤]

وَذُرِّيَاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١)، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (٢)، ترى في هذه الآيات الكريمات تفرع الهدايه و ترتبها على الاجتباء (٣)، و يمكن كون المراد من الهدايه المتفرعه على الاجتباء هو الإيصال إلى رضوان الله الذي ليس فوقه شأن، كما قال سبحانه: وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ (٤)، أو كون المراد منه كيفيه إرشاد الناس و تربيته الخلق.

الثانيه: «العزّه هي ما في العزيز يمنعه عن غلبه الغير عليه» (٥)، فيكون معنى الفقره، أنّ الله جعلكم بهدايته بحيث لا تغلبون.

الثالثه: في إضافه الهدايه إلى ضمير راجع إليه سبحانه احتمالان:

أحدهما: أنه تعالى أعزهم بالهدايه الخاصه لهم، أي هداهم ثم صاروا معتزّين بها، و هي مجعوله بجعل بسيط، و معناه، «أنهم خلقوا و جعلوا

ص: ٣١٧

١- الأنعام: ٨٧. [١]

٢- ٢. الشورى: ١٣. [٢]

٣- ٣. إلا أنه في آيه اخرى تأخر الاجتباء عن الهدايه، و هي قوله سبحانه «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا...» فيحمل هنا القول بأنّ الترتب غير منظور، أو القول بأنّ هذه الهدايه هي الهدايه الأولى العامه التي يقع الاجتباء بعدها (و هي إراءه الطريق) لا الهدايه الخاصه بالمعصومين و التي تتفرع على الاجتباء و تتأخر عنه.

٤- ٤. التوبه: ٧٢. [٣]

٥- ٥. هذا التعريف أصله من الراغب في (المفردات)، و لكن تصرّفنا فيه و أصلحناه ليرتفع الإشكال من تعريفه، و نحن نذكر تعريفه و الإشكال الوارد عليه، قال ما هذا لفظه: «العزّه حاله مانعه للإنسان من أن يغلب» و هذا كما ترى من أنّ الحاله يزول أولاً و لا يعمّ عزّه الله ثانياً، لتعبيره ب«للإنسان». و الحاصل إن كان هذا التعريف تاماً لا يكون عامّاً.

مهديين؛ وهذا الجعل هو جعل الذى خلقوا بالعصمه الذاتيه، فتكون الهدايه و العصمه فيهم غير منفكتين عن ذواتهم الشريفه كما مكانهم الذاتى، فتكون المهدويه و المعصوميه عين ذواتهم الشريفه، كما أنّ الذهبيّه عين ماهيه الذهب، فلا يمكن أن تكون ذواتهم تيره طاهره مع عدم كونها مهديه. فتحصل أنّ إعزازه تعالى إياهم فرع على هدايه ذاتيه فيهم، و معلوم أنّ نسبه هذه الهدايه مع كونها ذاتيه لآل البيت لكونه سبحانه جاعل هويّاتهم مع جميع ذاتياتها، لأنّ إرادته تعالى هي منشأ الوجود و الكمال بجعل بسيط كان أو تأليفى.

ثانيهما؛ أعزّهم بهدايه منهم لعامه الناس، إذا تكون الهدايه مجعوله بجعل تأليفى، بمعنى أنّه تعالى جعلهم و أوجدهم طاهرى النفوس، أزكيا القلوب، تيرى العقول، و معصومين مهديين، ثمّ جعلهم للناس هادين بأوامره التشريعيّه. فعلى أىّ تقدير من الإضافتين المذكورتين هم أعزّاء (١)، و قد تبين هذا فى شرح كونهم حجّه (٢).

الرابعه: لا شكّ فى أنّ إعزازه تعالى لآل البيت بهداه امتنان منه سبحانه عليهم، و هذا يصحّ فى إمكان تصوّر الضلاله لهم، و قد تقدّم بأنّ الهدايه الموجوده فيهم ذاتيه كالإمكان الذاتى لكلّ شىء، فلا يتصوّر نقيضها منهم حتّى يصحّ الامتنان. نجيب عنه: ينظر إليهم عليهم السّلام تاره من جهه عقولهم

ص: ٣١٨

-
- ١- أقول: على الاحتمال الأوّل يكون هذا الكمال كمالا ذاتيا، و على الثانى يكون كمالا فعليا لهم عليهم السّلام.
 - ٢- ٢. فراجع النكته الثالثه من الفصل الخامس و الأربعين.

القادسه و فطراتهم السليمه لهم، فالهدايه المذكوره الغير مجعوله بجعل تأليفى كانت من شؤون عقول كهذه و فطره مثل ذاك لا امتنان، إذا هو فى ذلك عليهم إلا- من حيث إنه تعالى أوجدها و كونها و تاره من جهه أنهم اناس خلقوا بأبدان عنصريه و مع طبيعتى الغريزه و الوهم، فالضلاله و عدم إدراك الحقيقه و عدم التمييز بينها و بين الباطل، و نهايه الضلاله من شؤون هذا البعد، لأن خواص كل حقيقه و اللوازم الذاتيه لها لا تنفك عنها، فالحاصل أن الامتنان المذكور إنما يصح من هذه الجهه كما من به على رسوله بقوله: وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (١).

٦٧

«و خصكم ببرهانه» (٢)

و فيه ثلاث نكات:

الأولى: أن المستفاد من مادّه «خ، ص، ص» بأى هيئه كان، هو الحصر و عدم مشاركته الغير و لا يسع شموله، فعلى هذا فهذه فقره مبيته لرتبه

ص: ٣١٩

١- الضحى: ٧، [١] ينبغى ذكر أن تصوّر الضلاله لهم على ما توجه طبيعتهم البشريه إنما هو تصوّر صرف فقط، و يمتنع تحقّقه فيهم امتناعا ذاتيا؛ لغلبيه جهاتهم الغير مادّيه عليها، و ضعف طبائعهم المطهّره عند عقولهم الزكيه النقيّه.
٢ - ٢). هذا فى النسخه المشهوره، و أمّا غير المشهوره على ما فى شرح الزياره للأحسائى ف (أخصّكم بدل (خصّكم)، و الأصحّ، هو الأولى لعدم الحاجه إلى حرف التعديه من باب إفعال، لأنّ مجرّده متعدّد بنفسه لبناء المفعول (المخصوص) منه مضافا إلى عدم استعمال مادّه (خصص) من الإفعال.

ساميه لآل البيت عليهم السّلام منحصره فيهم، فلا نصيب لغيرهم منها. فإن سأل سائل ألم يكن ليوسف عليه السّلام منه حظّ أيضا لأنه رأى برهان ربّه، كما قال تعالى: «وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ (١) نجيب عنه بوجه:

ألف) أنّ هذا الحصر إضافي لا حقيقي كما هو جمع بين الخبرين الآتين عن رسول الله صلى الله عليه و اله و سلم: «كلّ أمر ذى بال لم يذكر بسم الله فيه فهو أبت» (٢) و «كلّ أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع» (٣)، قيل:

الحصر في ذكر البسملة حقيقي و في الحمدله إضافي و نسبي، بالنسبه إلى ما يذكر بعد الحمد من الكلام، فيكون حصر البرهان ليوسف بالنسبه إلى سائر الناس إضافيا و في آل البيت عليهم السّلام حقيقيا.

ب) الحصر (كون آل البيت عليهم السّلام برهانا فقط)، هو حصر حقيقي لا- إضافي، و لكنّ رؤيه يوسف عليه السّلام برهان ربّه كانت بوساطه آل البيت عليهم السّلام.

ج) أنّ المراد من كونهم برهانا هو أكمل الرتب البرهانيه، فلا يقع كلام من حصر الإضافي في البين، و ما كان ليوسف عليه السّلام هو رؤيه البرهان لا كونه عليه السّلام بنفسه برهانا.

ص: ٣٢٠

١- يوسف: ٢٤. [١]

٢- ٢). تفسير الإمام العسكري عليه السّلام ص ٢٥- [٢] عنه: وسائل الشيعة ٢/ ١١٩٤ ح ٩٠٣٥- طبعه دار [٣] إحياء التراث العربي- بيروت..

٣- ٣). المغنى لابن قدامه ٧: ٤٣٢.

د) أن هذا الشأن شأن لكل معصوم ولا- يشارك المعصومين فيه غير المعصومين عليهم السّلام، فيكون امتياز آل البيت عليهم السّلام، إذا على سائر المعصومين عليهم السّلام في أن آل البيت عليهم السّلام رتبهم أكمل من سائر المعصومين عليهم السّلام.

الثانية: هذه الفقرة تحتل تفسيرين:

أحدهما: أن البرهان يستعمل في إثبات مدعى، فيمكن أن يكون المدعى هنا إمامتهم، والبرهان على ذلك هو الدليل، وقد خصّ الله على إثباتها أدلّه كثيره من العقل و النقل، و له ثلاثه وجوه:

الأول: أن الدلائل المذكوره مثبتة لإمامتهم فقط، و نافية لخلافه الكاذبين، فضلا من أن تعمّم، فهذه الدلائل مجعوله من الله خاصّه في إمامتهم فقط (١).

الثاني: أن المراد من البرهان على احتمال ضعيف من كون البرهان الآتي من الربّ هو القرآن، وقد خصّ الله علم تفسيره و تأويله و ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و ظاهره و باطنه، بل بطونه و لطائفه و حقائقه بهم على ما لا يتطرّق خطأ أو زلّه إلى ذلك العلم (٢).

الثالث: أن المراد من كونهم مخصوصين بالبرهان كونهم ذوى

ص: ٣٢١

١- فعلى هذا الاحتمال يكون هذا. أى المخصوصيّة بالبرهان. كما لا خارجيا لهم عليهم السّلام.

٢- ٢). فبناء على هذا التفسير يكون هذا كما لا نفسائيا.

معجزات باهره و كرامات وافرہ، ليس لغيرهم قدره على إصدارها و لا ولايه على فعلها (١).

ثانيهما: أنّ آل البيت عليهم السّلام بأنفسهم كانوا برهانا أتمّ لوجوده سبحانه، و لصفاته الجلاله و الجماليه، و محامد أفعاله؛ لأنّهم مظاهر أوصافه (٢)، كما قال الإمام عليّ عليه السّلام (فيما روى عنه): «ما لله آيه أكبر منّي» (٣)؛ و لهذا المدعى أدلّه كثيره غير هذا الخبر.

الثالثه: فيما هو أقوى الاحتمالات:

أما القويّ هو الأوّل (كون إمامتهم مخصوصه من الله) بالدلائل العقليّه و النقليه؛ و الثاني فهو قويّ أيضا (كونهم مخصوصين بالعلوم القرآنيه)؛ و أمّا الثالث فهو الأقوى من سابقه، لأنّ البرهان لا يطلق على أيّ دليل، بل هو دليل واضح بين، بحيث لا يخفى على أحد ثبوت المدلول به، و لا شكّ في أنّ ثبوت إمامتهم بمعجزاتهم الباهره أبين من الآيات القرآنيه لأكثر الناس (لأنّ الناس ضعفاء العقول)، لأنّ معجزاتهم دلائل عينيّه على المراد (الإمامه)، مع أنّ الآيات القرآنيه دلائل علميه عليه، و معلوم بأنّ العيان هو الوجدان و هو مغن عن البرهان، فالحاصل أنّ آخر الاحتمالات (على التفسير الثاني) و هو كونهم بأنفسهم برهانا، و أقواها؛ لإطلاق المجيء على

ص: ٣٢٢

١- فيكون هذا الكمال كمالا فعليّا لهم عليهم السّلام.

٢-٢. فعلى هذا الاحتمال يكون هذا كمالا ذاتيا لهم عليهم السّلام.

٣-٣. بصائر الدرجات / ٧٧ ح ٣-باب النوادر من الأبواب في الولاية من الجزء الثاني. [١]

البرهان (١) (دون نزول) في القرآن و على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أَيْضًا، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (٢)، وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ (٣)، لِأَنَّ كُلَّ آيَةٍ ظَهَرَ صِفَاتُ ذِي الْآيَةِ فِيهَا أَتَمَّ، فَتَكُونُ الْآيَةُ عَلَى كَوْنِهَا بُرْهَانًا أَصْدَقَ وَ أَنْسَبَ، فَحَيْثُ نَقُولُ: إِنَّ آلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُمْ أَتَمُّ الْمَظَاهِرِ وَ أَجْلَى الْمَجَالِي وَ أَصْفَى الْمَرَايَا لَصِفَاتِ اللَّهِ وَ كَمَالَاتِهِ سَبْحَانَهُ، فَيَكُونُونَ هُمْ أَجْلَى الْبُرَاهِينِ عَلَى صِفَاتِهِ، لِأَنَّهُمْ آيَاتُهُ الْفَعْلِيَّةُ، وَ الْفِعْلُ أَيْبَنُ مِنَ الْقَوْلِ. فَالْحَاصِلُ أَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَصْدَقُ بُرْهَانٍ عَلَيْهِ، وَ مَخْصُوصُونَ بِأَكْمَلِ الْمَرَاتِبِ الْبُرْهَانِيَّةِ؛ لِإِطْلَاقِ الْمَجِيءِ عَلَى الْبُرْهَانِ وَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِدَلِّهِ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لِخِلَافَتِهِ مِنْهُ وَ نَفْسِيَّتِهِ لَهُ (على ما في آية «أنفسنا»).

٦٨

«و انتجبكم بنوره» (٤)

و فيه أربع نكات:

ص: ٣٢٣

١- و إن فسّر البرهان بالقرآن أيضا متأكدًا بقوله: «و أنزلنا إليكم نورًا مبينًا» و لكنّ الأقوى أن يكون المراد من البرهان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كما أشير إليه في المتن بإطلاق المجيء عليه.

٢-٢. النساء: ١٧٤. [١]

٣-٣. التوبة: ١٢٨. [٢]

٤-٤. و التعبير في النسخة الغير مشهوره «لنوره» بدل «بنوره»، و لكنّ سياق الفقرات السابقة و اللاحقه بعدها يؤيد الأوّل.

الأولى: هذه شهاده أخرى من الزائر على كمال آخر نفسائى لهم، و هو انتجابهم بنور الله. «الانتجاب» بمعنى «تقشير الشجر»، أى أخذ القشر و طرحه، و هذا المعنى غريب من معنى الانتخاب، و هو انتخاب خاص لا مطلق الانتخاب. ترى أنه قد تكرر ترجيح آل البيت عليهم السّلام بتعبيرات عديده، فلو لم تلحظ الخصوصيه المادّيه فى مادّه كلّ تعبير لكان تكرارا مملاً غير بليغ (سيّما إذا كان صادرا من الإمام الموصوف ببلاغه الكلام، عليه آلاف التحيّه و السلام). إذا ففى كلّ تعبير يلحظ معناه الخاصّ المادّى فى أصل ذلك التعبير، بتوضيح آخر أخذ بعض الشىء و ترك البعض الآخر (المعنى المشترك لجميع أنواع الانتخاب)، إمّا أن يكون غير جامع أو يكون جامعا، فينقسم الانتخاب إلى جامع و غير جامع، فغير الجامع منه ما يلحظ فيه حسن واحد أو بعض المحسّنات للشىء، و لكنّ الجامع بخلافه، فالحاصل أنّ الله سبحانه انتخب آل البيت عليهم السّلام انتخابا جامعا من جميع الجهات، فمن جهه حسن ذواتهم اختارهم، و من جهه صفاء ذواتهم الشريفه اصطفاهم، و من جهه كونهم مرضيين عنده ارتضاهم، و من جهه جذبه تعالى إليه إيّاهم اجتباهم، و من جهه تعريته إيّاهم انتجبهم، فهذا هو ما أردناه من الانتخاب الجامع (1).

الثانيه: فى ما انتجبهم الله منه، يحتمل فيه أمران:

ص: ٣٢٤

١- فانظر أيّها اللبيب إلى هذه العظمه المحيّره و الشؤون المبلبله.

الأول: أن يكون كل ما سوى الله بالنسبة إلى آل البيت عليهم السلام بمنزلة القشر و الجلد، فهم عليهم السلام بالنسبة إلى ما سوى الله كاللبّ و الحقيقه، و الله تعالى قشّره و عزّاهم منه، فبقوا خالصين من غير الله، غير متعلّقين بما عداه (١).

الثاني: أن يكون المراد ممّا انتجب آل البيت عليهم السلام هو القشور الجسمانيه الماديّه و الجلود الغريزيّه و الوهميه، فتكون إذا نفوسهم الشريفه و أرواحهم الطيبه بمنزله لبّ هذه القشور و الجلود، فالحاصل أنّه تعالى لم يجعل نفوسهم متأثره (على ما كان زائدا على الضروره) منها كسائر النفوس الناقصه.

الثالثه: ما المراد من هذا النور؟ فنقول: إمّا إضافه النور إليه تعالى هي بيانيّه، فيكون معنى الفقره: انتجبكم الله بنور منه (٢).

و إمّا المراد من النور هنا هو العلم، لأنّ العلم (و هو النور الحقيقيّ) كالنور الحسيّ يظهر بذاته و يظهر للعالم غيره (و هو حقيقه المعلوم) لإطلاق النور عليه، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «ليس العلم بالتعلم، إنّما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك و تعالى أن يهديه» (٣). و أنت

ص: ٣٢٥

١- و أنت خير بأنّ تمام قيمه الشىء في لثه، و قشر الشىء لا قيمه له و لا غرض لوجوده إلا باللبّ، إذا يتبين معنى الأخبار الناطقه بأن لولا آل البيت عليهم السلام لم يخلق الله العالم قطّ.

٢-٢. ليس المراد من النور النوريّه الذاتيه لله التي أشير إليها بقوله: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» (النور: ٣٥). [١]

٣-٣. بحار الأنوار ١/٢٢٤: ١٧-١٧، الباب ٧، [٢] آداب طلب العلم و أحكامه- عن خطّ الشيخ البهائيّ، حديث

خبير بأن ليس في النشأه المادّيه بما هي مادّيه نور أصلا، بل هي ظلمه محضه؛ لأنّ الشعور و غرض الخلقه و مبدأه و مسيره و مقصده كلّها مجهول غير معلوم، بل لا يمكن للمادّه أن تدرك حتّى واحدا من هذه الأمور.

الرابعه: توضيح غير المشهور من الفقره (لنوره):

لا شكّ في كونه تعالى نورا؛ لانطباق مفهوم النور (و هو الظهور بالذات و إظهار الغير) عليه، و أيضا لظاهر آيه النور، فهو تعالى و إن كان ظاهرا في كلّ شيء و كلّ شيء آيه له، و لكنّه سبحانه أظهر و أبين في آل البيت عليهم السّلام لكونهم آياته التامات، و علاماته الباهرات، كما تقدّم ذكر ذلك مرارا، فالحاصل أنّه تعالى انتجب آل البيت عليهم السّلام من قشور مادّيتهم (لكونهم بشرا) و من قشور العالم أيضا، ليظهر بهم تمام الظهور، فهذا هو المراد من نوره الذي انتجبهم له.

٤٩

«و أيدكم بروحه»

و فيه خمس نكات:

الأولى: هذه شهاده أخرى للزائر على كمال آخر خارجيّ لهم عليهم السّلام، و هو الواحد و العشرون من شؤون آل البيت عليهم السّلام (في هذا الباب، أي باب

ص: ٣٢٤

الشهادات، سوى ما يشهد في ابتداء هذا الباب على التوحيد و الرساله، و هو كونهم مؤيدين بروح الله.

«التأييد» بمعنى «التقويه الشديده»، لأن الأيد هو القوه، كما قال تعالى:

وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِسُونَ (١)، فيكشف من استعمال هذه الماده بأى هيئه كانت وجود المخالف لمن يتأييد (لقابل التأييد) وإلا لم يكن مورد لاستعمال الأيد، أى القوه الشديده.

الثانيه: معنى الروح:

إذا كانت الحياه متعدده بتعدد قوابلها (الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان) يكون لها معنى كليا و مفهوما عاما. فيحصل أن الحياه ما يكون الشيء بها ذا أثر و ثمر، فإذا لسببها (الروح) أيضا مفهوم عام جامع، فيكون كل سبب لأيه حياه مصداقا للروح، كالتى تنفخ للحيوان أو للنبات، و هكذا القرآن و جبرئيل عليه السلام و غير ذلك.

و الحاصل أنه لا إشكال فى القول بكون المراد من الروح التى بها أيد الله آل البيت عليهم السلام هو القرآن، أو جبرائيل، أو الروح الأَعْظَم (ملك ذو منزله فخيمه و هو أعظم من سائر الملائكه). فإطلاق الروح على كل واحد ممّا ذكر لكونه سببا لحصول مرتبه من الحياه، مثلا تحصل الحياه الإنسانيه بنزول القرآن لمن كان ميّتا من هذه الجبهه و إن كان حيا فى ناحيه

ص: ٣٢٧

الحيوانية، كما قال سبحانه: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ (١)، و قال سبحانه (في حق القرآن): وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ (٢).

الثالثة: ما يتبادر إلى ذهن كل خبير أمران: اقتباس هذه الفقرة من قوله سبحانه: وَ أُيَّدْنَا^٣ بِرُوحِ الْقُدُسِ (٣) و تأييد الله آل البيت عليهم السلام بها بطريق أولى، فلم تكن الروح إذا روحا بخاريا أو إيمانيا أو غيرهما من الأرواح إلا القرآن أو روح القدس، لعدم الامتياز في تأييد آل البيت عليهم السلام بأية واحدة منها، فإن كان المراد منها روح القدس أو القرآن فهذا امتياز خاص لآل البيت، لأن العلم بالقرآن و كفيته الاحتجاج به مخصوص بهم عليهم السلام.

الرابعة: قد تقدّم أنّ معنى التأييد هو الشدّه في القوّه (التقويّه الشديده) و هو في ما إذا كان مخالفا شديدا للمخالفه للمتأيّد، فيتبيّن أنّ لآل البيت عليهم السلام مخالفيين أقوىاء في إمامتهم التشريعيّه أو ولايتهم التكوينيّه، كما كان المخالفيين من بني إسرائيل للمسيح في نبوّته، فأيدّه الله بروح القدس.

و الحاصل أنّ آل البيت عليهم السلام مع تأييد الله بروحه إيّاهم يقدمون على وظيفه

ص: ٣٢٨

١- الأنفال: ٢٤. [١]

٢- ٢. الشورى: ٥٢. [٢]

٣- ٤. البقره: ٨٧. [٣]

إمامتهم حسب اقتضاء الظروف، و أيضا هم مقدمون في إثباتهم الولايه التكوينيّه مع إظهار المعجزات و خوارق العادات، و كان هذا كلّه بتأييد بروح الله.

الخامسه: ينبغي التذكير بأنّ الإضافة (إضافة الروح) قد تكون حقيقيّه و قد تكون تشريفيّه؛ فالأولى فيما إذا كان المضاف متقوّما بما يضاف أو العكس و بدون الإضافة لا يكون موجودا. و الثانيه ليس كذلك، و ليس تقوّم أحدهما بالآخر وجودا، بل هي من حيث إنّ المضاف كان بالغا في الشرافه عند المضاف إليه، فإضافة الروح هنا ضمير راجع إلى الله تكون من هذا القبيل، فهذه الشرافه في الروح كانت مختصّه بها، و هذا الاختصاص حاك عن شرافه بالغه للمتأيدين بها، و شرافه حياه موهوبه بها لآل البيت عليهم السّلام.

٧٠

«و رضيتكم خلفاء في أرضه»

و فيه تسع نكات:

الأولى: هذه شهاده اخرى للزائر على كمال فعليّ لآل البيت عليهم السّلام و هو دالّ على كمال ذواتهم الشريفه القابله له، و الارتضاء المنظور هنا و ما تأتي من الفقرات إلى قوله عليه السّلام: «و الأدلاء على صراطه»، و هو كمال نفسانيّ لهم عليهم السّلام.

ص: ٣٢٩

الثانية: معنى الرضا و السخط:

هذان وصفان متناقضان، فالرضا وجودي، و السخط (أى نقيضه) عدمي، قيل فى معنى الرضا: «رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجرى به قضاؤه، و رضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا لأمره و منتهيا عن نهيه» (دون اعتراض حالى أو مقالى)، فلا حاجة إلى ما قيل فى تعريف السخط بعد تبين كونه نقيض الرضاء (1). و أمّا حقيقه الرضا و السخط فى الله سبحانه فلا يمكن كونهما حالين كما فى الممكن، بل حقيقتهما فعلا ن صادران منه بإرادته القاهره، فيكونان إذا- حسب تعبير أهل الكلام- وصفين فعليين متترعين من حاقّ فعله، فيكون منشأهما فعلاه لا ذاته المتعالیه.

الثالثة: توضيح رضا الله و سخطه:

إنّ المتكلمين و المفسرين الذين يمشون كما مشى أهل الكلام، يقولون بأنّ المراد من رضا الله و سخطه هو نتیجه حالتي الرضا و السخط، فيكون معناه في سبحانه من باب أخذ الغايات و ترك المبادئ، فكما من رضى عن أحد يكرمه و ينعم عليه و إن سخط عليه لا- يكرمه بل يضربه مثلا. فالمراد من الرضا و السخط فيه تعالى هو نفس الإنعام أو التعذيب دون أيّه مقدّمه. و لكن يمكن القول بأنهما وصفان كماليان فرعان على

ص: ٣٣٠

١- من أنّ السخط، سخط الغضب الشديد المقتضى للعقوبه، و هو من الله تعالى، و إنزال العقوبه.

جماله و جلاله مجهولا الحقيقة؛ و لكن الأقوى هو التفسير الأول، فالحاصل أنه تعالى لما رضى عن كون آل البيت عليهم السلام خلفاء يكون معناه جعلهم كذلك، و لا يمكن لنا العلم من صفاته بأكثر من هذا.

الرابعة: بيان دوام جعل الخليفة؛

إن جعل الخليفة من قبله تعالى من الكملين أمر مستمرّ دائم و يثبت هذا المدعى بالعقل و النقل، أمّا العقل فلكون الخلق كلهم (فى أى عصر و مصر) عياله، و هو تعالى ذو رحمه واسع عليهم و لا- يفرق بينهم فى إيصال الرحمه، فلو لم يجعل خليفه لأهل زمان خاصّ مثلا، كان ذلك إخلالا بالواجب الذى تقتضيه حكمته البالغه و رحمته الواسعه، و الحال أنه منزّه من الإخلال بالواجب أو فعل القبيح الذى يأتى بترك الجعل، و أمّا نقلا- فيستفاد من القرآن أن جعل الخليفه سنّه ثابتة جاربه غير قابله للتبديل و التحويل، كما قال: وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (١)، و قال أيضا: وَ لَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٢). و أمّا الآيات المثبتة لذلك فكما يلى: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (٣)، هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْوَسْطَانَ الْأَرْضِ (٤)، يا داؤد

ص: ٣٣١

١- الأحزاب: ٦٢. [١]

٢- ٢. الإسراء: ٧٧. [٢]

٣- ٣. البقره: ٣٠. [٣] استعمال الاسم (جاعل) هنا دون الفعل نحو (أجعل) يفيد دوام الجعل و تأكده.

٤- ٤. الأنعام: ١٦٥. [٤]

إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ (١)، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ... إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسِيطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ (٢)، وَعَيَّدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسَّيَّرَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ قَبْلَهُمْ (٣).

هذه الكريمة أيضا كآيات السابقة دليل نقلى قطعي الصدور على المراد (٤).

الخامسة: إن الخلافة المجعولة لكل إنسان كامل في أي زمان تكون متتاليه غير متعارضه (أمرأ و نهيا و نفوذا و حكمه) لخلافه الله، لأنها إن

ص: ٣٣٢

١- سورة ص: ٢٦. [١] هذه الكريمة تفيد أمورا: ألف) لزوم جعل الخليفة. ب) ضروره كون الجاعل هو الله. ج) لزوم كون الخليفة من الكملين، وهذا الأمر مستفاد من الآيه التاليه.

٢- ٢. البقره: ٢٤٧. [٢]

٣- ٣. النور: ٥٥. [٣]

٤- ٤. و هي تفيد أمورا، كما يلي: ألف) إن لفظه «من» هنا بعضيه، لعدم إمكان كون جميع المؤمنين خلفاء، وأن الخصوصيات اللازمه له لا توجد في كل مؤمن، و هي موجوده في آل البيت عليهم السلام خصوصا في مهديهم القائم عليه السلام عصر ظهوره عجل الله تعالى فيه. ب) المراد من الإيمان هنا هو أكمل مصاديقه، و هو إيمان غير مشوب بالشرك أصلا، لأن إطلاق المطلق ينصرف إلى أكمل الأفراد، فواضح أن ليس إيمان كهذا في غير آل البيت عليهم السلام. ج) فقره المبحوث عنها هنا مقتبسه من هذه الآيه الكريمة. د) نقل الأحسائي في شرح زيارته عن العلامة المجلسي أن هذه الآيه مع تواتر الأخبار في تأويلها هي لخلافه آل البيت عليهم السلام. و الحاصل أن دوام الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه و اله لا يكون إلا بهم، و لا سيما المهدي منهم عليهم السلام.

كانت متعارضة، مضافا إلى أنها تنتهي إلى الشرك، تنافي مجعوليتهما من الله.

السادس: يقع هنا سؤال عن ضروره جعل الخليفه مع أنّ المستخلف هو الله الحي الذي لا يموت كما قال: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ (١). و أيضا لا يغيب، كما قال: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ (٢).

نجيب عنه: إنّ هذه الضروره لا- لحاجه الفاعل إليه بل لحاجه القابل؛ لعدم المسانحه بين الممكن و الواجب، و لكنّها موجوده بين (الخليفه) و بين القابل، لأنّه تعالى (و هو المستخلف) متنزّه عن المباشره الماهويه (٣) في أمور العالم.

السابعه: يستفاد من هذه الفقره و ما يشبهها من الفقرات الماضيه و الآتيه، و لا سيّما من التعبير ب«في أرضه»، أنّ المراد من الخلافه هي الخلافه التشريعيه دون التكوينيّه التي تعمّ جميع ذرّات الكون آخذا من الهيولى منتهيها إلى أقوى درجات الإمكان التي هم عليهم السّلام واجدوها أيضا كما في التشريع.

الثامن: يشهد الزائر في هذه الفقره (مبتدئا من «رضيكم» إلى أن ينتهي إلى «و أدلاء على صراطه») على اثني عشر شأننا لآل البيت عليهم السّلام، كلّ شأن

ص: ٣٣٣

١- الفرقان: ٥٨. [١]

٢-٢ (٢). الحديد: ٤. [٢]

٣-٣ (٣)- هذا النوع من المباشره مختصّ بالناقصات الممكنه، و لكنّ مباشرته تعالى لجميع ذرّات العالم بلا أيّ واسطه- كما اعتقد به العرفاء- مباشره وجوديه تسمّى بالمباشره بالعليه، فتدبّر و فرّق بينهما فإنّه دقيق.

منها موصوف بوصف مرضى (على الترتيب الآتى) فهم الخلفاء المرضيون فى الأرض و الحجج المرضيه فى الخلق و الأنصار المرضيون للدين و...

ترى أنّ آل البيت عليهم السّلام وصفوا بكونهم مرضيين فى جميع هذه الشؤون، فإن تدبّرت فى ما سبق من الزياره و لا سيما فى الفصل الأوّل من الباب الأوّل ينكشف لك سرّ ذلك، لأنّ كماله كلّ الشؤون المتقدّمه و وجوديتها (دون كون حتّى واحد منها عدميه) يشهد أنّهم مرضيون لله، و أنّه تعالى رضى عنهم فى جميع شؤونهم؛ فتكون هذه الشؤون الاثنا عشر مرضيه كنتيجه جامعه لجميع ما سبق.

التاسعه: أنّ كلّ واحد من هذه الشؤون الاثني عشر أضيف إليه سبحانه؛ لعدم وجود موصوف بالذات فى الوجود غير الله تعالى؛ و لتعلّق جميع الأعيان و الحقائق من الأشياء و الأشخاص و الأوصاف و الشؤون و الجواهر و الأعراض به تعالى و جودا و بقاء و فعلا و انفعالا.

٧١

«و حججا على برّته»

و فيه ثلاث نكات:

الأولى: هذه مرّه ثالثه تذكر حجبتهم، و هى غير مكرّره (١)؛ لأنّ أولى

ص: ٣٣٤

١- قد تقدّم بيان نوع هذا الكمال فيما سبق.

المراتب (١) ذكرت فيها سعه حجّيه آل البيت عليهم السّلام، و في الثانيه (و حجّته) كانت تثبيتا لنفس حجّيتهم، و في الثالثه (و حججا على بريّته) تبين متعلّق الحجّيه، و هو البريه.

الثانيه: معنى البريه: البريه هنا صفة مشبّهه و لها معنى مفعوليّ، كالقتيله بمعنى المقتوله، و مع ذلك لا يتّضح معناها أولا إلا إذا اتّضح معنى الفاعل (الباري) منها؛ فنقول: إنّ الباري (و هو من أسماء الله الحسنی) هو من يسوّى دقائق الشیء بعد أن خلق، كمن يصنع القداح ثم يسوّى أجزاءها، قال سبحانه: هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ (٢)، و قال تعالى: الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى * وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣)، و قال أيضا: الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٤). ترى أنّ مرتبه البرء واقعه بعد الخلق، و هو هكذا لكون تسويه الأجزاء تقع بعد خلقها و تركيبها.

و الحاصل أنّ الباري من يسوّى أجزاء الخلق و البريه ما تتسوّى أجزاءه بعد أن خلق و قبل التسويه بعد خلقه، و المراد منها كلّ ما سوى الله؛ لأنّه تعالى سوى بين الأجزاء الذاتيه لكلّ شىء و بين قواه و غرائزه (إن كان الشیء صاحب غريزه)، و إن كان إطلاقه على ذوى العقول كالإنسان

ص: ٣٣٥

١- «و حجج الله على أهل الدنيا، و الآخره و الأولى».

٢- ٢. الحشر: ٢٤. [١]

٣- ٣. الأعلى: ٢، ٣. [٢]

٤- ٤. الانفطار: ٧، ٨. [٣]

أقوى و أصدق، كما قال: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (١)، كما أن أحسن تقويم أيضا لذوى العقول بالقرآن، قال تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (٢).

فمن حيث إن الغلبه لذوى العقول على غيرهم تكون حجيتهم الأقوى لهم، و المرتبه النازله لغير ذوى العقول، لأن آل البيت عليهم السلام حجج الله على غير ذوى العقول بكونهم وسائط الفيض التكويني، و لذوى العقول مضافا إليها تشريعا أيضا، فالحاصل أن المخالفه الموجوده فى غير ذوى العقول هى ميلها إلى العدم لو لم تتعلق إرادته الله القاهره بوجودها بسبب وساطتهم الغالبه عليها. و خلاصه القول أن المراد من البريه التى هم حجج عليها هو جميع ما سوى الله، و أجلى مصاديقها ذو العقول الذين حجيتهم فيهم أقوى من غيرهم ثم إن حجيتهم آل البيت عليهم السلام واقعه فى المرتبه الثالثه بعد الأولين لجميع ما سوى الله.

الثالثه: إثبات حجيتهم على ذوى العقول (و هم الإنس و الجن و الملك) من البريه:

كل دليل من العقل أو النقل تثبت به النبوه و الرساله الختميتان لرسول الله صلى الله عليه و اله و سلم فهو بعينه مثبت لحجيتهم عليهم السلام، كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ

ص: ٣٣٦

١- التين: ٤. [١]

٢- ٢. الإسراء: ٩. [٢]

رَسُولُهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (١)، و كقوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (٢). و الدليل على كونهم حجّه على الجنّ هو آيات من سورتى الجنّ و الأحقاف، و أيضا على كونهم حجّه على الملائكة حديث تعليم الأسماء لآدم على الملائكة لكونه عليه السّلام خليفه و إنسانا كاملا.

و هكذا فإنّ آل البيت عليهم السّلام خلفاء الله أيضا و أكمل من آدم. و الدليل على كونهم حجّه على غير ذوى العقول (من الجماد و النبات و الحيوان) هو معجزاتهم الباهره الصادره منهم، كإحياء الأموات و تبديل الحصاه ذهبا، و تمثال الأسد إلى أسد مفترس و غير ذلك.

٧٢

«و أنصارا لدينه» (٣) [٣]

و فيه نكات أربع:

الأولى: أنّ «الأنصار» جمع الناصر أو النصير على المعنى الفاعلى (ناصر) أو المفعولى (منصور)، و الدّين عباره عن حقيقه ثابتة غير مادّيّه و غير قابله للتغيّر ذات مصاديق، هذا ما استفدناه من موارد استعمال مادّه

ص: ٣٣٧

١- الصّف: ٩. [١]

٢-٢. الفرقان: ١. [٢]

٣-٣. و هذا كمال فعلى لهم عليهم السّلام.

«دين» من القرآن و الحديث، فلا نحتاج إذا إلى ما ذكر في معناه اللغويون، و غيرهم؛ لعدم خلوه من الإشكالات، كما و يشمل هذا التعريف «الدين» أيضا. و أمّا مصاديقها العقليّة فهي الاعتقاد بالمبدأ (و هو الله و صفاته)، و المسير (النبوّه و فروعها)، و المقصد (المعاد و مسائله) و مصاديقها (العاطفيّة)، و السير (كثبات الأعمال و الأخلاق)، كما قال رسول الله صلى الله عليه و اله:

«لا دين لمن لا عهد له» (١).

الثانية: أنّ لكونهم أنصارا مرضيين لدين الله اصولا- و مقدمات، و هذا الشأن مبنّى عليها، و هي الشؤون و الكمالات السابقة الذكر، فالحاصل لكلّ من السوابق دور و تأثير في هذا الشأن لهم عليهم السّلام، و لكنّ بعضها قوى التأثير و بعضها ألقى، ككونهم متأيدين بروح الله و معتزّين بهدى الله، فلولاها (الكمالات السابقة) لم يكونوا أنصارا أصلا أو أنصارا مرضيين.

الثالثة: يتبيّن المقصود من المقايسه بين كونهم أنصارا مرضيين و بين حوارىي المسيح عليه السّلام، من قوله سبحانه (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين): قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله (٢).

ترى عدم الانطباق في إجابتهم له، بل ترى الغلو فيها؛ لأنّه عليه السّلام قال:

ص: ٣٣٨

١- مجموعته ورام (تنبيه الخواطر و نزهه النواظر) ٢: ٢٢٦. [١]

٢- ٢. آل عمران: ٥٢. [٢]

مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ و لكنهم أسندوا أنفسهم بكونهم أنصار الله، مع أنهم في الحقيقة أنصار المسيح، و ناصر الله هو المسيح نفسه، و ترى شائبه الغلو في إجابتهم هذه، فهذه الإجابة الناقصة كافيته في كونهم أنصارا غير مرضيين (و إن قبل الله نصرتهم تفضلا عليهم)، و لكن في هذه الفقرة تصريح بأن آل البيت عليهم السّلام أنصار الله بلا أي واسطه في البين و من غير أي غلو، ففي هذا الشأن الشريف ترى مساواه بين كل واحد من آل البيت عليهم السّلام (في زمانه) مع المسيح عليه السّلام.

فالحاصل أنّ آل البيت عليهم السّلام حيث كانوا مؤيدين بروح الله كما تقدّم كانت نصرتهم لدين الله خاليه من كل نقص و خطأ، فيكونون أنصارا مرضيين (1)، و لكن هناك فرق بين النصره المقبوله و النصره المرضيه، فتكون آثار نصره كهذه باقيه غير زائله، و لعل وجه رضا الله عنهم و عن نصرتهم هو خلود آثار نصرتهم، و كون نصرتهم مقرونه بسعه العلم، و مبتنيه على التأييد من الله كما سبق.

الرابعه: أنّ نصره دين الله (المشار اليها) آثارا (و هي مستفاده من القرآن) كما يلي (2):

ألف و ب) أنّ الناصر لدين الله ينصره الله و يثبتته كما وعد بقوله: يا

ص: ٣٣٩

-
- ١- و لكن غير المؤيدين بروح الله لا تخلو نصرتهم من خطأ ما أو خلاف خفي و إن كانوا مقبولي النصره.
 - ٢- ٢) فلو لم تكن نصره المؤمن لدين الله، لا تحصل الآثار، لانتهاء المشروط بانتفاء الشرط.

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (١). فعلى هذا فإن آل البيت عليهم السلام منصورون (كما احتملنا أن الأنصار جمع النصير بمعنى المنصور)، وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (٢).

ج) أن ناصر دين الله غير مغلوب (و إن قتل): إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ (٣).

د) غلبه الأنصار على الأعداء: وَ نَصَرْنَا هُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤).

هـ) شمول نصره الله ناصر دينه مع عدم نصره الناس إياه إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ (٥).

و) شمول نصره الله للناصر في القيامة أيضا: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٦).

تذكره: إن كانت نصره ناصر مؤمن مقبوله، ولا تحصل له جميع الآثار، و إن كانت مرضيه لا شك في حصول جميعها، فآل البيت عليهم السلام حيث كانوا

ص: ٣٤٠

١- سورة محمد صلى الله عليه و اله: ٧. [١]

٢-٢. الصافات: ١٧١، ١٧٢. [٢]

٣-٣. آل عمران: ١٦٠. [٣]

٤-٤. الصافات: ١١٦. [٤]

٥-٥. التوبة: ٤٠. [٥]

٦-٦. غافر: ٥١. [٦]

أنصاراً مرضيين، لا- شكّ في حصول ذلك كلّها لهم، خصوصاً من حيث كونهم مظلومين، كما قال تعالى: وَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبُغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (١).

٧٣

«و حفظه لسره» (٢) [٢]

و فيه نكات ستّ:

الأولى: أنّ «الحفظه» مفعول آخر لرضى، و هو جمع حافظ كالطلبه جمع الطالب، و «السّر» اسم مصدر مضاف إلى ضمير راجع إلى الله تعالى.

الثانية: أنّ الإمام الهادى عليه السلام و هو إمام المعرضين عن اللغو و هو أجلى المصاديق فى ذلك لقوله سبحانه: وَ الَّذِينَ هُمْ عَنِ
اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)، فلهدا لم يتكرّر قوله عليه السّلام هنا «و حفظه لسره» لقوله «و حفظه سرّ الله»، و هكذا «و اختاركم لسره»، فيلزم
ذكر الفرق بين الفقرات لثلا- يتصوّر التكرار، فنقول: أوّلا- الغرض من فقره «و حفظه سرّ الله» هو عدّ عدّه من كمالاتهم النفسانيه. و
الغرض من فقره «و اختاركم لسره» هو ذكر إفاضات الله و امتناناته عليهم بكونهم مختارين لمطلق أسراره تعالى. و أمّا

ص: ٣٤١

١- الشورى: ٣٩. [١]

٢- ٢. نظير هذه الفقره تقدّم شرحها فى الفصل ٢٦.

٣- ٣. المؤمنون: ٣. [٣]

الغرض هنا(و حفظه لسره)هو كونهم مرضيين لحفظ الأسرار التشريعيه، كما تؤيده الفقرات السابقه الناظره إلى التشريع، كقوله:«و أنصارا لدينه، و...».

ثانيا:أن الفقرتين السابقتين مشيرتان إلى قابليتهم عليهم السلام و في هذه فقره إشاره إلى أنّ هذا الشأن بلغ في آل البيت عليهم السلام إلى حدّ الفعل و لم يبق في قابليه محضه،ولهذا صاروا حفظه مرضيين.

الثالثه:أنّ لكونهم حفظه مرضيين لسرّ الله مقدّمات خاصّه غير مقدّمات لحفظ مطلق الأسرار،و هي هذه:

إحداها:كون الحافظ مرضيا لذلك،و هي المستفاده من هذه فقره نفسها.

ثانيها:كون الحافظ مؤيدا بروح الله(و أيدكم بروحه).

ثالثها:كونه خليفه له سبحانه و موثوقا به تعالى،حتى يتمكّن من حفظ أسرار المستخلف له.

الرابعه:فإذا ثبت هنا و في ما تقدّم أنّهم حافظون لأسرار الله في التكوين و التشريع،لزم إيداع الله الأسرار لهم.فلهذا يعدّ كلّ مدّع غيرهم كاذبا لعدم اختيار الله إيّاه،و لا رضاه عنه و لا إيداعه الأسرار له.و الدليل على ذلك:

أولا؛تعليم الله الأسماء لآدم خليفته،فيكون تفويض الأسرار لآل

البيت عليهم السلام بالأولوية.

ثانياً؛ خطابه سبحانه لرسول الله بقوله: وَ عَلَّمَكْ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ (١)، فيوجب ذلك كون آل البيت عليهم السلام حافظين لوصايتهم و خلافتهم عن النبي صلى الله عليه و اله.

الخامسة: أن الأنبياء عليهم السلام- كما حكى الله سبحانه عن قول يعقوب عليه السلام:

وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا- تَعْلَمُونَ (٢) (قوله هذا لا يختص بقصه يوسف عليه السلام)-هم عالمون ببعض الأسرار، ولكن الفضل في ذلك لآل البيت لكونهم أكمل منهم، و لوصايتهم لخاتم النبيين و هو أفضلهم، مضافاً إلى أن لآل البيت ولاية في عالم المعنى على السابقين من الأنبياء، كما قال الإمام علي عليه السلام: «كنت مع جميع الأنبياء سراً، و مع خاتم الأنبياء جهراً» (٣)، و الولي أفضل من المولى عليه، و الأسرار المودعه عنده أهم و أكثر ممّا عند المولى عليه.

السادسة: يمكن لنا ذكر دليل عقلي في إثبات المدعى على كونهم حافظين للأسرار، و هو أن كل عاقل يتعب في جهله بالأسرار، و قوه التفتيش تحرّكه إلى كشفها، و لكن لا يكشف له جميع ما يريد لضيق نفسه

ص: ٣٤٣

١- النساء: ١١٣. [١]

٢-٢. يوسف: ٨٦. [٢]

٣-٣. أسرار الحكم ٣٩٨.

و ضعف تحمّله، و لكنّ الله لا يرضى ذلك التعب لولّيه الذي له صدر مشروح و سعه نفس.

٧٤

«و خزنه لعلمه»

و فيه ثلاث نكات:

الأولى: هذه شهادة أخرى من الزائر على شأن أو كمال آخر لهم عليهم السلام و هو كونهم خزّانا لعلمه تعالى.

إنّ هذه الفقرة الشريفة في بادئ النظر ترى متكرّره لنظيرتها (1)، و لكن سبق هنا ذكر الفرق بينهما، و قلنا هناك لم تتكرّر أيّ فقرة، و نقول هنا مضافا إلى ما تقدّم بأنّ الأمر هنا مقام ذكر ارتضائهم من جميع الشؤون، و منها كونهم مرتضين لعلمه، حتّى لا يبقى هذا الشأن الكبير (ارتضاء الله إيّاهم للعلم) متروك الذكر.

الثانية: قد تقدّم في ما مضى منّا ما لم يتعرّض له شارح، و هو كونهم عليهم السّلام في رتبة عنديّه لله، و لكن أمضيناه هناك بالإجمال، و هنا نأتيه بالتفصيل لأهمّيّته البالغة، و إنّما يحصل من فقرتي «و خزّان العلم» و «خزنه لعلمه» و الآية الكريمة: وَ إِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا

ص: ٣٤٤

١- «و خزّان العلم» و «عبيه علمه».

بِقَدْرِ مَعْلُومٍ (١)، هو أنّ لكلّ شيء عند الله خزائن، ومنه العلم حتّى العلوم المادّيّة، ومن كون آل البيت عليهم السّلام خزنه أو خزّاناً له تكون نتيجة كونهم في مقام العنديّة، لعدم التفرقة بين الخزنه و المخزونات، فإذا كان المخزون (العلم) عند الله لزم منه كون الخزنه أيضاً عند الله.

الثالثة: في إجابته على سؤال وهو أنّ المتّقين و الشهداء أيضاً عند الله بدليل قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٢)، وقال في الشهداء: عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (٣)، وفي آل البيت عليهم السّلام بدليل قوله سبحانه: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، (٤) فما الفرق إذا بين آل البيت عليهم السّلام و المتّقين و الشهداء؟ نجيب، أولاً: المراد هنا شهادة الزائر على كونهم خزنه مرضيين لعلم الله، و الموضوع هنا ارتضاهم لذلك لا كونهم خزنه. و ثانياً: أنّ للعنديّة عند الله مراتب في الرقيّ و النزول، كالمتشرّفين بحضور الملك بالتفاضل و التفاوت و القرب و البعد.

فالشهداء و المتّقين في رتبته النازله للعنديّة، لأنّ في الشهداء ذكر الرزق و في المتّقين ذكرت الجنّات و النهر، و كلاهما مادّيّان إن كانت الآياتان مأخوذتين على إطلاقهما، و لكنّ آل البيت عليهم السّلام في رتبته العليا من العنديّة

ص: ٣٤٥

١- الحجر: ٢١. [١]

٢-٢. القمر: ٥٤، ٥٥. [٢]

٣-٣. آل عمران: ١٦٩. [٣]

٤-٤. الحجر: ٢١. [٤]

لعدم ذكر شأن مادّي فيهم عليهم السّلام، و معلوم أنّ العلم الذي هم خزنه له و مرتضون له ليس من مقوله المادّه.

٢٥

«و مستودعا (١) لحكمته»

و فيه أربع نكات:

الأولى: لا- بدّ لنا قبل الورود في شرح هذه الفقرة من الإجابة عن سؤال، و حاصل السؤال أنّ هذه الفقرة يبدو كونها تكرارا لنظيرتها «و معادن حكمه الله» (٢)، فنجيب عنه، أوّلا: كما أنّ التدبّر في القرآن لازم لفهم المعاني، لأنّه كلام الله الصامت، كذلك يلزم ذلك في كلام المعصوم لأنّه عدل القرآن و كلام الله الناطق؛ لوجود المشابهة بين الكلامين أو الكتائين (بتعبير آخر)، فكما أنّ التكرار غير وارد في القرآن حتّى في آيه بسمله، كذلك في كلام المعصوم. ثانيا: الغرض من الفقرة «و معادن...» ذكر كمال آخر من

ص: ٣٤٤

١- يذكر صاحب كتاب (الشموس الطالعه في شرح الزياره الجامعه)، المرحوم درود آبادي- و هو من مدينه همذان، و كان عالما عارفا فاضلا جليل القدر، و له كتاب آخر على ما رأيناه في شرح الأسماء الحسنی، و هو أيضا كتاب قيم في موضوعه- قال: «التعبير من هذه الفقرة بالمستودع و المستودع كلاهما صحيحان، و معنى المستودع، أنّ الله تعالى قبلهم لإيداع علمه فيهم، و معنى المستودع، أنّهم مقبولون لهذا الاستيداع». يجوز أن يكون المستودع بكسر الدال و بفتحها على أن يكونوا هم الذين استودعوا الله تعالى حكمته أو يكون الله تعالى قد استودعهم حكمته.

٢- ٢). في الفصل ٢٥.

كمالاتهم النفسائيه. و أمّا المقصود هنا ذكر كونهم مرتضين لهذا الشأن فهو امتنان منه سبحانه عليهم، و أيضا في فقره المتقدمه كان الزائر يذكر ذلك الشأن لهم، و لكنّه يشهد هنا، و الفرق بين المدح و الشهاده وجدانيّ.

الثانيه: الفرق بين الوديعه و نظيرتها: (الأمانه و العاريه):

إذا سلّمت شيئا إلى أحد و الغرض حفظه سالما، يقال لهذا التسليم أمانه. و إذا سلّمته ليستفيد منه الآخذ المتسلّم ثمّ يرده إليك يقال له العاريه.

و لكن إذا سلّمته إليه و لكنّ الآخذ يلزم له أن يودّع المأخوذ يوما أو يودّعه الشيء (مجازا) يسمّى وديعه، ففي كون آل البيت عليهم السّلام «أمناء الرحمان» (1) إشاره إلى كمال آخر من كمالاتهم النفسائيه فقط، و لا ينظر في فقره المرتبطه به إلى أنّ هذا الكمال يودّع صاحبه يوما أو يودّعه صاحبه، و لا ينظر أيضا إلى المعنى الخاصّ للعاريه. و لكنّ المقصود هنا المعنى الخاصّ للوديعه للحكمه، ككلّ كمال لأئى ممكن كما أنّ كلّ كمال لأئى ممكن وديعه له من الله، و لا يمكن للممكن أن يكون صاحب كمال بنفسه و من قبل ذاته. فيستفاد من هذه استقلال المفيض سبحانه في علوه و عدم استقلال المستفيضين (آل البيت عليهم السّلام) في دنوّهم.

الثالثه: في توضيح للمراد، بأنّ أشرف الممكنات عند الله و أقربها إليه سبحانه هو رسول الله صلّى الله عليه و اله و سلّم و لا يشكّ في ذلك أى محقّق منصف، و مع

ص: ٣٤٧

١- في الفصل الرابع عشر.

ذلك نرى أن الله تعالى من عليه صلى الله عليه و اله و سلم بمنن عديده في عدّه آيات من القرآن، كقوله سبحانه: أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (١)، و أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٢)، و مع ذلك كله نرى في بعض الآيات أنه تعالى خاطب نبيه متكبرا كمن لا صله وديه بينه و بين مخاطبه فقال: وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٣)، و نظيره قوله: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤).الحاصل أن الغرض من استشهادنا بهذه الآيات هو بيان أن المستفيض في أيّ درجه من القرب إلى المفيض، و أن المفيض في أيّ لطف و امتنان عليه، لا يوجب ذلك استقلال المستفيض و لا سلب الإتيه المستقله عن المفيض، فلهذا استعمل الإمام الهادي عليه السلام هنا لفظه المستودع، و هذا موافق لأصول الحكمة و العرفان، لأن أصل الحكمة-و هو انقسام الوجود إلى الواجب و الممكن-لا يقتضى إلا انحصار الاستقلال في الواجب في جميع شؤونه

ص: ٣٤٨

١- الانشراح: ١-٣. [١]

٢-٢. الضحى: ٦-٨، و [٢] هذا ظهور جمال منه تعالى له صلى الله عليه و اله.

٣-٣. الإسراء: ٨٦. [٣]

٤-٤. الحاقه: ٤٤-٤٦، و [٤] هذا تجلّ جلاليّ منه تعالى له صلى الله عليه و اله.

و عدمه فى الممكن حتّى عدم كهذا (١).

و أمّا فى العرفان فهو واضح؛ لأنّ العارف لا يقول بأضعف مراتب الوجود فى شىء إلاّ كونه كالظّلّ و الموج.

الرابعه: الحكمه التى استودعهم الله لها، ما هى؟ قال صاحب (الشموس الطالع) ما هذا لفظه: «و أمّا الحكمه فقد مضى أنّها حقيقه الولاية فى قوله عليه السّلام: «و معادن حكمه الله». و لعلّه (قدّس سرّه) استفاد هذا الرأى من بعض الروايات الوارده فى تأويل آيه الأمانه، و لا يمنع ذلك من إطلاق الحكمه على غير الولاية، نعم إنّ الولاية من المصاديق الجليّه للحكمه (٢).

٧٤

«و تراجمه لوحيه»

و فيه ستّ نكات:

الأولى: «التراجمه» جمع ترجمان، و هو «مترجم» و من مادّه «رجم»، و معناه «الرمى بالحجاره»، فالمتّرجم أو التّرجمان «من يرمى لغه إلى لغه اخرى ليسهلّ فهم معناها»، فكون أهل البيت عليهم السّلام تراجمه لوحى الله معناه أنّهم مترجمون للوحى. و الحاصل أنّهم مترجمون مرضيين عند الله لوحيه،

ص: ٣٤٩

١- لأنّ عدم الممكن أيضا لا يكون مستندا إلى ذاته، بل فى عدمه أيضا يعتمد على عدم علّته.

٢- ٢). و نحن فسّرنا الحكمه فى شرح «و معادن حكمه الله» بغير ما قاله (رحمه الله).

أعنى يَفْصِّلُون للناس إجماله، و يفسِّرون لهم إبهامه، و يسهِّلون صعبه و يوضِّحون إغلاقه، و يفرِّقون محكمه عن متشابهه، و يميِّزون ناسخه عن منسوخه، و غير ذلك من الوظائف العلميَّة لهم عليهم السَّلام فى الوحي.

الثانية: معنى الوحي و أقسامه (١):

الوحي عباره عن «إلقاء حقيقه علميَّه إلى الغير بطريق مرموز»، و هو على ثلاثه أنواع: خاصَّ و عامَّ و أعمَّ (٢).

فالخاصَّ، هو ما يختصَّ به النبيون و هو ما يلقي الله إليهم بسبب ملك، و العامَّ ما يعبر عنه بالإلهام أيضا و هو غير مختصَّ بأحد أو عدّه معيَّنه من الناس، كقوله تعالى: وَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ (٣)، و غير منحصر بحاله يقظه، بل يتفق فى الرؤيا أيضا، و هو (ما فى الرؤيا) ما عدَّ جزء من سبعين جزءا من النبوه كما جاء فى الخبر: «الرؤيا الصادقه جزء من سبعين جزءا من النبوه» (٤). و الوحي الأعمَّ هو ما قد يعبر عنه بالوحي الغريزي، كقوله تعالى: وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِّنَ

ص: ٣٥٠

١- للمرّه الثانيه تتكلَّم حول الوحي، فأولاهما كانت فى شرح «و مهبط الوحي» فى الفصل الرابع من الباب الأوَّل.

٢- ٢). إنا كزّنا هذه الأقسام للبعد عن المتقدّم.

٣- ٣). القصص: ٧. [١]

٤- ٤). ميزان الحكمه، ج ٤، ص ١٥، حديث ٦٧٤٤.

أَلْجِبَالِ بُيُوتًا (١) و له مصاديق ككلّ فعل كمالٍ نافع يصدر عن الحيوان و عن الإنسان أيضا (كنوع من الحيوان) ينشأ من غريزه من الغرائز الحيوانية، كبكاء الصبيّ يمكن إطلاق الوحي عليه (بناء على الأصل المذكور في تفسيره).

الثالثة: أنّ ترجمه الوحي من شؤون الله تعالى (و من صفاته الأفعاليه) أولا، كما قال تعالى: قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)، و يكون من شؤون المعصوم عليه السّلام ثانيا، لكونه خليفه منه سبحانه: قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (٣).

الرابعة: يحتاج الإنسان الغير معصوم، بل المعصوم أيضا بندره في الوحي، إلى مترجم، كالمعبر للرؤيا، و إلا كان الوحي لغوا و يبقى الموحى إليه حيرانا، فالحاصل أنّ آل البيت عليهم السّلام تراجعهم للوحي بجميع أنواعه، أمّا في النوع الأوّل (الوحي الخاصّ) كالقرآن فهو واضح، كما تقدّم ذكره آنفا (في النكته الأولى)، و لسائر الكتب السماويه أيضا كما قال الإمام عليّ عليه السّلام: «و لو ثبتت لي و ساده لحكمت بين أهل التّوراه بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزّبور بزبورهم، و بين أهل

ص: ٣٥١

١- النحل: ٦٨. [١]

٢-٢. الحديد: ١٧. [٢]

٣-٣. النحل: ٤٤. [٣]

و أما الثاني (الوحي العام): فكما أوحى إلى زكريّا عليه السّلام في قوله تعالى:

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصِيًّا وَنَبِيًّا مِنَ الصِّدِّيقِينَ * قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٢)، وحيث إنّه عليه السّلام لم يطمئنّ بكون النداء من الملائكة (إلهاما بمعناه الخاصّ و إلا لم يشتهه بالإلقاءات الشيطانيّة): قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا (٣). فمجمّل القول هو الحاجه إلى المترجم المعصوم أعمّ من أن يكون المترجم ملكا أو بشرا معصوما، كما في قصه يوسف عليه السّلام و تعبيره للرؤيا؛ و أعمّ من أن يكون المحتاج إلى المترجم الغير المعصوم أو معصوما في درجه ضعيفه من العصمه، على أىّ تقدير يلزم العصمه في ترجمان الوحي فيجب تعلّم علم التعبير أيضا من المعصوم.

و النوع الثالث الوحي الأعمّ): و هو كما قال النبيّ صلّى الله عليه و اله: «لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فإنّ بكاءهم أربعة أشهر شهاده أن لا إله إلاّ الله،

ص: ٣٥٢

١- تنزيه الأنبياء [١] عليهم السّلام باب-أما الدخول في الشورى، ص ١٤٤.

٢- ٢. آل عمران: ٣٩، ٤٠. [٢]

٣- ٣. آل عمران: ٤١. [٣]

و أربعة أشهر الصّلاه على النّبى و آله عليهم السّلام، و أربعة أشهر الدّعاء لوالديه» (١)، ترى أنّ المعصوم يترجم بكاء الصبى أيضا و بيّن حكمته.

الخامسه: أنّ لكون المعصوم ترجمانا للوحى مقدّمات و معارف، و يفقدان إحداها لا يكون هو مترجما له.

الأولى و الثانيه: معرفته بالموحى (من يلقي الوحى) و الموحى (ما يلقي إليه)، كقوله سبحانه: فَأُوْحى إِلَىٰ عِبْدِهِ مَا أُوْحى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (٢)، فيتبيّن من لفظه عبده معرفته عليه السّلام بالموحى، و من جمله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ معرفته عليه السّلام بالموحى.

الثالثه: معرفته بمن يوْحى إليه (من يتلقّى الوحى)، إنّ آل البيت عليهم السّلام هم أعرف الناس برسول الله خاصّه و بسائر الأنبياء عموما، لكون كلّ منهم نفس رسول الله على البدليه، و كون الإمام على عليه السّلام وزيرا له، و أيضا لكونهم ورثه للأنبياء مضافا إلى كون الإمام على عليه السّلام مع الأنبياء سرّا و مع رسول الله صلّى الله عليه و اله جهرا، كما قال عليه السّلام: «كنت مع جميع الأنبياء سرّا و مع خاتم الأنبياء جهرا» (٣).

الرابعه: معرفته بصله كلّ وحى و ارتباطه مع نظامى التكوين و التشريع

ص: ٣٥٣

١- .علل الشرائع ١: ٨١/ح ١ الباب ٧٣- [١] العلّه التى من أجلها لا يجوز ضرب الأطفال على بكائهم.

٢- ٢. النجم: ١١، ١٠. [٢]

٣- ٣. أسرار الحكم ص ٣٩٨.

و غرض الموحى منه، و أمّا معرفتهم بما يوحي و صلته بالنظامين و غرض الموحى من الوحي فهو واضح لعلمهم الواسع بالقرآن و جميع علومه؛ لأنهم غوّاصون في بحاره، و قرناؤه و نظائره كما يتبين من حديث الثقلين المعروف.

السادسه: معرفته بسبب الوحي، و هذا أيضا واضح؛ لأنهم مختلف الملائكه على أى من التفسيرين للفقره (١)، و له شواهد أخرى كمشاهده الإمام عليّ عليه السلام جبرئيل بصوره دحيه الكلبى (٢).

لا بأس هنا بايراد أرجوزه متضمّنه لفضائل الثقلين و حاجه كلّ منهما إلى الآخر و قد نظمت فيها مسائل عديده و لا سيّما مسأله إبطال و التحريف.

أحمد لله منزّل الهدى من أزل الآزال حمدا سرمدا

و أفضل السلام و التحية على النبي و العتره و الزكيه

ثم الهدى إمّا بتشريع نزل أو هي تكويته في ما عقل

كتابنا العزيز شرعا نزل كما هو مكمل العقول جا

إنّ كلام الله في القرآن مجلى صفات خالق الأكوان

بنوره تكشف كلّ ظلمه بشرط تفسير لآل العصمه (٣)

ص: ٣٥٤

١- على ما تقدّم شرحه في الفصل الثالث.

٢- ٢. بحار الأنوار ٣١: ٣٣٢ ح ٢- [١] عن الاحتجاج للطبرسي ١: ١٣٦ ط النجف. [٢]

٣- ٣. تفسيرهم علما و عينا قد بدا كلاهما منزّه من الخطا

تدبر القرآن خذه طاعه قراءه آياته عباده

ثقافه القرآن لا تتم إلا بمن حق لأن يؤتم (١)

جاريه آياته كالتنهر من بحر علم الله، يا للبحر (٢)

حياه قلب الناس بالقرآن و إنه ماء الحياه الثانى

خيار أهله، خيار الأُمّه ليس لمن آنسه من غمّه

دليل كل حائر من حيرته نجاه من أذنب فى شفاعته

ذل من استعز من غير هداه و لم ينل قط بغيره مناه

رؤيه رب العالمين فيه ممكنه لقلب من يعيه (٣)

زور و كذب و من البهتان من قال بالتحريف فى القرآن (٤)

ص: ٣٥٥

١- . ليرى آثارها فى المجتمع فى كل ما جاز و كل ما منع طبقا لما أراد الله و لا كما يريد أهل جهل و هوى و أن يراه الناس

مرآه الهدى صافيه من كل نقص و ردى و يرو الكمال فى مرآته و يقتدوا بعينه و ذاته

٢-٢) . ليس له قعر و لا ابتداء فى أى صقع و كذا انتهاء لو فرض للبشر عمر أبد أفاده القرآن علما لا يحد

٣-٣) لأنه تقوى به العقيده و يحصل به صفاء الفطره

٤-٤) . لأمد من جاء به معصوم و من أتى من عنده حكيم و إنه قرين آل العصمه و صونه ضروره فى الأُمّه كل من العصمه و

الصيانه تلازم الأخرى بلا خيانه لو أمكن تحريفه لأمكن إتيان مثله لكل من عنى بكثره الحفظ و الكتاب صيانه القرآن لا ترتاب

ما صبر عليه أى صابر فصونه يثبت بالتواتر

سماؤه سماء غيب الله و أرضه قلب رسول الله

شهرته فى عالم الملائكه هو كتاب، منكره هالكه

ص: ٣٥٦

صلاح ذات البين، بين الملل ليس سوى القرآن لا بالدول

ضعف مقام المؤمن في طوره رقيه الكامل في ظهوره (1)

طالبه يجب أن تطهر من دنس الخفى، و ما قد ظهر

ظهر طلوع الشمس للقرآن بفرج لصاحب الزمان

عرفان ما حق لك أن تعرف لا يمكن إلا بقرآن إعرف (2)

غير غيره يد الخوان ككتب العهدين أو زمان

فواكه العلوم للعقول توجد في القرآن لا تهول

قرآنا الكتاب و البرهان و النور و الموعد و الفرقان

كفى بفضله مهيمن الكتب و ناسخا لها بأحسن الرتب

لغاته من أوسع اللغات معنا، فأخبرن لكل خاطي

مبين حال القرون الخاليه فيا له من معجزات عاليه (3)

نزوله النزول بالتجلى على رسول الله لا لتجافى

واسطه النزول جبرائيل منكر مكرماته ذليل

ص: ٣٥٧

١- . كما جرى على الكليم موسى كلمه الله بطور سينا حريمه تشبه بالطور لأنه النور و مجلى النور

٢-٢) . هو العبارة عن المسير و المبدأ و المقصد و السير فالمبدأ ليس سوى الله كذا مسيرك معرفه النبي خذ مقصدك المعاد

للاحقاق سيرك بالأعمال و الأخلاق لأنه ينطق عن عمق الفطر و يطرد الوهم و يبعث الفكر

٣-٣) . هو كما عن المغيب أخبر و سار بالمعجز مظفرا مع كون من أتى به معلما ما قرأ الدرس و ما تعلم

هدم بناء فطره الإنسان بتركه أوامر القرآن

يقارن القرآن آل المصطفى به بلا قرينه لا يكتفى (١)

أنشد هذه على النظامي لعله يذكره كرام

من بعد موته بذكر خير رجاء أن يغفر بخير ذكر

أنشدها ملثيا بالدعوه في ثالث الأيام من ذى الحجه

٧٧

«و أركاننا لتوحيد»

و فيه ست نكات:

الأولى: وهذا ذكر ثان عن ركنيه آل البيت عليهم السلام، وأولهما ما سبق في الفصل الثالث عشر «و أركان البلاد»، ولكن الفرق بينهما هو أن هناك ذكر بأنهم عليهم السلام ركن للمجتمع التوحيدي الذي يتقوم بهم، ولكن هنا ذكر بأنهم عليهم السلام ركن للتوحيد نفسه، ويمكن أن يكون ذكر ما سبق معلولا و ركنيتهم هنا عله لذاك، إذا يكون هذا الشأن أرقى بالنسبه إلى ما سبق من

ص: ٣٥٨

١- . لأنه منبع علم عرف و منبع التريه الآل صف فمن رأى التعليم دون التريه عبر عنها ربنا بالتركيه لا يحصل الكمال إلا بهما و لا بواحد و لا دونهما تريه الشىء تكون صنعه من أصله و عن سواه منعه و لا يربى الناس من فطرتهم إلا هم هذا لمن بغيتهم

ركبتهم، أى ما لم يكونوا أركاناً للتوحيد لا تتحقق ركبتهم للبلاد.

الثانية: الفرق بين الركن و نظيره:

إنَّ للركن نظيرين فى المعنى، و هو: الدعامة و العمود، و هما متقاربا المعنى و هو كالجدار بالنسبه إلى السقف يمنع عن الخراب و السقوط، و لكنَّ الركن هو ما يتكأ عليه، و لولاه لا يقوم المتكى، قال الله سبحانه عن قول لوط عليه السلام: أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (١)، و مع ذلك يتحمّل الركن ما هو أثقل من الشىء. و الحاصل أنَّ معنى كونهم «أركاناً» هو أنَّ التوحيد الصحيح بجميع مراتبه (من الذاتى و الصِّفاتى و الأفعالى و العبادى و الأسمائى) متكى عليهم، و لكن يمكن أن تقوّم بعض مراتبه بغير المعصوم أيضاً، فلهذا لا يعدّ غير المعصوم كالمتكلمين و غيرهم ركناً، و لكن يمكن عدّهم دعامة أو عموداً بالمسامحه و المجاز.

الثالثة: أنهم عليهم السلام ركن للتوحيد لا للتوحد، إذا يلزم التفريق بينهما.

التوحيد هو تفعيل من «وحد»، و هو مصدر متعدّد من باب التفعيل، و لكنَّ التوحيد لازم، فالحاصل أنَّ فى توحيد البارى يلزم من يوحّده، و لكنَّ التوحيد لا- يلزم شيئاً، لأنَّ المتوحد فيه هو سبحانه، كما جاء فى الحديث القدسى عن قوله تعالى: «كنت كنزاً مخفياً (هذا مقام التوحد)، فأحببت

ص: ٣٥٩

أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف» (١)، (فمعرفة الخلق به تعالى هو التوحيد)، فيكون آل البيت عليهم السلام أركاناً للتوحيد الذي يحتاج إلى الركن (و لهذا شبه عليه السلام التوحيد بالبناء الذي يفرض له ركن)، لأنه وظيفه الخلق، لا للتوحد الذي هو غنى عن كل شيء، و منزه عن الزوال و الهدم.

الرابعه: فى إضافه لفظه التوحيد؛ فقد اضيفت لفظه التوحيد هنا إلى ضمير يرجع إليه سبحانه، و هى إضافه بيانيه، فيكون معنى فقره أن آل البيت عليهم السلام هم أركان للتوحيد الذى ألهمه الله عباده فى فطرتهم (٢)، و علمهم يتلقى عقولهم من الأدله الآفقيه و الأنفسيه (٣)، فتبين إن الإضافه هنا بيانيه.

الخامسه: فيما يلزم للتوحيد غير الركن؛ كل بناء لا-بد له من المبنى فيه كالأرض مثلا، و ما بنى فيهم بناء التوحيد هو جميع المكلفين إنسانا كان أو غيره، و يلزم أيضا للبناء موادّ و مصالح، ففى بناء التوحيد العرفانى المعبر عنه بعين اليقين: هى الفطره، و للإيماني منه المعبر عنه بعلم اليقين: العقل؛ و يلزم ثالثا لكل بناء ذى ركن ما يوجب الهدم و الخراب، و إلا لا حاجه للبناء إلى ما يمنع منه، فهنا موجبات لانهدام التوحيد الإيماني، و هو الشكوك و الشبهات من الملحدين كالدهرية، قال تعالى عن قولهم: ما

ص: ٣٦٠

١- بحار الأنوار ٣٤٤: ٨٧-الباب ٨٢، [١] نافله الفجر و كيفيتها.

٢- ٢). كما قال سبحانه: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» (الروم: ٣٠). [٢]

٣- ٣). كما قال سبحانه: «سُنُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (فصلت: ٥٣). [٣]

هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ (١).

و الموجبات لخراب التوحيد العرفاني هي الوسوس النفسانيه و عدم الإخلاص و المراتب الخفيه من الشرك و التوجه إلى غير الله، فمعنى كون آل البيت عليهم السلام أركاناً للتوحيد هو ركبتهم لمراتب التوحيد الخمس المذكوره إيمانياً كان ذلك التوحيد أو عرفانياً، أى هم يمنعون الإيمان بالتوحيد عن الخراب بأدلتهم القاطعه و مناظراتهم الوافيه، و يمنعون عرفان العرفاء عن الخراب بمواعظهم البليغه و أنواع مناجاتهم المهيبه.

السادسه: بيان حصر هذا الشأن فيهم عليهم السلام:

إن المدعين للتوحيد و تبليغه كثيرون، و لكنهم منحرفون عن الحق الصريح و ما يقتضيه العقل الصحيح، و فى الحقيقه هم يهدمون بناء التوحيد، فضلاً عن أن يمنعونه من الخراب، و هم يشعرون بذلك أو لا يشعرون، و لكن آل البيت عليهم السلام يقولون فيه ما يؤيده القرآن (بل كان قولهم تفسيراً لآياته العزيزه غير مغاير لها)، و يقبله العقل و تشرحه الحكمة الإلهيه، بل الحكماء الإسلاميون يأخذونه عن أقوالهم كما أشرنا إليه فى بعض المباحث السابقه، فيكون هذا الشأن بكماله منحصر فيهم، كما سيحىء الكلام فى شرح فقره «و من وحده قبل عنكم» إن شاء الله.

ص: ٣٤١

«و شهداء على خلقه»

و فيه ستّ نكات:

الأولى: يمكن أن يكون «الشهداء» هنا جمع «شاهد»، كفضلاء جمع فاضل، أو جمع «شهيد» كسعداء جمع سعيد (١).

الثانية: أنّ كونهم عليهم السّلام شهداء مرضيين موقوف على الكمالات التي لها دخل في ذلك، ككونهم مؤيدين بروح الله و مستقرّين في أمر الله، و غيرهما من الكمالات، فإذا كانوا موصوفين بالكمالات السابقة كانوا شهداء مرضيين على خلقه.

الثالثة: أنّهم عليهم السّلام شاهدون على الخلق من جهات أربع:

ألف) شهداء على أعمالهم.

ب) على ذواتهم على استحقاقاتها و قابليته كلّ ذات منهم.

ج) على مكتوباتهم من العقائد و الأعمال و الأخلاق. أو ما يكتب على كلّ واحد من الخلق لكلّ عامّ ليله القدر. و الحاصل أنّ شهادته آل البيت عليهم السّلام لا تحدّ بشهودهم لأعمال الخلق فقط، كي تنتج الفقره (و شهداء على خلقه) موعظه فقط.

ص: ٣٦٢

١- . كلاهما صحيح في آل البيت عليهم السّلام، فالشاهد باعتبار إمكان سلبه تعالى هذا الشأن عنهم لأنّهم ممكن الوجود، و الشهيد باعتبار كون هذا الوصف ذاتياً لهم و لا يسلبه تعالى عنهم.

د)أنهم مشاهدون للمتقدّر من كلّ فيض على كلّ أحد كمّه و كيفه، لامتناع كونهم مشاهدين للمستفيض و غير مشاهدين للفيض الذى هم وسائط إفاضته سبحانه إيّاه(المستفيض).

الرابعه:فوائد الشهاده:

ألف:أنهم يشاهدون أعمال الخلق،و فائدتها ارتداع الخلق عن القبائح و إقدامهم على الحسنات،مع اعتقادهم بأنّ آل البيت عليهم السّلام يشاهدونهم.

ب:أنهم يشاهدون أعمال الخلق كى لا يعترض الخلق على ردّ أعمالهم و أدعيتهم إذا لم يكونوا مخلصين فى العمل و الدعاء.

ج:أنّ ذوات الخلق مشهوده لآل البيت عليهم السّلام مع قابليته كلّ ذات و استحقاتها لأىّ مقدار من الفيض،حتى يتوجّهوا إذا أنعم الله عليهم أو منع عنهم،إنّما هو لما يستحقّون و هم مشهودون لآل البيت عليهم السّلام و يعلمون أنّ الإنعام أو المنع إنّما كان على مرأى آل البيت عليهم السّلام و مشهدهم (1)مضافا إلى علم الله بهم و لياقتهم)،و لم يقع أىّ حيف و لا- ميل عن الحقّ المحض لا من جهه المعطى أو المانع و لا من جهه الوسائط،فشهاده آل البيت عليهم السّلام تسع تكوين الخلق فى هذه النشأه و جزاؤهم على الأعمال فى

ص: ٣٦٣

١- .مثلا إذا رأت والده ولدها غير جميل أو رآته معيبا،فهى إن كانت مؤمنه بأنّها و ولدها و شرائط خلقه كالأب و زمان التوليد و مكانه...مشهوده لآل البيت و هم وسائط الفيض كانت نفسها مطمئنّه على عدم الأضعف جور و حيف على ولدها فلا تعترض على ذلك لا حالا و لا مقالا،وقس على ذلك سائر المكوّنات.

دار اخرى. ولا تنحصر ثمره الشهاده بالموعظه المفيده للقيامه فقط، وهذا المعنى يتأيد بكونهم «شهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء».

د: أن كونهم شهودا على أعمال العباد يفيد ترك توقع الخلق لثواب أكثر أو عقاب أقل مما قدر لهم.

الخامسه: الدلائل على المراد:

الأول: أنهم مظاهر تامه لأسماء الله و صفاته، و من جمله أسمائه سبحانه المتجليه فى آل البيت عليهم السلام هو الشهيد، كقوله سبحانه: وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١)، و هذا دليل عرفاني على المقصود).

الثانى: قد ثبت فى ما تقدم من المباحث أن لآل البيت ولايه تامه تكويبيه على جميع الخلق، و هذه الولايه التامه مقتضيه لإشرافهم على جميع الخلق، فأشرف كهذا ملازم لشهودهم، بل هو عين الشهود.

الثالث: الأدله النقليه من المستقله و غيرها، و أما الثانى: هو كون رسول الله صلى الله عليه و اله شاهدا على الخلق حقيقه مصرحه فى القرآن، كقوله سبحانه:

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً (٢)، و إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (٣) و لا شك فى أن كل واحد

ص: ٣٦٤

١- المجادله: ٦. [١]

٢- ٢. النساء: ٤١. [٢]

٣- ٣. الفتح: ٨. [٣]

من آل البيت عليهم السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه و اله النفسه على البدليه (بدليل آيه أنفسنا)، فهذا يقتضى أن يكون فيهم من الصفات النفسائيه ما كان لرسول الله، و منها الشهاده على الخلق.

أما النوع الأول من النقليات، فقولته تعالى: **وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ (١)**، و المراد من «المؤمنون» هنا هم المعصومون، كما تدل عليه الأخبار، لا- جميع المؤمنين، للزوم اتحاد الرائي و المرئي، و هو ممتنع. فيلزم إذا كون المراد من «المؤمنون» الرائيين عدّه خاصّه منهم، و هم المعصومون عليهم السلام لا- غيرهم، كما تشهد عليهم الروايه الآتيه: «عن عمر بن أذينه، عن بريد العجلي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، قوله عزّ و جلّ: **اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ؟** قال: إيانا عنى» (٢).

السادسه: فى كيفيه مشاهدتهم للخلق تاره و لأعمالهم اخرى؛ أما الأول فشهداتهم عباره عن علم حضورى لهم بالخلق، لأن الخلق كالأجسام و هم كالنفوس، كما أنشدت من الوافر:

يدوم حضور جسمك عند نفسك فنفسك غير غافله لجسم

كذاك خليفه الله الزمان أحاط بما له رسم و إسم

ص: ٣٦٥

١- التوبه: ١٠٥. [١]

٢- ٢. نور الثقلين ٢: ٢٦٣/ح ٣٢٣- [٢] ذيل الآيه ١٠٥ من سوره التوبه. [٣]

و أمّيا الثاني، فتكون مشاهدتهم للأعمال إمّا أن يشاهدوها في عمود من النور، أو في صحائف الأعمال، كما روى عن إسحاق القمّي: قلت لأبي جعفر عليه السّلام جعلت فداك، ما قدر الإمام؟ قال: يسمع في بطن أمّه، فإذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمن مكتوبا وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عِدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١)، ثمّ يبعث أيضا له عمودا من نور من تحت بطنان العرش إلى الأرض، يرى فيه أعمال الخلائق كلّها، ثمّ يتشعب له عمود آخر من عند الله إلى أذن الإمام، كلّما احتاج إلى مزيد أفرغ فيه إفراغا» (٢).

٧٩

«و أعلاما لعباده، و منارا في بلاده»

و فيه سبع نكات:

الأولى: يشهد الزائر هنا على إفاضتين أخريين من إفاضات الله على آل البيت عليهم السّلام، و كونهم مرضيين عند الله لهما، و لكنّ شهادته الثانية مترتبه على الأولى، لتقدّم العلم على المنار رتبه، بمعنى أنّ المنار لا يفيد وجدان الطريق ما لم يكن علما.

الثانية: قد تقدّم معنى العلم في شرح الفقيه «و أعلام التّقى»، و العباد

ص: ٣٦٦

١- الأنعام: ١١٥. [١]

٢- ٢. بصائر الدرجات / ٤٦٢ ح ٦- الباب ١٢- [٢] الأحاديث النوادر ممّا يفعل بالأئمّه...

جمع عبد، كما أنّ البلاد جمع بلد، و المنار موضع النور.

الثالثة: المراد من العباد هنا جميع المكلفين، بل جميع ذوى العقول من الجنّ و الإنس و الملك، و أمّا إطلاق العبد على غير المؤمنين من الجنّ و الإنس فيعتبر فيه التكوين، أى أنّ غير المؤمنين أيضا يعدّون عبادا لله، أو باعتبار فطرتهم التوحيدية الأولى التى فطرهم الله عليها، كما قال سبحانه:

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ (١)، و قوله: يَا حَسْبِرَهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢). فالحاصل أنّ آل البيت عليهم السّلام كانوا أعلاما لهؤلاء من المؤمنين و غيرهم، بمعنى أنّ ذوى العقول لا يتمكّنون من وجدان طريق العبودية ليصلوا إلى مرضاه الله بدون علمية آل البيت عليهم السّلام و هم مشتهرون بين الجميع بالفضل و الكمال، و هم المطهّرون من كلّ نقص و وبال حتّى بين أعدائهم.

الرابعة: أمّا كونهم أعلاما للجنّ فهو ثابت بأدله كثيرة مصرّحه على المراد من القرآن، كآيات من سورتي الجنّ و الأحقاف؛ و أمّا علميتهم للإنس فهى أظهر و أبين؛ و أمّا للملائكة، فتشهد عليه أخبار كثيرة فى أن لولا آل البيت عليهم السّلام فى النشآت الغيبية قبل خلق عالم الشهود لم يعلم الملائكة كيف يسبحون الله و يكبرونه...، و قد قدّمنا فى المقام بعض

ص: ٣٦٧

١- الأعراف: ١٩٤. [١]

٢- ٢. يس: ٣٠. [٢]

قد أورد الأحسائي في شرحه للزيارة الجامعه خبرا (و إن كان ضعيفا لكنّه) يتأيد بأخبار آخر و لا بأس لنا بإيراد ذلك الخبر: «روى أنّ جبرئيل عليه السلام كان جالسا عند النبي صلى الله عليه و اله فأتى علي عليه السلام فقام له جبرئيل، فقال صلى الله عليه و اله:

أتقوم لهذا الفتى؟ فقال: إنّ له عليّ حقّ التعليم، فقال صلى الله عليه و اله: وكيف ذلك التعليم يا جبرئيل؟ فقال: لمّا خلقني الله تعالى سألتني: من أنت و ما اسمك، و من أنا و ما اسمي؟ فتحيّرت في الجواب، ثمّ حضر هذا الشابّ في عالم الأنوار و علّمني الجواب، فقال: قل: أنت ربّي الجليل، و اسمك الجميل، و أنا العبد الذليل، و اسمي جبرئيل؛ و لهذا قمت له و عظّمته، فقال النبيّ صلى الله عليه و اله: كم عمرك يا جبرئيل؟ فقال: يا رسول الله، يطلع نجم من العرش في كلّ ثلاثين ألف سنه مرّه، و قد شاهدته طالعا ثلاثين ألف مرّه» (١). يستفاد من هذا الخبر الشريف طول عمريهما: أمير المؤمنين و جبرئيل. و هذا الخبر يشهد على المراد من كونهم مرضيين عند الله فيكونوا أعلاما للملائكه.

الخامسه: إذا كانت الملائكه محتاجه إلى علميه آل البيت عليهم السلام حتّى يجهدوا طريق العبوديه و يصلوا إلى رضا الربّ تعالى، و بدونهم لا يتمكّنون من الوجدان و الوصول مع كونهم تامّي العقول و كونهم أنوارا،

ص: ٣٤٨

١- شرح الزيارة الجامعه [١] للأحسائي - ذيل العبارة «و أعلاما لعباده».

فكلّ من الجنّ و الإنس أولى بهذه الضلاله، لكونهم ناقصى العقول و ضيقي النفوس، و لكونهم أيضا من عالم المادّه الظلمانيّ.

السادسه: أنّ كونهم منارا ملازم أو مترتب على كونهم عليهم السّلام علما، كما أشرنا إليه، و لكن هنا نقول: إنّ كلّ كمال له صله بارزه بكمال آخر يكون كلّ منهما كمالا مرتبطا، و إلا (1) كان كمالا منفردا. الحاصل أنّ كلاً من كمال المناريّه و العلميه كمال مرتبط بالنسبه إلى الآخر، و لكن بقى هنا كلام و هو أنّ المنار هو - كما قلنا - موضع النور لا النور نفسه، فينبغي أن نذكر أنّ آل البيت عليهم السّلام هم منار، و النور الساطع من المنار هو نور علمهم و عرفانهم الذي يظهر من أعمالهم الزكيه و أقوالهم الرضيّه.

السابعه: كلّ علم منصوب لا يصل به السالك إلى مقصده، و لكنّ آل البيت عليهم السّلام من حيث كونهم علما موصلا للسالك هم أعلام مرضيه، و أمّا المنار فيجب أن يوضع و يجعل في مكان عال رفيع حتّى يجد السالك برؤيته مقصده، و إلا إن جعل المنار في نقطه منخفضه كان منارا غير مرضي؛ لعدم اهتداء السالك به إلى المقصد، فالحاصل أنّ آل البيت عليهم السّلام منار مرضي في بلاد الله لكونهم شديدي النور و رفيعي المكان، كما تشهد عليه آيه النور تأويلا خصوصا في قوله سبحانه: فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ

ص: ٣٦٩

١- أي لم تكن بين كمال مع آخر صله أصلا، أو كانت هناك صله خفيّه.

«و أدلاء على صراطه»

و فيه نكات ثلاث:

الأولى: هذا آخر الشؤون الاثني عشر التي ابتدأت من «و رضيكم خلفاء في أرضه» التي كان آل البيت عليهم السّلام مرضيين لما عند الله، و هو كونهم «أدلاء على صراطه»، و قد تقدّم توضيح لفظتين «أدلاء» و «الصراط» (٢)، و هنا نقول: إنّ هذا الشأن (كونهم أدلاء) يكون من نوع الكمالات المرتبطة بهم عليهم السّلام، و يرتبط بكونهم «و أعلاما لعباده، و منارا في بلاده»، لأنّ العله التامه لوصول السالك إلى مقصده تتشكّل من العلم و المنار و الدليل، و بانتفاء أحد هذه الأجزاء الثلاثة تكون العله ناقصه غير موصله، فتيبين أنّ هذا الكمال كمال مرتبط.

الثانية: أنّ كلّ إنسان إلهي في سلوكه هو مثل سالك حسيّ سلوكه متقومّ بأمر سته:

(١) السالك

ص: ٣٧٠

١- النور: ٣٦. [١]

٢- ٢). «أدلاء» في الفصل الواحد و الثلاثين، و «الصراط» في الفصل السادس و الأربعين.

(٢)المسلوك منه(و هو مبدأ السلوك).

(٣)المسلوك به(و هو سبب السلوك).

(٤)المسلوك فيه(و هو طريق السلوك).

(٥)المسلوك إليه(و هو نهايه السلوك).

(٦)المسلوك له(و هو الغرض من السلوك).

فبانتهاء أحد هذه الستة، إما أن لا يتحقق السلوك، وإما أن لا يكون سلوكا معقولا، فضلا من عدم جميعها، مثلا مع عدم غرض السلوك لا يكون إلا التحيز.الحاصل أن آل البيت عليهم السلام هم السالكون كسائر الخلق (١)، (بل أشرف مصاديقهم) باعتبار كونهم بشرا، كما قال سبحانه مخاطبا نبيه صلى الله عليه و اله و سلم، قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ (٢) و هم عليهم السلام باعتبار كونهم أدلاء بأقوالهم و أحاديثهم الشريفة، كانوا أسباب السلوك، و باعتبار كونهم منارا لأفعالهم الحميدة و أخلاقهم التيره يكونون شرطا فى تأثير السبب (٣).

فكونهم أدلاء مشروط بكونهم منارا، و باعتبار كونهم صراطا (٤) يكونون مسلوكا فيه، و باعتبار كون معرفتهم شرطا فى كمال التوحيد و قبوله، بل ركبتهم له، يصيرون مسلوكا إليه، و باعتبار كون تبعيتهم شرطا فى صحه

ص: ٣٧١

١- . «لَا شَرِيكَ لَهٗ وَ بِذَلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»؛ (الأنعام: ١٦٣). [١]

٢-٢. الكهف: ١١٠. [٢]

٣-٣. أى الدليل لا يؤثر فى دلالته على الطريق ما لم يكن نورا.

٤-٤. كما سبق شرحه فى الفصل السادس و الأربعين.

كُلُّ عبادِه و طاعه، يكونون مسلوكا له. فتبين من ذلك كله أنهم عليهم السّلام و حدهم مقومات ستّه للسلوك إلى الله، و لا يمكن السلوك إليه سبحانه إلا من طريق المعرفة بهم و لزوم اتّباعهم و حدهم.

الثالثة: الجمع بين كونه تعالى نهايه السلوك و بين كون آل البيت عليهم السّلام كذلك (المسلوك إليه)، هو عدم الفصل بين المقصد النسبيّ للسالك (و هو علم) و مقصده الحقيقيّ؛ لشدّه القرب بين المقصدين. إذا لا منافاه بينهما لأنّ المقصد النسبيّ يكون في طول المقصد الحقيقيّ لا معارضا له، فإذا كان آل البيت عليهم السّلام في هذه الشؤون الرفيعه و المراتب الفائقه التي لا يبلغها أحد إلا هم، فلا بأس هنا بإيراد قصيده مشتمله على فصلين:

(المواعظ ٢) مدح لآل البيت عليهم السّلام

صباحك بالإكرام يا ابن الأكابر تقدّم إلى ما فيه خير و ما أرى

صباحك من بعد المساء سينقضي مساؤك من بعد الصباح لمدير

صباحك بدل العصر و العصر بدله فما بدل كلّ الحياه فأخبر

تبادل صبحيك دليل مبيّن على خالق حيّ عليم مدبر

فعمرك مثل الشمس و الشمس تغرب الا بالتقى قبل الغروب فبادر

و ذكر أخلاء الصّداق مضيه كمرّ سحاب بالسنين و أشهر

و أسرع من مرّ الشهور مضيه بمرّ الأسابيع و الأيام فانظر

ففرّ من الشيطان جنّا و إنسه و في حصن تقوى الله نفسك قرر

و قس جَنَّهُ الذات و الأفعال و الصفات بعالمك البالى الشتيت العناصر (١)

و لا تشتغل فى غير علم بساعه و لا تجعلن العلم من غير مثمر

و هاجر من النفس إلى الله كى تفر بما شئت من نيل المقام المهاجر

و لا تنس ذكر الله فى كل لحظه و أنعمه أشكر لا تكونن بكافر

و قلبك خل من محبه كل ما سوى الله يا ذا اللب يا ذا التفكر

و لو أننى شئت لزدتك فأتعظ بموعظه من مذنب بش شاعر

تمسك بحب المصطفى و ابن عمه و آلها ينجيك من خزي محشر

و عادى لمن عاداهم و ادر أنها يكافيك رضوانا من الله الأكبر

فإن كانت الأعمار غير قصيره بحبهم طوبى لكل معمر

فحبهم لب الديانه يا أخى و ذلك أصل كان فوق التواتر

و حبهم شمس مضيئه فى السما و بغضهم حزا كبحر مسجر

و حبهم فى الرفع مثل الشوامخ و بغضهم خفضا كقبر مبعر

مكارمهم لا تحتويها عقولنا مناقبهم لا تحتوى فى الدفاتر

وسائط فيض الله نعم الوسائط جواهر أفراد لنعم الجواهر (٢)

مجالى صفات الله جل جلاله مظاهر الأسماء أتم المظاهر

ص: ٣٧٣

١- هذه درجات ثلاث من الجنه التى أعلاها جنه الذات و أدناها جنه الأفعال حسب تقسيم العرفاء.

٢- ٢). الجواهر الأفراد كالعناصر الأولى، و هى أجزاء صغار لا تتجزى لصغرها على ما قال به المتكلمون و أنكرته الحكماء، و هى أجزاء لكيان العالم المادى، فالحاصل يكون آل البيت عليهم السلام فى كونهم أصولا من جهه المعنى، كجواهر الأفراد من جهه الماده.

عقولهم عقل العقول جميعها نفوسهم ألواح ثبت مقدر
و لولاهم لم يخلق الله عالما و في كل صعب مثل جند مظفر
هم الذكر و البرهان و النور و الهدى و هم غايه المعنى و كل مصور
و قرآن مفهوم و علم و هم له كمصداق عيني و خير مفسر
و لا تك من أشياعهم كاذبا لهم فإنهم لا يخذعون بفاجر
و إن كنت شيعيا فدم ثابتا عليه و إلا فكن مستبصرا كالزوخشى
تذكرت هذا ثم أنشدت هذه بدار تقى من عالم فى ملاير (١)
على هو اسمى و النظامى تخلصى لعلك تستغفر لى الله أغفر

٨١

«عصمكم الله من الزلزل، و آمنكم من الفتن،

و طهركم من الدنس، و أذهب عنكم الرجس أهل البيت

و طهركم تطهيرا»

و فيه ثلاث نكات:

الأولى: هذه مره ثانيه يشهد الزائر على عصمه آل البيت عليهم السلام، و يذكر معها متعلقات عصمتهم مع ذكر دليل على ذلك
بعد أن شهد بأنهم معصومون إجمالا فى الفصل الثانى و الخمسين.

ص: ٣٧٤

١- .ملاير: اسم مدينه بمحافظه همدان.

الثانية: يلزم توضيح هذه المفردات من هذه الفقره:

(١) العاصم؛ المراد من العاصم هو الله تعالى و ليس عاصم غيره، كما قال سبحانه: **وَ اللَّهُ يَعْصِي مُمْكٌ مِنَ النَّاسِ (١)**، و ترى الزائر يصرّح على ذلك «عصمكم الله من الزلزل». و أما نفى العاصم غير الله فهو كقوله سبحانه حاكيا عن ابن نوح: **قَالَ سَأْوَى إِلِي جَبَلٍ يَعْصِي مُمْنِي مِنَ الْمَاءِ (٢)**، (فأجابه نوح): **قَالَ لَا - عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ (٣)**؛ لأنّ ماهيّة العصمه و إن كانت متوقّفه على أسباب طبيعّيه (بل هي تتشكّل منها على فرض وجودها) لا يمكن أن تكون إلّا من الله سبحانه.

(٢) كيفيّة العصمه؛ و قد تقدّم في ما سبق من بحث العصمه أنّ للعصمه ثلاثه تفاسير:

ألف) تجلّى الله و ظهوره بأسمائه الحسنى و صفاته العليا في المعصوم، و حضور المعصوم حضورا تاما لدى الله.

ب) كون المعصوم في أشدّ مراتب الوجود الإمكانى و شدّه الوجود، و تأكّده يقتضى بعد صاحبها عن العدميات مع أنّ المعصيه عدميّة.

ج) الملكة العلميه النفسانيه التي جعلها الله في المعصوم تنافى صدور

ص: ٣٧٥

١- المائده: ٦٧. [١]

٢- ٢. هود: ٤٣. [٢]

٣- ٣. هود: ٤٣. [٣]

أَيّ ذنب منه.

و يمكن الجمع بين هذه المعاني الثلاثة للعصمه، لأنه بظهور أسماء الله و صفاته في المعصوم ظهوراً تاماً يعلم تأكيد وجوده و شدته، لأنه لو لم يكن وجوده أشدّ و أكد لم تظهر صفات الله و أسماؤه فيه على هذه المرتبه التامه، و هذان الأمران: أمر الظهور و شدّه الوجود، يوجبان حصول الملكة المذكوره فيه، فتبين كمال التوفيق و عدم المنافاه بين هذه المعاني.

٣) أمّا المعصوم منه، فهو عبارته عن الزلل في القول و الرأي و العمل، و الزلل مع موارد الثلاثة يعمّ الدنس و الفتنه و الرجس؛ و الزلل أقلّ مراتب الباطل و أضعفها، فإذا كان المعصوم قد عصمه الله من أضعف المراتب الباطله كان معصوماً من أقوى مراتبها (الذنب) بطريق أولى، لعدم مقتضى (١) المعصيه فيه، فإذا لم يكن المقتضى لا يكون المقتضى، إذا لا يكون فيه أثر المعصيه و هي الدنس، و هذا معنى تطهير الله إياهم من الدنس.

٤) أمّا المعصومون فهم أصحاب الكساء، خمسه خاصه، كما يستفاد من الآيات: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ**

ص: ٣٧٦

١- لأنّ ما يوجب التخلف عن أوامر الله و البعد عنه سبحانه أمران: الأول: المقتضى و هو كدر ذاتي معبر عنه بالرجس. الثاني: كدر عارضيّ حاصل من سوء الأفعال، و هو ما يعبر عنه بالدنس؛ فتبين عدم هذين الموجبين للمعصيه في المعصوم؛ لما تقدّم من ظهور أسماء الله فيه و حضوره لدى الله مع سعه وجوده و شدته و حصول ملكه علميه فيه.

تَطْهِيراً (١)، و لا يشاركهم فيها غيرهم إلا الباقون من الأئمة من عليّ بن الحسين زين العابدين إلى الإمام الثاني عشر، الذين نصّ على عصمتهم من قبل أصحاب الكساء و لا سيّما رسول الله صلّى الله عليه و اله.

(٥) قوّه العصمه، إنّ العصمه مشكّكه بالشّدّه و الضعف، فجميع الأنبياء معصومون أيضا، و لكنّ عصمتهم لا تبلغ إلى ما بلغه آل البيت عليهم السّلام من القوّه و الشّدّه، و لهذا خصّصهم الله بها، و الدليل على كونهم في الرتبة العليا من العصمه، أوّلا: فعل (أخصّ) المقدّر الذي نسب به الأهل في الآية. و ثانيا: تنوين التنكير في «تطهيرا» الدّال على فخامتهم في الطهاره التي ليس هناك أكمل منها.

(٦) متعلّقات العصمه، العصمه تتعلّق بعدم إمكان صدور الذنب عمدا أو سهوا من صغير أو كبير، بدليل قوله سبحانه: ما ضلّ صاحبككم و ما غوى* و ما ينطق عن الهوى (٢)، فتشمل هذه الآيات الأئمة أيضا لأنهم أوصياء رسول الله عليهم السّلام بعده، و كلّ واحد منهم نفسه على البدليه.

الثالثه: في إثبات العصمه، ثبت العصمه بالأدله العقلية أوّلا، و الدلائل النقلية ثانيا (٣).

ص: ٣٧٧

١- .توجب القاعده إعراب الأهل جزّا، لكونه بدلا من ضمير «كم» و لكنّه منصوب و نصبه إنّما يكون بفعل مقدّر (أخصّ)، فبتبين أنّ العصمه [١] خاصّه لآل البيت عليهم السّلام.

٢-٢. النجم: ٢، ٣. [٢]

٣-٣. لعلنا قد أشرنا إلى تقدّم الأدله العقلية على النقلية في العقائد، و في الشرعيّات عكس ذلك.

ألف) أمّا الأدلّة العقليّة المذكوره هنا فهي كالتالي (1):

(1) لو لم يكن الإمام (أو النبي) معصوما لا يحصل الوثوق بقوله و فعله و تقريره، فتنفى إذا فائده بعثه و نصبه؛ لجواز صدور الذنب أو الخطأ أو السهو منه، و مثل هذا البعث و النصب لا يفعله الحكيم.

(2) لو صدر خلاف العصمه من إمام (أو نبي) لوجب علينا اتّباعه؛ لكونه نبيا أو إماما، و لا يجب (بل يحرم) في نفس الوقت لأنه عاص، و هذا جمع النقيضين في التكليف، و يوجب تحيّر المكلف، و داع إلى اللغو في فعل المكلف.

(3) مع عدم العصمه في الإمام (أو النبي) و جواز صدور الذنب منه يجب على الأمه نهيه عن المنكر، و هذا إيذاء له و هو حرام، كما قال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (2)، أو سقوط النهي عن الوجوب و هو محال و الناهي يكون مثابا لنهيه و ملعونا بإيذائه عليه السلام و هو غير ممكن لأنه جمع بين النقيضين.

(4) يسقط الإمام (أو النبي) عن القلوب، و لا ينقاد الناس له لو لم يكن معصوما، مع أنّ الفرض هو إقبال القلوب مشتاقه إليه مفديه له.

ص: 378

1- ترى أنّ بعض هذه الدلائل كلاميا و بعضها فلسفيا.

2- 2. الأحزاب: 57. [1]

(٥) إنّ الإمام (أو النبي) لو لم يكن معصوماً لكان بصدور ذنب منه من الأراذل، بل كانت رذيلته مضاعفه بالنسبه إلى غيره من عوأم الأئمه لكون الذنب منه أقبح.

(٦) أنّ الإمام (أو النبي) الغير معصوم يعاقب بذنبه، ولا يمكن له أن يتوقّع عدم العقوبه و التوبيخ لسائر آحاد الأئمه.

(٧) لو لم يكن معصوماً لكان يحتاج إلى إمام أو نبيّ ليهديه و يرشده، فينتهي الأمر إمّا إلى معصوم أو إلى عدم النبوه أو الإمامه في الأنبياء أو الأئمه الغير معصومين و هما محالان.

(٨) أنّ الإمام (أو النبي) بعصمته من أجلّ مصاديق اللطف الذي يجب على الله في حقّ العباد، وإلاّ لا يكون مقرباً إلى الطاعه أو مبعّداً عن المعصيه، بل قد يكون الأمر فيه عكس ذلك، فيكون جعله خلافاً لحكمه الله البالغه، و هو محال.

(٩) لا- يمكن حفظ الشرع من الزيادة و النقصان و التغيير و التحريف إلاّ بعصمه الإمام، وإلاّ لكان الله مؤاخذاً لأصل التشريع أو فوّضه إلى غير المعصوم و قد كان عالماً بعجزه عن الحفظ.

(١٠) أنّ العصمه النسبيّه التحصيليّه لكلّ عادل تقى تكون عرضيّه، ولا بدّ أن ينتهي كلّ عرضيّ إلى ذاتي (حسب القاعده الحكميّه)، فيجب أن يكون الإمام معصوماً حتّى يكون منشأً ذاتياً للعصمه العرضيّه، و لا يمكن أن

تكون العصمة الذاتية عصمه الله لعدم المناسبه بين الواجب و الممكن، فتجب عصمه الإمام.

(١١) مع عدم العصمة فى الإمام (أو النبى) تلزم لغويته فى التكوين، لأنّ كمال العالم يحصل بكمال ذوى العقول، و هم لا يكملون إلاّ إذا كانوا متّصلين بالمعصوم و الممتثلين لما يطلب المعصوم منهم، و إلاّ لا ينالون كمالهم اللائق بهم، و بتبع عدم نيلهم إليه لا ينال العالم الى كماله اللائق؛ لأنّ ذوى العقول أشراف العالم.

(١٢) أنّ النبوه (و بعدها الإمامه) استمرار لولاية الله التشريعيه أو مجراها، فلو لم يكن الإمام (أو النبى) معصوما لزم التباين الكلى بين ولايه الله سبحانه و بين مجراها جوهرًا و مقصدا. أمّا جوهرًا فلكون ولايه الله الجاربه فى النبوه أو الإمامه هى محو الطاغوت و إزهاق الباطل، مع أنّ الغرض الحاصل من ولايه غير المعصوم يكون عكس ذلك.

(١٣) أنّ بين نظامى التكوين و التشريع موافقات موجوده، و من الموافقات وجود العصمه و عدم التخلف و التخطى المندرج تحت اصول كليته حاكمه فى نظام التكوين، فإذا كان الإمام (أو النبى) معصوما وجد التوفيق بين النظامين؛ لكون الإمام (أو النبى) فى نظام التشريع كالأصول الثابته فى التكوين، و إلاّ لتخالفا، و حيث يمتنع هذا التخالف تجب عصمه النبى و الإمام، و هو المطلوب.

١٤) أنّ نصب إمام و بعث نبيّ معصوما كان مقدورا لله تعالى، و هما (البعث و النصب) خاليان عن المفسده، بل يترتب عليهما أتمّ المصالح، فلو لم يفعل الله ذلك لكان مخالاً بالواجب و مغرباً عباده بالقبيح، و لكان ناقضاً لغرض نفسه (و هو تقريبهم إليه) بيخله عن نصب إمام (و بعث نبيّ) معصوم، فحيث إنّ هذه التوالى كلّها ممتنع عليه سبحانه، يكون الإمام (أو النبيّ) من قبله معصوما، و هو المطلوب.

١٥) أنّ المعاد و فروعه كالحساب و الثواب و العقاب و الوعد و الوعيد و الجنّه و النار، أمور لا- تعقل إلا- ببلوغ التكليف إلى المكلفين صحيحه، و هذا لا يمكن مع عدم العصمه الذاتيه في مبلغها و حافظها و إلا لبطل أصل المعاد و فروعه المذكوره، أو لكان جميع ذلك لغوا، فيجب أن يكونا (النبيّ و الإمام) معصومين.

١٦) يصف القرآن نفسه بكونه هاديا إلى التي هي أقوم، و مخرج الناس من الظلمات إلى النور، و غير ذلك من الأوصاف، فهذا إنّما يصدق في عصمه الآتي به (النبيّ) و مفسره (الإمام)، و إلا يكون كاذبا في هذه الأوصاف (نعوذ بالله و نستجير به).

١٧) لما سأل إبراهيم الخليل عليه السلام الإمامه لذريّته (١) اجيب بعدم نيل عهد الإمامه للظالمين، و لا شكّ في كون غير المعصوم ظلما إما عمدا و إما

ص: ٣٨١

١- . و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال و من ذريّتي قال لا- ينال عهدى الظالمين (البقره: ١٢٤). [١]

سهوا، فلا بد أن ينال عهد الإمامه معصوما، وهكذا في أمره تعالى بطاعه أولى الأمر (١) وأمره بالكون مع الصادقين، فلو لم يكن معصوما لم يأمر الله عباده بطاعته و الكون معه (٢)، ولو أمر لكان لغوا أو إغراء بالقبيح (٣).

ب) و أمّا دلائل النقليه على المراد فهي كما يلي:

ص: ٣٨٢

١- «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (النساء: ٥٩). [١]

٢-٢. «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» (التوبه: ١١٩). [٢]

٣-٣. ترى هذه الدلائل و كذا الدلائل الآتية من النقل، مطلقه في إثبات العصمه للإمام (أو للنبي) و الإطلاق يعم الماضي و الحال و المستقبل، مضافا إلى أنه لو لم يكن معصوما في سابق عمره ثم صار معصوما بعد نصبه (أو بعثه)، لكانت خطايا و معاصيه السابقيه معهوده في أذهان الناس، و الناس لا- ينقادون إليه كمال الانقياد، و هو ظاهر، فالحاصل أنهما معصومان من أول عمرهما الشريف إلى آخره. و هكذا إطلاق هذه الدلائل يقتضى تنزه النبي و الإمام عن السهو و الخطأ و النسيان، و من كل نقصان في جسمه أو نسبه أو معاملته بين الناس الذي يوجب انحطاطه، كما تعتقد به الإماميه الاثنا عشرية. أمّا نواقض العصمه من القرآن و الحديث التي توهم صدور الذنب أو الخطأ (ممن و جبت عصمته) فهي لا- تنقض الدلائل المثبتة، و لا- تنتفي بها العصمه، بل النواقض هي موجهه و قابله للجمع بينها و بين المثبتات، لأنّ المثبتات أقوى و لا- يمكن للنواقض الضعيفه أن تعارض الأقوى، مضافا إلى تقدّم الدلائل العقلية على النقلية في اصول العقائد، و الدليل على لزوم توجيه النواقض هو عدم إمكان العمل بهما معا و عدم إمكان تركهما و امتناع تقدّم النقل على العقل، فيبقى الأمر الرابع و هو الاعتقاد بمقتضى العقل و النقل المثبتين، و توجيه الناقض من النقل، هذا إذا كان الناقض معتبرا و إن كان غير معتبر إماما أن يبقى مسكوتا عنه أو يردّ. أمّا توجيه النواقض على نحو كليّ (لا الشخصي الذي فعله السيد المرتضى قدس سرّه في كتابه الموسوم ب«تنزيه الأنبياء عليهم السلام») فهو كما يلي: لا ينبغي لنا على كلّ ما نرى في بادئ الأمر ناقضا للعصمه، لعدم إحاطتنا بمراد المعصوم في قوله و فعله الناقض للعصمه ابتداء، مضافا إلى عدم إحاطتنا بمفاهيم اللغات الواسعه مع أنّ أقوال المعصوم و أفعاله تنقسم إلى محكم و متشابه، كآيات القرآنيه، فربّما نصادف تشابها في أفعاله أو أقواله فنجيبه ناقضا للعصمه قبل أن نردّه إلى محكمه.

فى خبر الأعمش عن الإمام الصادق عليه السلام: «الأنبياء و أوصياؤهم لا ذنوب لهم؛ لأنهم معصومون مطهرون» (١).

و عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و اله يقول: «أنا و على و الحسن و الحسين، و تسعه من ولد الحسين، مطهرون معصومون» (٢).

و عن أمير المؤمنين قال: «إن الله طهرنا و عصمنا، و جعلنا شهداء على خلقه و حجته فى أرضه، و جعلنا مع القرآن و جعل القرآن معنا، لا نفارقه و لا يفارقنا» (٣).

و عن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: «قال على بن أبى طالب عليه السلام: «إن الله عزّ و جلّ فضلنا أهل البيت، و كيف لا- يكون كذلك و الله عزّ و جلّ يقول فى كتابه: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٤) فقد طهرنا الله من الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، فنحن على منهاج الحق» (٥).

ص: ٢٨٣

١- الخصال ٦٠٨- أبواب المائة فما فوقه/ ح ٩.

٢- ٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦٤/ ح ٣٠- الباب ٦. [١]

٣- ٣. منهاج البراعة، للميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ١٩٨: ٥.

٤- ٤. الأحزاب: ٣٣. [٢]

٥- ٥. تأويل الآيات الظاهرة، للأسترابادي النجفي- ذيل الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب. [٣] أضف إلى ذلك كله أنّ الدلائل الملوّحة بالعصمه لا- تحصي كثره، و يوجد كثير منها فى هذه الزيارة الشريفه، و نحن لم نذكر منها شيئاً و إنّما ذكرنا المصرّحات، فلو صادفنا ناقض من المعصوم كاعترافه بالذنب لزمنا التتبع عن معارضه.

«عظمتتم جلاله»

و فيه أربع نكات:

الأولى: قد قسّمنا (في ما تقدّم) كمالات آل البيت عليهم السّلام إلى ثلاثة أقسام: ذاتية، و فعلية، و خارجية. و في الغالب تذكر الكمالات الذاتية لهم، و قليلا ما يوجد من الكمالات الفعلية، و ما يوجد كان راجعا إلى الذاتيات أيضا، فيكون جميع ما يذكر هنا من كمالاتهم الفعلية، و معلوم أنّ الفعليات متفرّعه على الذاتيات، و هذا كلّه يستفاد من كون الفاء حرف تفرّيع.

الثانية: إضافة الجلال إلى ضمير غائب لم يذكر مرجعه الظاهر، فمرجع الضمير هو الله؛ لوجهين:

الأول: القرينه المقاليه موجوده هنا في ما سبق عليها كأن قيل: «إنكم عظمتتم جلال الله الذي عصمكم من الزلزل».

الثاني: لا جليل في الوجود سوى الله تعالى، كما قال سبحانه: تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (١).

الثالثة: معنى الجلال؛ يجب رجوع جميع المعاني اللغويّه للجلال إلى معنى جامع، و المعنى الجامع له هو ما يندفع الرائي عن القرب إليه

ص: ٣٨٤

و يدهش و يهاب من رؤيته، و يجد نفسه مرعوبه من أن يقرب إليه، كبناء مجلّل و امرأه مجلّله و غيرهما، فإذا قلنا بأنّ الله جليل كان معناه أنّ الممكن يندفع عن القرب إلى الواجب؛ لحقارته و عجزه عن إدراك كنهه تعالى ذاتا و صفات غير متناهيه، بحيث لولا جذب جماله سبحانه الممكن إليه لبقى في وادي العدم أبد الآباد و لم يوجد قطّ، و نحن واقعون في الرتبة الثالثه (و هي أنزل المراتب) من العجز عن إدراك ذاته و صفاته الذاتيه سبحانه، و هي مرتبه المادّيّه، و فوقها مرتبه المجرّدات و فوقها مرتبه الإمكان، فكيف لا نكون مقهورين لجلاله و مندفعين عن القرب إلى حريم قدسه كما قال تعالى: قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (١).

الرابعه: أنّ تعظيم آل البيت عليهم السّلام لجلاله سبحانه مبنيّ على المعرفه بأمرين، و هما: العزّ الربوبيّ، و الذلّ العبوديّ؛ فبالأولى لا يرون ما سواه تعالى حتّى أنفسهم الشريفه، و يرون كلّ ما سواه حقيرا لا قدر له، فبهذا يكون التعظيم و رؤيتهم إياه سبحانه جليلا و غيره حقيرا أمرين قهريّين، فهذا التعظيم التامّ (المبنتى على عرفانين تامّين) يعمّ قوليّا و فعليّا، الفعليّ منه هو ما يظهر في دموعهم الغزيره و سجداً الطويله و كونهم متهيّين في ساعات مناجاتهم متغيّري الألوان عند سماع الأذان و ورودهم المسجد و غير ذلك، و أمّا من تعظيمهم القوليّ فكما يلي:

ص: ٣٨٥

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَخَاطِبًا رَبَّهُ سُبْحَانَهُ: «لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسَكَ» (١).

وقال الإمام عليّ عليه السّلام: «الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادّون، ولا يؤدّي حقّه المجتهدون» (٢).

وقال عليه السّلام أيضا: «...الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود» (٣).

وقال الإمام عليّ بن الحسين سيّد الساجدين عليه السّلام: «...الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين» (٤).

٨٣

«وأكبرتم شأنه»

وفيه أربع نكات:

الأولى: الفرع الثاني من فروع العصمة هو إكبار شأنه سبحانه، والسرّ في تعبيره عليه السّلام بالإكبار دون التكبير هو وجدان شأنه كبيرا كما قال سبحانه:

ص: ٣٨٦

١- مصباح الشريعة ٥٥-الباب الرابع والعشرون في الذكر. [١]

٢-٢. نهج البلاغة: الخطبة الأولى. [٢]

٣-٣. نهج البلاغة، الخطبة الأولى. [٣]

٤-٤. الصحيفه السجاديّه. الكامله: الدعاء الأوّل في التّحميد و الثناء على الله عزّ و جلّ.

فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ (١)، وجدنه كبيرا في الحسن و الجمال، فيكون معنى فقره الشريفه أنكم وجدتم شأنه تعالى كبيرا، فهذا يعلم أن تكبيره تعالى (من أي مكبر عارف) متأخر عن الإكبار.

الثانيه: سرّ تفرّع تعظيم الجلال و إكبار الشأن (و الفقرات الآتية) على العصمه، هو أنّ غير المعصوم لا يمكن خلّوه من أدنى مراتب الشرك، فلهذا لا يمكن صدور كلّ من التعظيم و الإكبار عنه على معناه التامّ الكامل؛ لوجود المنافاه بين الشرك في أيّ رتبه منه و بين العصمه على أيّ من التفاسير الثلاثه لها.

الثالثه: الفرق بين الكبر و العظمه:

الكبر و العظمه يستعملان في الحقائق الجسميه و العيئيه الغير جسميه، و الفرق بينهما في الأوّل (في حقائق الجسميه) هو أنّ استعمال الكبر يكون في مطلق الأجسام، و العظمه في كبر العظم، و في الثاني (في الحقائق العيئيه غير الجسميه) و هو ما في الفقرتين (عظمت جلاله، و أكبرتم شأنه)؛ لأنّ الله متنزه عن الجسميه و لوازمها، مع أنّه سبحانه حقيقه عيئيه و هو محقّق الحقائق.

و الفرق بين الشأن و الجلال هو أنّ المراد من الشأن هو أمر الألوهيه التي لا تتعلّق بشيء سوى ذاته سبحانه. و الحاصل أنكم (آل البيت عليهم السلام)

ص: ٣٨٧

إذا عرفتم الله كما هو هو، ونزّهتموه عن الحدود الإمكانية و الصفات الممكنات، ولم تعرفوه كما تعرف الممكنات، فهذا هو إكبار الشأن. أمّا الجلال فهو ما له متعلّق سوى ذاته المتعالية، أى السلطنة الواسعة الباسطة على جميع الممكنات المندفعه المقهوره، فيكون معنى تعظيم الجلال هو أنكم عرفتم الله بأنّه علّه الوجود و البقاء و الكمال و الزوال للممكنات وصله بعضها ببعض، و كذا علّه التفاعل بينهما، و له الحكومه و السلطنة المطلقة عليها، فهذا هو المراد من تعظيم الجلال، كما نسب إلى الإمام عليّ عليه السلام لقوله:

إعتصام الورى بمغفرتك عجز الواصفون عن صفتك

تب علينا فإننا بشر ما عرفناك حقّ معرفتك

الرابعه: الفرق بين الإكبار و التعظيم:

يستفاد من تأخر ذكر الإكبار للشأن عن التعظيم للجلال، أنّ التعظيم يحصل للعارف و هو مندفع بالجلال، و لكنّ الإكبار حاصل من انجذابه بسبب الجمال، فيقع العارف بين الجذب و الدفع، و هذا من ألدّ اللذات للعارفين؛ لغبه الانجذاب على الاندفاع (لكون الجمال من شؤون الرحمه السابقه على الغضب)؛ و لهذا قال النبيّ صلّى الله عليه و اله: «اللهم زدنى فيك تحيراً» (1).

ص: ٣٨٨

١- شرح الزياره للأحسائيّ، ذيل عباره «و أكبرتم شأنه»؛ و إن سئل عن وجه تقدّم الجلال على الشأن، نجيب عنه بأنّ فى التوحيد الكامل يتقدّم النفى على الإثبات، و التخليه على التحليه، كما فى كلمه الإخلاص «لا إله إلاّ الله» و إلاّ لم يكن التوحيد كاملاً.

«و مجّدتهم كرمه»

و فيه نكتتان:

الأولى: هذا فرع ثالث من فروع العصمه لآل البيت عليهم السّلام توجب تمجيدهم كرمه تعالى بعد تعظيمه للجلال و إكبارهم للشأن. أمّا معنى الكرم فقد تقدّم فى ما مضى (١)، و المراد به هنا هو الجمال، بقريته ذكر الجلال آنفا، كما قال تعالى: وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (٢)، تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (٣).

قال فى (الشموس الطالعه) فى معنى المجد: «حقيقه المجد عباره عن كون الشىء بحيث لا يمكن توصيفه لرفعته، فكلّ ما يوصف به، يكون هو أرفع و أعلى منه».

و معنى كون كرمه تعالى مجيدا هو أنّ وصفه كما هو حقّه غير ممكن للممكن؛ و تمجيد آل البيت عليهم السّلام كرمه هو إظهارهم العجز عن وصف جماله، و إقرارهم بأنّ ارتفاع جماله فوق وصفهم، و هذا التمجيد لا يحصل لتعظيمهم للجلال، لأنّه حاله الاندفاع؛ و معلوم أنّ تمجيد الكرم

ص: ٣٨٩

١- فى الفصل الثامن «و أصول الكرم».

٢- ٢. الرحمن: ٢٧. [١]

٣- ٣. الرحمن: ٧٨. [٢]

و الجمال إنما يحصل بالانجذاب للجمال و قرب الرائي من المرئى، كما سئل الإمام علي عليه السلام: «هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال: ما كنت أعبد رباً لم أره» (١).

الثانيه: تمجيد كرم الله على معناه الكامل لا- يمكن من غير المعصوم (كتمجيد الحكماء و العرفاء)، إلا- بتعلم منه، و مع ذلك فتمجيده يحاذى و يساوى تمجيد المعصوم فى القول و الفعل، و لكن لا يبلغ إلى تمجيد المعصوم فى معرفه.

٨٥

«و أدمتكم ذكره» (٢) [١]

و فيه نكات خمس:

الأولى: هذا فرع آخر ممّا يتفرّع على العصمه فى هذا الباب، و هو إدمان الذّكر الذى يشهد الزائر عليه فى آل البيت عليهم السلام. و الإدمان و الإدامه متقاربا المعنى، و تفرّعه على العصمه ظاهر؛ لأنّ الغفله و النسيان منافيان للعصمه، و لا سيّما إذا كانت العصمه عصمه كبرى و هى تلازم إدامه ذكر المعصوم إياه سبحانه.

الثانيه: أنّ الاستدامه لذكر الله من أفاضل العبادات، بل هى أفضل

ص: ٣٩٠

١- التوحيد للصدوق / ١٠٩ ح ٦- الباب ٨- ما جاء فى الرؤيه.

٢- ٢). و فى بعض النسخ جاء «أدمتم» بدل «أدمتكم».

عباده، كما قال الإمام الصادق عليه السّلام: «أفضل العبادة إدمان التّفكّر في الله و في قدرته» (١)، لا يقال بأنّ هذا الخير لا يكون شاهداً على المراد، لأننا نقول لا- يمكن التفريق بين التّفكّر و التذكّر إلا- في المفهوم، نعم يمكن أن تكون نسبه بينهما هي نسبه العموم و الخصوص مطلقاً، أي يعمّ التّفكّر التذكّر، و إن لم يكن كلّ ذكر فكراً، و مع ذلك يمكن الاستشهاد بخبر آخر عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ و جلّ: اتّقوا الله حقّ تقاّته، قال: يطاع فلا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر» (٢)، و كما قال تعالى واصفاً أولى الألباب: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ (٣).

الثالث: إدمان الذكر ملازم لحصول آثاره الكثيره للذاكر قطعاً.

الأول: أن يكون مدمن الذكر من جمله أولى الألباب، كما أشرنا إليه.

الثاني: يكون مذكوراً لله تعالى، كما قال سبحانه: فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ (٤).

الثالث: حصول الفلاح لمدمن الذكر، قال تعالى: وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا

ص: ٣٩١

١- السيد مهدي العلوي، الأربعين الهاشمية، ص ٢١٢، الحديث ٢٣.

٢-٢. بحار الأنوار ٢٩١: ٧٠-٢٩٢/ ح ٣١- [١] عن: معاني الأخبار للصدوق ٢٤٠.

٣-٣. آل عمران: ١٩١. [٢]

٤-٤. البقرة: ١٥٢. [٣]

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ (١). فحيث إنّ آل البيت عليهم السّلام أدمنوا ذكره تعالى مع أنّهم أعرف بالممكنات بالمذكور و شأن الذكر و آثاره و مرتبه الذاكرين، فكان حصول آثار الذكر لهم عليهم السّلام أكمل ممّا يحصل لغيرهم؛ لأنّ مرتبتهم هي المرتبه الجامعيّه (٢)، و لهذا يمكن لهم ذكر جميع كمالاته سبحانه بمرّه واحده بلا غفله عن أىّ كمال، لسعه نفوسهم الشريفة، و لا يمكن ذلك لغيرهم، لأنّ غيرهم إن كان ذاكرا للجمال يكون غافلا عن الجلال مثلا.

الرابعه: أنّ للذكر مقومين يتقوم بهما، و هما: الذاكر و المذكور (٣)، و لكلّ منهما شرائط، حتّى يكون الذاكر ذاكرا حقيقه و المذكور مذكورا حقا. أمّا شرائط الذاكر فهي ثلاثه:

الأول: أن تكون نفسه واسعه.

الثاني: أن تكون صافيه.

الثالث: كونها مشتاقه ولعه بالمذكور.

فكلّما كان الذاكر أصفى و أوسع نفسا و أشدّ اشتياقا إلى المذكور،

ص: ٣٩٢

١- الأنفال: ٤٥. [١]

٢- ٢). و لا ينافى توجّه المعصوم إلى غير الله دوام ذكره لله؛ لأنّه يرى جميع الأشياء مظاهر له سبحانه، و يرى في كلّ شيء؛ ظهور كمالاته تعالى، بل يرى كلّ ما سواه مرآه لأسمائه و أوصافه تعالى، فإذا لا يمكن للمعصوم وقوع أدنى غفله في أقصر لحظه عن الذكر.

٣- ٣). المراد من الذكر هو الذكر الحقيقيّ الواقع في القلب، و الذكر في اللسان آله له و كاشف عنه و موجب لتعمّق الذاكر في ذكره.

و كَلِّمَا كَانَ غَيْرَ الْمَذْكُورِ أَحْقَرَ عِنْدَهُ، كَانَ ذَكَرَهُ أَكْمَلَ.

و أَمَّا شُرَائِطُ الْمَذْكُورِ فَهِيَ اثْنَانِ:

الأوَّل: شِدَّةُ الْوُجُودِ وَ تَأَكُّدُهُ، الثَّانِي: شِدَّةُ الْجَمَالِ وَ قُوَّتُهُ.

فَكَلِّمَا كَانَ الْمَذْكُورُ أَظْهَرَ وَجُودًا وَ أَنْوَرَ كَمَالًا وَ جَمَالًا كَانَتْ جَاذِبِيَّتُهُ لِلذَّاكِرِ أَشَدَّ، فَيَكُونُ الذِّكْرُ إِذَا أَخْلَصَ وَ أَعْمَقَ، وَ يَكُونُ الذَّاكِرُ عَنِ غَيْرِ الْمَذْكُورِ أَغْفَلَ وَ أَنْسَى، لِحِقَارِهِ غَيْرَ الْمَذْكُورِ عِنْدَ الذَّاكِرِ أَشَدَّ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عَظَمَ الْخَالِقُ عِنْدَكَ يَصْغُرُ الْمَخْلُوقُ فِي عَيْنِكَ» (١)، وَ قَالَ أَيضًا فِي وَصْفِ الْمُتَّقِينَ: «عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ» (٢).

الخامسة: أَنَّ فِي هَذِهِ الْفَقْرَةَ الشَّرِيفَةَ وَ فَقْرَهُ «وَ أَهْلَ الذِّكْرِ» (٣) إِشَارَتَانِ:

فالأولى: إِشَارَةٌ إِلَى كَمِّيَّةِ ذِكْرِهِمْ، وَ فِي الثَّانِيَةِ: إِيمَاءٌ إِلَى كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِمْ.

وَ الْحَاصِلُ أَنَّ آلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اسْتَجْمَعُوا جَمِيعَ شُرَائِطِ الذِّكْرِ وَ الذَّاكِرِ الْحَقِيقِيِّينَ (كَمَا أَنَّ الْمَذْكُورَ سَبْحَانَهُ جَامِعٌ لِلشَّرْطَيْنِ لِلْمَذْكُورِ، وَ هُوَ ظَاهِرٌ).

ص: ٣٩٣

١- نهج البلاغه: الحكمه ١٢٤. [١]

٢- ٢. نهج البلاغه: الخطبه ١٨٤. [٢]

٣- ٣. في الفصل الأربعين.

«و وكدتم ميثاقه، و أحكمتم عقد طاعته»

و فيه نكات خمس:

الأولى: يذكر هنا فرعان كماليان ممّا يتفرّع على العصمه، و هما: توكيد الميثاق، و إحكام عقد الطاعه لله. و التوكيد هو التأكيد، و المراد منه التشديد و الميثاق، و هو أمر ينعقد بين اثنين، يقال له الميثاق لعدم انقطاعه، و للوثوق و الاطمئنان به، و هو متقارب المعنى مع الإحكام، و معنى الإطاعه ظاهر، و الفرق بينهما هو أنّ توكيد الميثاق يكون فى باب الاعتقاد، و إحكام أمر الطاعه فى باب العمل.

الثانية: هذان الكمالان أيضا ليسا ممّا اختصّ به المعصوم عليه السلام بل يعمله و جميع الصالحين أيضا، و لكن ما يخصّ به المعصوم هو رتبهما الكامله التى لا يشاركه فيها أحد لما ذكرنا مرارا من أنّ نفس غير المعصوم ضيقه كدره، و معرفته ضعيفه خليطه بالشرك، و غير المعصوم مع ذلك يعرض عليه الخطأ و السهو و النسيان و غير ذلك من النقائص. فلو لم يشارك غيره معه فى مثل هذين من الكمال لبطلت الصله و الربط بين الإمام و مأمومه، و بين الهادى و من يهتدى به.

الثالثه: المراد من الميثاق المؤكّد هو الميثاق الذى لم يبق فى مرحله العقد فقط، بل يكون بالغاً إلى حدّ الفعل، و المقصود منه هنا التوحيد

ص: ٣٩٤

الكامل الذى يلازم النبوه والولاية أيضا، أخذ الله عهده من جميع بنى آدم (بعد ما أخذه من أبيهم عليه السلام) ومنهم آل البيت عليهم السلام قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا (١)، وقال الإمام الصادق عليه السلام فى ذيل هذه: «إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّاسِ لِلَّهِ بِالرَّبُّوبِيَّةِ، وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنَّبُوَّةِ، وَوَلِيِّهِ بِالْإِمَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّكُمْ وَعَلِيٌّ أَمِيرُكُمْ وَالْأئِمَّةُ الْهَادُونَ أَوْلِيَاءُكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ. فَمِنْهُمْ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَمِنْهُمْ تَصَدِيقٌ بِالْقَلْبِ» (٢). (٣)

الرابعة: بيان المراد من توكيدهم عليهم السلام للميثاق، أنّ آل البيت عليهم السلام قد فعلوا فى هذا التوحيد أفعالا كالتالى:

ألف) لم يستنكفوا من أىّ جهد وجدّ حتّى بذلوا النفوس والأموال و

ص: ٣٩٥

١- الأعراف: ١٧٢. [١]

٢- ٢). تفسير القمى ٢٤٧: ١، و [٢] تفاسير روائيه أخرى.

٣- ٣). إن سأل سائل: مع عدم ذكر النبوه والإمامه فى الآيه، كيف جعلتا جزءين من الميثاق؟ نجيبه: بأنّ الآيه فى بيان المراد من الميثاق مجمله، والروايه المذكوره تفصّله، ومعلوم أنّ التوحيد الكامل المتضمّن للعدل لا يكمل إلاّ بأن يبلغ إلى مرحله الفعل، وهو لا يمكن إلاّ بالنبوه والإمامه؛ لأنّ مقتضى العدل هو أن يكون للخلق غرض و غايه عاليه و هما لا يتحقّقان بدونها، وما ينبغى ذكره هنا هو أنّ العلماء من المفسّرين والمحدّثين، قالوا فى تفسير الميثاق و عالم الذرّ أقوالا غير معقوله، والمختار هو كون التوحيد فطريّا و جميع الناس مفطورون به، وهذا خلاصه ما قاله العلامة الطباطبائى صاحب (تفسير الميزان) (عليه الرحمه و الرضوان).

الأولاد فى إبقاء التوحيد و ترويجه.

ب) لم يقطعوا الصله بين ما جاء فى القرآن من أمر الدين و الشريعه و بين ما جاء به الأنبياء من الأصول و الكليات.

ج) لم يبنوا من عند أنفسهم (فى المقام) بناء و لم يحدثوا أمرا جديدا غير ما أذن الله و أوحى.

الخامسه: الفرق بين الفقريين «المطيعون لله» و «أحکمتم عقد طاعته»:

أنّ فقره «المطيعون لله» مشيره إلى كمال آل البيت عليهم السّلام فيما صدر من الطاعات منهم و تمخضهم عليهم السّلام فى الطاعه، و مبينه أنّهم هم الكاملون فى ذلك، و لكن فى هذه إشاره إلى أنّهم مكملوها فى غيرهم أو (المطيعون لله) مشيره إلى كمّيه طاعتهم، و فى الثانيه إشاره إلى كفيّتها، و ما يناسب هنا ذكره هو:

عن عبد الله بن الحسن عن آبائه عليهم السّلام قال: «ما عاهد الله علىّ بن أبى طالب و حمزه بن عبد المطلب و جعفر بن أبى طالب أن لا يفرّوا فى زحف أبدا، فتمّوا كلّهم، فأنزل عزّ و جلّ: «من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه» حمزه استشهد يوم أحد، و جعفر استشهد يوم مؤته، «و منهم من ينتظر» يعنى علىّ بن أبى طالب، «و ما بدّلوا تبديلا» يعنى الذى عاهدوا عليه» (1).

ص: ٣٩٦

١- تأويل الآيات الظاهره فى فضائل العتره الطاهره ص ٤٤٢.

«و نصحتم له فى السّرّ و العلانيه»

و فىه ستّ نكات:

الأولى: السّرّ و العلن متخالفان، و يفهم معنى كلّ منهما بمناقضته الآخر، و«النّصح» خالص الشىء و صافيه، و هو خلاف الغشّ و الشوب، قال تعالى: **تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا** ، (١) (أى غير مشوبه) و هذا أيضا فرع من فروع العصمه، و شأن عال و كمال فعلى لآل البيت عليهم السّلام، فإطلاق النصيحة على المواعظ يكون من باب ذكر الشىء و إرادته اللازم، لأنّ الواعظ يخلص كلامه و قصده للمستمع. و تشبهها فقره الشريفه «المخلصين فى توحيد الله» (فى الفصل الرابع و الثلاثين).

و لعلّ الفرق بينهما هو أنّ فى الأولى إشاره إلى كمال التوحيد فى آل البيت عليهم السّلام من حيث الاعتقاد، و فى هذه إشاره إلى مرتبه خاصّه من مراتب التوحيد، و هى التوحيد العبودى، و يمكن أن تكون الأولى إن قرئت (مخلصين) على هيئه الفاعل، تكون صفه فعليّه، و إن قرئت على هيئه المفعول (مخلصين) تكون صفه ذاتيه، و هذا حسن فعلى لآل البيت عليهم السّلام فى جميع أفعالهم سرّا و علانيّه.

الثانيه: ترتّب هذا الكمال على العصمه ظاهر، لما ذكرنا غير مرّه من أنّ

ص: ٣٩٧

غير المعصوم مهما بلغ من الكمال لا يمكن له أن يخلص من الشرك الخفي بالكليته، فيكون المعصوم أجلى المصاديق للناصحين أى المخلصين لله، قال تعالى: **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** (١). بل يكون شأن المعصوم فى المقام أرفع ممن سواه، لأنه كان مخلصا أى أخلصه الله تعالى كما قال سبحانه: **إِنَّا أَخْلَصَيْنَاهُمْ بِخَالِصِهِ ذِكْرَى الدَّارِ** (٢)، وغيرهم ليس كذلك، بل يكون مخلصا.

الثالثة: سرّ إضافه شؤون العبد إلى الله هو أن يصل العبد إلى مرتبه لا يرى فيها غيره سبحانه، وهى المسمّاه بمرتبه الفناء فى الله الذى يحصل منه البقاء بالله، قال تعالى: **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** (٣).

الرابعة: ذكر فى هذه الفقره المباركه شأن الاستكمال لآل البيت عليهم السّلام كما يأتى بعيد ذلك شأن الإكمال لهم، و لكنّ استكمالهم غير استكمال غيرهم؛ والفرق الاستكمالين هو فى غيرهم تحصيل الكمال بعد النقص، و فيهم عليهم السّلام تحصيل الكمال بعد الكمال، توضيح ذلك هو أنّ المستكمل الغير معصوم قبل أن يحصل له كمال جديد كان ناقصا، لخلوّ وعائه من

ص: ٣٩٨

١- الكهف: ١١٠. [١]

٢- ٢. ص: ٤٦.

٣- ٣. القصص: ٨٨. [٢]

الكمال (وخلوه هذا، ينشأ من تقصيره) ولكن المعصوم لا يكون وعاؤه خالياً، بل يسع حتى يحصل له كمال جديد.

الخامسة: أنّ هذه الفقرة مشيره إلى أصعب كمال من الكمالات الفعلية لمن يريد أن يكون عبداً كاملاً لله، لأنه يجب أولاً إيجاد الإخلاص، و ثانياً حفظه و إبقاؤه لنفسه مع ظهور الإخلاص بين الناس، حتى يكون أسوه في الأرض للمؤمنين.

السادسة: نموذج من إخلاصهم عليهم السلام:

قال زين العابدين عليه السلام في دعاء له: «أسألك حبك و حبّ من يحبّك، و حبّ كلّ عمل يوصلني إلى قربك، و أن تجعلك أحبّ إليّ ممّا سواك، و أن تجعل حبّي إياك قائداً إلى رضوانك، و شوقى إليك ذائداً عن عصيانك» (١)، و قال رسول الله صلّى الله عليه و اله في حقّ الإمام عليّ عليه السّلام حين قتل عمرو بن عبد ودّ بضربه واحده: «لضربه عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين» (٢)، فما تفوق به هذه الضربه هو الإخلاص.

»»

«و دعوتم إلى سبيله بالحكمه و الموعظه الحسنه»

و فيه ستّ نكات:

ص: ٣٩٩

١- الصحيفه السّجاديّه - [١] مناجاه المحبّين، عنه: بحار الأنوار ٩١:١٤٩ - [٢] المناجاه التاسعه.

٢- ٢. مجمع الفائده و البرهان، للمقدّس الأردبيليّ ٣:٢١٦.

الأولى: هذا أيضا من الكمالات المتفرّعة على عصمه آل البيت عليهم السلام و معناه أنّ غيرهم لا يمكن له دعوه مثل هذه تامّه (و هذا لا- يمنع من مشاركته غيرهم في أصل الدعوه). و الدليل على انحصار الدعوه التامّه كهذه فيهم، هو أنّ غيرهم قد يخطأ في أصل الدعوه بأن يتركها أو يخلّ في أجزائها أو في أقسامها أو في مورد كلّ نوع من أنواع الدعوه أو غير ذلك، كما إذا دعا مغضبا في مورد الحلم أو بالعكس أو دعا بالحكمه في مورد الموعظه أو بالعكس، فلهذا قلنا بأنّ الدعوه التامّه تتفرّع على العصمه.

الثانيه: قد تقدّم أنّ إخلاصهم و نصحتهم لله شأن استكمالّي على معناه الخاصّ المذكور، لأنّ إخلاصهم لا يتعلّق بالغير إلّا كونه لله كما قال سبحانه: قُلِ اللّٰهُ اَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِيْنِي (١)، و هذا شأن كمالّي كأصل و قاعده أنّ كلّ كامل لا يكون تامّا إلّا إذا كان مكتملا- (حسب ما فرّقنا بين التمام و الكمال في شرح «و التامّين في محبّه الله») فالدعوه إلى سبيل الله بهذه الجامعيّه إكمال منهم للغير.

الثالثه: هذه هي المرّه الرابعه (٢) التي ذكرت فيها الدعوه، فلا نعود إلى

ص: ٤٠٠

١- الزّمر: ١٤. [١]

٢- ٢). يظهر الفرق [٢] بين هذه الفقره و الفقرات الموضوعه للدعوه ك«و الدعوه الحسنی» في الفصل الحادی و العشرين و«السلام على الدعاه إلى الله» في الفصل الثلاثين و«السلام على الأئمّه الدعاه» في الفصل السابع و الثلاثين، أنّ آل البيت عليهم السلام ما لم يكونوا الدعوه الحسنی لا يكونون الدعاه إلى الله و أئمّه الدعاه،

كلام فيها، بل نذكر أنواع الدعوه، فالدعوه تنقسم إلى ثلاثة أقسام، هي: إما بالحكمه، أو بالموعظه الحسنه، أو بالمجادله بالتى هى أحسن.

فالدعوه بالحكمه أو بالموعظه الحسنه كما أمر الله نبيه أن يدعو الناس بهما فى قوله سبحانه: أدُعِ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ (١).

أمّا الدعوه بالحكمه فهى دعوه بتمهيد مقدمات عقليته، و إرجاع الخصم إلى اصول عقليته، و الإجابة عن شبهه الخصم من طريق الحلّ و النقض، كلّ ذلك يختصّ لذوى العقول القويّه. و أمّا كونها بالموعظه فهى تختصّ بضعفاء العقول و أقوياء الأوهام من ذكر العواقب السيئه للسيئات، و الخواتيم الحسنه لجميل الأفعال و الأخلاق، من غير ذكر دليل عقليّ، بل يلزم فيها ذكر قصص مهيبه و نحوها كما هو دأب القرآن العزيز، فإنّه قد يستدلّ على وجود الصانع بأدله آفاقيه و أنفسيه (و هذا من نوع الأول من الدعوه)، و قد يعظ المشركين بأنّ عاقبتهم تنتهى إلى النار و سلاسلها و أنواع العذاب فيها و غير ذلك (و هذا هو النوع الثانى من الدعوه).

الرابعه: أمّا إطلاق الحكمه على النوع الأول من الدعوه، فلكونها محكمه تنبع من عقل الداعى و تنتقل إلى عقل المدعوى، و العقل و المعقول

ص: ٤٠١

لا يقبلان الريب و الشك. و أما تقييد الموعظه بالحسنه فهو احتراز من المواعظ السيئه، و هي: إما متشكله من الأكاذيب و الأساطير الباطله كوصف المشركين أصنامهم و أوثانهم، و إما لغرض فاسد في نظر الواعظ.

و تقييد الجدل بالأحسن أيضا احترازا من الجدل السيئ الذي يوجب الاختلاف و المفارقة بين المجادلين.

الخامسه: لم يذكر الإمام الهادي عليه السلام هنا شيئا من الجدل الأحسن، مع أن النبي صلى الله عليه و اله مأمور به كما قال تعالى: وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، و مع أن الأئمة خلفاء الرسول و يلزم أن يكونوا مأمورين بالجدل الأحسن أيضا، نقول: لصحة عدم ذكر الجدل وجوه:

الأول: يحتمل أن الإمام عليه السلام كان يريد الإيجاز في الكلام؛ لظهور التفصيل في كلامه.

الثاني: أن الجدل الأحسن يلزم في أمر تأسيس الدين، و الأئمة لم يؤسسوه بل كان مؤسسه النبي صلى الله عليه و اله.

الثالث: منافاه جدالهم الأحسن مع التقية التي كانوا مكلفين بها، و مع ذلك كله توجد مجادلات في آثارهم عليهم السلام كإجابات الإمام الصادق عليه السلام و مجادلاته مع ابن أبي العوجاء و الديصاني (1).

السادسه: يحتاج في النوع الأول من الدعوه (الحكمه) إلى كمال العقل

ص: ٤٠٢

١- إن شئت مزيد الاطلاع راجع كتاب «الاحتجاج» للشيخ الطبرسي، و غيره.

فى الداعى و سلامته (العقل) فى المدعو. و فى النوع الثانى (الموعظه الحسنه) إلى العلم الواسع فى الداعى و سلامه الفطره و إن كانت ضعيفه فى المدعو، و فى الثالث (الجدال بالتى هى أحسن) إلى حلم وسبع فى الداعى، و إلى الحرّيه و الشجاعه و القبول فى المدعو، و لا شكّ فى أنّ آل البيت عليهم السلام كاملون و جامعون للشرائط المختصّه فى الداعى.

٨٩

«و بذلتكم أنفسكم فى مرضاته»

و فيه خمس نكات:

الأولى: أنّ هذه الفقره الشريفه مقتبسه من الآيه الكريمه التاليه؛ لعدم آيه فى القرآن أقرب إلى هذه الفقره منها، و هى قوله سبحانه: **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (١).**

و التفاوت فى التعبير فى الآيه بالشراء و فى هذه الفقره بالبذل، من جهه الفاعل و القابل. و المراد من الفاعل هو الإمام على عليه السلام و هو الذى بذل نفسه فى ليله المبيت كى يهاجر النبى سالما من الأعداء، و لم يرد بذلك إلا وجه الله، و المقصود من القابل هو الله سبحانه، الذى تفضّل على المجاهدين بما أعطاهم من النفس و المال بالتعبير بالشراء، كما قال تعالى:

ص: ٤٠٣

١- البقره: ٢٠٧. [١]

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ (١).

الثانية: بيان تفرّج بذل النفس على العصمه:

قد ذكرنا مرارا أنّ كلّ كمال فعليّ يمكن صدوره من غير المعصوم و غالبا يمتنع صدوره بلا عيب أو نقص فى وقته أو مقدّماته أو قصد فاعله أو معرفه الفاعل بمن يفعل له، و غير ذلك من النواقص؛ فلهذا أمر المسلمون فى فتح مكّه بالاستغفار (و إن كان المخاطب رسول الله صلّى الله عليه و اله) بقوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٢)، و لكنّه يصدر من المعصوم بلا- أصغر عيب فيه، لعلمه و عصمته، فالمراد من بذل النفس المتفرّج على العصمه هذا النوع، أى النوع الثانى، فلا يرد السؤال إذا فى تفرّجه على العصمه مع إمكان صدوره عن غير المعصوم.

الثالثه: أنّ بذل النفس أمر هامّ، بل هو أهمّ الأمور للغايه، لأنّ للنفس محبوبيّه ذاتيه لكلّ ذى نفس من الإنسان و غيره، و محبوبيّه المال و الجاه و الولد و غيره لتعلّقه بالنفس، و لهذا يكون لبذل النفس أهمّيّه بالغه و قيمه فائقه، و لا تنال مرتبه الأبرار إلاّ ببذل ما كان محبوبا، كما قال تعالى: لَنْ

ص: ٤٠٤

١- التوبه: ١١١. [١]

٢- ٢). سوره النصر.

تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (١)، و كَلَّمَا كَانَ الْمَبذُول أَحَبَّ كَانَتْ رَتْبُهُ الْبَاذِلَ أَرْقَى، فَيَكُونُ لِبَذْلِ النَّفْسِ أَرْقَى الْمَرَاتِبِ الَّتِي لَا رَتْبَ فَوْقَهَا.

الرابعة: بيان المعنى البذل و الباذل و المبدول و المبدول فيه:

فالبذل عبارته عن «إباحه الشيء للغير عن طيب نفس»، بمعنى رفع المانع للغير عن التصرف فيه، والفرق بينه وبين الإنفاق هو أن الإنفاق أعم من البذل، والبذل أخص. والبذل في هذه الفقرة هو آل البيت عليهم السلام، والمبدول هو أنفسهم القدسيه، والمبدول فيه هو مرضاه الله تعالى، ونفاسه المبدول كاشف عن أهميته البذل و اشتياق الباذل و شدته حبه للوصول إلى المبدول فيه، لما كان عظيما عنده بالغايه. والدليل على أهميته المبدول فيه قوله سبحانه: وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ (٢)، وتوضيح المراد هو أن الوقوف على عظمه المبدول فيه يتفاوت بتفاوت معرفه الواقف، فإن كان الواقف من الأولياء الكاملين فهو يقف على عظمه البذل و الباذل بالمبدول من كمال معرفته بعظمه الله و رضاه، لأن كلاً من البذل و الباذل و المبدول متعلق به سبحانه، و دونه حقير عنده. و إن كان الواقف من الناقصين تكون رؤيته عكس الأول، أى من عظمه المبدول يقف على

ص: ٤٠٥

١- آل عمران: ٩٢. [١]

٢- ٢. آل عمران: ١٥، و [٢] أمياً الإجابة على سؤال اتحاد الباذل و المبدول فهو أن الفرق بينهما يكون باعتبارين، فمن حيث إن نفوسهم الشريفه متعلقه بأبدانهم الطاهره، تكون مبدوله، و من حيث إشرافها على الأبدان الطيبه كانت باذله.

الخامسة: أنّ لبذل النفوس في مرضاه الله ثلاثة موارد، وهي: مورد العبادات الشاقّة، والإطاعات الصعبة (١)، والشهادة (القتل)، وكلّ ذلك معلوم في حقّ آل البيت عليهم السّلام، إذا تعدّ إطاعتهم و شهادتهم عباده أيضا لعدم قصدهم فيهما غير مرضاه الله.

٩٠

«و صبرتم على ما أصابكم في جنبه» (٢)

و فيه خمس نكات:

الأولى: قد كثرنا وجه تفرّع هذه الكمالات للعصمه مع إمكان حصولها في غير المعصوم فلا نعود إليه، و لكن هنا نقول: صبر آل البيت عليهم السّلام على ما أصابهم في جنبه يترتّب على بذل النفوس في مرضاته أيضا، لأنّ البذل يستلزم الصبر، و الصبر - كما قيل - أمّ الفضائل.

ص: ٤٠٦

١- .لعلنا قد أشرنا فيما مضى إلى ذكر الفرق بين العباده و الطاعه، و مع هذا الاحتمال نقول هنا: الفرق بينهما في لزوم القصد لله في العباده و عدم لزومه في الطاعه، مضافا إلى أنّ العباده مختصّه بالله و الطاعه تعمّ غير الله أيضا.

٢- ٢) .قد ورد في بعض النسخ «في حبه» بدل «في جنبه»، فيكون معنى كلّ من التعبيرين كما يلي: إن كان الصادر من الإمام «في حبه» يصير المعنى، «أنّه لا محبوب لكم غير الله و مقدّراته لكم» إذا صبرتم في ما قدره حبا له، كما قال سبحانه: «و يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيْرًا» (الإنسان: ٨)، و ضمير في حبه راجع إليه تعالى على تفسيره، و إذا كان الصادر عنه عليه السّلام: «في جنبه» (كما هو المعروف) كان معنى الفقره: أنكم ترون أنفسكم في محضره سبحانه حيث ما كنتم، فلهذا لم يؤثّر فيكم مكروه.

الثانية: معنى الصبر و لوازمه:

قال المحدث القمّي في (سفينه البحار) في معنى الصبر ناقلا عن المحقق الطوسي (رضوان الله عليهما): «الصبر: حبس النفس عن الجزع عند المكروه، وهو يمنع الباطن عن الاضطراب و اللسان عن الشكاية و الأعضاء عن الحركات الغير معتاده»، وقال صاحب (الشموس الطالعه) في معناه (و هو أحسن من المنقول آتفا): «حقيقه الصبر تصلب النفس و وقارها عند الشدائد، و لازمه عدم الاضطراب (1) عندما يرد عليه من المولى من النقص في الأموال و الأولاد و الأنفس و الثمرات، و مطلق ما يتعلّق به من الإضافات من العزّه و الراحة و غيرهما».

الثالثه: لا- منافاه بين صبرهم عليهم السّلام و بكائهم في المصائب الوارده عليهم من جهه و بكائهم في الاشتياق إلى ما يتوقّعون وصولهم إليه و حصولهم من جهه أخرى، فنقول: أمّا البكاء في المصائب فهو لازم لطبائعهم الطاهره البشريّه و دوام حياتهم الطيبه من غير أيّ اعتراض أو شكوى، كما روى عن النبيّ صلّى الله عليه و اله بكاؤه عند وفاه ولده إبراهيم: «... فقالوا: يا رسول الله صلّى الله عليه و اله، تبكى و أنت رسول الله؟! فقال: إنّما أنا بشر، تدمع العين و يفجع القلب و لا نقول ما يسخط الرّبّ، و الله يا إبراهيم إنّنا بك لمحزونون» (2).

ص: ٤٠٧

-
- ١- و الاعتراض و الشكوى، و هكذا عدم الانتهاء عن الجّدّ و الجهد في طريق الوصول إلى المقصود.
 - ٢- ٢. مكارم الأخلاق للطبرسيّ رضيّ الدين الحسن بن الفضل.

و أما البكاء فيما يشتاقون إليه فهو أيضا لازم لعبوديتهم المحضه و عدم تعلقهم بما سوى المولى تبارك و تعالى، كما قال الإمام علي عليه السلام، في وصف المتقين: «لولا الآجال التي كتبت عليهم لم تستقر أرواحهم في أبدانهم طرفه عين؛ شوقا إلى الثواب، و خوفا من العقاب» (١).

الرابعه: بعض ما يترتب على الصبر:

(١) أن الصبر من صفات الأنبياء العظام عليهم السلام: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ (٢).

(٢) و هو من خصال أهل الجنة: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٣).

(٣) الصبر من صفات اولى الألباب: إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ...

و الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ (٤).

(٤) و هو يوجب المغفره و الأجر الكبير: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٥).

ص: ٤٠٨

١- تحف العقول لابن شعبه الحزاني ١٥٩، وصفه عليه السلام المتقين.

٢-٢. الأحقاف: ٣٥. [١]

٣-٣. الرعد: ٢٤. [٢]

٤-٤. الرعد: ١٩ و ٢٢. [٣]

٥-٥. هود: ١١. [٤]

٥) أَنْ الصَّابِرِ مَحْبُوبٌ لِلَّهِ تَعَالَى: وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١).

٦) هو تعالى مع الصابرين: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢).

٧) الصابرون مبشرون بصلوات الله و رحمته لهم: وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (٣).

٨) و الصابرون لهم أجر بغير حساب: إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤).

٩) جزاء الصابر أحسن عند الله من عمله: وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٥).

الخامسة: للمصيبة معنيان: لغوي، و عرفي:

أمّا اللغويّ فهو يعمّ المحبوب و المكروه، و الأظهر هو المراد من هذه الفقرة، فيكون معنى الفقرة أنّكم صبرتم في جنب الله لما أصابكم من المحبوب، و لم تطغوا فيه و لم تفرحوا به بحيث يوجب الفرح و نسيانكم لله و غفلتكم عن ذكره و شكره، و صبرتم أيضا في جنب الله على جميع

ص: ٤٠٩

١- آل عمران: ١٤٦. [١]

٢-٢. البقرة: ١٥٣. [٢]

٣-٣. البقرة: ١٥٥-١٥٧. [٣]

٤-٤. الزمر: ١٠. [٤]

٥-٥. النحل: ٩٦. [٥]

ما كان مكروها (و هو المعنى العرفي للمصيبة) في طبيعه البشريه، و لم تعترضوا و لم تشكوا، و لم تكونوا ممن فرط في جنب الله، كما قال سبحانه حاكيا عن النادم: يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ (١).

٩١

«و أقمتم الصلاه، و آتيتم الزكاه»

و فيه خمس نكات:

الأولى: أن الإمام الهادي عليه السلام اقتبس هذه الفقرة الشريفه من آيه الولايه: إِنَّمَا وَثَّيْتُكُمْ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ (٢)؛ لأنها نزلت في الإمام علي عليه السلام حين أعطى خاتمه للفقير أثناء ركوعه، و قصه نزولها متواتره بين الفريقين.

الثانيه: معنى التعبير في باب الصلاه في كل موضع من القرآن و الأخبار بالإقامه و مشتقاتها دون فعل الصلاه و ما يشبهه هو الإدامه معتدلا ثابتا من غير نقص و لا اعوجاج كما قال سبحانه: وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣)، و حكى سبحانه عن قول إبراهيم عليه السلام: رَبِّ اجْعَلْنِي

ص: ٤١٠

١- الزمر: ٥٦. [١]

٢-٢. المائدة: ٥٥. [٢]

٣-٣. الروم: ٣١. [٣]

مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي... (١)، وهو غير يسير لعامة الناس، بل للخواصّ أيضا، ولهذا قال مولانا الرضا عليه السّلام: «الصّلاه لها أربعة آلاف باب» (٢).

الثالثة: هذان كمالان فعليان أيضا متفرعان على العصمه، و توضيح تفرّعهما عليها مع أنّهما تكليفان لعموم المسلمين، هو أنّ الأوّل استكمال، و الثّاني إكمال، و لا- يخلو صدور أيّهما من غير المعصوم من النقص، لأنّ فعل غير المعصوم من النقص مهما بلغ من الكمال مشوب قطعاً بالشرك الخفيّ أو غيره، و لكنّ ما يصدر من المعصوم من إقامة الصلاه و إيتاء الزكاه هو كمال فعليّ خالص، كما أشرنا إلى ذلك غير مرّه، و ما ينبغي ذكره هنا مكرّرا هو أنّ استكمالهم بإقامه الصلاه من نوع الاستكمال الذي يختصّ بهم، أي يكون من الكمال إلى الكمال لا كغيرهم من النقص إلى الكمال.

الرابعة: أنّ معنى إقامة الصلاه الظاهريه هو ما ذكر، و أمّا المراد من معناها الباطنيّ فهو الولايه للإمام المعصوم عليه السّلام كما قال الإمام عليّ عليه السّلام:

«...و قوله يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ فمن أقام ولا-يتى فقد أقام الصّلاه» (٣)؛ فهذا كلّ من الصلاه و الولايه شبيهه بالأخرى في كونها مشروطه بالشرائط، لهذا يصحّ تأويل الصلاه بالولايه، فكما أنّ الصلاه مشروطه بالطهاره الظاهره من

ص: ٤١١

١- إبراهيم: ٤٠. [١]

٢-٢. عيون أخبار الرضا ١: ٢٥٥/ح ٧-الباب ٢٦. [٢]

٣-٣. بحار الأنوار ٢٦: ٢٦/ح ١. [٣]

الحدث و الخبث، كذلك الولايه مشروطه بالطهاره الباطنيه من الشرك.

الخامسه:معنى إيتاء الزكاه:

إنّ إيتاء الزكاه شرعا هو إخراج قدر معين من الأموال الخاصه التي تتعلّق بها الزكاه، و ليس هذا-بظاهره-كمالا هاما للمعصوم عليه السلام حتّى يمدحه الزائر و يثنى به عليه، و لكن ليس معناه الحقيقيّ محدودا على تفسير الفقيه منه، بل له مفهوم أوسع من هذا و هو المستفاد من قول الإمام الصادق عليه السلام: «لكلّ شيء زكاه و زكاه العلم نشره» (١)، فعلى هذا لا يعطى غير المعصوم زكاه كلّ شيء؛ لأنّ المعصوم عالم بزكاه كلّ شيء و بالمقدار الذي يجب أن يخرج منه و بمن يتعلّق فقط، و بهذا يتبين سرّ تفرّع إيتاء الزكاه على العصمه؛ لأنّ غير المعصوم جاهل بالشىء المزكى و بمقدار الزكاه منه و المستحقّ له، و بفرض علمه بجميع ذلك يخطأ فى العمل بموجبه.

٩٢

«و أمرتم بالمعروف، و نهيتم عن المنكر»

و فيه أربع نكات:

الأولى: إنّ معانى الأمر و النهى و المعروف و المنكر ظاهره خصوصا للمتشرّعين، فلا حاجه إلى توضيح أىّ منها، و لكنّ ما ينبغى ذكره هو أنّ

ص: ٤١٢

١- بحار الأنوار ٧٨: ٢٤٧/ح ٧٧- [١] عن: تحف العقول ٣٦٤. [٢]

للمعروف و المنكر معنيين غير المتعارف منهما، و هما أنّ المعروف هو المرضي عند الله و المقبول لديه، و المنكر بخلافه، و الميزان هو مطابقتها لحقيقه النفس الأمريه.

الثانيه: يتبين من المعنى الثاني لكلّ من المعروف و المنكر تفرّعهما على العصمه، إذ لا ينطبق الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الصادران من المعصوم إلاّ- مع الميزان المذكور، و لا- يمكن لغيره ذلك الانطباق الدقيق، فأمر المعصوم و نهيه غير مخالفين مع نفس الأمر، فضلا عن كونهما يخالفان أصل الفعل، لأنّ أمر كلّ أمر و نهى كلّ ناه موقوفان على إرادتهما لهما و مشيئتهما فيهما(الأمر و النهي)، و المعصوم لا يريد و لا يشاء إلاّ ما شاء الله و أراد، كما قال تعالى: وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (١).

الثالثه: أنّ الإمام يكون أولى من الأئمه بفعل الأمر و النهي. و فعل كلّ أمر هو محبوب عند الله لإمامته للرعيه و قوّه معرفته بالله و سعه علمه بمصالح الفعل و مفسد تركه، و أيضا علمه بشدّه افتقار الأئمه في دنياها و آخرتها إليه، فلكون هذه الأولويه للإمام، قال أبو عبد الله عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: اعرفوا الله بالله، و الرسول بالرسالة، و أولى الأمر بالأمر

ص: ٤١٣

بالمعروف و العدل و الإحسان» (١).

الرابعة: أنّ صدور كلّ فعل كمالى، أو ظهور كلّ كمال فعلى، يصير الفاعل على حدّه و ظرفيته مظهرا لاسم من أسماء الله الحسنى، فالأمر بالمعروف يكون مظهرا لاسمه الهادى، و الناهى عن المنكر يكون مظهرا لاسمه العاصم سبحانه، و إن كان المعصوم أتمّ المظاهر فيهما و فى كلّ موضع.

٩٣

«و جاهدتم فى الله حقّ جهاده»

و فيه ستّ نكات:

الأولى: هذه الفقرة الشريفه مقتبسه من القرآن، حيث قال سبحانه:

وَ جَاهِدُوا فى الله حقّ جهاده (٢). و قد قلنا فى ما سبق بأنّ اقتباس فقرات من هذه الزياره من القرآن يوجب مزيد صحّتها و اعتبارها، ليطابق القرآن الناطق مع القرآن الصامت، و الإمام العلمى (القرآن) مع الإمام العينى، و لكنّ الإمام يساوى المؤمنين فى أصل كونه مكلفا بالجهاد و يكون أولى منهم به لكونه إماما.

الثانية: يحتمل خطاب الزائر فى هذه الفقرة على آل البيت عليهم السلام أن

ص: ٤١٤

١- الأربعين الهاشميه، ص ٢٢، الحديث ٣.

٢- (٢). الحجّ: ٧٨. [١]

يكون في الجملة و بالجملة أيضا، أمّا كون الخطاب بفي الجملة أنّ في مجموعكم من جاهد في الله (على معناه الفقهيّ) حقّ جهاده، و هو أمير المؤمنين و ولده المفدّى سيّد الشهداء عليهما السّلام، كما سيجاهد وصيّيه الجليل صاحب الزمان عليه السّلام. و لخطاب الزائر على جميع آل البيت عليهم السّلام شواهد عديدة في القرآن، كما في قصّه بنى إسرائيل و عقر ناقه صالح، مع كون المعاصرين منهم للنبيّ الخاتم لم يكونوا مع أسلافهم الخبثاء، و هذا كاف في وجه الخطاب على الجميع، و الغرض مشاركته البعض مع الآخرين في القصد و الاعتقاد، و أمّا إن كان الخطاب عليهم بالجملة فيصير معنى الجهاد أوسع من معناه السابق، فيشمل جهاد جميع أعداء الله جيّين كانوا أو إنسيّين، أو الأنفس الأماره بالسوء.

الثالثة: لا- فرق في أصل الجهاد لله بين التعبير ب«في سبيل الله» و التعبير ب«في الله»، إلا- أنّ الثاني دالّ على تمخّض المجاهد و توغّل فعله في الله، و كمال خلوصه لوجهه الكريم، كأنّ المجاهد مستغرق فيه سبحانه فعلا و قصدا و عقيدة، و غير ذلك.

الرابعة: إن سئل: فلماذا أمر الله في كثير من الآيات بالجهاد في سبيله؟ نجيب عنه بوجوه:

ألف) أنّ فعل الجهاد شاقّ ثقيل، و لعلّ إرادته الله من تعبيره هذا أن يخفّف جهته الباطنه حتّى يتعادل الثقيل مع الخفيف.

ب) أن الآيه التي لم يعبر فيها بالسبيل مفسره للآيات التي جاء فيها التعبير بالسبيل.

ج) لعل المراد من ترك التعبير بالسبيل هو أفاضل المؤمنين و كملهم الذين هم أجلى مصاديقهم، المعصومون.

الخامسه: ينقسم الجهاد من حيث المقصد إلى قسمين:

الأول: في الله، و هو ما سبق ذكره، كجهاد الكفار و المشركين.

الثاني: في غير الله (1)، و هو ينقسم أيضا إلى نوعين:

الأول: جهاد المشركين و الكفار، و لكن لم يقصد فيه وجه الله كجهاد المرأين من المؤمنين.

و الثاني: كجهاد المرتاضين الهنديين الذين يجاهدون مع قوى أنفسهم الطبيعيه و غرائزهم الطاغيه، و أيضا كجهاد المتصوفه و الرهبانيين. و وجه عدم جهاد هؤلاء في الله هو عدم اعتقاد المرتاضين بالله و تصرفهم في ملك الغير (القوى و الغرائز التي مالکها هو الله) عدوانا الذي ينتهي أحيانا إلى ضياعها، و عدم مشروعية الجهاد، و أيضا جهاد المتصوفه لكونه بدعه في الشريعة، فلا شك في كون جهاد آل البيت عليهم السلام في الله؛ لأن أمرهم به

ص: ٤١٦

١- هذا الانقسام هو غير ما تقدم من جهاد الكملين المعبر عنه بالجهاد في الله، و جهاد الأوساط من الناس المعبر عنه بالجهاد في سبيل الله، و الفرق بين هذين القسمين هو أن القسمين المتقدمين كان مقصدهما الواحد و هو الله سبحانه، و التفاوت بينهما في قوه إخلاص المجاهد و ضعفه، و لكن بين مقصد الجهاد في هذا الانقسام تباين كلي، فتدبر.

هو الله، والمأمور به (الجهاد) هو مشروع لله، وهم لا- يقصدون فيه إلا- وجه الله، ولا- يطلبون به إلا مرضاته. وينبغي أن يقال: إن جهاد المعصوم مع قواه و غرائز نفسه القدسيه لا ينتهي إلى ضياعها، بل الأمر ينجز إلى انقياد الغرائز لعقله الكلبي.

السادسه: أن لكل حقيقه لوازم عقليه ثابتة لا تتغير، والجهاد في الله - كحقيقه- لها لوازم لا تنفك عنها، ونحن نذكر هنا بعضها:

(١) أن المجاهد أفضل من القاعد، كما قال سبحانه: وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١).

(٢) هو راج لرحمة الله، بخلاف المجاهد المرائي، قال تعالى: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ (٢).

(٣) هو مؤمن حقًا، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا (٣).

(٤) هو أعظم درجه، الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ (٤).

ص: ٤١٧

١- النساء: ٩٥. [١]

٢-٢. البقره: ٢١٨. [٢]

٣-٣. الأنفال: ٧٤. [٣]

٤-٤. التوبه: ٢٠. [٤]

(٥) يجمع بينه وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ (١).

(٦) وَهُوَ الْمَهْتَدَى، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (٢).

(٧) وَهُوَ تَاجِرٌ قَدْ أَفْلَحَ مِنَ الْعَذَابِ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ (٣).

وَالْحَاصِلُ أَنَّ آلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حَيْثُ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ فِي مَجَالَاتٍ شَتَّى بِأَجْمَعٍ مَعْنَى الْكَلِمَةِ، بِأَيِّ مَعْنَى مِنَ الْجِهَادِ فَقَدْ أَحْرَزُوا جَمِيعَ مَا لِلْمُجَاهِدِينَ بِأَتَمِّ وَجْهِهِ وَأَكْمَلِ رَتْبِهِ.

٩٤

«حَتَّىٰ أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَبَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ، وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ،

وَنَشَرْتُمْ شُرَائِعَ أَحْكَامِهِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ»

وَفِيهِ ثَلَاثُ نَكَاتٍ:

الأولى: هذه الفقرة الشريفة تكون نتيجة للفقرة المتقدمة (وجاهدتم...)؛ بدليل لفظه «حتى»، وهذا يؤيد ما احتملناه من كون المراد

ص: ٤١٨

١- التوبة: ٨٨. [١]

٢- ٢. العنكبوت: ٦٩. [٢]

٣- ٣. الصف: ١١، ١٠. [٣]

من الجهاد هو معناه العام.

و يتفرّع على جهادهم المتفرّع لعصمتهم فروع خمس، أو تكون هذه الفروع تفسيراً لجهادهم:

أحدها: إعلان الدعوة.

ثانيها: تبين الفرائض.

ثالثها: إقامة الحدود.

رابعها: نشر الشرائع.

خامسها: جعل السنن.

الثانيه: يتبين تفرّع هذه الأفعال الخمسه لجهادهم؛ لكون جهادهم في الله من جهه و حقّ الجهاد من جهه اخرى، فلو لم يتقيد جهادهم بهذين القيدين لم تتفرّع هذه الفروع عليه، لإمكان انجرار دعوتهم خطأً إلى إخفائها أو إلى اختلاط الفرائض؛ لأنّ الجهاد في غير الله ينتهي إلى الخسران، كما صرح القرآن به، و ينتج عكس المقصود.

الثالثه: توضيح هذه الفروع:

الإعلان هو خلاف الإخفاء و التبيين، و خلاف الإبهام. و الإقامة خلاف الاعوجاج، و الباقي ظاهر.

إنّ الله سبحانه دعا إليه عباده بدلالات عقليّه و شهاده الفطره، و بألسنه الرسل و الكتب، و لكنّها بقيت مخفيّه في حجب الزمان و النفس و غيرهما

ص: ٤١٩

من الحجب، و افول شمس الدين، حتى انتهى الأمر إلى خاتم النبيين صلى الله عليه و اله فكانت الدعوه أيضا خفيّة عن سائر الملل و الأقوام على وجه الأرض و مجمله، لكون النبي الخاتم صلى الله عليه و اله كان في مقام التأسيس، و هو ملازم للإجمال، و لكنّ آل البيت عليهم السّلام أعلنوها (على ما اقتضته الشرائط) لتتمّ الحجّة على المعاصرين و على كلّ من بلغت من الآتين، إلى آخر زمان التكليف، فلا يقولوا: رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنَّبَعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزَى (١).

و أما تبين الفرائض فهو عباره عن بيان العقائد و الأخلاق و الأعمال بحيث لا تشبّهه و لا تختلط مع غيرها من الأوامر الإلهية، هذا في ما إذا أخذنا الفرائض قبل المندوبات، و أمّا إذا أخذناها أعمّ منها فيكون معنى تبين الفرائض إبانته ما أمر الله عن المنهيات. و أمّا إقامه الحدود، حدّ كلّ شيء عباره عمّا يتقوّم الشيء به و يمتاز به عن غيره، فمعنى إقامه آل البيت عليهم السّلام حدود الله أنّهم أوضحووا للخلق جميع مقومات الدين (في العقائد و الأخلاق) و جميع ما يتقوّم به الشرع (من المقرّرات العمليّة) على أدقّ إيضاح، حتى لم يبق لأحد عذر إن وقع في انحراف عن التوحيد إلى الشرك، و عن النبوه الحقّه إلى ادّعاء الكاذبين من المتبّين، و عن الإمامه الحقّه إلى دعوه غاصبيها، و عن الاعتقاد بالمعاد إلى الاعتقاد

ص: ٤٢٠

بأساطير الأولين، و عن العبادات الحقّه إلى العبادات المتلوّثه بالبدع. و أمّا نشر الشرائع فهو عباره عن نشرها و تعميم تعليمها لعامة المكلفين على مقتضى الشرائط و الإمكانيات.

فالحاصل أنّهم عليهم السّلام لم يقصّروا في ذلك، و هذا معلوم للمتتبعين أخبارهم عليهم السّلام و إن اخفى أو ترك كثير منها بسبب حقد الأعداء و جهل الأصدقاء.

و أمّا جعل السنن، فإنّ صاحب كتاب (الشموس الطالعه) رحمه الله قال في تفسير هذه الفقرة «و سلكتم سنّته» و لكن لا يقال لسالك السنّنه هو سانّ لها، بل السانّ هو المشرّع و المقتنّ، فيكون معنى الفقرة أنّكم شرّعتم سننا في شريعته الله فتكون هذه السنن منهم عليهم السّلام سننه سبحانه كما قال تعالى: ما آتاكم الرّسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا (١)، لأنّ لهم حقّ الولاية في التشريع كما كان لهم حقّ في التكوين، فهذا الجعل يعمّ جميع الشرائع السياسيّه كقتال الإمام عليّ عليه السّلام للخوارج مع إقرارهم لعنهم الله بالشهادتين و لم يكونوا مهدوري الدم في ظاهر الأمر أو غيرها، كالأحكام الفرديّه العباديّه أو غيرها، كما أضاف رسول الله صلّى الله عليه و اله ركعتين على صلاه الظهرين و العشاء و ركعه للمغرب بعنوان فرض النبيّ، و هكذا صلوات النوافل اليوميّه و صوم شهر شعبان، و هكذا صوم ثلاثة أيّام في كلّ

ص: ٤٢١

شهر ندبا، وكجعله صَلَّى اللهُ عليه و اله السيدس مّا ترك الجدد المتوفى، وقد رخص الله تعالى الأئمة عليهم السّلام فى جميع هذه السنن من قبل النبى صَلَّى اللهُ عليه و اله. والحاصل أنّ آل البيت عليهم السّلام كانوا أهلاً لهذا الشأن وقد أخذوه بخلافتهم عن الرسول صَلَّى اللهُ عليه و اله، ولا دليل فى ذلك على امتناعه لهم ذاتاً أو على عدمه وقوعاً.

٩٥

«و صرتم فى ذلك منه إلى الرضا، و سلمتم له القضاء،

و صدقتم من رسله من مضى»

و فيه نكات سبع:

الأولى: نعدّ هذه الجمل الثلاث كفقره واحده و إن كانت كلّ واحده منها مبيّنه لكمال على حده، (و المعانى اللغويّه فى هذه الجمل ظاهره لا تحتاج إلى بيان). و الظاهر أنّ هذه الجمل الثلاث تتفرّع على فقره: «و جاهدتم فى الله حقّ جهاده» (١) مع الفروع الخمسه السابقه عليها؛ و يمكن تفرّعها على الفروع السابقه أيضاً كى لا يقع بينها و بين ما تتفرّع عليه فاصل، فتكون الفروع ثمانيه لأنّ كلّ جمله هنا مبيّنه لفرع.

الثانيه: أنّ ذلك إشاره إلى جهاد آل البيت عليهم السّلام السابق ذكره، هذا إذا قلنا بتفرّع هذه العبارات على الجهاد فيصير المعنى، فصرتم فى جهادكم و إعلانكم الدعوه و تبينكم الفرائض و إقامتكم الحدود و نشركم الشرائع

ص: ٤٢٢

١- الحجّ: ٧٨. [١]

و تسنينكم سننه تعالى إلى رضا سبحانه، أى تحصل رضاه عنكم بتلك المقدمات الصادره منكم، و يستلزم هذا الرضا رضاهم عن الله تعالى، أى إذا كان الله راضيا عنهم يكونون هم راضين عن الله كما قال سبحانه:

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ (١).

الثالثه: تعريف الرضا: إن رضا العبد عن الله عباره عن سروره بما يرد عليه عن مولاه و ابتهاجه به فيما يحب و يكره، لعلمه بأن ما يقضى له هو صلاحه دون غيره، و أمّا رضا الله عن العبد فهو عباره عن إكرامه للعبد و إنعامه عليه (٢)، و هما غايه الرضا.

الرابعه: كون العبد نائلا- رضا الله و مرضيا عنده شأن عظيم للغايه كما قال تعالى: وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٣)، و هو منزل قبل منزل التسليم كما رتبّه السالكون (٤)، و لا- يصل إليه إلا- الكمّل من أوليائه، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزّ و جلّ» (٥)، فلا ينحصر البلوغ إليه فى آل البيت عليهم السلام.

ص: ٤٢٣

١- المائده: ١١٩. [١]

٢- ٢. لأنّ السرور و الابتهاج من عوارض الممكن، و هو تعالى منزّه عن الإمكان و عوارضه.

٣- ٣. التوبه: ٧٢. [٢]

٤- ٤. و لكن يمكن القول بوحده الرضا و التسليم، فيكون الفرق بينهما بأن الرضا حاله باطنه للعبد الذى يترتب عليه التسليم فى مقام الفعل.

٥- ٥. الكافى ٢: ٦٠/٢ ح ٢- الباب الرضا بالقضاء. [٣]

الخامسة: أن تسليمهم عليهم السلام لقضاء الله سبحانه من الإقصاء والقتل والسبى والحبس والتهمة وغير ذلك، معلوم لعامة الأمة؛ لأن تلك الأمور كلها مقضية منه تعالى لهم، ولا يلزم هذا القضاء أى جبر لأعدائهم فى الظلم ولا لهم فى التسليم؛ لأن العلة غير المقتضى، فقضاء الله هو المقتضى والعلة هى الاختيار الراجع إلى الخصمين.

السادسة: أن التصديق والإيمان متغايران مفهوماً ومُتَّحِدَانِ مَصْدَقًا، وإنما يقال للإيمان إيمان لإيجاده الأمن فى القلب من الوسواس والشكوك، ويقال له تصديقاً لإيجاده الإقرار بالصدق ما صدق وآمن به، وآل البيت عليهم السلام صدقوا الرسل الماضين وآمنوا بهم على معنيين: الأول:

لكونهم أفاضل المؤمنين. الثانى: لخلافتهم عن الرسول صلى الله عليه واله كما قال تعالى:

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ (١).

السابعة: بيان تصديقهم الرسل:

إن للتصديق مراتب ثلاثاً، أولاً: هو العلم بصدق الحقيقة فقط، ثانياً:

بالعين والمشاهدة والكشف الذى للكامل من الأولياء، وتصديق آل البيت عليهم السلام ليس كهاتين المرتبتين، بل معناه صيروره أنفسهم عليهم السلام مصاديق تامه كامله للرسل الماضين فى كمالاتهم الأفعاليه والأوصافيه وذواتهم

ص: ٢٢٤

الشريفه، فبتصديقهم أنفسهم يكون التصديق بمن تقدم عليهم زمانا، لأنّ تصديق الأكمل يتضمّن التصديق الأنقص، ويشهد عليه كثير من الأخبار كزياره وارث.

ص: ٤٢٥

«فالزأغب عنكم مارق، و اللآزم لكم لاحق، و المقصّر فى

حقّكم زاهق، و الحقّ معكم و فيكم و منكم و إليكم، و أنتم

أهله و معدنه، و مثواه و منتهاه»

و فيه نكات عشر:

الأولى: هذه الفقرات الشريفه كآلاتيه لها مبيّنه لفروع على جميع ما تقدّم من أوّل الزياره؛ بدلاله الفاء للتفريع، أى يستنتج الزائر هذه النتائج من جميع ما ذكر من كمالات آل البيت عليهم السّلام الذاتيه و النفسائيه و الفعلية و الخارجيه، و النتائج تنقسم إلى حقّه و باطله، و النتائج الحقّه مترتبه على إيمان من آمن بآل البيت و عرفهم و تولّاهم و تبعهم و تبرّأ عقيدته و قولاً و فعلاً من أعدائهم، و الباطله تتفرّع على من صار خلاف ذلك.

ص: ٤٢٦

الثانية: «الراغب» فاعل من «رغب»، وقد يتعدى بـ «إلى» و«في»، فهذان فيما إذا كان للمرغوب إليه أو المرغوب فيه ميل و اشتياق، و إلا يتعدى بـ «عن»، وهو إذا كان مرغوبا عنه مكروها عنده و متروكا له.

و المارق هو المتجاوز عن حدّه، كمروق السهم إذا خرج من موضعه إلى مقصد الرامي، و باقى الألفاظ ظاهره المعنى.

ترى فى أوّل هذه الجملة إلى «زاهق» جمالا - لفظيًّا مضافا إلى كمال معناها، و فى الجملة بعدها المبدؤه من «و الحق» إلى «إليكم» جمالا لفظيًّا آخر كذلك.

الثالثة: أنّ لكلّ موجود مبدأ معيّنًا و مسيرا خاصًا و مقصدا مشخصًا، يسير منه إليه بسير مقدر، فإذا أخلّ فى أحد هذه الأمور صار متعدّيًا و لم يبلغ إلى مقصده، كما قال سبحانه فى وصف أولى الألباب: وَ يَتَفَكَّرُونَ فى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنَا ما خَلَقْتَ هذا باطلاً (١)، فالإنسان لا يستثنى من هذا الأصل العامّ، و أهل البيت عليهم السّلام مسير حقّ للبشر، و به يتعيّن مسير الحقّ و مقصده الحقيقيّ؛ لما تقدّم لهم من الفضائل و الكمالات فى مجالات شتى (٢).

ص: ٤٢٧

١- آل عمران: ١٩١. [١]

٢- ٢). فإنّ من رغب عن آل البيت عليهم السّلام كان متجاوزا عن حدّه، لأنّه إن أراد البلوغ إلى مقصده ككلّ موجود فيلزمه الاتصال بمن هو أكمل، و لا أكمل من آل البيت عليهم السّلام لعدم إمكان بلوغ المقصد الحقيقيّ من خلال مسير باطل أو بسير باطل.

الرابعه: يتبين ممّا قلنا أنّنا معنى الحقوق للآل البيت عليهم السلام توضيحه:

أنّ من لزمهم عليهم السلام يبلغ إلى مقصده الحقيقيّ.

لأنّه صار بسير حقّ (في شعاع هداهم) وفي مسير حقّ، وهو عارف بمبدئه لكمال توحيده بهداهم أيضا.

الخامسه: يتصوّر التقصير في حقّهم عليهم السلام كالتالى:

(١) عدم المعرفة بهم من الأساس.

(٢) عدم المعرفة بإمامتهم للأئمّه و خلافتهم للنبيّ صلى الله عليه و اله.

(٣) عدم المعرفة بولايتهم التكوينيّه؛ لأنّ بينهما ملازمه، ولأنّ الولايه التكوينيّه مثبتة بإتيان المعجزات للإمامه و الخلافه.

(٤) عدم حفظ مراتبهم في ما ربّهم الله فيه، لأنّ فيه إمّا غلو الإفراط و إمّا غلو التفريط.

(٥) عدم اتّباعهم، وهذا أضعف التقصيرات في حقّهم لانقطع بزهور مقصّر كهذا، إن كان المراد به الهلاكه بالكليّه، لأنّه ينجو بالمآل إن شاء الله.

و الحاصل أنّ الانحراف عنهم عليهم السلام من حيث الاعتقاد بأيّ معنى كان باطل، و إنّ الباطل كان زهوقاً (١)، فيكون المنحرف عنهم زاهقا (٢).

ص: ٤٢٨

١- الإسراء: ٨١. [١]

٢- ٢. و ما ينبغي [٢] ذكره هنا هو أنّ للقاده في التاريخ و زعماء البشر الحقيقيين شخصيتين: حقيقيه و حقوقيه، فالأولى ترجع إلى أشخاصهم في حياتهم. و الثانيه: ترجع إلى قيادتهم و طريقتهم، فكما يلزم حفظ الأولى

السادسه:معنى الحقّ هو الثابت،و هو ما يجب كونه عقلا و إن لم يكن فى بعض الأحيان،وقيل فى معناه:«الحقّ هو الثابت الذى لا يسوغ إنكاره» (١).و الباطل بخلافه،و هو ما لا- يجب كونه عقلا من رأس و إن كان مضافا إلى أنّ الحقّ وجودىّ أو راجع إلى الوجود،و الباطل عدم أو عدمىّ.و الحاصل أنّ الحقّ مع آل البيت عليهم السّلام بالعقل و النقل؛أمّا العقل فلكونهم حقّا و لا يوجد من الحقّ إلّا- الحقّ،و لا- يكون الحقّ إلّا- مع مجانسه؛و لكونهم أيضا خلفاء الحقّ (و هو الله تعالى)و حججه و آياته (كما مرّ مرارا).و أمّا النقل،فكقول النّبىّ صلّى الله عليه و اله:«علّى مع الحقّ و الحقّ مع علّى،يدور حيثما دار» (٢).

السابعه:يقرّ الزائر بأنّ الحقّ مضافا إلى معيته لآل البيت مستقرّ فيهم و ناشئ منهم،و هذا لما قدّمنا آنفا من أنّ الحقّ لا يجمع مع غير جنسه و لا يستقرّ (فى غيره)إلّا فى مجانسه،و لا يصدر منه إلّا كذلك، ذلك تقدير العزير العليم (٣).

ص:٤٢٩

١- ١). «التعريفات»للجرجانى،و لا اختلاف بينه [١]و بين الحقيقه إلّا فى اللفظ؛لأنّ الحقّ مصدر على المعنى الوصفىّ و الحقيقه صفة مشبّهه.

٢- ٢). شرح نهج الب [٢]لاغه،لابن أبى الحديد ٢:٢٩٧.

٣- ٣). الأنعام:٩٦.

الثامنة: لم يعط الحق من الخارج لآل البيت عليهم السلام فيستقرّ فيهم، لكونهم معدنا للحق (١)، كما يؤيد ذلك نشوء الحق منهم.

التاسعة: معنى ير الحق إلى آل البيت عليهم السلام هو كونهم مقصدا له، لأنهم مظاهر الله، فكلّ أمر سائر إلى أى مقصد فهو يسير إلى مظهر مقصده، و أيضا لعدم الانفكاك بين الظاهر و المظهر، كما قال سبحانه: إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٢)، وَ أَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى (٣)، وَ إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤)، فمن حيث كونهم مقصدا نسبيا يسير الحق إليهم.

العاشره: ما يتحصّل ممّا تقدّم أنّهم عليهم السلام هم الحقّ المحض (سوى إمكان وجودهم الجامع لجميع شؤون الإمكانيه) و الممخضون فيه، كما قال الإمام عليّ عليه السلام فى المقام: «لا يخالفون الحقّ و لا يختلفون فيه» (٥)، و «بهم عاد الحقّ إلى نصابه، و انزاح الباطل عن مقامه، و انقطع لسانه عن منبته» (٦).

ص: ٤٣٠

١- قد أوضحنا معنى المعدن فيما سبق.

٢-٢. العلق: ٨. [١]

٣-٣. النجم: ٤٢. [٢]

٤-٤. البقره: ١٥٦. [٣]

٥-٥. نهج البلاغه: الخطبه ٢٣٩. [٤]

٦-٦. المصدر السابق. [٥]

«و ميراث النبوة عندكم» (١)

و فيه خمس نكات:

الأولى: هذا فرع ثان من الفروع المذكورة في الفصل السابق، و هو كون ميراث النبوة عند آل البيت عليهم السلام، و قد ذكر فيما تقدّم معنى الميراث (فلا نعود إليه) و لكن نقول هنا: إنّ الميراث إمّا أن ينتقل بعد المورث للوارث أو لا، فما يمكن عدم انتقاله فهو من الأمور الظاهرة المادّية، و قد منع انتقاله إليه مانع كالغاصب و السارق و غيرهما، و أمّا ما كان منتقلاً إلى الوارث و لم يمكن الغصب و السرقة فيه فهو من الشؤون المعنويّة كالعلم، فالمراد من الميراث هو القسم الثاني الذي لا يمكن منع انتقاله من المورثين (الأنبياء) إليهم عليهم السلام، و إن كانت الإمامة أيضاً من موارث الأنبياء، و لكنّها كانت عندهم شأنًا و عند غيرهم من الغاصبين عينا، فما في قوله تعالى في الإمامة، لا ينال عهدي الظالمين (٢) نظر إلى شأنها، و هي لا تنال الظالمين شأنًا و عينا معاً، و الظالم قادر أن يغصبها عن

ص: ٤٣١

١- إنّ لهذه الفقرة نظير أيضاً، و هو: «و ورثة الأنبياء» المشروحة في الفصل التاسع عشر، و النسبه بينهما هي العموم و الخصوص مطلقاً، بيان ذلك هو أنّ آل البيت عليهم السلام إذا كانوا ورثة للأنبياء يستلزم ذلك كون ميراثهم عندهم، و لكن كلّ من كان عنده ميراث الأنبياء لا يستلزم كونه وارثاً لهم، بل يمكن كونه أميناً عدلاً مثلاً ليؤدّيه إلى وارثهم. و الحاصل أنّ الفرق بين الفقرتين هو كون الأولى مشيره إلى كمال شأنى لآل البيت، و هذه مشيره إلى تحقّق هذا الشأن لهم بالعيته و الفعلية، فتدبر.

٢- ٢. البقره: ١٢٤. [١]

الثانية: تنقسم الأمور إلى: تكويته و تشريعته، فمن الأول كالولاية على الأشياء و الدخل و التصرف فيها، و من الثاني كالأوصاف النفسانية، و من الثالث كالإمامة و الرئاسة على الناس. و الحاصل أنّ أصل الموارث من هذه الأقسام عند آل البيت عليهم السلام و عندهم مضافا إلى أصل هذه الأقسام أكملها و أتمّها لهم؛ لكونهم أفضل من الأنبياء (لعلنا أشرنا فيما مضى إلى ذلك، و يمكن الإشارة إليه فيما يأتي من موضعه).

الثالثة: فى توضيح ما تقدّم: أنّ الأنبياء كانوا يظهرون المعاجز بأيديهم للأعداء؛ ليثبتوا حقيته مدّعاهم (النبوة)، و هذا من التكويتات، و يلحق بهذا القسم: العلم، و العصمة، و الإخلاص، و الحرص على هداية الخلق، و غير ذلك من النفسانيات. و كان للأنبياء مراتب و درجات، و هى: الرسالة، و النبوة، و اولو العزمية، و الخلة، و الإمامة، فهذا من التشريفيات، و كان لهم: الحكومه و القضاء، و جهاد الأعداء، و إجراء الحدود، و غير ذلك.

و هذا من القسم الثالث (التشريعات). الحاصل أنّ جميع ما ذكر من الأقسام هى عند آل البيت عليهم السلام و هم ورثوها من الأنبياء، و إن كان ما عندهم أكمل و أزيد ممّا كان للأنبياء كما أشرنا إليه.

الرابعة: فى ذكر الشواهد على المراد: و أمّا الشاهد على كلّ ممّا ذكر فهو كالتالى؛ الأوّل: (و هو الولاية التكويتية و ما يلحق بها) المعجزات

الصادره من آل البيت عليهم السّلام و هي كثيره من كلّ واحد منهم. و على النفسائيات من العلم، كقوله تعالى: وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ (١)، و كذا: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ (٢)، و ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اضْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٣)، و أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٤)، و العصمه: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٥)، و الإخلاص: وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا (٦)، الحرص على هدايه الخلق:

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (٧). و الثالث، أى التشريعات كالحكومه: أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (٨)، و أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا (٩)،

ص: ٤٣٣

١- النمل: ١٦. [١]

٢- ٢. الأعراف: ١٦٩. [٢]

٣- ٣. فاطر: ٣٢. [٣]

٤- ٤. غافر: ٥٣. [٤]

٥- ٥. الأحزاب: ٣٣. [٥]

٦- ٦. الإنسان: ٨. [٦]

٧- ٧. التوبه: ١٢٨. [٧]

٨- ٨. الأنبياء: ١٠٥، [٨] هذه الآيه و ما بعدها من الآيات مأوله فى الأخبار إمّا لفظاً و بالجمله، و إمّا مضموماً و فى الجمله إلى المهديّ من آل البيت عليهم السّلام (عجل الله فرجه و دولته الكريمه).

٩- ٩. الأعراف: ١٣٧. [٩]

وَكَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١)، وَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٢)، وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٣)، وَ الْقَضَاءُ: فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٤)، وَ الْجِهَادُ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ (٥)، وَ إِجْرَاءُ الْحُدُودِ: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا (٦).

الخامسة: لا- ينافى ما قدّمنا من تفسير الموارِيث مع كون العصا لموسى و التابوت و قميص يوسف و درع داود و غير ذلك ممّا وردت الأخبار بكونها موارِيث من الأنبياء، هي عند آل البيت عليهم السّلام؛ لأنّها أسباب و لوازم للموارِيث على المعنى المتقدّم، و لا- ينافى أيضا من كون فدك ميراثا منتقلا عن رسول الله صلى الله عليه و اله إلى الصّديقه الزهراء عليها السّلام لأنّ الأئمّه و الأنبياء أولى من غيرهم بقانون التوارث في الأموال، قليله كانت أو كثيره.

ص: ٤٣٤

١- الشعراء: ٥٩. [١]

٢- ٢. الأعراف: ١٢٨. [٢]

٣- ٣. القصص: ٥. [٣]

٤- ٤. النساء: ٦٥. [٤]

٥- ٥. التوبة: ٧٣، [٥] قال البيت عليهم السّلام مكلّفون بجميع ما كلف به النّبى في أمثال هذه المقامات؛ لاستخلافهم له صلوات الله عليهم أجمعين.

٦- ٦. المائدة: ٣٨. [٦]

«و إياب الخلق إليكم، و حسابهم عليكم،

و فصل الخطاب عندكم»

و فيه ست نكات:

الأولى: هذه ثلاثة فروع من الفروع المشار إليها فى الفصل الأول من هذا الباب، مع كونها مأخوذة من قوله سبحانه: إِنَّ إِيْنَا إِيَابَهُمْ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (١)، و آتِينَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَضَّلَ الْخِطَابَ (٢)، و مشيره إلى أمور متعلّقه بمقصد الخلق و هو المعاد؛ و فيها رجوع الخلق إلى آل البيت عليهم السّلام و كون حسابهم مفوّض إليهم عليهم السّلام، و كذلك فصل الخطاب أى رفع الاختلاف من بين الخلق، و القضاء لكلّ أحد منهم على ما يستحقّ، و أيضا فيها بيان لمتّم الولاية التشريعيّة التى كانت لبعض الأنبياء فلا تنحصر ولاية الأنبياء عليهم السّلام فى الدنيا خاصّه، بل تمتدّ إلى الآخرة أيضا، فمن هذا التقرير يتبيّن صلّه هذه الجمل بالفقره السابقه عليها (و ميراث النبوه عندكم).

الثانيه: أنّ الترتّب فى هذه الجمل ترتّب طبيعى؛ لأنّ الثالثه (فصل

ص: ٤٣٥

١- الغاشيه: ٢٦، ٢٥. [١]

٢- ٢. ص: ٢٠.

الخطاب) تترتب على الثانيه (و حسابهم)، و الثانيه مترتبه على الأولى (و إياب الخلق)، لأن المتشاكين يجب رجوعهما إلى القاضى أولاً، و أن يحكم القاضى بينهما ثانياً، لأنه هو عالم بالقضاء و قادر على رفع الخلاف ثالثاً.

الثالثه: أن المستفاد بل الصريح من قوله سبحانه: **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** هو أن رجوع الخلق إلى الله سبحانه و أن حسابهم عليه تعالى، و هذا التفسير ينافى ظاهر قوله تعالى؛ لكن يمكن التوفيق بينهما بأن الرجوع الممكن إلى الواجب غير ممكن لعدم حاجه الواجب إلى المكان و عدم الفصل بين المعلول (الخلق) و علته التامه (الواجب تعالى)، حتى يلزم الرجوع، إذا يكون المراد من الإياب إمّا إلى زمان الحساب أو مكانه أو إلى من كان عاملاً لحساب الخلق من قبله سبحانه، فهؤلاء العاملون إمّا أن تكون الملائكه أو آل البيت عليهم السلام أو كلاهما معاً.

و لكن القول بأن المراد من العاملين هو آل البيت عليهم السلام يكون أولى؛ لكونهم أشرف من الملائكه، و لهذا النوع من الاستعمال نظائر كثيره فى القرآن، كإسناده تعالى الإنبات إلى ذاته المتعالیه مع كون السحاب و المطر مؤثرين فيه، و يمكن له جمع آخر (أدق من سابقه)، و هو أن كل حقيقه متحققه فى العين لها جهتان: وجوديه و ماهويه، فمن حيث الأولى يسند إليه سبحانه، و من حيث الثانيه يسند إلى غيره تعالى، كما قال سبحانه:

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ* أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (١)، وقوله تعالى أيضا: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (٢).

الرابعة: فى إقامه الدليل على المراد، قد ورد فى تأويل قوله تعالى أخبار داله على أنّ المراد من «إلينا» فى الآيه هم آل البيت عليهم السّلام، منها: عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: «قال: يا جابر، إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجلّ الأولين و الآخريين لفصل الخطاب دعى رسول الله صلّى الله عليه و اله و دعى أمير المؤمنين عليه السّلام فىكسى رسول الله صلّى الله عليه و اله حلّه خضراء تضىء ما بين المشرق و المغرب و يكسى علىّ عليه السّلام مثلها و يكسى رسول الله صلّى الله عليه و اله حلّه ورديه يضىء لها ما بين المشرق و المغرب و يكسى علىّ عليه السّلام مثلها ثم يصعدان عندها ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس فنحن و الله ندخل أهل الجنّه الجنّه و أهل النار النار» (٣).

«عن سماعه قال: كنت قاعدا مع أبى الحسن الأوّل عليه السّلام و الناس فى الطّواف فى جوف اللّيل، فقال: «يا سماعه، إلينا إياب هذا الخلق، و علينا حسابهم..» (٤).

ص: ٤٣٧

١- .الواقعه: ٦٣، ٦٤. [١]

٢- ٢. الأنفال: ١٧. [٢]

٣- ٣. تأويل الآيات الظاهره ٧٦٣، فى ذيل سوره الغاشيه و ما فيها من الآيات.

٤- ٤. الكافى ٨: ١٦٢/١ ح ١٦٧. [٣]

و عن قبيصه عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ قال: فينا. قلت إنما أسألك عن التفسير، قال نعم يا قبيصه، إذا كان يوم القيامة جعل الله حساب شيعتنا إلينا، فما كان بينهم وبين الله، استوهبه محمد صلى الله عليه واله من الله، وما كان فيما بينهم وبين الناس من المظالم أذاه محمد صلى الله عليه واله عنهم، وما كان فيما بيننا وبينهم وبيننا لهم حتى يدخلوا الجنة بغير حساب» (١).

الخامسة: أن ما يحاسب به الخلق ليس من التكوينية المحضه الخارجه عن دائره التكليف، بل هو إما أن يكون مما يرجع إلى عقولهم كاعتقادهم بالحق وإنكارهم الباطل، وإما أن يرجع إلى نفوسهم وهو الأعمال والأخلاق، فعقول الخلق عقول جزئية راجعه إلى عقول كليته و مندرجه تحتها، وكذلك نفوسهم وليست عقولا - ولا - نفوسا كليتين على حد أكملهما (العقول و النفوس) إلا في آل البيت عليهم السلام، فبهذا الرجوع و الاندراج تقع محاسبه الخلق بسبب آل البيت عليهم السلام، فما كان حقا يبقى مندرجا، وما كان باطلا يخرج عن حاله الاندراج، و بهذا التقريب يتبين معنى كونه سبحانه سريع الحساب.

السادسة: لا يرتفع الخلاف بين المحق و المبطل (من الناس)، و الظالم و المظلوم، و الضالّ و المضلّ، إلا بفصل الخطاب، و لا يمكن ذلك إلا لآل

ص: ٤٣٨

١- بحار الأنوار ٧: ٢٧٤ ح ٤٨، و ٢٤: [١] ٢٧٢ ح ٥٢- عن: تفسير فرات الكوفى [٢] فى ظل الآيتين أعلاه.

البيت؛ لأنهم محاسبون للخلق كما أثبتنا، و لقوله تعالى في داود عليه السلام:

وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَوَّضْنَا إِلَيْهِ الْخِطَابَ (١).

٩٩

«و آيات الله لديكم»

و فيه أربع نكات:

الأولى: هذا هو السادس من الآثار و الفروع التي أشرنا إليها فيما سبق، و هو كون آيات الله لدى آل البيت عليهم السلام، و نقول في معنى الآية و لزومها:

إنَّ الآية هي العلامة و هي لازمه، لأنَّ الناس مكلفون بمعرفة الله تعالى، و هذه المعرفة أعظم التكليف بل هي الغاية القصوى و الغرض الأعلى لإيجاد الخلق، و من جهة أخرى فإنَّ المعرفة بهويته الذاتيه و صفاته التي هي عين ذاته غير مقدوره للبشر، لكون ذاته المتعالية غير متناهية و الإنسان لا يسع له ذلك، فإن لم تكن هناك آية تدلّ على وجوده تعالى و تثبت صفاته القدسيه يكون الإنسان متحيراً بين الطاعة و التمرد، بل يصير به اللبيب مجنوناً، فبهذا التقرير تبين لزوم الآية و علامه ليصل الإنسان بها إلى مقصده، هذه إذا كانت إضافة الآية لاميّه، و إلا لا يثبت المراد ببيانتها.

الثانية: الأقوى إطلاق الآيات هنا لتشمل الآيات التكوينية و التدويته

ص: ٤٣٩

١- ص: ٢٠.

معا(من الآفاق و الأنفس و معجزات الأنبياء) (١)، فيكون المعنى أن كل ما يقع عليه اسم الآيه هو عندكم و يشهد على كون الآيات التدويته عندهم:

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (٢).

الثالثه: كيفيه كون الآيات عندهم:

قد تقدّم غير مرّه أنّ آل البيت عليهم السّلام وسائط كلّ فيض و جميع ما خلق الله مستفيض، و أنّ وجود كلّ شيء و شخص و شأن و صفه و تأثير و فعل و انفعال و تبدل كماله، كلّ ذلك من فيوضاته تعالى، و لا يصل أيّ فيض إلى أيّ مستفيض بلا واسطه، فيكون كلّ فيض آيه منه سبحانه، فيجب إذا كون المستفيضات كالفيوضات عند الوسائط حتّى تتحقّق الإفاضه و الاستفاضه و الآيات أيضا، كما ورد عن الإمام على عليه السّلام قوله: «أنا الذي حملت نوحا في السّفينه بأمر ربّي، و أنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربّي، و أنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربّي، و أنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربّي، و...» (٣)، و أيضا «أنا تكلمت على لسان عيسى ابن مريم في المهدي» (٤).

ص: ٤٤٠

١- و هي باعتبار عيبتها تعدّ من التكويتات، و باعتبار بعدها العلميّ أو الإخباريّ تعدّ من الآيات التدويته.
٢- ٢). العنكبوت: ٤٩. [١] يلزم الذكر أنّ كلّ آيه تكويته كانت أو تدويته دالّه على ثبوت صفات عديده له سبحانه، و لكنّ قدرته تعالى أظهر في التكويتات، و علمه أبرز في التدويته.

٣- ٣). بحار الأنوار ٢٦: ٥٨١-١٣، باب نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم بالنورانيه.. [٢]

٤- ٤). شرح الزيارة الجامعة الكبيره للأحسائي ١٨١- [٣] ذيل العبارة: «و فصل الخطاب...».

أما الكلام في كون المعجزات عندهم فهو واضح، لأن آل البيت عليهم السلام مضافا إلى كونهم ورثة للأنبياء و خلفاء عنهم، هم حجج الله التامات، فلا يشك عاقل في لزوم كونهم ذوى معجزات قاهرات و آيات باهرات، و الدليل على لزوم آيات الله التدويته عندهم كونهم مفسريها و مبينيها أولا، و ثانيا كونهم ذوى علم واسع، (كما ثبت في موضعه)، و ثالثا وجود شواهد كثيره فى أقوالهم على ذلك، منها: قول الإمام على عليه السلام: «و صار محمدا صاحب الدلالات، و صرت أنا صاحب المعجزات و الآيات» (١)، و رابعا قوله سبحانه: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (٢).

الرابعه: الفرق بين التعبيرين (عند، و لدى):

عبر الإمام عليه السلام عن كون فصل الخطاب لآل البيت بـ «عندكم» و عن كون الآيات لهم بـ «لديكم» لجهتين:

الأولى: على ما تقتضى البلاغه ترك التكرار، و لا سيما بلاغه الإمام المحتويه لأحسن نظام فى الكلام بعد كلام الله الحكيم العلام.

الثانية: أن كون الشيء عند أى شخص: إما شأنى كأمر البلاد الواسعه عند السلطان، و إما عينى ككون خاتمه عنده، فحضور فصل الخطاب لهم

ص: ٤٤١

١- بحار الأنوار ٢٦: ٤٧ ح ١-الباب ١٣. [١]

٢- ٢. العنكبوت: ٤٩. [٢]

حضور شأني لا- عيني (لعدم وقوع القيامة الآن، و أيضا لعدم حضور جميع أهل الأعصار و الأمصار و اختلافاتهم عندهم عيتيا) و آيات الله لديهم عينا (١).

١٠٠

«و عزائمه فيكم، و نوره و برهانه عندكم، و أمره إليكم»

و فيه نكات خمس:

الأولى: هذه فروع و آثار آخر من الآثار أو النتائج المترتبة على الأصول السابقة، و هي كون عزائم الله و نوره و برهانه سبحانه عندهم و أمره إليهم. إن السيد عبد الله شبر رحمه الله احتمل عدّه معان في تفسير العزائم (في كتابه الأنوار اللامعه)، و لكنّه قدّس سرّه مع هذه الاحتمالات البعيده ترك الصلّه بين هذه الجمل مع الفقرات السابقه عليها. و نحن أخذنا القرينه لتعيين معنى العزائم من تلك الفقرات، فنقول: إنّ العزائم جمع العزيمه، و هي مأخوذه من العزم الذي كان صفه لعدّه من المرسلين (٢)، قال تعالى:

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ (٣)، فيكون معنى الجملة أنّ قوّه

ص: ٤٤٢

١- إن سأل سائل بأنّ آل البيت عليهم السّلام بأنفسهم آيات تامّات، فكيف يجمع بين الآيات التي لديهم و بين من لديه الآيات الذين هم آيات؟ و الجواب عنه هو أنّهم آيات لله من حيث كونهم مظاهر أسمائه و صفاته سبحانه، و من حيث إنّهم عالمون بذلك كانوا ممّن لديهم الآيات، فيكون الفرق بالاعتبار.

٢- ٢. و هم: نوح و إبراهيم، و موسى، و عيسى، و محمّد (صلوات الله عليه و آله و عليهم).

٣- ٣. الأحقاف: ٣٥. [١]

الإرادة الموجوده فى اولى العزم تكون فىكم، و أنّ الأركان المجمعوله لله فى التكوين و التشريع و كلّ ما كان أصلا يكون عندكم، و لعلّ التعبير بالجمع (عزائم) دون الأفراد (عزيمه) باعتبار أفراد آل البيت عليهم السلام.

الثانيه: احتمل بعض الشّراح أنّ المراد من النور هنا هو القرآن، كما قال سبحانه: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١)، و اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ (٢)، و لكنا نقول: إن كان يلزم التكرار من كون المراد من النور قرآنا، لذكر الآيات قبله، بل المراد منه هو التجلّى و الظهور باسمه الظاهر: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ (٣)). و التجلّى أو الظهور هو أمر وجوديّ، و هو مشهود فى كلّ موجود و لا يلزم منه تكرار؛ و قد بلغ قوّه هذا الظهور و شدّته إلى بطونه فى ظهوره، كالشمس التى ظهرت و من شدّه ظهورها بظنت، كما قال المحقّق السبزواريّ (فى منظومته):

يا من هو اختفى لفرط نوره الظاهر الباطن فى ظهوره

الثالثه: أنّ للموجودات مراتب، و أضعف مراتبها الهيولى، و أقوى منها المادّه، ثمّ الصوره، ثمّ المثال، ثمّ النفس ثمّ العقل، و لا أضعف من الهيولى فى الوجود و لا- أقوى من العقل. و العقل أيضا له مراتب، فأضعفها العقل بالهيولى، ثمّ بالملكه، ثمّ بالفعل، ثمّ بالمستفاد. و المستفاد أكمل مراتب

ص: ٤٤٣

١- النساء: ١٧٤. [١]

٢- ٢. الأعراف: ١٥٧. [٢]

٣- ٣. الحديد: ٣. [٣]

الوجود الذى اختصّ بآل البيت عليهم السّلام. والعقل يتضمّن جميع مراتب الوجود، الذى يعبر عنه و عن العقل و العلم أيضا بالنور، فعلى هذا يمكن أن يكون المراد من النور الكائن عند آل البيت عليهم السّلام هو أكمل مراتب الوجود الجارى فى جميع الموجودات، فبهذا التقرير يتبيّن معنى كون النور عند آل البيت عليهم السّلام لأنّ كلّ قوَى يتضمّن جميع المراتب الضعيفه تحته، فالوجود الأشدّ المختصّ لآل البيت متضمّن لجميع مراتب الوجود، و يندرج تحت هذه المرتبه من الوجود، العقل و العلم أيضا اللذان اطلق عليهما اسم النور، كما قال الإمام الصادق عليه السّلام، فى وصف العلم: «إنّما هو نور يقع فى قلب من يريد الله تبارك و تعالى أن يهديه» (١)، و كما اطلق النور على العقل أيضا كقول النّبىّ صلى الله عليه و اله: «أول ما خلق الله نوري» (٢)، و قد فسّر العلماء النور هذا بعقله القادس.

الرابعه: قد ذكرنا كون المراد من النور هو الوجود، و هو بجميع مراتبه مشهود معاين لآل البيت عليهم السّلام، فهذا الإدراك منهم له إدراك فطرىّ و دونه إدراك عقلىّ له، و إن شئت فعبر عن الأوّل بمشاهده الوجود، (٣) و عن الثانى بالعلم به، و المراد بالبرهان هو المرتبه الثانيه.

الخامسه: المراد من الأمر هنا هو الأمر الذى يقبل التفويض، و هو

ص: ٤٤٤

- ١- الأربعين الهاشميه، ص ١٠٩ الحديث ١٣، فيما قال عليه السّلام لعنوان البصرىّ.
- ٢- ٢. نفحات الأزهار، للسّيد علىّ الحسينىّ الميلانىّ ٢١٧: ٥. [١]
- ٣- ٣. لأنّهم يشاهدون جميع ما سوى الله فى مرآة عقولهم القادسه.

المرتبه الأولى للأمرية التي فوضها الله إليهم، والناس مكلفون باتباعهم (كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١)) وهم عليهم السلام موظفون بإراءته وإثباته، وكون المراد من الأمر الولايه التكوينية، أو هي مع ما ذكر آنفاً و هو بعيد.

ص: ٤٤٥

١- النساء: ٥٩. [١]

«من والاكم فقد والى الله و من عاداكم فقد عادى الله،و من

أحبكم فقد أحب الله،و من أبغضكم فقد أبغض الله،و من

اعتصم بكم فقد اعتصم بالله»

و فيه ست نكات:

الأولى:هاتان الجملتان(من والاكم...عادى الله)مأخوذتان من قول النبى صلى الله عليه و اله فى خطبته بغدير خم بعد كلام و أخذ الإقرار على كونه مولى الناس،«فمن كنت مولاه فهذا على مولاه،اللهم وال من والاه،و عاد

ص:٤٤٦

١- و هو أنسب العناوين لهذا الفصل من الزياره،لما يظهر من نسب الواقعه بين العارف أو المبغض فى حق آل البيت عليهم السلام نسبه بهم عليهم السلام و نسبه بالله تعالى و هذا الباب كثره للباب السابق.

الثانية: معنى الموالاته هو كون الشئيين بحيث لم يكن بينهما فاصل و كان أحدهما تلو الآخر، و المعاداه بخلافه، لأنّ المعاداه مأخوذه من العدو، و هو التجاوز عن الحدّ، فيكون الموالي لآل البيت مواليا لله، فكما لم ينفصل الموالي لهم عنهم عليهم السّلام فهكذا ليس بينه و بين الله فاصل، و معنى المحبّه ظاهر لأنّها أمر وجدانيّ لا- برهانيّ، إذا لا- تحتاج إلى التعريف و إن عرّفها بعضهم، و هي خلاف البغض، و أنت ترى فيها إحساسا لطيفا رطبا.

و لعلّ الفرق بين الموالاته و المحبّه هو أنّ المحبّه من مقوله الإحساس النفسانيّ، و الموالاته كنتيجة لها من مقوله العمل.

الثالثة: الاعتصام هو طلب العصمه، فيكون معنى الجملة أنّ من طلب منكم العصمه، طلب العصمه من الله. و فى الحقيقه، المعتصم بآل البيت هو الذى جعل نفسه فى موضع العصمه لله تعالى، يؤيده قوله تعالى:

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢).

الرابعه: الاعتصام يتقوّم بثلاثه مقوّمات، و هى: المعتصم (و هو فاعل الاعتصام)، و المعتصم به، و هو سبب الاعتصام، و معتصم منه، و هو الخطر أو الخسران الذى لو لا الاعتصام لحصل. و الحاصل أنّ جميع أبناء

ص: ٤٤٧

١- بحار الأنوار ١٨٠: ٣٧- الباب ٥٢، [١] أخبار الغدير. [٢]

٢- ٢. آل عمران: ١٠١. [٣]

البشر مأمورون بالاعتصام بآل البيت، كما قال سبحانه: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا (١)، كما ورد عن الإمام الباقر عليه السّلام في تفسير الآيه أنّه قال: «آل محمّد عليهم السّلام هم حبل الله المتين الذي أمر بالاعتصام به» (٢). ولكنّ المعتصمين الحقيقيين هم المؤمنون بهم. وأمّا المعتصم به (و هو ثاني المقومات) فهو آل البيت عليهم السّلام؛ لأنّهم حبل الله الذي من اعتصم به فهو معتصم بالله. و المعتصم منه (و هو ثالث المقومات) هو الضلاله و الوقوع في زمره المغضوب عليهم، المشار اليهما في آخر سورة الفاتحه، و كلّ خطر و خسران كالخلود في النار يوم القيامة و ضنك المعيشه في الدنيا و غير ذلك. و أمّا ثمره هذا الاعتصام فهي الاهتداء إلى صراط مستقيم، الموصل إلى الفلاح من كلّ خطر و خسران، و إلى الفوز في الحشر مع الأبرار في الجنان، و غير ذلك.

الخامسه: يستفاد من هذه الجمل أصل هامّ و هو معيّنه آل البيت عليهم السّلام مع الله، و لعلنا أشرنا إليها فيما مضى (٣) و يمكن إثبات هذه المعيّنه من طرق الحكمه و العرفان و النقل.

ألف) لا شكّ في أنّ كلّ واجب بالغير كما كان وجوب وجوده من

ص: ٤٤٨

١- آل عمران: ١٠٣. [١]

٢- ٢. بحار الانوار ٢٣٣: ٦٨- [٢] عن تفسير العياشي ١/ ١٩٤: ١٢٣. [٣]

٣- ٣. و لها شواهد كثيره، و من أصرحها ما قاله الإمام الصادق عليه السّلام: «لنا مع الله حالات...» فليراجع شرح كلمه «المقرّبون» المباركه.

واجب ذاتي، و كل ما يحصل له كمال يتأكد وجوده و يشتد، فكل ما كان تحصيله للكمال أكثر كان وجوبه و وجوده أشد، و كل ما كان الوجود أشد و أكد و الكمالات الوجودية أقوى كان ذلك الوجود إلى الله أقرب.

و الحاصل أن آل البيت عليهم السلام حيث بلغوا من كل كمال إلى غايته بحيث لا يتصور فوqe كانوا هم عليهم السلام أقارب الخلق إلى الله، و غير آل البيت (الموالي لهم) لمّا اتصل بهم و قوى صلته بالموالاه و المحبّه كانت الصله أقوى الصلات بأكمل الوجود.

ب) عرفان؛ قد تكرر فيما مضى أن آل البيت عليهم السلام مظاهر أسماء الله الحسنى، و مجالى صفاته العليا، و من هذا حيث يكونون فانين فيه سبحانه (لنساء المظهر فى الظاهر)، فتكون الموالاه لهم هى الموالاه لله، فهذا معنى «من والاكم فقد والى الله، و من أحبكم فقد أحب الله».

ج) و أما من جهه النقل فهو كالتالى، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ (١)، و وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا (٢)، و مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (٣)، و فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ (٤). و من الروايات كقوله سبحانه فى حديث قدسى: «و إنه ليتقرب

ص: ٤٤٩

١- الفتح: ١٠. [١]

٢- ٢. آل عمران: ١٠٣. [٢]

٣- ٣. النساء: ٨٠. [٣]

٤- ٤. الزخرف: ٥٥، [٤] إن تنزهه تعالى عن خواص الممكن و حالاته، و منها الأسف، معلوم، فيكون الأسف المنسوب إليه تعالى هو أسف موسى عليه السلام، و قد أسند إليه من باب شدّه الارتباط و الصله بينهما.

إِلَىٰ بِالنَّافِلَةِ حَتَّىٰ أَحَبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَبْتَهُ كُنْتَ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا» (١)، وَقَوْلُهُ أَيْضًا: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمِحَارِبَةِ» (٢)، وَكَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَقِّ الصَّدِيقَةِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «إِنَّ فَاطِمَةَ شَعْرَهُ مِنِّي، فَمَنْ آذَى شَعْرَهُ مِنِّي فَقَدْ آذَانِي وَ مِنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَ مِنْ آذَى اللَّهَ لَعَنَهُ اللَّهُ مَلَأَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» (٣).

السادس: أَنَّ بَيْنَ الْمَوَالِيهِ لِآلِ الْبَيْتِ وَالْمَوَالِيهِ لِلَّهِ مَلَاذِمَةٌ، وَهَكَذَا فِي بَابِ الْمَحَبَّةِ مِنْ جِهَةِ الْبَغْضِ وَالْمَعَادَاةِ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، أَيْ مِنْ كَانَ مَوَالِيًّا وَ مَحَبًّا لِآلِ الْبَيْتِ كَانَ مَحَبًّا وَ مَوَالِيًّا لِلَّهِ، وَ مِنْ كَانَ مَوَالِيًّا وَ مَحَبًّا حَقِيقَةً لِلَّهِ كَانَ كَذَلِكَ لِآلِ الْبَيْتِ، هَكَذَا؛ لِأَنَّ الْمَظْهَرَ كَمَا قُلْنَا فَإِنَّ فِي الظَّاهِرِ (٤)، وَ أَنْتَ خَيْرٌ بِأَنَّ كُلَّ قَطْرَةٍ سَاقِطَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فِي النَّهْرِ هِيَ مُتَّصِلَةٌ بِالنَّهْرِ، وَ إِنْ سَقَطَتْ فِي الْبَحْرِ جَرَتْ إِلَى النَّهْرِ أَيْضًا، قَالَ تَعَالَى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ (٥).

ص: ٤٥٠

١- الحديث كاملا في: الكافي ٤/٥٣:٤ الحديث ٧-باب من آذى المسلمين واحترقهم. [١]

٢-٢. الكافي ٤/٥٤:٤ ح ٨-باب من آذى المسلمين.... [٢]

٣-٣. بحار الأنوار ٤٣/٥٤:٤ ح ٤٨- [٣] تاريخ فاطمة الزهراء عليها السلام، باب مناقبها و بعض أحوالها عليها السلام- [٤] عن كشف الغمّة للإربليّ.

٤-٤. و حيث إنّ الموالاة و المحبة لله تنفرعان على معرفته سبحانه، و لا- يمكن معرفته تعالى إلا- من طريق آل البيت عليهم السلام، إذا لا يمكن الموالاة و المحبة لله ابتداء، حتى تلازم موالاة آل البيت عليهم السلام، نعم إن كانت هذه (المعرفة بالله) ممكنة كان الأمر كما قلنا.

٥-٥. آل عمران: ٣١. [٥]

«أنتم الصراط الأقوم» (٢)

و فيه أربع نكات:

الأولى: قد ذكرنا فيما مضى معنى الصراط و الفرق بين الصراط و السبيل، و هنا نقول: إن هذه الجملة المباركه مقتبسه من قوله تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (٣)، و قيد الأقوم هنا قيد احترازي،

ص: ٤٥١

١- و هو كحصيله ممّا تقدّم، و الزائر يقرّ في هذا الباب بما تحصّل له في حقّ آل البيت عليهم السّلام و هو مشتمل على حقائق سيع يقرّ بها الزائر كما يلي.

٢ - ٢). أقول: كون جملة «أنتم السبيل الأعظم» (كما في بعض النسخ) قبل «أنتم الصراط الأقوم» بعيد؛ لأنّ مضمون الجملة الثانيه (الصراط الأقوم) مقتبسه من القرآن، فإن تقارنت بها الجملة الأولى كان يلزم أن تقتبس كأختها أيضا من القرآن، و لا توجد آيه دالّه على مضمونها، مضافا إلى أنّها لم ترد في أكثر نسخ الزيارة، فلهذا شرحنا الجملة الثانيه هنا دون الأولى.

٣-٣). الإسراء: ٩. [١]

و لآزمه وجود صراط غير أقوم، أى صراط قويم؛ لأنّ الأقوم (على الأقوى) أفعل من القويم و إن كان لا يبعد أن يكون القيد توضيحياً أيضاً.

الثانية: فى اختصاص هذا الشأن لآل البيت وجوه:

الأول: العقل يقضى كمال الإسلام من حيث الشريعة بالنسبة إلى الشرائع الماضيه، فإمامه آل البيت عليهم السلام تهدى الأئمة إلى أكمل الشرائع، و هذا هو المراد من الصراط الأقوم الذى يهدى القرآن و آل البيت إليه.

الثانى: أنهم قرين القرآن كما فى حديث الثقلين، قال صلى الله عليه و اله: «إنى تارك فىكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» (1) المتواتر عن النبى صلى الله عليه و اله، فكما إن هذا القرآن يهدى للبنى هي أقوم فإن لم يكونوا هم الصراط الأقوم لزم أن لا يكون هناك صراط أقوم يهدى القرآن إليه.

الثالث: ما ورد من الأخبار عن أبى عبد الله فى تأويل قوله: «إن هذا القرآن يهدى للبنى هي أقوم قال: «يهدى إلى الإمام عليه السلام» (2)، (أى: إلى معرفه الإمام) (3).

الثالثه: قد قلنا: إن قيد الأقوم قيد احترازى للصراط، و المراد من كونها

ص: ٤٥٢

١- وسائل الشيعه ٣٣: ٢٧-٣٤/ ح ٣٣١٤٤، [١] حديث متواتر بين العامة و الخاصه (سنن الترمذى، مسند أحمد، مستدرک الحاكم، اصول الكافى، [٢] الخصال...).

٢- ٢. تأويل الآيات الظاهره: ٢٧٣.

٣- ٣. كآيه: التطهير و إكمال الدين و تبليغ الرساله، و آيه الولايه و الراسخون فى العلم، و آيه المباهله.

«أقوم» هو «الأوسط» و«أبعد» من أى إفراط أو تفريط، و أكمل إيصالاً- لسالكها إلى المقصد، فكلّ صراط سوى صراط آل البيت عليهم السّلام غير أقوم، فيكون إمّا مفرط أو مفرّط و غير موصل إلى المقصد، وقد يدخل فيه غير القويم أيضاً، كالنحل و المكاتب المصنوعه من قبل البشر.

الرابعة: هنالك يمكن تفسير آخر كونهم عليهم السّلام صراطا أقوم، و هو أنّهم صراط أقوم قبال صراط قويم، و المراد من الصراط القويم هو القرآن؛ لكونه منبع العلم بالكمالات و مصدرا لتعاليمها، مع أنّ آل البيت عليهم السّلام كانوا منبعاً لظهور عين الكمالات و مصدرا تربويّاً، و التربيّه بإراءه الكمالات عينيّاً أكثر تأثيراً من تعليمها، و الإنسان الفاقد للكمال أكثر تأثراً بالتربيّه منه بالتعليم، كما قيل: «ليس الخبر كالمعاينه». فالحاصل يكون طريق القرآن طريقاً قويمًا، و آل البيت عليهم السّلام صراطا أقوم.

١٠٣

«و شهداء دار الفناء، و شفعاء دار البقاء» (١)

و فيه ثمان نكات:

الأولى: أنّ مشاهدته آل البيت عليهم السّلام للحقائق تكون على قسمين: عينيّه، و علميّه.

الأولى: ما كانت من شؤون ولايتهم التكوينيّه، كمشاهدتهم أعمال

ص: ٤٥٣

١- هذان إقراران من الإقرارات السبعة للزائر في هذا الباب، كالسابق عليها (أنتم الصراط الأقوم).

العباد فى عمود من نور فى حياتهم عليهم السلام و بعد وفاتهم، و قد فضلنا القول فى البحوث السابقه.

الثانيه: (و هى مذكوره هنا) المتقيده بدار الفناء، و هى من شؤون إمامتهم، و الإمامه كما قلنا سابقا شأن ظاهريّ كحكومه كلّ حاكم و سلطنه كلّ سلطان، أى يلزم لكلّ إمام أن يكون مطلعاً خبيراً بشؤون رعاياه من الطاعه و العصيان. و أمّا سرّ التعبير بالشهداء دون العلماء، فهو قوّه علمهم و سعته بشؤون الرعايا، و العلم القويّ الواسع يكون كالمشاهده، مضافاً إلى أن لو لم تكن هذه الشهاده لانهدم ركن من أركان الإمامه؛ لأنّ الإمام بالنسبه إلى الرعيّه كأب رحيم مدبّر للولد، فكما أنّ أولاد أب كهذا كانوا جاهلين أميين لمصالحهم و مفاسدهم الحقيقيّتين كذلك الرعايا للإمام.

الثانيه: أنّ لتقييد شهادتهم بدار الفناء سرّاً، و هو أنّ هذا العالم عالم تنازع الأسباب و تراحم المسببات، و نشأه تلاقى العلل و تداخل المعاليل، و فى النهايه يكون عالم كتمان الحقائق و خفاء الأمور، لأنّ فى النشآت الأخرى لا تكون هذه الخصوصيات، فلهذا سبق ذكر شهادتهم الولويّه بأنّها فى عمود من نور، لكونها من نشأه أخرى لا تداخل فيها و لا تراحم و لا خفاء لأى حقيقه أصلاً، هذا كلّه فيما إذا كان المراد من تعبير الإمام عليه السّلام بشهداء دار الفناء هو المشاهده، و إلاّ إن كان المقصود هو شهادتهم فى محكمه عدل الله تعالى فنقول: إنّهم عليهم السّلام يشهدون عند الله فى الآخره على أعمال الخلائق من الطاعه و المعصيه، و على عقائدهم من الحقّ و الباطل.

الثالثة: في نسبة الشهاده إلى الشفاعة:

إنَّ الشهاده تتناسب مع ذكر الشفاعة هنا على أى من التفسيرين، لأنَّ الشفيع يلزم له أن يكون خبيراً باستحقاق المشفوع له أو عدم استحقاقه:

إمّا عن طريق العلم، وإمّا عن طريق مشاهدته العين، كى تكون شفاعته أو تركها له وجيهه مقبوله عند الله.

الرابعه: أنّ شفاعه آل البيت عليهم السلام كشفاعه النبى، عامه بالنسبه إلى العاصين و غير العاصين من المؤمنين، فمنها لرفع درجات المتقين (غير العاصين) كما قال النبى صلى الله عليه و اله: «آدم و من دونه تحت لوائى يوم القيامه» (١)، و منها لدفع العذاب عن عدّه من العاصين قبل أن يعذبوا، و منها لرفعه عن عدّه اخرى كما قال النبى صلى الله عليه و اله: «ادّخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمّتى» (٢).

الخامسه: حقيّه الشفاعة: يمكن الاستدلال على حقيتها بالعقل و القرآن و الحديث، أمّا بالعقل مضافاً إلى كونها كأصل ضرورى بين المسلمين بل بعض الملّيين أيضاً، كالنصارى، فهو أنّا نرى فى نظام الموجودات نواقص (بل النقص بعد كون كلّ موجود كأصل ثان، أو لهما وجوده) (٣)، و الحقّ المتعالى الحكيم جعل لرفع كلّ نقصان سبباً، فهذه الحكمه البالغه لا

ص: ٤٥٥

١- بحر المعارف ٣١٢.

٢- ٢. مجموعه ورام (تنبيه الخواطر و نزّهه النواظر ١: ٢٩٩). [١]

٣- ٣. لأنّه لولاه لم يبق للاستعمال مورد و للإمكان الذاتى الذى لا يقتضى وجوداً و لا عدم أثر.

تقتضى أن يبقى المتمردون على قبول الحقّ والعمل به في الشقاوه الأبدية و الهلاكه السرمدية، بل يجب جعل سبب لنجاه كلّ من له أضعف قابليته و لياقه للنجاه و السعاده، و إلّا لزم خلاف الأصل العامّ المذكور، و ذلك السبب هو الشفاعة، فتدبر.

و أما بالقرآن فتدلّ عليه عدّه من الآيات، كقوله تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (١).

و أمّا بالحديث، فهو كثير أيضا عن النبيّ و أوصيائه المعصومين عليهم السّلام كقول النبيّ صلّى الله عليه و اله: «من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي» (٢)، و كقوله صلّى الله عليه و اله أيضا: «أربعة أنا الشّفيع لهم يوم القيامة و لو أتوني بذنوب أهل الأرض: معين أهل بيتي، و القاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، و المحبّ لهم بقلبه و لسانه، و الدّافع عنهم بيده» (٣).

السادسه: لعلنا أشرنا فيما مضى إلى أنّ بين نظامي التكوين و التشريع مشابهاة، فمنها: كما أنّ كلاً من الريح و المطر و غيرهما كان كشفيع لحصول الكمال في التكوين، فالبيت عليهم السّلام بهدايتهم في الدنيا هم شفعاء

ص: ٤٥٦

١- البقره: ٢٥٥. [١]

٢- ٢). عيون أخبار الرضا عليه السّلام ١: ١٣٦/ح ٣٥. «انظر إلى قوم ينكرون الشفاعة مع كونهم منسويين إلى الإسلام، و القرآن يصرّح أو يلوّح إليها في آيات عديده، و هناك أخبار كثيره تدلّ عليها، مع أنّ عبده الأوثان و الأصنام يقرون بها».

٣- ٣). عيون أخبار الرضا عليه السّلام للشيخ الصدوق ١: ٢٥٩/ح ١٧-١٦-الباب ٢٦، و [٢] الخصال ١٩٦/ح ١-باب الأربعة.

لنجاه الخلق من الكفر و الفسق و العصيان و الاختلاف، فهم شفعاء الخلق فى الدنيا أيضا، و شفاعتهم تبدو فى الدنيا و تستمر إلى قيامه (١)، مضافا إلى أنّ الشفيع فى نظام التشريع يلزم أن يكون أقرب بالنسبة إلى المشفوع له و بالنسبة إلى المشفوع عنده، فهم عليهم السلام أقارب إلى الخلائق بماهياتهم الإمكانية، و بالنسبة إلى الخالق بعقولهم القادسه الربانيه.

السابعه: أنّ كونهم عليهم السلام شفعاء لا يختصّ ذلك بهم (٢)، بل كلّ ما له دور و تأثير فى حصول الكمال يمكن له الشفاعة أيضا، كالقرآن و العلماء و الشهداء، بل سائر المؤمنين أيضا، و يشهد على ذلك عدد من الأخبار، كقوله صلى الله عليه و اله فى حقّ العلماء و الشهداء: «ثلاثه يشفعون إلى الله عزّ و جلّ فيشفعون: الأنبياء، ثمّ العلماء، ثمّ الشهداء» (٣)، و فى القرآن: «الشفعاء خمسهم: القرآن، و الرّحم، و الأمانه، و نبيّكم، و أهل بيت نبيّكم» (٤)، «و الشّفاعة: للأنبياء، و الأوصياء، و المؤمنين، و الملائكه» (٥).

الثامنه: من يستحقّ الشفاعة؟ إنّ الشفاعة الدافعه للعذاب أو الرافعه له، تشمل من مات مؤمنا و عليه الكبائر من الذنوب و لم يتب منها، فكلّ من

ص: ٤٥٧

١- ينبغى أن يقال أيضا أنّ القابليّه لشفاعتهم فى الدنيا (المعبر عنها بالهدايه) هى العقل السليم و الفطره القويمه، و بعد الدنيا هى الإيمان.

٢- ٢. و إن كانت الكبرى من الشفاعة مختصّه بهم؛ لأنّهم الوسائط العظمى لشمول الفيض تكوينيا و تشريعا.

٣- ٣. الخصال للشيخ الصدوق / ١٥٦ ح ١٩٧- باب الثلاثه.

٤- ٤. بحار الأنوار ٨: ٤٣٣ ح ٣٩- [١] عن فردوس الديلمى بروايه أبى هريره.

٥- ٥. بحار الأنوار ٨: ٥٨٨ ح ٧٥. [٢]

مات كافراً أو مرتاباً في عقيدته (١) أو تائباً عن معاصيه (بتوبه مقبوله) أو مات و عليه الصغائر من غير توبه، أو من شمله عفو الله أو طهر من لوث معاصيه بالمحن و المصائب في الدنيا أو البرزخ، لا- حاجه له إلى الشفاعة، لأنّ بعض هؤلاء لا ينتفع بها أصلاً كالكافر و المرتاب (٢) و بعضهم مستغنون عنها كالمعفو عنه أو التائب (٣)، و أمّا الرافعه للدرجات و الموجه لزياده القرب فيستحقّها كلّ مؤمن.

١٠٤

«و الرّحمه الموصوله، و الآيه المخزونه،

و الأمانه المحفوظه»

فيه ستّ نكات:

الأولى: هذه إقرارات أخرى في هذا الباب يقرّ بها الزائر بأنّ آل البيت عليهم السّلام هم رحمه الله الموصوله و آيته المخزونه و أمانته المحفوظه،

ص: ٤٥٨

١- و يلحق بالكافر أو المرتاب: المستخفّ بالصلاه؛ لأنّ استخفافه بها ينجزّ إلى الكفر أو الارتياب عند موته، كما قال صلّى الله عليه و اله: «لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته، فلا يرد عليّ الحوض لا و الله، و لا ينال شفاعتي من شرب المسكر، و لا يرد عليّ الحوض لا و الله» (التهذيب ٩: ١٠٦/١٩٢- الباب ٢، باب الذبائح و الأطعمه...).

٢- ٢). «الشفاعة لا- تكون لأهل الشكّ و الشرك، و لا لأهل الكفر و الجحود، بل تكون للمؤمنين من أهل التوحيد» (رسول الله صلّى الله عليه و اله، بحار الأنوار ٨: ٥٨/٧٥). [١]

٣- ٣). «و لا شفيح أنجح من التّوبه» (بحار الأنوار ٨: ٥٨/٧٥).

و إن لم يأت فيها ذكر من الله عزّ وجلّ، لأنّ القرينه شاهده عليه و هي عدم تصوّر الآيه دون ذيهها، و عدم فرض الرحمه دون منشئها، و الأمانه دون مؤتمنها (بصيغه الفاعل) فيكونون عليهم السّلام رحمه اللّهم الموصوله و آيه الله المخزونه و أمانه الله المحفوظه (١).

الثانيه: أنّ الرحمه أمر وجوديّ كماليّ، فهي لا- توجد إلا- من الله (ككلّ كمال وجوديّ) حتّى رحمه الكافر على ولده كما قال تعالى: رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا (٢)، و قال الإمام عليّ عليه السّلام في أول دعاء كميل: «اللّهمّ إنّي أسألك برحمتك التي وسعت كلّ شيء». و يدلّ على ما قلنا وصفها بالموصوله؛ لامتناع وصف كلّ رحمه بالموصوله دون رحمته الغير متناهيه.

الثالثه: في كونهم رحمه موصوله:

إنّهم عليهم السّلام رحمه موصوله غير منقطعه لله تعالى في جميع نشآت الوجود على حسب أوعيه الإمكان (٣) في جميع الأزمان و في كلّ مكان، لأنّهم تلو رسول الله صلّى الله عليه و اله و ثانيه (٤) في غير الشؤن المختصّه به صلّى الله عليه و اله، فكما

ص: ٤٥٩

١- استعمال الرحمه و الآيه و الأمانه مفرده في جميع آل البيت عليهم السّلام إنّما هو على إرادته الجنس.

٢- ٢. غافر: ٧. [١]

٣- ٣. إنّ كونهم رحمه موصوله كذكره لما سبق من كونهم «شفعاء و وسائط الفيض تكويننا و تشريعا لجميع ما سوى الله».

٤- ٤. كما يشهد عليه آيه «أنفسنا».

أنه صلى الله عليه و اله رحمه للعالمين كذلك هم، قال تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١).

الرابعة: أن وصفهم عليهم السلام بكونهم رحمه موصوله يدل على أنهم مظاهر رحمه الله الرحمانيه و الرحيميّه (٢)؛ لأن تخصيصها بالرحيميّه موجب لتحديد لها، مضافا إلى أن هذا التخصيص خلاف الظاهر، و أنت خير بأن الرحمه الرحمانيه تجرى فى جميع الأشياء، ظواهرها و بواطنها، بل هى موجب لوجودها كما تشهد عليه آيتا أول سوره الفاتحه، مضافا إلى ما تقدم قبيل هذا، فالحاصل أن المراد من هذه الرحمه العامه الجاريه النافذه فى جميع الأكوان، المسمّاه بالرحمانيه، هو آل البيت عليهم السلام.

الخامسه: قد تقدم فيما مضى معنى «المخزونه» بتوضيح نظائرها، و الآن نقول: إن كونهم آيه مخزونه صورتان:

الأولى: من جهه أجسامهم الطاهره.

الثانيه: من جهه أرواحهم و نفوسهم الطيبه.

أمّا الأولى فإن نطفهم عليهم السلام لم تستقرّ فى الأصلاب القدره و لا الأرحام الكدره (٣)، بل كانت فى شمخ أصلاب الأجداد المؤمنين و طواهر أرحام

ص: ٤٦٠

-
- ١- الأنبياء: ١٠٧، [١] ذكر العالمين من باب تغليب ذوى العقول على غيرهم، و ذكر الأشرف الذى يتضمّن غير الأشرف، فالحاصل أن آل البيت عليهم السلام رحمه الله الموصوله على جميع ما خلق الله من غير استثناء.
 - ٢-٢. تعدد الرحمه بتعدد متعلقها و إلا ما هى إلا رحمه واحده.
 - ٣-٣. بالقدرات و الكدورات الطبيعيتين.

الجدّات المؤمنات، لأنها إن استقرّت في الأصلاب غير الشامخه أو في الأرحام غير المطهّره لكان هذا الاستقرار مكدّرا لأرواحهم الشريفة؛ لأنّ بين الجسم و الروح و بين النفس و البدن تفاعلا في التأثير و التأثير، يدلّ عليه ما ورد في زياره وارث، حيث يخاطب الزائر فيها مولانا المفدى سيّد الشهداء عليه السّلام فيقول: أشهد أنّك كنت نورا في الأصلاب الشامخه و الأرحام المطهّره، لم تنجسك الجاهليّه بأنجاسها، و لم تلبسك من مدلهّمات ثيابها» (١).

و أمّا الثانيه، فإنّ أرواحهم و نفوسهم كانت محفوظه في مخازن الأسماء و الصفات لله سبحانه، و لم تتكدّر بالصفات المظلمه النفسانيّه كالجهل و الوسوسه و غيرهما من الصفات السوداء، و يؤيده في كلتا الصورتين قوله سبحانه: وَ اللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ (٢)؛ لأنّ العصمه هنا غير متقيده بالجسم فقط، و لا بالروح أو في زمان خاصّ و غير ذلك من القيود، و لا تكون آيه سواهم عليهم السّلام في هذه الخصوصيّة، لأنها تتأثّر و تتكدّر مع العوارض الطبيعيّه التكوينيّه، فلا تكون مخزونه مثلهم عليهم السّلام، و كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: «ما لله آيه أكبر منّي، و لا لله من نأ هو أعظم منّي» (٣).

ص: ٤٦١

١- مصباح المتهدّد للشيخ الطوسي ٤٩٩، [١] عنه: بحار الأنوار ١٠١/١٩٧: ح ٣٢. [٢]

٢- ٢. المائده: ٦٧. [٣]

٣- ٣. تأويل الآيات الظاهره ٧٣٣.

السادسه:المراد من الأمانه هو التي ذكرها الله سبحانه في قوله عزّ وجلّ من قائل: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (١)، والحاصل أنهم كانوا تلك الأمانه (٢)، كما ورد في تأويل الآيه الشاهده (آيه عرض الأمانه)، عن الرضا عليه السّلام: «الأمانه الولايه، من ادّعاها بغير حقّ فقد كفر» (٣). و أمّا المراد من كونها محفوظه فهو استحاله دعوه إمامتهم و ولايتهم كذباً، و ستنتهى الدعوه الكاذبه إلى الخزي و العار عند الأحرار في الدنيا، و الخذلان و عذاب النار و غضب المتكبر الجبار في الآخره، (أعاذنا الله من شرورهم و مكائدهم غرورهم).

١٠٥

«و الباب المبتلى به النَّاسُ، من أتاكم نجا،

و من لم يأتكم هلك»

و فيه ستّ نكات:

الأولى: معنى كلّ من ألفاظ هذه الفقره، كالباب و الابتلاء ظاهر لا

ص: ٤٦٢

١- الأجزاء: ٧٢. [١]

٢- ٢). و لا يعتنى بما فسرّه بعض الشّراح بما هو بعيد عن مراد الإمام الهاديّ عليه السّلام.

٣- ٣). بحار الأنوار ٢٣: ٢٧٩/ ح ١٩- [٢] عن: معانى الأخبار للصدوق / ١١٠/ ح ٣، و عيون أخبار الرضا عليه السّلام ١: ٣٠٦/ ح ٦٦-

الباب ٢٨.

حاجه فيه إلى توضيح، وما ينبغي أن يذكر هو أن كون آل البيت عليهم السّلام بابا مبتلى به الناس مقتبس من الآية التاليه: وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١)، مضافا إلى ما صرح به في بعض الأخبار من أنهم عليهم السّلام باب حطه.

الثانية: أن استعمال المبتلى هنا دون ألفاظ أخرى كالمختبر و الممتحن، لخصوصيته لا تكون في تلك الألفاظ، و هي الصعوبه و المشقه لمن يتلى بآل البيت و إمامتهم و ولايتهم، فيصير من فاز به من الناس بالثبات على حبهم، و بغض أعدائهم كالثوب البالى، كما قال تعالى: وَ تَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً (٢)، و قال أيضا: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ (٣) و قد حكى التاريخ كثيرا حول مواليهم و المعادين لأعدائهم، فراجع.

الثالثة: هذا إقرار آخر من الزائر في هذا الباب يقرّ به بأن آل البيت عليهم السّلام

ص: ٤٤٣

١- البقره: ٥٩، ٥٨. [١]

٢- ٢. الأنبياء: ٣٥. [٢]

٣- ٣. البقره: ١٥٥. [٣]

باب، كذا، فالتعبير عنهم بالباب إمّا أن يكون من باب التشبيه المعقول بالمحسوس، وإمّا أن يكون للفظه الباب معنى حقيقياً عامّاً يشمل المعقول أيضاً، (و هو محدوده اعتقاديّه و عمليّه). و على أىّ تقدير فإنّهم الباب الذى يختبر به الناس اختباراً شديداً، كما اختبر بنو إسرائيل بباب حطّه ليميز الله الخبيث من الطيب و الثابت من المتزلزل و المؤمن من المرتاب.

الرابعة: قد عبّر عن آل البيت عليهم السّلام بالباب مرّه، و بالسفينه أخرى، و بالمصباح ثالثه، و هكذا، و الحاصل أنّ فى تعدّد هذه التعابير فوائد:

الأولى: على مقتضى البلاغه فى الكلام.

الثانية: لكلّ تعبير فى موضعه أثر خاصّ غير حاصل فى تعبير آخر.

الثالثة: أنّ اختلاف التعابير يوجب رسوخ إيمان المؤمن بهم و دوام ذكره إيّاهم؛ لاحتمال أن ينسى تعبيراً فيذكر آخره، فمثلاً إذا كان ناسياً أنّهم مصابيح، فإنّه سيذكر أنّهم سفينه.

و هكذا الرابعة من الفوائد، ليس أنس جميع الناس بجميع الحقائق على حد سواء، بل يتفاوت بعضهم فيأنس بالسفينه مثلاً كمن يعيش قرب البحر و لا- أنس له بالشمس و النجم كالأعمى، و هكذا، فاختلاف التعابير يوجب حصول معرفه واسعه لدى جميع الناس بالشؤون العالیه لآل البيت عليهم السّلام.

الخامسه: أنّ لكونهم عليهم السّلام باباً و جوهاً:

الأول: كأنَّ الإيمان كبيت يجب الدخول فيه من الباب، والدخول من الباب سبب للنجاه والأمن، وكون الداخل بَرًا والإتيان من ظهره يوجب الهلاك، فآل البيت عليهم السَّلام باب لبيت الإيمان كما قال سبحانه: وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا (١)، كما روى أبو بصير قال: قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السَّلام:

«الأوصياء هم أبواب الله عزَّ وجلَّ التي يؤتى منها، ولولاهم ما عرف الله عزَّ وجلَّ، وبهم احتجَّ الله تبارك وتعالى على خلقه» (٢).

الثاني: أنَّ بابيتهم عليهم السَّلام إنَّما لمشابهة بين إمامتهم وبين باب حطَّه لبنى إسرائيل كما ذكر، ويؤيده ما روى أبو الطفيل عن أبي ذرٍّ وهو أخذ باب الكعبة، رفعه إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ مِثْلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلَ سَفِينَةِ نُوحٍ، مِنْ رَكِبَهَا نَجَا وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَكَ، وَ إِنَّ مِثْلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلَ بَابِ حَطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، مَنْ دَخَلَهُ غَفِرَ لَهُ» (٣).

فكما ابتلى بنو إسرائيل بباب حطَّه، فدخل منهم من دخل خاضعين خاشعين قائلين حطَّه و تخلَّف آخرون و حرَّفوا قول حطَّه، كذلك في أمر آل البيت عليهم السَّلام بعد النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَدَخَلَ مِنْ دَخَلٍ فَغَفِرَ لَهُ وَ أَزْدَادٌ أَجْرًا (جعلنا

ص: ٤٤٥

١- البقرة: ١٨٩. [١]

٢- ٢. تأويل الآيات الظاهرة ٩٢.

٣- ٣. ينابيع المودَّة لذوى القربى، [٢] للشيخ سليمان القندوزي الحنفي ١: ٩٣/٣- الباب الرابع، و رواه: الهيثمي في (مجمع الزوائد ٩: ١٦٨)، و أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة ٢: ٧٨٥/٢ ح ١٤٠٢). [٣]

اللّٰه منهم)، و امتنع من الدخول من امتنع، فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١).

الثالث: أنّ المراد منه كلا المعنيين المتقدمين؛ لأنّ كلا منهما قابل للإثبات، كما أثبتنا.

السادس: أنّ جملة «من أتاكم...» كان كتفسير لكونهم بابا أو تفصيل لما اجمل من باييتهم، فهذه الجملة إشاره إلى جميع الأخبار لدى الفريقين (الناجين و الهالكين) الدالّه على نجاه أشياع آل البيت عليهم السّلام و هلاك غير الأشياع، عن فرات بن أحنف قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام إذ دخل عليه رجل من هؤلاء الملاحين فقال: و الله لأسو أنّه فى شيعة! فقال: يا أبا عبد الله، أقبل إلىّ. فلم يقبل إليه، فأعاد فلم يقبل إليه، ثم أعاد الثالثة، فقال: ها أنا ذا مقبل، فقل و لن تقول خيرا، فقال: إنّ شيعةك يشربون التّبيذ، فقال: و ما بأس بالتّبيذ، أخبرنى أبى عن جابر بن عبد الله أنّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و اله كانوا يشربون التّبيذ، فقال: لست أعنيك التّبيذ، أعنيك المسكر، فقال: شيعةنا أزكى و أطهر من أن يجرى للشّيطان فى أمعائهم رسيس، و إن فعل ذلك المخذول منهم فيجد ربّيا رؤوفا، و نبيا بالاستغفار له عطوفا، و وليا له عند الحوض و لوفاء، و تكون و أصحابك ببرهوت عطوفا. قال: فأفحم الرّجل و سكت، ثمّ

ص: ٤٦٦

قال: لست أعنيك المسكر إنما أعنيك الخمر، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

سلبك الله لسانك! ما لك تؤذينا في شيعتنا منذ اليوم، أخبرني أبي عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و اله، عن جبرئيل، عن الله تعالى أنه قال: يا محمد، إنني حضرت الفردوس على جميع النبيين حتى تدخلها أنت و علي و شيعتكما، إلا من اقترف منهم كبيره، فإني أبلوه في ماله أو بخوف من سلطانه حتى تلقاه الملائكة بالروح و الریحان و أنا عليه غير غضبان. فهل عند أصحابك هؤلاء شيء من هذا؟! (١). (٢)

ص: ٤٦٧

-
- ١- بحار الأنوار ٣٨١:٤٧-٣٨٢/ح ١٠٢- [١] عن: كتاب التمهيد للإسكافي ص ٣٩-٤٠/ح ٤٠. [٢]
٢-٢. صححه محتوى الخبر و أخبار آخر مثله مشروط ببقاء الإيمان و الوفاء على الإيمان و التشيع.

«إلى الله تدعون، و عليه تدلون، و به تؤمنون، و له تسلّمون،

و بأمره تعملون، و إلى سبيله ترشدون، و بقوله تحكّمون»

و فيه أربع نكات:

الأولى: إنّ هذا الفصل من الباب ليس هناك فصل غيره تشكّل من فقرات سبع، و هو كما ذكرنا في العنوان مبيّن للوظائف التي لا يمكن لأئمّه الجور أن يعلموا بها، و يؤيّد ما قلنا إتيان ذكر هذه الوظائف بعد كونهم كباب حطّه؛ لأنّ الله قدّر لبنى إسرائيل دخولهم فيه لكي يعيشوا سعداء في ظلّ حكمه الكليم و إمامته عليه السّلام، و معلوم أنّ الكليم عليه السّلام

ص: ٤٤٨

١- في هذا الباب يذكر جميع الوظائف المحوّله إلى الأئمّه، و قد تأملنا في تسميه هذا الباب و لم نجد عنواناً أنسب من هذا، و هو يشتمل على فصل واحد.

لا يدعو إلا إلى الله، ولا يدلّ إلا على الله، ولا يؤمن بالطاغوت دون الله، ولا يسلم إلا لله، ولا يعمل إلا بأمر الله، ولا يرشد إلا إلى سبيله سبحانه، ولا يحكم إلا بقوله تعالى، ولا تسعد أمته إلا بعمل إمامهم بتلك الوظائف.

الثانية: كل من هذه الفقرات السبع الشريفه مأخوذه من آيه كريمه، قوله عليه السلام «إلى الله تدعون» من: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (١)، «عليه تدلون»: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٢)، «و به تؤمنون»: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ (٣)، «و له تسلمون»: قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤)، «و بأمره تعملون»:

وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٥)، «و إلى سبيله ترشدون»: وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٦)، «و بقوله تحكمون»: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

ص: ٤٦٩

١- يوسف: ١٠٨. [١]

٢-٢. الصف: ١٠. [٢]

٣-٣. البقره: ٢٨٥. [٣]

٤-٤. الأنعام: ٧١. [٤]

٥-٥. الأنبياء: ٢٧. [٥]

٦-٦. غافر: ٣٨. [٦]

الثالثة: لكل واحد من هذه الفقرات المباركة نظير أو نظائر في هذه الزيارة، ولا يضر إتيان النظائر كما لا يعد تكراراً ممللاً؛ لأن التكرار المملل يكون فيما إذا لم تكن فيه فائده مهمّة، كذكر أهمّيّة المطلب أو ذكر بعض الطرائف و اللطائف الدقيقه، وإلا كان تكراراً محضاً و لغواً، و حاشا أن يكون ذلك في كلام المعصوم. فالنظائر لهذه الفقرات كما تلى، قوله عليه السّلام هنا: «إلى الله تدعون» أمثاله:

(١) و الدّعوه الحسنى.

(٢) و الأئمّه الدّعاه.

(٣) و الدّعاه إلى الله.

(٤) دعوتهم إلى سبيله بالحكمه و الموعظه الحسنه.

(٥) حتّى أعلنتم دعوته.

يلزم الرجوع إلى شرح كلّ من هذه النظائر ليتبين التفاوت بينهما و بين صاحبتهما هنا «و عليه تدلون»:

(١) و الأدلاء على مرضاه الله.

(٢) و الأدلاء على صراطه.

ص: ٤٧٠

فينبغي التذكير بأن الموضوع العام في هذه الفقرة و نظيرتها هو الدلالة، و التفاوت بينها هو أنّ بعضها مشير إلى الدلالة على الغايه (على مرضاته)، و بعضها إلى الدلالة على الطريق الموصول إلى المقصد (على صراطه)، و نجاه السالك من الحيره في مسيره، و بعضها يشير إلى كمال الغرض و النهايه (عليه تدلّون)، لإمكان التحير للسالك في مسيره أو في مقصده النسبيّ أو المقصد النهائي، و ينبغي التذكير أيضا بأن دلالاتهم أو دعواتهم في هذه الموارد متطالبيه لا متعارضه.

و أمّا نظيره «و به تؤمنون» و قوله عليه السّلام: «و أبواب الإيمان»، و موضوع هاتين الفقرتين هو الإيمان، و التفاوت بينهما هو أنّ جملة «و أبواب الإيمان» تشير إلى امتناع تحصيل الإيمان من غير ولايتهم و إمامتهم، و جملة «و به تؤمنون» مشيره إلى أنكم (أنتم يا آل البيت) أسبق إلى الإيمان من غيركم، كما قال تعالى حاكيا عن قول إبراهيم الخليل عليه السّلام:

وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١).

«و له تسلّمون»؛ إنّ لهذه الفقرة نظيرين تاليين: «و سلّمتم له القضاء»، و «المطيعون لله»، و المراد من الفقرة «و سلّمتم هو تسليم اعتقاديّ في جنب قضاء الله، و في التعبير ب«المطيعون لله» إشاره إلى تسليمهم العمليّ لله تعالى، و هنا «و له تسلّمون» اريد مطلق التسليم اعتقادا و عملا و قولاً،

ص: ٤٧١

و غير ذلك من شؤون العبوديّه.

«و بأمره تعملون»؛ لهذه الفقره نظائر كما يلي:

١) المستقرّين في أمر الله.

٢) والمظهرين لأمر الله و نهيّه.

٣) و أمره إليكم.

٤) و هم بأمره يعملون.

٥) أولى الأمر.

٦) القوّامون بأمره.

٧) و أمرتم بالمعروف.

إنّ الأمر هنا بمعنى الطلب، و من أراد معرفه استعمال الأمر هنا و في نظائرها، فليرجع إلى شرح كلّ منها.

«و إلى سيّله ترشدون»؛ المراد من الرشد هنا إعطاؤهم الرشد للغير (كما هو ظاهر)، إذا يظهر الفرق بين هذه و بين فقره «و الأئمّه الراشدون»؛ لأنّ تلك الفقره مشيره إلى أنّ آل البيت عليهم السّلام ذوو رشد في أنفسهم، و في هذه إشاره إلى أنّهم ذوو إرشاد للمسترشدين.

«و بقوله تحكمون»؛ الفرق بين هذه و بين «لا يسبقونه بالقول» ظاهر.

الرابعه: قال النحويّون: «تقديم ما حقّه التأخير يفيد الحصر»، و حقّ الجار و المجرور كـ «إلى الله تدعون» (دون تدعون إلى الله)، و عليه

تدلّون» (دون تدلّون عليه) إلى آخر هذه الفقرات السبع هو التأخير، فتقديمها لإفاده الحصر. والحاصل أنّهم عليهم السّلام ليس لهم دعوه إلاّ - إلى الله، و لا - دلالة إلاّ - على الله، وهكذا في البواقي، فإن كانت لهم دعوه أو دلالة غير الله كما في الأمور العاديّة الحيويّة، فهي أيضا راجعه إلى الله حسب تيّاتهم الطاهره و قصودهم القادسه و هكذا في البواقي؛ لأنّهم لا - يريدون إلاّ الكمال المطلق و الحقّ الصّرف، و هذا ليس إلاّ الله سبحانه، فتكون جميع أمورهم و مقاصدهم تلو مقصدهم النهائيّ و غايتهم القصوى.

١٠٧ [سعد من... من الجحيم]

«سعد من والاكم (٢)، و هلك من عاداكم، و خاب من جحدكم، و ضلّ من فارقكم، و فاز من تمسّيك بكم، و أمن من لجأ إليكم، و سلم من صدّقكم، و هدى من اعتصم بكم.

من اتّبعكم فالجنّه مأواه، و من خالفكم فالنار مثواه، و من

ص: ٤٧٤

١- توضيح العنوان: إذا كان آل البيت عليهم السلام كباب حطه لبنى إسرائيل، كان الدخول فيه ذا نتائج، و للاستنكاف من الدخول نتائج أخرى، و هذه الفقره مبينه لتلك النتائج لكلا الفريقين.
٢- ٢). لم ينقل لفظ القسم ب«و الله» فى النسخ المشهوره، و إن نقل فى غير المشهوره منها (سعد بو الله من والاكم)، و الأقوى هو المنقول المشهور دون قسم، لعدم العثور على القسم فى سائر الزيارات كزياره عاشوراء، مضافا إلى عدم الحاجه إليه لوجود البراهين القاطعه و الدلائل المثبتة على المدّعيات المنطويه فى هذه الفقرات، و لا سيّما إذا كان إنشاؤها للمؤمنين خاصّه.

جحدكم كافر، و من حاربكم مشرك، و من ردّ عليكم في أسفل درك من الجحيم»

و هو فصل واحد و فيه خمس عشره نكته:

الأولى: أنّ كلّ واحده من هذه الفقرات مبينه لنتيجته من نتائج الإمامه الحقّه و القياده الإلهيه، كما أشرنا إليه آنفا، و يثبت هذا المدعى بثلاثه أنواع من الأدله:

الأول: الدلائل المستفاده من متن هذه الزياره الشريفه، لأنّ كلّ فطن لبيب بعد تأمله في فقراتها مؤمنا باعتبارها و اصولها الاعتقاديّه (كعصمه قائلها و منشئها سلام الله عليه) يستنتج هذه النتائج بعلم قطعيّ.

الثاني: الدلائل العقلية، و لا سيّما إذا كانت الدلائل مبتنيه على اصول إيمانيّه (كالإيمان بوجود الله و حكمته، و غيرهما).

الثالث: الدلائل النقلية من القرآن و الحديث.

الثانيه: إنّ الإمام الهادي عليه السلام و إن استعمل الأفعال في هذه الفقرات بصيغه الماضي، لكنّها (الأفعال) منسلخه عن الزمان؛ لأنّ المراد منها بيان طبيعه الأمر، فلهذا لا دخل للماضي و الحال و المستقبل هنا.

الثالثه: لعلنا أشرنا فيما سبق من المباحث إلى أنّ عليّه آل البيت عليهم السلام،

و سببهم مواليتهم فى طرف المثلث و التمرد عنهم و إنكار فضائلهم فى الجانب المنفى ليست معارضة، لكونه تعالى عله أو سبباً، فلا تنافى مع التوحيد الخالص فى التوحيد الأفعالى، و لا يوجب الشرك أصلاً، كما يقول الزائر: «أمن من لجأ إليكم» مع أن الملجأ الحقيقى هو الله.

الرابعه: تتضمن هذه الفقرات الشريفه نوعين من الفعل، هما: جوارحى و جوارحى، كما يقول: «سعد من والاكم» (جوارحى و قلبى) و يقول: «من أتبعكم... و من خالفكم...» (جوارحى).

الخامسه: أن لكل فعل من أى فاعل ثلاثه نسب: نسبه وجوديه إلى عله العلل و هو الله سبحانه، و نسبه ماهويه إلى فاعله المباشر، و نسبه مؤثرية إلى نظام الوجود.

أما الأول: فقد تقدم فى أن الموالاه لآل البيت موالاه لله تعالى، و هى (الموالاه) أمر ممكن، و كل ممكن لا بد أن ينتهى فى وجوده إلى الواجب، فلا توجد موالاه لآل البيت عليهم السلام إلا من الله من حيث وجودها.

و أمياً الثانى: فلا يمكن أن تتحقق ماهية فعل إلا بإعداد فاعل ممكن لمقتضيتها و تعيين حدودها و قيودها، فهنا لا ينظر الزائر إلى عله وجود الموالاه أو المعاداه أو الأتباع أو غير ذلك، لأنه مفروغ عنه و مسلم فيه، بل ينظر-تعليم الإمام الهادى عليه السلام- إلى المباشر (فاعل الماهويه).

و أمّا الثالث: فلا- ينظر أيضا إلى تأثير الموالاه أو المعاداه فى نظام الممكنات كلّها، لأنّ الغرض النهائى هو ما يحصل لأشرف الممكنات و هو الإنسان، و إن كانت الموالاه أو المعاداه مؤثّره فى نشأتى الملك و الملكوت، و لهذين الأثرين شواهد كثيره من الحكمه و النقل، و نحن نتلوا عليك من النقل حديثا واحدا، و هو قول النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «المؤمن إذا كذب بغير عذر لعنه سبعون ألف ملك، و خرج من قلبه نتن حتّى يبلغ العرش، فيلعنه حمله العرش، و كتب الله، عليه بتلك الكذبه سبعين زنيه أهونها- كمن يزنى مع أمّه» (١).

السادسه: أنّ هذه الفقره الشريفه (سعد... عاداكم) مأخوذه من قوله سبحانه: «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ» (٢). و أمثال هذا من مصاديق انطباق القرآن مع العتره على مقتضى حديث الثقلين، فقد انقسم الناس فى الآيه إلى قسمين: «سعيد و شقى»، و فى قول الإمام إلى «سعيد و هالك»، من حيث كون كلام الإمام تفسيرا لكلامه تعالى، أى مراده سبحانه من الشقاوه هى الهلاك، و الشقى هو الهالك، و علّه كون الموالى لآل البيت سعيدا هى وجود كلّ مقتضى للسعاده فى موالاهم ممّا لا يوجد فى موالاه غيرهم، أمّا

ص: ٤٧٧

١- جامع الأخبار للسبزواريّ / ٤١٧ ح ١١٥٨ - [١] عنه: بحار الأنوار ٧٢: ٢٦٣ ح ٤٨. [٢]

٢- ٢. هود: ١٠٥. [٣]

المقتضيات المشار إليها كما يستفاد من الأخبار فكالتالي:

(١) إخلاص الطاعة، كما قال الإمام عليّ عليه السّلام: «السّعيد من أخلص الطّاعة» (١).

(٢) كمال العقل.

(٣) كمال الإيمان، كما قال: «أسعد النّاس العاقل المؤمن» (٢).

(٤) حفظ الدين و العمل للآخرة، كما قال: «سعادة الرّجل في إحراز دينه و العمل لآخرته» (٣).

(٥) كون الإنسان موثوقا به عند غيره في امور الدارين: «كفى بالمرء سعادة أن يوثق به في أمور الدّين و الدّنيا» (٤).

و أنت خير بعدم هذه المقتضيات في من يتّبج أئمّه الجور الغير معصومين عليهم السّلام، فينحصر وجودها في أتباع آل البيت عليهم السّلام المطهّرين (٥) عليهم السّلام

ص: ٤٧٨

١- غرر الحكم /١٦٧ح ٣٢٧٠. [١]

٢-٢. نفسه/الحديث ١٤٥.

٣-٣. نفسه ص /١٤٥ح ٢٦٢٥.

٤-٤. نفسه ص /١٦٧ح ٣٢٨.

٥-٥. توضيح الكلام: أنّ كلّ ممكن هالك بذاته ما لم يتّصل بمنع الكمال بطهاره جامعه في جوانب وجوده، فحيث إنّ المعادى لآل البيت لم يكن متّصلا بهم كان هالكا، لأنّه لم يؤمن بالله إيمانا صحيحا، و لم يعمل و لم يتخلّق على مقتضى إيمانه بهدايه إمام فهلاكته لا تقبل الريب.

لأنّهم لم ينحرفوا-فى العقيدة و الخلق و العمل-عن الحقّ المحض إلى الباطل، و لم تتكدر فطرتهم و لم تظلم قلوبهم، و لكنّ المعادين لآل البيت يهلكون بفقدان هذه المقدمات و الأسباب.

السابعة: «و خاب من جحدكم» الخيبة هى الحرمان عن المطلوب (١)، كلّ منكر لإمامه آل البيت عليهم السّلام و فضائلهم خائب، حيث لم يعرف الله و لم يوحّده فى الحقيقة، فيكون كافرا مشركا مفتريا ظالما، و لم يعمل بالعمل بالحقّ، فيكون مصداقا لقوله تعالى: وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (٢)، و لا يكون هذا المسكين إلّا جبارا معاندا للحقّ، فيصير مصداقا لقوله تعالى: وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٣)، و أيضا يصدق فيه قوله سبحانه: وَ قَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى (٤)، و هكذا: وَ قَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (٥)؛ لأنّ الجاهد حقّ آل البيت عليهم السّلام مجمع لجميع الرذائل، بينما وليهم تجمع فيه الفضائل.

الثامنة: «ضلّ من فارقكم» الضلاله نقيض الهدايه، فكما أنّ كلّ من كان

ص: ٤٧٩

١- و هو من مقوله النفسائيات و الشؤون الخبيثه الباطنه، و لكنّ الفرق بينه و بين الشقاوه هو عيبيّه الخبيّه فى الخارج.

٢-٢. الشمس: ١٠. [١]

٣-٣. إبراهيم: ١٥. [٢]

٤-٤. طه: ٦١. [٣]

٥-٥. طه: ١١١. [٤]

مع آل البيت عليهم السلام كان مهتديا، يصير المفارق لهم ضالاً، لعدم استفادته من تربيتهم، وعدم استضاءته بنور علومهم.

التاسعة: «و فاز من تمسك بكم»؛ فوز (١) المتمسك بآل البيت واضح، و مع ذلك لا يخلو توضيحه من فائده، أن المتمسكين بآل البيت هم الفائزون قطعاً؛ لعصمه آل البيت عليهم السلام و لاعتصام المتمسكين بهم (في الجهات الثلاث: العقيدة، و الخلق، و العمل)، فهاتان المقدمتان منتجتان للفوز، كما قال تعالى: وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢)، و قال أيضاً: وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٣).

العاشرة: «و أمن من لجأ إليكم»، حصول الأمن باللجوء إلى آل البيت عليهم السلام، و إن اتضح من توضيح أمثال هذه فقره فيما سبق، و لكن نقول هنا: لا تنافى بين كونهم عليهم السلام ملجأ و بين انحصار الملجئيه في الله سبحانه، كما قال تعالى: وَ ظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ (٤)؛ لأن

ص: ٤٨٠

١- و معناه الظفر بالمطلوب.

٢-٢. آل عمران: ١٠١، و [١] لعل المراد من الهدايه هنا هو الوصول إلى المطلوب، و معلوم أن مقصوده هو النجاه من المكروه و الظفر بالمطلوب، و واضح أيضاً من أن هذا الشأن من الشؤون الخاصه بإمامه آل البيت عليهم السلام و قيادتهم و قياده كل معصوم في زمانه.

٣-٣. الأحزاب: ٧١. [٢]

٤-٤. التوبه: ١١٨. [٣]

ملجيتهم لا تعارض ملجيتته سبحانه، بل تكون في طولها، و هي (ملجيتي آل البيت عليهم السلام) مع ذلك مجعوله بجعله تعالى، فهم ملجأ الخلق في الدنيا بهدايتهم، و في الآخرة بشفاعتهم، (جعلنا الله من المهتدين بهم المشفوع لهم).

الحادية عشره: «و سلم من صدقكم» المراد من السلامه هنا هو السلامه من كل سوء و مكروه، و تصديق آل البيت عليهم السلام هو تصديق، كأصل جار في جميع الأمم، كما قال تعالى: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ (١)، و قال أيضا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا (٢). و الحاصل أنّ تصديق آل البيت عليهم السلام من الأجزاء الرئيسيّه للإيمان، و بدونه يصير وجود الإيمان كعدمه، و معلوم أنّ كل من صدق جميع الأجزاء الرئيسيّه للإيمان في كل زمان و مكان يكون سالما من المساوي و المكاره، و غانما للمحاسن و الرغائب.

الثانيه عشره: «و هدى من اعتصم بكم» لا شكّ في حصول الهدايه للمعتصمين بآل البيت؛ لأنّ الناس امرؤا بالاعتصام بحبل الله، كما قال تعالى: وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا (٣)، و إلّا لزم لغويه أمره

ص: ٤٨١

١- البقره: ٢٨٥. [١]

٢- ٢. التحريم: ١٢. [٢]

٣- ٣. آل عمران: ١٠٣. [٣]

سبحانه بهذا الاعتصام (نعوذ بالله من هذا الظنّ الفاسد)، وحبيل الله هم آل البيت عليهم السّلام كما روى عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال: «آل محمّد عليهم السّلام هم حبيل الله المذى أمر بالاعتصام به»، فقال: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (١)؛ و معلوم أنّ الاعتصام (٢) بحبيل الله هو الاعتصام بالله، فحصول الهدايه إذا قطعى غير مراتب فيه.

الثالثه عشره: «من اتّبعكم... مثواه» أنّ الاتّباع هو نتيجة للاعتصام أو هو اعتصام عملى و عينى، و المخالفه أيضا هي خلاف لآل البيت فى الأعمال، فتكون النسبه بينهما (الاعتصام و الاتّباع) نسبه العامّ و الخاصّ مطلقا.

فيترتّب أثر الدخول فى الجنّه بالاعتصام و الاتّباع معا، و الدخول فى النار كأثر مترتّب على عدم هذا الاعتصام و الاتّباع معا، فاتّضح بهذا معنى «من اتّبعكم... مثواه».

الرابعه عشره: «و من جحدكم كافر» أنّ كفر المنكر لإمامه آل البيت عليهم السّلام و ولايتهم يثبت بالعقل و النقل؛ أمّا العقل فهو قد ثبت بأنّ

ص: ٤٨٢

-
- ١- بحار الانوار، ج ٢٤، ص ٨٥. [١] - منافاه بين كون آل البيت عليهم السّلام حبلا أو كون القرآن حبلا لله كما اختلفت أقوال المفسّرين فى تعيين مصداق هذا الحبل، لأنّ الحبلين بموجب حديث الثقلين [٢] كانا معا.
- ٢- (٥). إنّ الفرق بين الاعتصام و التمسك هو أنّهما واحد مصداقا، و لكنّ الاعتصام هو التمسك فى حال يكون فيه المتمسك طالبا فى تمسكه العصمه من المخالفه و الانحراف.

الاعتقاد بامامتهم وولايتهم كان من الأجزاء الرئيسيّة للدين، و أنت خبير بأن إنكار جزء كهذا كان كإنكار أصل الدين. و أما النقل فهو مضافاً إلى أخبار كثيرة دالّة على المراد، كقول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً» (١)، قال تعالى في حديث الغدير مخاطباً نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «وَ اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» (٢).

الخامسة عشره: «و من حاربكم مشرك... الجحيم» إشراك المحاربين لآل البيت يكون من جهه أنّ المحارب لهم اتّخذ إليها غير الله، و لو لم يقرب به قولاً و أمراً المراد من الرادّ عليهم فهو الرادّ على الله (لصله آل البيت الوثيقه بالله تعالى ككونهم، حبلاً له سبحانه)، و يؤيده قول الإمام الصادق عليه السلام:

«و الرادّ علينا الرادّ على الله، و هو على حدّ الشّرك بالله» (٣). مضافاً إلى أنّه منافق، إمّا لكفره القلبيّ و الظاهريّ، كما قال تعالى: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٤)، و إمّا لنفاقه (و النفاق هو الكفر بالقلب و الإسلام في الظاهر)، و قد قال تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ (٥).

ص: ٤٨٣

١- شرح الجامع الصغير ٣:٥٦، ٢، للرجوع إلى الكفر معنيان: أحدهما الرجوع إلى الكفر بإنكار أصل الدين، و ثانيهما بإنكار جزء رئيسيّ من أجزائه كإنكار وصايه آل البيت عليهم السلام.

٢- ٢). المائدة: ٦٧، [١] تمام الآية هو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ .

٣- ٣). الكافي ١: ٦٧/١٠-باب اختلاف [٢] الحديث.

٤- ٤). التين: ٥. [٣]

٥- ٥). النساء: ١٤٥. [٤]

«اشهد أنّ هذا سابق لكم فيما مضى ١ [٢]، و جار لكم فيما بقى»

و فيه أربع نكات:

الأولى: قد تقدّم توضيح فى معنى الشهاده و أقسامها، و هنا مضافا إلى ما سبق نقول: تعيين نوع الشهاده من كونها إيمانيه بالأدله العقلية و النقلية أو العرفانيه بالانكشاف الفطريّ للزائر موقوف على نوع معرفه الزائر بآل البيت، فإن كانت معرفته لم تبلغ من الإيمانيه إلى العرفانيه، تكون شهادته إيمانيه و إلا كانت عرفانيه.

ص: ٤٨٤

١- لأنّنا فى ما تقدّم من الأبواب قد عنوانا بابا بياب الشهادات أيضا، فيكون ذلك الباب بالنسبه إلى هذا باب الشهادات الأولى، و الفرق بين البابين هو أنّ الباب المتقدّم ([١] الباب الثانى من الكتاب) مشتمل على ما يجب الاعتقاد به فى حقّ آل البيت عليهم السّلام ككونهم المعصومين و الراشدين و المهديّين و الأئمّه و غير ذلك، و لكنّ هذا الباب يشتمل على مسائل متفرّعه من كمالاتهم عليهم السّلام.

الثانيه:يشير الزائر بلفظه هذا إلى حقيقه ساريه جاريه فى آل البيت عليهم السّلام ماضيا و باقيا،فما هذه الحقيقه؟فى ذلك ثلاثه احتمالات:

الأوّل:أنّها منازلهم الفائقه على الملكوت و التى تعجز الملائكه عن إدراكها كما عجزوا عن إدراك رتبه آدم قبل قصّه تعليم الأسماء (١).

الثانى:هى عباره عن مراتبهم الظاهره التى يمكن لكلّ عاقل إدراكها.

و لكنّ الحقّ هو الاحتمال الثالث،و هو كون المراد منها كلتا المرتبتين المذكورتين آنفا؛لأنّ هذا الباب كان كذكر نتيجه لجميع ما اعترف و أقرّ به الزائر،فإن رجحنا إحدى المرتبتين على الأخرى كان ترجيحاً من غير مرجح و ادّعاء بلا دليل.

الثالثه:أنا إذا اخترنا أنّ جميع مراتب آل البيت عليهم السّلام من الملكوتيه و فوقها و دونها متعلّقه لإشاره الزائر بهذا مع ذكر كثير من المراتب من أوّل الزياره إلى هنا بعيدا،فكان حقاً أن يشير إليها بلفظ غير «هذا»(كتلك)و مع ذلك يشير بهذا،ذلك علامه لشده و لع الزائر بذكر كمالاتهم،فكانه لم ينس حتى واحدا من أوصافهم و كمالاتهم،و كأنّها جميعا حاضره عنده،فلذلك يشير بلفظه هذا.

الرابعه:المراد ممّا مضى الأئمه الماضون بعد النبيّ صلّى الله عليه و اله إلى زمان مولانا الهادى عليه السّلام،و المراد ممّا بقى هم:الإمام الهادى و العسكريّ و المهديّ

ص:٤٨٥

١- و نحن قد فضلنا القول فيها مع ذكر شواهد عليها فيما سبق(فى الفصل ٤٧).

(عليهم جميعا تسليم اللّٰمه الزاكي).الحاصل أنّ الزائر يشهد على المساواه دون أى تفاضل بينهم فى هذه الكمالات العامه و الشؤون الشامله؛لأنّ الفاعل المفيض(و هو الله تعالى)تامّ الفاعليّه و تامّ الفيض،و القوابل (آل البيت عليهم السّلام)هم تامون فى القابليه،فليس هناك جهه للتفاضل فى الاتّصاف بالكمالات المذكوره،أو لانقطاع الفيض عن بعضهم.

١٠٩

«و أنّ أرواحكم و نوركم و طينتكم واحده،طابت و طهرت،

بعضها من بعض»

و فيه أربع نكات:

الأولى:يشهد الزائر هنا على أمر آخر،و هو وحده أرواحهم و نورهم و طينتهم،قد اشير فى هذه فقره إلى وحده المعصومين عليهم السّلام فى أبعاد ثلاثه،و هى:البعد الطبيعى و البرزخى و العقلى،فأرواحهم عباره عن البعد العقلى لهم،و نورهم كناية عن بعدهم البرزخى،و طينتهم هى بعدهم الطبيعى.فآل البيت عليهم السّلام موصوفون بالوحده فى هذه الثلاثه،لأنّ الإنسان -و لا سيّما الإنسان الكامل-جامع لجميع ما فى الكون،فكما أنّ عالم الوجود مرتّب به بالطبيعه و البرزخ و القيامه،و كذلك الإنسان الذى هو خلاصه الكون،فكلّما كان الإنسان أكمل كان ظهور هذه المراتب له أشدّ.

و أمّا سرّ التعبير عن برزخهم(قوّه الخيال)بالنور،فهو عدم تكدر ذلك

ص:٤٨٦

الثانيه: لا إشكال في كون آل البيت عليهم السّلام نورا على حده و في كون نشأتهم الخياليه أيضا نورا بالخصوص؛ لأنّ النور لا يجمع مع الظلمه، فيصحّ إطلاق النور على كلّ منهم و على البعض.

الثالثه: أنّ وحده آل البيت عليهم السّلام في ما ذكر تثبت بوجوه:

الأول: قد سبق قبيل هذا ذكر التفاضل بينهم، فهذا يوجب الوحده؛ لأنّ التفاضل موجب للفقدان و الوجدان، أى يوجب أن يكون الأفضل واجدا لما كان الفاضل فاقده، فهذا سبب النقص في بعضهم بالنسبه إلى الآخر، و هو غير صحيح.

الثانى: بهذه الوحدات الثلاث تتمّ الخلافة و الإمامه و الولاية على جميع ما سوى الله لكلّ منهم عليهم السّلام، و بدونها تكون الشؤون المذكوره غير تامه، و هو محال، فيثبت لزوم الوحده المذكوره.

الثالث: أنّ جميع الشؤون و الكمالات المذكورتين من أوّل هذه كانت لجميعهم، و لم نظفر بكمال أو شأن لبعض منهم دون بعض، و ذلك يوجب وحدتهم كما ذكر.

١- هذه الفقره الشريفه من متشابهات كلام المعصوم (كمتشابهات القرآن) فيجب إرجاعها إمّا إلى المحكمات النقليه أو العقلية، و لكنّ الشّراح فسّروها (الفقره) بالأخبار التي هي أصعب منها، لذا نحن فسّرناها بمحكمه عقليّه (و هي النشآت الثلاث).

الرابعة: أنّ الطّيب و الطّهارة بينهما عموم و خصوص مطلقا، فالطّهارة تطلق على الغير خبيث في الظاهر و الباطن و جوهر الشىء و عرضه، و لكنّ الطّيب يقع على كون الذات و الجوهر الغير خبيث.

و أمّا معنى فقره «طابت و طهرت، بعضها من بعض» فهو أنّ المراتب المذكوره الثلاثه بعضها أطيب و بعضها طيب، أو بعضها أظهر و بعضها طاهر، فالنشأه العقليه أطيب و أظهر بالنسبه إلى الخيال و الطبيعه، و الخيال أظهر بالنسبه إلى الطبيعه، و لكنّ طبيعتهم طاهره غير خبيثه، و الحمد لله على ما منّ عليهم بهذه المواهب العليا.

١١٠

«خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرضه محققين»

و فيه ثمانى نكات:

الأولى: أنّ خلق النور المعنوى ممكن، كخلق النور الحسى لسنخيه بينهما، و هى الظهور و الخروج عن الخفاء لكلّ منهما، و أمّا لإمكان خلقه دليلان:

الأول: لو لم يكن خلق النور المعنوى لامتنع الخلق الحسى أيضا.

الثانى: عدم انجرار خلقه إلى محال، أضف إلى الدليلين هنالك مؤيّدات كثيره من النقل، مضافا إلى أنّ الاعتقاد بوجود النور المعنوى و خلقه من مصاديق الغيب (غيبته بالنسبه إلى المسجونين فى سجن عالم الطبيعه)

ص: ٤٨٨

الذى يكون الإيمان به هو أصل كل عقيدته، قال تعالى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (١).

الثانية: يشهد الزائر هنا على حقيقته اخرى و هي خلقه تعالى آل البيت عليهم السلام أنوارا و جعلهم محققين بعرشه. لا شك في وجود عرش (٢) لله تعالى، على حسب الآيات القرآنية بل الكتب السماوية أيضا و الأخبار الكثيره الواردة في هذا الباب عن الأطهار، و لا شبهه أيضا في أن آل البيت عليهم السلام خلقوا دون أبدانهم الطاهره قبل هذا العالم، كما جاءت أخبار كثيره جدًا في هذا المقام. و ما يلزم أن يقال هنا هو إحداق الله إياهم بعرشه، و هذا الإحداق ليس شأنًا طبيعيًا و لا أمرًا ماديًا حتى ينقطع، فالحاصل أنهم عليهم السلام محققون بالعرش إلى أبد الآباد و لا دليل على الحصر و التحديد، خصوصًا إذا قلنا (و هو الحق) بأن نوريتهم و إحداقهم شأنان من شؤون البعد غير المادى لهم عليهم السلام.

الثالثة: إن قام دليل نقلى (كالخبر الآتى ذكره) على كون المحققين به هم الملائكة، و آل البيت عليهم السلام هم حملة لا المحققون به، فهذا لا ينافى ما

ص: ٤٨٩

١- البقره: ٢. [١]

٢- ٢). إن مسألة العرش هي من المسائل الغامضه بين المحققين، و يستنتج من مراجعه اللغه و الآيات القرآنيه أن أصل العرش هو الارتفاع، و كل ما ذكر من معانيه الكثيره راجع إلى هذا الارتفاع، و يكون لازما له لا معنى من معانيه كما تصوّره اللغويون و غيرهم، و الإيمان الإجمالى بالعرش فرض لازم و إن لم تعلم حقيقته تفصيلا، و لا حاجه لنا إلى تحقيق أكثر من ذلك.

فى الزياره من كونهم محدقين مع كون الملائكه حوله؛ لإمكان المراد من الملائكه حوله هم آل البيت عليهم السّلام أيضا؛ لما تقدّم من أنّ آل البيت عليهم السّلام هم الملائكه (فراجع إلى شرح «و مختلف الملائكه»)، قال أبو جعفر عليه السّلام:

«...ثمّ قال: المّدين يحملون العرش، يعنى الرّسول و الأوصياء من بعده صلّى اللّٰه عليه و اله يحملون علم اللّٰه». ثمّ قال: «و من حوله، يعنى الملائكه يسبحون بحمد ربّهم... و يستغفرون للّذين آمنوا، و هم شيعة آل محمّد عليهم السّلام يقولون ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة و علما فاغفر للّذين تابوا من و لايه هؤلاء و بنى أمّيه و اتبعوا سبيلك و هو أمير المؤمنين عليه السّلام» (1).

الرابعه: أنّ شهاده الزائر هنا على نوريتهم إمّا: علميه إيمانيه و إمّا عينيه و كشفية عرفانيه؛ فإن كان الأوّل فيكفى فى صحّه شهادته الأدلّه النقلية التى هو مؤمن بها، و لا أقلّ بيان الإمام الهادى عليه السّلام فى هذه الزيارة الشريفه، و إن كان الثانى لا ينبغى تعرّضنا له، بل نكله إلى أهله (جعلنا اللّٰه منهم).

الخامسه: أنّ استعمال النور فى حقّهم عليهم السّلام تاره (كما فى الفصل السابق) و الأنوار فى هذا الفصل غير متنافيين؛ لأنّ المراد من استعمال كلّ منهما لمورد خاصّ، فمورد النور باعتبار وحده نوريتهم فى نشأه غير نشأتهم الطبيعيه الماديّه، و مورد الأنوار هو هذا العالم باعتبار تعلّقهم

ص: ٤٩٠

١- بحار الأنوار ٢٣/٣٦٣ ح ٢٣-الباب ٢١- [١] تأويل المؤمنين بهم- عن: كنز جامع الفوائد ٢٧٧.

بالأبدان الطاهره العنصريه، فتدبر حتى لا تشتهه.

السادسه: أنّ الخلق هنا هو الجعل، وقد ذكرنا فيما مضى أنّ الجعل جعلان: بسيط و تأليفى. أمّا البسيط فمتعدّ إلى مفعول واحد و يعبر عنه بالجعل التامّ، و هو مفاد «كانت» التامّه. و المركب (و المؤلّف) ما له مفعولان، و هو مفاد «كانت» الناقصه. و الحاصل أنّ آل البيت عليهم السّلام خلقوا أنوارا من حيث كانوا فى علم الله ما كانوا، و خلقوا فى العين و الخارج أنوارا، اعطوا و جوب الغيرى فصاروا أقمارا منيره و صار رسول الله صلّى الله عليه و اله شمسا مضيئه (كما أشرنا إلى الفرق بين الشمس و القمر من حيث الإضاءة و الإناره).

السابعه: من ذكر كونهم عليهم السّلام أنوارا مع كون النور القمر من الشمس، يستفاد أنّهم مستفيضون من رسول الله صلّى الله عليه و اله (و لو فى بعض النشآت) الذى هو أوّل الصوادر و أشرفها كما اشتهر عنه صلّى الله عليه و آله: قوله «أوّل ما خلق الله نورى» (1)، و استفاضتهم منه صلّى الله عليه و اله تشريعا معلوم، و لا ينافى ذلك- أى كونه صلّى الله عليه و اله شمسا مضيئه- و لكون إضاءته ذاتيه و كونهم أنوارا، لأنّ نور القمر مكتسب من الشمس مع إطلاق النور عليه تعالى، لأنّ النسبه بين النور و الضياء نسبه العامّ و الخاص مطلقا، فيطلق النور على الذاتى و غير الذاتى، فظهر أنّ ما يظهر من آل البيت عليهم السّلام هو النور الاكتسابى و لا الضياء

ص: ٤٩١

١- بحار الأنوار ١: ٩٧/٧-الباب ٢ [١] حقيقه العقل..-عن: غوالى اللآلى لابن أبى جمهور.

الذاتِي، و هذا يشبه بتقدّم العقل على النفس و تأخر النفس عن العقل تأخراً رتبيّاً، كما يتأيد هذا بآيه «أنفسنا». و قد ورد في الباب كثير من الأخبار، منها ما جاء في تأويل قوله سبحانه: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً (١).

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السّلام: «فضرب الله مثل محمّد السّمس و مثل الوصي القمر، و هو قوله عزّ ذكره جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً» (٢).

و هذا غير مناف لما قلناه سابقاً بتوحدهم في أصل النوريّة كما أيدنا ثمّه بهذين البيتين منّا:

توحدوا في عالم المعناء تعدّدوا في ظاهر الإنشاء

لكونهم حقيقة نوريّة تجرّدت عن مثل الصوريّة

لكونهم نوراً واحداً في عالم الأسماء و الصفات، و متعدّداً في النشأه الملكوتيّة فضلاً عن هذا العالم الذي هو عالم الكثرات.

الثامنه: معني كونهم عليهم السّلام محدقين بعرش الله:

المحدقين اسم فاعل من باب إفعال، فيكون معني المحدق من يحيط بشيء من أطرافه الأربعة، و لهذا اطلقت «الحديقه» في التنزيل و الحديث على كلّ واحد من رياض الجنّه؛ لوقوعها محصوره بإحاطه الأشجار،

ص: ٤٩٢

١- يونس: ٥. [١]

٢- ٢. بحار الأنوار ٢٣: ٣٢١/ح ٣٨ الباب ١٨ [٢] أنّهم أنوار الله و... عن الكافي ٨: ٣٨٠/ح ٥٧٤. [٣]

و حدقه العين أيضا من هذا القبيل، و المراد من عرش الله المحاط بآل البيت عليهم السّلام يمكن أن يكون هو علم الله الفعلّي بجميع ما سواه (١)، و وجه التعبير من هذا العلم بالعرش هو ارتفاعه عن سائر صفاته القدسيّه و لو في عالم المفهوم، و لا شكّ في كون ما سواه محدودا قابلا للإحاطه، و لا العلم الذاتّي الذي هو عين ذاته المتعالیه غير المتناهيّه، (٢) إلى الذاتّي و الفعلّي، بل هذا الانقسام من جهه التعلّق أو عدم التعلّق بالحقائق العينيّه الخارجيّة، فمن جهه التعلّق بها يسمّى علما فعليّا.

۱۱۱

«حتّى منّ علينا بكم فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع

و يذكر فيها اسمه»

و فيه أربع نكات:

الأولى: يستفاد من لفظه «حتّى»-التي تكون لانتهاه الغايه- أنّ هذه الفقره الشريفه تكون كنتيجه لما شهد أنّ الله خلقهم أنوارا و جعلهم بعرشه محدقين، فعلى هذا تكون الفقره السابقه إلى كونهم عليهم السّلام في عالم الأسماء و الصفات الذي هو فوق عالم الملكوت، فضلا عن عالم الطبيعه، و هو

ص: ٤٩٣

١- و هذا من المصاديق المحتمله للعرش حسب آراء العلماء.

٢-٢). ينبغي ذكره هو أنّ علم الله تعالى لا ينقسم بنفسه أو باعتبار موصوف به (و الموصوف هو ذاته المقدّسه).

ابتداء سيرهم، فهذه فقره مشيره إلى انتهاء ذلك السير، أى السفر من الحق إلى الخلق، المعدود من الأسفار الأربعة الوجودية.

الثانية: أنّ من أسماء الله الحسنى: المَنَّان، الذى استعمل هنا بصيغته الفعل، و معناه من حيث اللغة ظاهر، فنقول هنا: إنّ لكل اسم من أسمائه سبحانه ظهوراً و تجلياً فعلياً، فلظهور هذا الاسم السامى مصاديق عديده، كبعثه الرسول، قوله تعالى: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ (١) و الهدايه إلى الإيمان، قال تعالى: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ (٢). و يستفاد من استعمال الإمام عليه السلام هذا اللفظ (مَنَّ) هنا أنّ إمامه آل البيت عليهم السلام و ولايتهم قرينه لنبوّه الأنبياء، و لا سيما نبوّه الختميه بل لو لا إمامتهم لم تتم نبوّه نبيّ و لا رساله رسول أصلاً (كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق).

و ينبغى أنّ غيره تعالى لا يجوز له التسمّى بهذا الاسم السامى، و لا أن يمنّ أحد على أحد، لأنّ المَنَّان اسم خاص لمن يعطى أو يحسن إلى غيره من كرم ذاته، لا بأن يأخذ من الغير ثم يعطى إلى الآخر، مضافاً إلى أنّ المنّه يجب أن تكون من منعم عظيم بنعمه عظمى على المستحقّ، فحيث لا أعظم من الله، بل كلّ ما سواه حقير فقير إليه، و كلّ نعمه دون الهدايه

ص: ٤٩٤

١- آل عمران: ١٦٤. [١]

٢- ٢. الحجرات: ١٧. [٢]

بالنبوة والإمامه صغيره لا- قدر لها، فمته غيره بأى نعمه غير النبوة والإمامه و ما يشبههما قبيحه محرّمه بالعقل و النقل، أما العقل: فلأنّ كلّ منان سواه لا يعطى غيره من قبل ذاته، بل هو سبب لإعطاء الله إليه. و أمّا النقل: فلعدم جواز تسميه غيره بالمنان إلا بإضافه العبد إليه، و قال تعالى: **بَلِ اللّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ (١)**، و فى هذه فقره إشاره إلى عظمه نعمه إمامه آل البيت عليهم السلام التى هى ممنون بها.

الثالثه: أنّ لحسن مته تعالى على المؤمنين بآل البيت وجوها:

أحدها: بإمامتهم تتم نبوه النبى و رسالته (بل سائر النبوات و الرسالات أيضا كما ذكر آنفا)، كما تشهد عليه آيتا: التبليغ، و إكمال الدين (٢)، فمته تعالى على المؤمنين إنّما تكون برساله تامه، و التى بدون إمامتهم تكون ناقصه.

ثانيها: أنّ الأئمه الإسلاميه متشكّله من المسلمين و المؤمنين، فالمسلم هو الذى آمن بالمشروط (حقّيه الإسلام) دون شرطه (إمامه آل البيت عليهم السلام)، و المؤمن من آمن بالشرط و المشروط جميعا، فيتبين إذا من المؤمن الذى من الله عليه.

ثالثها: كون الشيعه محبوبين عند الله، و لهذا المدعى أدله من القرآن

ص: ٤٩٥

١- الحجرات: ١٧. [١]

٢- ٢). آيه التبليغ: «يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» (المائده: ٦٧)، و آيه إكمال الدين و إتمام النعمه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» (المائده: ٣). [٢]

و الحديث و أغمضنا عن ذكرها إلا- قوله تعالى: فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ (١)، و ما نقل عن مولانا الصادق عليه السلام في (الكافي) أنه عليه السلام قال لرجل من الشيعة: «و أنتم أهل الرضا عن الله عز و جل برضا عنكم، و الملائكة إخوانكم في الخير، فإذا جهدتم ادعوا، و إذا غفلتم اجهدوا، و أنتم خير البرية، دياركم لكم جنه، و قبوركم لكم جنه، للجنه خلقتم و في الجنه نعيمكم، و إلى الجنه تصيرون» (٢).

رابعها: أن صحه أخبار الطينه من أنه تعالى خلق أرواح الشيعة من الطينه الطاهره لآل البيت عليهم السلام تعدّ وجها آخر على المنه التكويتيه على الشيعة.

الرابعه: أن حرف الفاء في جملة «في بيوت» هنا حرف تفرّيع، فيتفرّع كونهم في بيوت كذا على «خلق الله إياهم أنوارا»، أو على منه تعالى على المؤمنين بهم، بحيث لو لم يخلقوا أنوارا أو لم يجعلوا قاده على المؤمنين لم يستقرّوا في بيوت كذا. و أمّا المراد من البيوت تأويلا فهو أنفسهم النفيسه، كما يؤيّده ما روى عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ قتاده قال له: و الله لقد جلست بين يدي الفقهاء و قدام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك، قال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك! أتدرى

ص: ٤٩٤

١- المائده: ٥٤. [١]

٢- ٢. الكافي ٨: ٣٦٦/ح ٥٥٦. [٢]

أين أنت؟ أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه» (١).

١١٢

«و جعل صلواتنا عليكم، و ما خصنا به من ولايتكم، طيبا

لخلقنا (٢) [٢] و طهاره لأنفسنا، و تزكيه لنا، و كفاره لذنوبنا»

و فيه خمس نكات:

الأولى: يشهد الزائر في هذه الفقرة على أمور:

الأول: أن في الصلوات عليهم و في تخصيص الله إياها للمؤمنين من ولايتهم عليهم السلام فوائد:

(١) طيب الخلق.

(٢) حصول طهاره النفس.

(٣) التزكيه لنفوس المؤمنين.

(٤) كفاره للذنوب.

و هذا الجعل و التخصيص من الله كان كمكافاه لما أحسنوا إلى المؤمنين بالهدايه و الإمامه و غيرهما في حقهم، لئلا ينسى المؤمنون حقّ

ص: ٤٩٧

١- الكافي ٦/٢٥٦: ١-باب ما ينتفع به من الميتة و ما لا ينتفع به [١] منها.

٢- ٢). نقل بعضهم هذا بالخاء المضمومه (لخلقنا)، و هو يوجب تكرارا زائدا مع (و طهاره لأنفسنا).

هذه النعمة العظمى و شكرها، كما قال تعالى: وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ (١).

الثانية: أن معنى الصلاة هنا هو تحيته متواصله على آل البيت عليهم السلام و لها فضل عظيم و أجر وافر، و قد أمر الله بها فى كتابه، «و هو و ملائكته يصلّون عليهم»، كما أخبر بذلك و أمر المؤمنين بأن يصلّوا عليهم، قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٢). و لا بأس بذكر بعض الروايات الواردة هنا:

(١) عن عمّار الساباطى قال «كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فقال رجل:

اللهم صلّ على محمد و أهل بيت محمد، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: يا هذا، لقد ضيّقت علينا، أما علمت أن أهل البيت خمسهم أصحاب الكساء؟ فقال الرجل: كيف أقول؟ قال: قل: اللهم صلّ على محمد و آل محمد، فسنكون نحن و شيعتنا قد دخلنا فيه» (٣).

(٢) و قال النبىّ صلّى الله عليه و اله: «من صلّى علىّ و لم يصلّ على آلى لم يجد ریح الجنّه، و إنّ ریحها لیوجد من مسیره خمسمائه عام» (٤).

(٣) و قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلّى الله عليه و اله: «ارفعوا

ص: ٤٩٨

١- البقره: ١٩٨. [١]

٢- ٢. الأحزاب: ٥٦. [٢]

٣- ٣. وسائل الشيعه ٧: ٢٠٥/ ح ٩١٢١- [٣] عن: ثواب الأعمال للشيخ الصدوق / ١٨٩ ح ٢.

٤- ٤. وسائل الشيعه ٧: ٢٠٣/ ح ٩١١٦- [٤] عن: أمالى الصدوق / ٣١٠ ح ٦. [٥]

أصواتكم بالصلاة عليّ؛ إنها تذهب بالنفاق» (١).

الثالثة: أريد بالولاية المخصوصه هنا الولاية التشريعيه (و هي مكسوره الواو) و هي بمعنى المحبه و النصرة، و لا- التكوينيته (هي مفتوحه الواو) العامه على جميع الأشياء، و معناها التصرف و السيطرة، إذا تكون هذه الولاية أي بمحبتهم لنا أو نصرتنا إياهم نعمه عظيمه أنعمها الله علينا.

الرابعه: أنهما (الصلوات و الولاية) متضمنتان لفوائد و آثار كما يلي:

أحدها: طيب الخلق، فالمصلّى عليهم صاحب الولاية لهم ولد من حلال، كما يدلّ على ذلك كثير من الأخبار، منها، قول رسول الله صلّى الله عليه و اله «يا عليّ، من أحبني و أحبّك و أحبّ الأئمّه من ولدك فليحمد الله على طيب مولده؛ فإنّه لا- يحبنا إلاّ من طابت ولادته، و لا يبغضنا إلاّ من خبث ولادته» (٢).

ثانيها: تطهاره الأنفس، و المراد منها كون نفوس المؤمنين طاهره من الأدناس و الأقدار النفسائيتين؛ لأنّ النفس كالجسد قد تكون فاقده للطهاره و واجده للمقتضيات المكدره المظلمه، كمقتضى الشرك و الفسق و غيرهما، و أضعف المقتضيات سوء التيه، فبذكر الصلوات تطهر النفس

ص: ٤٩٩

-
- ١- الكافي ٢/٤٩٣: ١٣- باب الصلاة على النبي محمد و أهل بيته عليهم السلام. [١]
- ٢- ٢. علل الشرائع ١/١٤١: ١- الباب ١٢٠، [٢] في أنّ علّه محبه أهل البيت عليهم السلام. طيب الولاده، و أنّ علّه بغضهم خبث الولاده. و أمثال هذا المقام هما بنحو الاقتضاء لا العليه إذا لم يعتبر أخبار الطينه.

عن الغفلة عن شؤون آل البيت عليهم السّلام و مراتبهم الساميه بالصلوات و الولايه لهم عليهم السّلام، فتكون هذه الطهاره كسبيّه، و إن قلنا بصفه أخبار الطينه و اعتبارها تكون الطهاره تكويته لا تحصيليه، و لكن صحه هذه الأخبار محلّ تردّد إلاّ بإمكان القول فيها على نحو الاقتضاء لا العليّه.

ثالثها: التزكيه، و المراد منها هو دوام التزكيه الحاصله من بعثه الرسول صلّى الله عليه و اله خصوصا و بعثه الأنبياء عليهم السّلام مع الواسطه عموما، كما قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا - مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ (١). و هذه التزكيه هي التنميه، لأنّ بها تتمّ الرساله، و لها من الفوائد و النتائج ما كان للرساله.

رابعها: كفّاره الذنوب، و لها شواهد كثيره في الأخبار، منها: ما عن الرضا عليه السّلام عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و اله: «حَبْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ يَكْفُرُ الذَّنُوبَ وَ يَضَاعِفُ الْحَسَنَاتِ، وَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَتَحَمَّلُ عَنْ مَحَبِّينَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِ الْعِبَادِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهُمْ فِيهَا عَلَى إِضْرَارٍ وَ ظَلَمٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، فيقول للسّيئات: كوني حسنة» (٢).

الخامسه: أنّ كلّ شأن و فعل و جودى و كمالى لا يصدر وجودا إلاّ منه سبحانه، فيكون هو تعالى مطيّب الخلق، مطهّر النفوس و مزكّيها و مكفّر

ص: ٥٠٠

١- الجمعه: ٢. [١]

٢- ٢. بحار الأنوار: ٦٥: ١٠٠٠/١ ح ٥- الباب ١٨ باب الصّفح عن الشيعه- [٢] عن: أمالى الطوسى ١: ١٦٦. [٣]

الذنوب، و لكن آل البيت عليهم السّلام هم مظاهر تامّه لأسماء الله الساميه و صفاته العاليه، يظهر منهم من الآثار ما يظهر من أسمائه و صفاته سبحانه، فيرتفع التنافى بين كونه تعالى مؤثراً و بين كونهم ذوى آثار.

١١٣

«فكنا عنده مسلمين (١) بفضلكم، و معروفين بتصديقنا إياكم»

و فيه خمس نكات:

الأولى: لا- فرق بين الإسلام و التسليم (بمعنى الانقياد التام) و المسلم و المسلم في المعنى، و إنّما الفرق بين كلّ من صاحبه فرق لفظي، و حرف الفاء هنا للتفريع، و مدخولها فرع على ما تقدّم.

الثانية: جعله تعالى صلواتنا على آل البيت عليهم السّلام و تخصيصه إيانا بولايتهم موجبان لكون الشيعة مسلمين لله و معروفين عند الله، بتصديق إمامه آل البيت عليهم السّلام (٢) و قيادتهم (٣)، و هذا هو سرّ استعمال «كنا» الذي يفيد الاستمرار، لأنّ الصلوات و التحيات على آل البيت عليهم السّلام و المخصوصيه

ص: ٥٠١

١- نقل في بعض النسخ بدل مسلمين، مسمين، بمعنى ذوى علامه و اسم، و هو بعيد، و لعلّه نشأ من الاشتباه في النسخ أو التردّد في النقل، مضافاً إلى أنّ هذا التعبير (المسلمين) لو اخذ من القرآن يؤيد استبعادنا في التعبير بمسمين.

٢- ٢. و يمكن أن يكون الموجب لمعروفية الشيعة عند الله هو طيب خلقهم و طهاره أنفسهم، و كونهم مزكّين كما قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» (فاطر: ١٠). [١]

٣- ٣. هذه أيضاً كنتيجة أخرى لما شهد الزائر قبلها من جعل الصلوات و التخصيص المتقدم.

ولا يتهم من الأمور النفسية الغير مادية، وكل أمر كان من هذا القبيل لا يتطرق إليه الزوال، بل هو ملازم للثبات و الدوام، وهذا أصل كلّي في كل أمر غير ماديّ، لهذا يخلد أهل النار فيها و يخلد أهل الجنة فيها، فالحاصل إن لم تكن صلواتنا عليهم و لم تكن ولايتهم خاصه بنا، لم يطب خلقنا و لم تظهر نفوسنا، فلم نبلغ عند الله هذا الشأن العظيم.

الثالثة: يتعلّق التسليم به تعالى، فيكون المعنى: أنا سلّمنا لله تعالى بإمامتكم، و أطعنا أمره سبحانه حين أمرنا على لسان رسوله بآيه أولى الأمر و يوم الغدير، و أمره بالكون مع الصادقين في آيه اخرى، و غير ذلك، و لم نك ممّن قالوا آمنا و خوطبوا ب لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخّل الإيمان في قلوبكم (1)، بل سرنا من مصاديق قوله تعالى: ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (2)، و الحمد لله.

الرابعة: ينبعث تسليم كلّ مسلم لأيّ مسلم له من أسباب:

الأول: نقص المسلم، الثاني: كمال المسلم له، الثالث: الحاجه الماسه للمسلم إلى المسلم له، الرابع: طلب المسلم له من المسلم التسليم، الخامس: معرفه المسلم بنقصان نفسه و لزوم رفع النقص، السادس:

ص: ٥٠٢

١- الحجرات: ١٤. [١]

٢- ٢. النساء: ٦٥. [٢]

معرفة بكمال المسلم له و كونه قادرا على رفع النقص.

الحاصل أنّ الشيعة مسلمون لله تعالى، لأنهم عارفون بجميع مقدمات التسليم و مقتضياته ببركه هدايه آل البيت عليهم السلام.

الخامسة: أنّ الكافر عند الله غير معروف بكفره (١) كما يصرح التنزيل في قوله سبحانه: **وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ** (٢)، فحيث إنّ من أنكر ولاية آل البيت عليهم السلام و إمامتهم مع الكافر سواء (بل كفره القلبيّ أشدّ مراحل الكفر)، فلذلك لم يكن معروفا عند الله، و لكنّ المؤمن بآل البيت المتّبع لهم عملا، حيث كان مؤمنا حقيقيا يكون معروفا، هذا إذا قلنا بمعروفية الشيعة عند الله، و أمّا إن قلنا بأنّه يصير معروفا بين الأمم الماضيه فنقول: زمان وقوعها، أمّا أن يكون في زمان الرجعه كما قال تعالى: **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** (٣)، و أمّا في الآخرة كما يشهد عليه بعض الأخبار المرويّه عن الأطهار، كالخبر التالي: عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: أين خليفه الله في أرضه؟ فيقوم داود النبيّ عليه السلام، فيأتي النداء

ص: ٥٠٣

١- تنقسم المعرفية إلى: تكويته و تشريفية، فكلّ علّه شاعره لا يمكن لها عدم معرفته بمعلوله، فالكافر معروف عند الله من هذا الحيث، و إن كان غير معروف تشريفا، لأنّه لا شرف له.

٢-٢. آل عمران: ٧٧. [١]

٣-٣. التوبة: ٣٣. [٢]

من عند الله عزّ وجلّ: لسنا إيّاك أردنا (١) وإن كنت لله تعالى خليفه ثمّ ينادى ثانيه: أين خليفه الله في أرضه؟ فيقوم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فيأتي النداء من قبل الله عزّ وجلّ: يا معشر الخلائق، هذا عليّ بن أبي طالب خليفه الله في أرضه و حجّته على عباده، فمن تعلق بحبله في دار الدنيا فليعلق بحبله في هذا اليوم؛ ليستضيء (٢) بنوره و ليتبعه إلى الدّرجات العلى من الجنّات. قال: فيقوم النّاس المذنبون قد تعلقوا بحبله في الدّنيا فيتبعونه إلى الجنّ، ثمّ يأتي النداء من عند الله جلّ جلاله: ألا من ائتم بإمام في دار الدنيا فليتبّع به إلى حيث يذهب به.

فحينئذ تبرّأ الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا و رأوا العذاب و تقطعت بهم الأسباب، و قال الذين اتّبعوا: لو أنّ لنا كره فنتبرّأ منهم كما تبرّؤوا منّا، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم و ما هم بخارجين من النّار» (٣)، و إن كان المراد من كون الشيعيّ معروفا معروفيته عند الأمم في الآخرة يكون علّتها نور و جوههم، قال تعالى في وصف أمير المؤمنين عليه السلام:

ص: ٥٠٤

١- لعلّ السرّ في عدم إرادته سبحانه إيّاه عليه السّلام هو ما في قول الأصوليين من أنّ إطلاق المطلق ينصرف إلى أكمل أفراد، فيكون هذا أيضا دليلا آخر على أفضليته الأئمّه الاثنى عشر عليهم السّلام -تلويحا- على الأنبياء الماضين، كتصريح على أفضليته الإمام عليّ عليه السّلام عليهم (على الأنبياء الماضين و باقى أئمّتنا [١] عليهم السّلام).

٢- ٢) و إن سقطت الواو و اللام في مأخذنا لهذا الخبر.

٣- ٣) بشاره المصطفى / ح ٢ / ١ [٢]

سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ (١)، وقال أيضا: يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ (٢).

١١٤

«فبلغ الله بكم أشرف محلّ المكّرمين، وأعلى منازل

المقربين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق،

ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع»

وفيه أربع نكات:

الأولى: يلزم ذكر استعمال حرف الباء ومعنى الشرف والعلوّ، فنقول:

أمّا الباء فهي حرف تعديده على أقوى احتمال، والجمله التي استعملت فيها باء التعديده إخباريّة، وأمّا معنى الشرف فهو مجد لا يقدر على إدراكه أحد، ومعنى العلوّ هو المرتبه التي ليس فوقها مرتبه، والرّفعة هي كون رتبتهم فوق جميع الرتب.

والحاصل أنّ الشرف والعلوّ والرفعة متقاربه المعاني، والفرق بينها دقيق، ومحصل المعنى أنّا إذا قلنا بأنّ آل البيت عليهم السلام كانوا في أشرف محلّ

ص: ٥٠٥

١- الفتح: ٢٩. [١]

٢- ٢). الحديد: ١٢، [٢] فإذا كان المراد بمن في الآية عليّ وأولاده المعصومين عليهم السلام مع هذه المناقب كان إذا شيعتهم معروفين عند الله بهم.

المكرمين فريد أنهم في محل لا- يمكن لكل أحد إدراك ذلك المحل، و إذا قلنا بأنهم عليهم السلام بلغوا إلى أعلى منازل المكرمين فمعناه أن لا- منزله فوق منزلتهم، فنعتبر عن تلك المنزلة بالعلو لنفينا منزله فوقها، والمراد من الرفعه هنا هو عدم تصوّر درجه فوق درجتهم في الإمكان إلا مرتبه الوجوب الذاتى الغير قابله للمقايسه مع الواجب الغيرى فضلا عن الممكن الذاتى.

الثانيه: قد ذكرنا أنّ شهاده الزائر في حق آل البيت عليهم السلام على أنّهم خلقوا أنوارا حتى من الله على المؤمنين بهم، كناية عن السفر الأول لآل البيت عليهم السلام و هو من الحق إلى الخلق (و هو قوس النزول قال تعالى: إِنَّا لِلَّهِ) و لكن «فبلغ الله بكم» إشاره إلى السفر الثاني لهم و هو من الخلق إلى الحق (و هو قوس الصعود قوله تعالى: وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ (١)).

الثالثه: لا- شك في أفضلية النبي الخاتم على جميع الأنبياء و المرسلين و الملائكة أجمعين، و هذا ضرورى للأمة المسلمه. و الضرورى العقليّه تقضى بذلك أيضا، لكون كل نبي إنسانا كاملا في عصره و قومه، و الإنسان الكامل أفضل من الملك، فيكون الخاتم (عليه و آله السلام) أكمل و أفضل على حسب ناموس التكامل، فيكون آل البيت عليهم السلام في درجته، لكون كل واحد منهم نفسه أو كنفسه النفيسه بشهاده آيه «أنفسنا»، فالحاصل أنّهم أفضل الخلق كالخاتم، كما قال النبي في الإمام عليّ عليه السلام: «من أراد أن

ص: ٥٠٦

ينظر إلى آدم في علمه و إلى نوح في تقواه و إلى إبراهيم في حلمه و إلى موسى في هيئته و إلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام؛ فإنّ فيه سبعين خصله من خصال الأنبياء» (١).

و الأخبار الدالّة (٢) على المراد من هذا القبيل كثيره، يكفيك «خلقهم الله أنوارا محديقين بعرش الله» دون سائر الخلق حتّى الأنبياء.

الرابعه: يمتنع أن يصل أيّ من المخلوقين من الماضين و الآتئين إلى محلّ آل البيت عليهم السّلام الرفيع و مقامهم المنيع، كما يمتنع بلوغ الممكن إلى مرتبه الواجب، و الفرق بين هذين الامتناعين هو أنّ امتناع الأوّل وقوعيّ و الثاني ذاتيّ، توضيحه أن ليس للممكن قابليته ذاتيه لبلوغ ذلك الشأن، و عدم قابليته ينشأ من ضيق وعائه الذاتيّ، و إن لم يكن وعاءه ضيقا يناله، و لكنّ الامتناع الثاني ذاتيّ. فإذا امتنع نيل غيرهم إلى محلّهم فلا يطعم التّيل أحد، كما لا يطعم مسكين ذو متربه أن يصير ملكا، نعم يمكن له أن يتخيّل ذلك.

ص: ٥٠٧

١- الأنوار اللامعه ١٥٥.

٢- ٢). إن قيل: هذا الخبر يدلّ على المساواه بين الإمام عليّ عليه السّلام و الأنبياء عليهم السّلام المذكورين فيه، نقول: إنّ كلّ وصف لكلّ نبيّ في الخبر كان أبرز صفه له، و دلّاله هذا الخبر على أفضليّته الإمام عليّ من حيث كونه عليه السّلام جامعا لتلك الأوصاف، و جميعها تكون بارزه فيه عليه السّلام، فتدبّر، مضافا إلى أنّ المراد بسبعين في الخبر هو المبالغه لا العدد الخاصّ.

«حتى لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صديق

ولا شهيد، ولا عالم ولا جاهل، ولا ذني ولا فاضل، ولا

مؤمن صالح، ولا فاجر طالح، ولا جبار عنيد، ولا شيطان

مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلا عرفهم جلاله أمركم،

وعظم خطركم، وكبر شأنكم وتمام نوركم، وصدق مقاعدكم،

وثبات مقامكم، وشرف محلّكم ومنزلتكم عنده، وكرامتكم

عليه، وخاصتكم لديه، وقرب منزلتكم منه» (١)

وفيه ثماني نكات:

الأولى: قد تقدّم آنفاً أنه لا يمكن لأحد بلوغ رتبة آل البيت عليهم السّلام الساميه، وهنا نقول: يمكن لكلّ مخلوق معرفتهم، بل الله سبحانه عرفهم إيّاه (٢).

الثانية: أنّ كلّ تعريف يتقوّم بامور: المعرّف، والمعرّف، والمعرّف له.

ص: ٥٠٨

١- إنّ الشارحين شرحوا كلّ واحد من هذه الجمل على حده ولم يحفظوا الصلّه بينهما، ولكنّا شرحناها جميعها كفصل واحد مع حفظ الصّلات.

٢-٢. هذا كنتيجة على الشهاده السابقه (فبلغ الله بكم...) توضيحه أنّه تعالى عرفهم عليهم السّلام ما سواه تعريفا واسعا بحيث لا يمكن لأحد إنكاره ولا الجهل بشؤونهم العالیه.

فالمعرّف يلزم له إحاطه تامّه بالمعرّف، ليعرّفه بتعريف جامع مانع، وأن يقدر على التعريف، وأن يكون عالماً بلزوم التعريف خبيراً بمورده، و عالماً بإمكان التعريف، فالمعرّف هنا هو الله تعالى ولا شكّ في توفّر جمع الشرائط المذكوره فيه سبحانه.

الثالثه: ينقسم المعرّف له هنا إلى قسمين:

أحدهما: الكمّل، ثانيهما: غيرهم.

أمّا الأولون، فهم الملائكه المقربون و الأنبياء المرسلون (١)، و الصّيديقون (٢) و الشهداء و العلماء و الفضلاء، و المؤمنون الصالحون.

أمّا ثانيهما، فهم الجهّال و الدنيايا و الفجّار و الجبابره المعاندون و الشياطين، و يمكن إلحاق خلق في ما بين ذلك شهيد على الأولين، و يمكن أيضاً بيان المراد منهم بأنّهم خلق بلغوا إلى أعلى مراتب الشهود في معرفه آل البيت عليهم السّلام.

الرابعه: أنّ في معرفه آل البيت عليهم السّلام للأولين فائدتين:

ألف) إدراك الكمال الأوّل، و هو الوجود، ففي هذه الفائده يشترك الكمّل مع غيرهم بحيث لو لا- آل البيت عليهم السّلام لم يخلقوا لا هم و لا غيرهم.

ص: ٥٠٩

١- تقييد الملك بالمقرب و النسبى بالمرسل، إنّما هو لبيان أولويّه غير المقربين من الملائكه و غير المرسلين من الأنبياء. توضيحه: إذا وجبت معرفه آل البيت عليهم السّلام على الملك المقرب فكيف على غيره، و إذا كان النسبى المرسل مكلفاً بمعرفتهم كانت معرفتهم أوجب على غير المرسلين.

٢- ٢). قد تقدّم تفسير الصّدّيق فلا نعود إليه.

ب) إدراك ثاني الكمالين، وهو البلوغ إلى الرحمه الرحيميه منه سبحانه؛ وأما غير الكمل فلهم أيضا فائدتان:

الأولى: لو لم يعرفوا آل البيت عليهم السلام (و لو جبرا و تكوينا) لم يوجدوا، فتكون أولى الفائدتين أن وجدوا.

الثانية: تماميه الحجّه، لكي لا يقال: «لو لا أرسلت إلينا رسولا منذرا و أقيمت لنا علما هاديا» (١)، أضف إلى هذا أن المعرفه التكوينيّه لمنكر آل البيت عليهم السلام غير كافيه؛ لأنّ الله كلّفه بمعرفتهم الاختياريّه، و لم يقبل الكافر هذا التكليف.

الخامسه: أنّ المعرفين (بصيغه المفعول) هم آل البيت عليهم السّلام، و قد عزّفوا (بتعريف الله) بصفاتهم الجميله لا بذواتهم القدسيّه لعجز الممكن عن المعرفه التامه بتلك الذوات الشريفه (و إن كانت المعرفه بالصفات تفيد معرفه إجماليّه بالذوات)؛ لأنّهم المظاهر التامه لله تعالى، فكما يستحيل الإحاطه بالظاهر (و هو الله تعالى) كذا يستحيل الإحاطه بمظهره أيضا.

السادسه: ذكر الإمام الهادي عليه السلام من أوصاف آل البيت عليهم السلام عشر صفات:

ص: ٥١٠

١- بحار الأنوار ١٠٥: ١٠٢- الباب ٥٦- [١] زياره الحجّيه بن الحسن صلوات الله عليهما بدعاء الندبه الذي رواه عدد من العلماء، منهم: السيّد ابن طاووس في (مصباح الزائر)، و [٢] العلّامه المجلسي في (تحفه الزائر)، و ابن المشهدّي في (المزار الكبير).. و غيرهم.

(١) جلاله أمرهم، وقد تقدّم في ما سبق معنى الجلال.

(٢) عظم خطرهم.

(٣) كبر شأنهم (١).

(٤) تمام نورهم (٢).

(٥) صدق مقاعدهم، وهذا يعمّ مقعد الإمامه للمكلفين و مقعد الولاية التكوينية لجميع ما سوى الله و غير آل البيت عليهم السّلام غير مناسب لهذين المقعدين الرفيعين.

(٦) ثبات مقامهم.

(٧) شرف محلّهم و منزلتهم عند الله.

(٨) كونهم مكرّمين عند الله.

(٩) خاصّتهم لدى الله تعالى.

(١٠) قرب منزلتهم من الله.

السابعة: أنّ تعريفه تعالى آل البيت عليهم السّلام يمكن بعدّه أشياء:

الف) أنّه تعالى أوجدهم بالكمالات المذكوره (لأنّهم عليهم السّلام آيات الله التامات).

ص: ٥١١

١- .يمكن أن يكون كبر الشأن عطف بيان لعظم الخطر، و يمكن كون المراد من عظم الخطر من جهة المعنى و كبر الشأن من جهة الظاهر.

٢- ٢). قد سبق شرح النور، و الفرق بين التمام و الكمال، فراجع شرح «و التامين في محبته الله».

ب) إعطاؤه سبحانه إياهم الكمالات و القدره الخاصه النفسائيه لإتيان المعجزات، و العلم الخاص للإخبار عن المعيّيات، لأنّ الناس يعرفون المعصوم إذا ثبت لهم أنّه يقدر على المعاجز و يعلم الأمور الغيبية، فإذا تصرّف المعصوم في مخلوق غير ذى شعور كشجره لا يقدر على مثله غيره يعرفونه كحجّه الله، و كذلك إذا أطاعهم غير ذى شعور دلّ على أنّه يعرفه و لو تكوينا.

ج) على لسان الأنبياء السابقين (١).

د) في الكتب السماويه السابقه (كالإنجيل و التوراه، و قد ذكرناه في ما مضى أيضا).

ه) عزّفهم بكونهم شفعاء مشفّعين عند الله عن المذنبين من أهل الإيمان في الآخره و وساطتهم إلى الله لقضاء حوائج المحتاجين في الدنيا.

و يستفاد من إطاعه الموجودات غير الشاعره لولايتهم أنّها شاعره، و إن لا تشعر بكونها شاعره.

الثامنه: قد تقدّم التحقيق مرارا في ولايه آل البيت عليهم السّلام التكوينيّه على كافّه الموجودات؛ لأنّهم وسائط الفيض، فيجب للمستفيض الممتنع لأخذ الفيض عن المفيض أن يعرف الواسطه حتّى يأخذ الفيض منه دون غيره، إذا ثبت أنّ كلّ مخلوق، شاعرا كان أو غير شاعر يعرف آل البيت عليهم السّلام بتعريف الله إياه، و هو المطلوب.

ص: ٥١٢

١- قد تقدّم البحث في هذا لدى شرح الفقره «و قاده الأمم».

«بأبى أنتم و أمى و أهلى و مالى و أسرتى»

و فيه أربع نكات:

الأولى: هذه التفديه من الزائر مأخوذه (على ما زعمنا) من مفهوم هذه الكريمة: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

ص: ٥١٣

١- إِنْ كَلَّ عَاشِقٌ مَشْتَاقٌ لَا بَدَّ أَنْ يَعْرِفَ مَحْبُوبَهُ الْمَعشُوقَ بِالْحَسَنِ وَالْكَمَالِ، حَتَّى يَعِشْهُ وَيَشْتَاقَ إِلَيْهِ، وَبِدُونِ ذَلِكَ لَا يَتَحَقَّقُ عِشْقٌ وَلَا اِشْتِيَاقٌ، فَالزَّائِرُ قَدْ عَرَفَ آلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ أَنَّهُمْ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ وَالْكَمَالِ (إِمَّا بِمَعْرِفَةِ إِيمَانِيَّتِهِ أَوْ عِرْفَانِيَّتِهِ) أَعَمَّ مِنَ الْكَمَالَاتِ الْذَاتِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ الْخَارِجِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَرَاتِبَهُمُ الْمَعْنَوِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ، بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ تَحَقُّقُ هَذِهِ الْكَمَالَاتِ لِلْمُمْكِنِ سِوَاهُمْ، فِإِذَا بَلَغَ الْأَمْرَ إِلَى هُنَا عَشَقَهُمْ وَاشْتَاقَ إِلَيْهِمْ. وَحَيْثُ لَا يَتِمُّ لَهُ كِتْمَانُ الْعِشْقِ وَالِاشْتِيَاقِ فَلَا جَرَمَ يَظْهَرُهُمَا بِعِبَارَاتٍ يَطْفِئُ بِذَلِكَ لَهَيْبِ قَلْبِهِ، وَيَقَرُّ بِأَنَّهُ مَطِيعُهُمْ كَمَا يَطِيعُ الْعَاشِقُ مَعشُوقَهُ كَمَا يَرِيدُ الْمَعشُوقُ وَكَيْفَ يَشَاءُ. ثُمَّ الْحَقَائِقُ الَّتِي يَقَرُّ بِهَا الزَّائِرُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ جَدًّا (كَمَا سَتَعْرِفُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ)، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مُنْتَظِمَةٌ فِي فَصْلِ وَاحِدٍ، وَ لَكِنَّا فَصَّلْنَا عَلَيْهَا فُصُولًا لِيَسْهَلَ عَلَى الْقَارِئِ الْكَرِيمِ حِفْظُهَا وَضَبْطُهَا وَتَقْرِيرُهَا.

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١).

الثانية: أعلى مراتب الشوق والعشق هو أن يفدى العاشق كل ما عنده لمعشوقه، و يؤثره حتى على نفسه، و لا يرى في جنبه محبوبا، فمحبوباته إمّا غريزيه كالزوج و المال، أو عقلية كالأبوين، أو وهمية عاطفيه كالأولاد (٢)، أو ذاتيه كالنفس، فالزائر حينئذ يفدى جميع ما يتعلق به من المحبوبات لآل البيت، لأنه لا يرى فوق محبوباته هذه شيئا حتى يقدمه لهم و يؤثرهم بها (٣).

الثالثة: أنّ المحبوبين المذكورين للزائر هم الذين يتقوم بهم وجوده و كمالاته و شؤونه (٤)، فليس له فوقهم شيء ليفديه، و يستدل على صحه

ص: ٥١٤

١- التوبه: ٢٤. [١]

٢- ٢. و لا ينافى كل من هؤلاء محبوبا قابلا للتفديه مع قوله سبحانه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» (التغابن: ١٤)؛ [٢] لأنّ جهه المحبوبيه غير جهه العداوه، و يؤيد محبوبيه الزوج أو الولد العدو له، قوله سبحانه: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» (الأنفال: ٢٨)؛ [٣] لأنه لو لم يكن محبوبا لا يعدّ فتنه موجبا لصعوبه الامتحان.

٣- ٣. لا إشكال في تفديه الإمام الهادي عليه السلام أباه لآل البيت عليهم السلام لأفضليته أجداده (لكثرتهم) على أبيه المعظم، و لا سيما كون أصحاب الكساء فيهم، لدلاله عدّه من الأخبار على أفضليته أصحاب الكساء خصوصا في حق الإمام على عليه السلام، مضافا إلى أنّ هذه التفديه متعارفه.

٤- ٤. و هم عباره عن نفسه و أبيه و أمه و أهله و ماله و اسرته، و قد تقدّم معنى الأهل و لكنّ الأسره عامّ بالنسبه إلى الأهل؛ لأنّ معنى الأسره كل ما يتقوى به الرجل.

التفدييه بكمال إيمانه بهم، والدليل على كمال إيمانه بهم خلوص إيمانه، و على خلوص إيمانه بإنكار أعدائهم و الكفر بهم (١).

الرابعه: قد تكثرت التفدييه من الزائر في هذه الزياره فهذه اولها و كل تفدييه و لو كانت واحده تحكى عن عشق المفدى للمفدى، و تكرارها كل ما كان أكثر حاك عن شده غليان شوق المفدى للمفدى و التفدييه متقومه بأمر:

(١) المفدى: و يلزم له أن يكون عارفا كاملا بالمفدى، و يؤمن بأنه أكمل و يحبه حبا شديدا.

(٢) المفدى: (و هو قابل الفداء)، و شرطه أن يكون أكمل على اعتقاد المفدى.

(٣) المفدى به: و لازمه كونه أنفس الأشياء عند المفدى و أنقصها بالنسبه إلى المفدى.

(٤) المفدى له: (و هو غرض التفدييه)، و الغرض هنا عباره عن إظهار المفدى عن معرفته بآل البيت، و إبراز حبه لهم و شكره لنعمة هدايتهم العظمى. و الحاصل أن الزائر- و إن أفدى ما تتقوم و تبقى به نفسه بآل البيت- و لكنه يعرف أن تقويمهم إياه ناقص و تقومه بآل البيت أكمل من التقوم بهم، فلهذا يفدى المقومات الناقصه و المبقيات النازله بمقومات

ص: ٥١٥

١- لأن الإيمان لا يكون خالصا ما لم يصف من الضد.

«أشهد الله و أشهدكم أنى مؤمن بكم و بما آمنتكم به، كافر بعدوكم

و بما كفرتم به، مستبصر بشأنكم و بضلاله من خالفكم، موال لكم

و لأوليائكم مبغض لأعدائكم و معاد لهم، سلم لمن سالمكم و حرب لمن

حاربكم، محقق لما حققتم مبطل لما أبطلتم، مطيع لكم، عارف بحققكم،

مقرّ بفضلكم، محتمل لعلمكم، محتجب بدمتكم، معترف بكم»

و فيه إحدى عشره نكته:

الأولى: (أشهد الله و أشهدكم)، الزائر يستشهد بالله و بآل البيت عليهم السلام و يجعلهم جميعا شهداء على صدق اشتياقه، و على أنه مؤمن بهم و بما آمنوا به، و يختلف هذا الاستشهاد مع استشهاداته فى ما سبق (فى باب الشهادات الأولى) من جهتين:

الجهة الأولى: أنّ تلك الشهادات شهادات أصولية فى حقّ آل البيت عليهم السلام ممّا لهم من الكمالات، و هذه شهادات فى حقّ نفسه بالنسبة إلى آل البيت عليهم السلام.

و الثانية: هذه الشهادات متقارنه مع غليان الأشواق فى الزائر، و تختلف مع باب الشهادات الثانية و هى أنّ ذلك الباب كان يشتمل على ما لآل البيت من الكمالات الفرعية، و لكنّ هذه الشهادات مشتمله على ما للزائر من

نفسه من الإيمان و الطاعة و الاشتياق، و غير ذلك.

الثانية: استشهاد الزائر بالله و بآل البيت على ما يدعى هو من جهة أنه لا يجد و لا يمكن أن يوجد شهداء أصدق من الله و من آل البيت عليهم السلام، لهذا لا يمكن له أن يظهر خلاف ما يبين و يعلن غير ما يخفى؛ لأنهم (شهداء) يحيطون به علما إحاطة حقيقته (١)؛ مضافا إلى أنه لو كان إظهاره غير إبطانه لانتهى إلى استهانته بالشهداء.

الثالثة: أن لاستشهاد الزائر هذا فوائد كثيرة منها:

(١) تسكين فؤاده المشتاق و تخفيف ألم الفراق.

(٢) تثبيت إيمانه بهذه الإقرارات و التلقينات.

(٣) تحقيق الإقرار الذى هو الجزء الثالث للإيمان (٢)، و هو بعد التصديق و العمل، و هو هام جدا، كما قال تعالى: وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَ قَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣).

(٤) عد آل البيت عليهم السلام إياه من المشتاقين الصادقين فى حقهم.

(٥) أن يموت هينا بحبهم.

ص: ٥١٧

١- لا حاجة لنا إلى ذكر الفرق بين إحاطة الله الذاتيه الوجوبيه و إحاطتهم المجعوله من قبل الله سبحانه بأزيد من هذا.

٢- ٢). الجزء ان الباقيان هما: التصديق بالجنان، و العمل بالأركان.

٣- ٣). فصلت: ٣٣. [١]

٦) و أن يكون منتفعا بحبهم في قبره و برزخه و ما بعدهما، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «حَبِّي وَ حَبَّ أَهْلِ بَيْتِي نَافِعٌ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ، أَهْوَالَهُنَّ عَظِيمَةٌ: عِنْدَ الْوَفَاةِ، وَ فِي الْقَبْرِ، وَ عِنْدَ النَّشُورِ، وَ عِنْدَ الْكِتَابِ، وَ عِنْدَ الْحِسَابِ، وَ عِنْدَ الْمِيزَانِ، وَ عِنْدَ الصَّرَاطِ» (١).

الرابعة: (أنتي مؤمن بكم و بما آمنتم به)، أن الزائر لا- يكتفى بإظهار الإيمان بهم عليهم السلام فقط، بل يقرّ بإيمانه بما آمنوا به، فيكون هذا الإقرار على إيمانه بهم، و المراد ممّا آمنوا به هو جميع الحقائق في الملك و الملكوت، تكوينيته كانت أو غير تكوينيته، لأنه إن لم يؤمن بما آمنوا به لا يصير مصداقا لقوله تعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا (٢)، و ينبغي هنا ذكر الفرق بين الإيمانين:

ألف) إيمانه بآل البيت.

ب) إيمانه بما آمن به آل البيت عليهم السلام و هو أنّ الأول، ابنتي على جميع الأدلّة و الشواهد و المقدمات و الممهّدات (من أوّل هذه الزياره) و القرائن و المقتضيات، و الثاني (و هو إيمان إجماليّ)، مبنيّ على الأوّل، فالأوّل تفصيليّ، و الثاني إجماليّ؛ لعدم إمكان تحصيله تفصيلا للزائر.

ص: ٥١٨

١- الخصال / ٣٦٠ ح ٤٩- باب السبعة.

٢- (٢). البقره: ١٨٥. [١]

الخامسة: يقرّ الزائر بأنّه مستبصر بشأنهم و بضلّاله من خالفهم، كالبصير الذى هو مستبصر بين الليل و النهار، فكما أنّ الليل المظلم لا- يشتهه عليه مع النهار، كذلك الزائر فى آل البيت عليهم السّلام و أعدائهم، و هذا يحكى التّبين الكامل عنده بين الرشد و الغيّ، كما قال تعالى: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (١).

السادسة: (موال لكم و لأوليائكم، مبغض لأعدائكم و معاد لهم)، قد ذكرنا فى ما سبق أنّ التّولى و التبرّى كجزءين خارجين هامّين لكلّ مؤمن حتّى المبتلين، و بدونهما لا- يتحقّق إيمان بحقّ أو بباطل؛ لإمكان اختلاط الإيمان بما يضاؤه أو يناقضه، فهنا يقرّ الزائر بأنّه متولّ لهم متبرّئ من أعدائهم. و يمكن أن يكون الفرق بين إيمانه بهم المتقدّم ذكره و بين موالاته لهم، و هو فرق بين الاعتقاد و العمل، و هكذا بين كفره المتقدّم بأعدائهم و المعاداه هنا للأعداء هو الإنكار القلبيّ و ترك تابعيته للأعداء عملاً.

السابعة: لا يخلو الأمر من كونه إيماناً أو كفراً أو شركاً، يتحقّق الأوّل بكون الإيمان بآل البيت بين جدارى التّولى و التبرّى، و الثانى بانتفاء الإيمان من أصله، و الثالث بانتفاء أىّ من الجدارين أو كليهما، فبالسّلم لآل البيت محاربا لأعدائهم يتحقّق الإيمان، و المعاداه لآل البيت (نعوذ بالله من

ص: ٥١٩

١- البقره: ١٥٦.

ذلك) هو الكفر، و موالاه آل البيت مع موالاه أعدائهم هو الشرك.

الثامنة: (محقق لما حققتم، مبطل لما أبطلتم)، يقرّ الزائر بتحقيق ما حقّقه آل البيت عليهم السّلام و إبطال ما أبطلوه في مقوله الاعتقاد و الاتّصاف و العلم و العمل و القول. توضيحه: ينحلّ إقرار الزائر هذا إلى عرفانيّ و إيمانيّ، فالثاني ينشأ من اعتقاد كلاميّ للزائر في حقّهم عليهم السّلام، و الأوّل ناشئ من عرفانه باللّه و أسمائه و صفاته و حقّيته المحضه (و بطلان كلّ شيء ما خلا اللّه)، و مظهرية آل البيت عليهم السّلام لذلك، فتحقيق الزائر و إبطاله راجع إلى هذه المعارف.

التاسعة: (مطيع لكم)، إنّ البواعث الثلاثة لكلّ عابد (1) إلى عبادته (كما جاء في الأخبار) جاريه في طاعه كلّ مطيع إلى طاعته أيضاً، و لكنّ الطاعه التي يذكرها الزائر (و هو من مقوله الفعل) هنا هي من القسم الثالث؛ لأنّ باعته الشكر أو الحبّ (كما عبّر عن ذلك في خبر آخر)، و كلّ منهما يلازم اشتياق المطيع إلى مطاعه المشكور أو المحبوب.

العاشره: (عارف بحقّكم)، أنّ هذه الجملة إقرار آخر من الزائر بأنّه حيث يعرفهم يلزم أن تترتب على معرفته، الآثار الخاصيه الحقه، منها كون المعرفه بهم بالنورانيّه كما: «سأل أبو ذرّ الغفاريّ سلمان الفارسيّ رضی

ص: ٥٢٠

١- قال الإمام الحسين عليه السّلام: «إنّ قوما عبدوا اللّه رغبه، فتلك عباده التّجار، و إنّ قوما عبدوا اللّه رهبه، فتلك عباده العبيد، و إنّ قوما عبدوا اللّه شكراً، فتلك عباده الأحرار و هي أفضل العباده» (تحف العقول [١] ٢٤٦- من الكلمات القصار للإمام الحسين عليه السّلام).

اللّٰه عنهما: يا أبا عبد اللّٰه، ما معرفه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام بالنّورانيّه؟ قال: يا جندب، فامض بنا حتّى نسأله عن ذلك. قال: فأتيناه فلم نجدّه، قال: فانتظرناه حتّى جاء. قال صلوات اللّٰه عليه: ما جاء بكم؟ قالوا:

جنّناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنّورانيّه، قال صلوات اللّٰه عليه: مرحبا بكما من وليّين متعاهدين لدينه، لستما بمقصّيرين، لعمرى إنّ ذلك الواجب (واجب) على كلّ مؤمن و مؤمنة. ثمّ قال صلوات اللّٰه عليه: يا سلمان و يا جندب، قالوا: لبّيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السّلام: إنّّه لا يستكمل أحد الإيمان حتّى يعرفنى كنه معرفتى بالنّورانيّه، فإذا عرفنى بهذه المعرفه فقد امتحن اللّٰه قلبه للإيمان و شرح صدره للإسلام، و صار عارفا مستبصرا، و من قصّر عن معرفه ذلك فهو شاكّ و مرتاب...» (1).

الحاديّه عشره: (مقرّ بفضلكم...)، و المراد من فضلهم الذى يقرّ الزائر به هو كونهم عليهم السّلام أفاضل الخلق طرّا، و قد بسطنا الكلام فى ذلك فى المواضع المناسبه السابقه.

قال صاحب (الأنوار اللامعه) فى توضيح «محتمل لعلمكم» ما هذا لفظه: «أى لا أردّ ما ورد عنكم و إن لم يحتمله عقلى القاصر، و أعلم أنّه حقّ و إن لم يصل إليه فكرى الفاتر».

ص: ٥٢١

١- و الخبر طويل اكتفينا منه بقدر الحاجه، فمن أراد تمامه فليطلبه من بحار الأنوار ٢٦: ١/١-١ الباب ١٣- نادر فى معرفتهم عليهم السلام بالنورانيّه..

أقول: «الاحتمال» افتعال من الحمل، فيكون المعنى إنني أقبل حمل علمكم ما لا- يحمله غير المؤمن بكم، و أكتمه عن غير أهله. «محتجب بذمتكم»، أى أخذ ذمتكم و أمانكم حجابا لنفسى من الضلاله فى الدنيا و الهلاك فى الآخرة.

«معترف بكم»، مقصود الزائر من اعترافه بآل البيت هو انقياده و اطاعته فى الاتّصاف و العمل على حسب معرفته بهم. و الفرق بين جملة «عارف بكم» المتقدّمه و «معترف بكم» هنا، هو أنّ تلك الجملة ناظره إلى معرفته القلبيه، و الاعتراف هنا إشاره إلى امثاله و معرفته عينا.

١١٨

«مؤمن بإيابكم، مصدّق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب

لدولتكم»

و فيه ثمانى نكات:

الأولى: يقرّ الزائر هنا (مشتاقا إلى آل البيت عليهم السّلام) بحقائق اخرى، منها:

«الإيمان بإيابهم»، و الأخرى: «التصديق برجعتهم»، الثالثه: «الانتظار لأمرهم»، و الرابعه: «المراقبه لدولتهم». و يلزم هنا ذكر الفرق بين الإيمان و التصديق (و إن كان مآلهما واحدا)، و بين الانتظار و الارتقاب.

فنقول: إيمان الزائر بالرجعه عباره عن كونه آمن القلب غير مرتاب فى إيابهم، و مراده من التصديق بالرجعه هو كونه معتقدا بصدقها، و الفرق

ص: ٥٢٢

بين الانتظار و الارتقاب هو أنّ الانتظار مقدّمه للمراقبه و عدّ السنين و الشهور و الأيام بالدقه.

الثانيه: إقرار الزائر هنا كإقرار بعله و معلول، كأنه يقول إنّني لايا بكم على حال من الاطمئنان و الطمأنينه؛ بسبب اعتقادي بصدق رجعتكم.

الثالثه: (مصدق برجعتكم)، قال الشيخ محمّد رضا المظفر في معنى الرجعه ما هذا لفظه: «إنّ الذي تذهب إليه الإماميه -أخذا بما جاء عن آل البيت عليهم السّلام- أنّ الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّ فريقا و يذلّ فريقا آخر، و يدلل المحقّين من المبطلين، و المظلومين منهم من الظالمين، و ذلك عند قيام مهديّ آل محمّد عليه و عليهم أفضل الصلاه و السلام، و لا يرجع إلّا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغايه من الفساد، ثمّ يصيرون بعد ذلك إلى الموت» (١).

الرابعه: في إقامه الدليل على الرجعه: يدلّ على صحّتها من العقل؛ أو لا: إمكانها، كما مكان المعاد الثابت بين المئتين، ثانيا: التاريخ يحكى عن رجوع أقوام و أشخاص إلى الدنيا بعد موتهم، كعدّه من بنى إسرائيل بدعاء الكليم عليه السّلام، و من أحياهم المسيح داعيا إلى الله، و هكذا أصحاب الكهف، و كذا بعض الأنبياء عليهم السّلام كما رميا أو عزيز، و قصص جميعهم

ص: ٥٢٣

معلومه في القرآن، وما يدل عليه من الأخبار الكثيره قول الإمام الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يؤمن برجعتنا، و لم يستحل متعتنا» (١).

الخامسه: الذين يرجعون إلى الدنيا بعد موتهم هم الذين بلغوا في كل من الإيمان و العمل غايته، و الذين نالوا في كل من الكفر و الفساد نهايته (كما ذكر)، أما المتوسّطون في الكفر و الإيمان فلا رجعه لهم إلى الدنيا.

السادسه: أنّ للرجعه حكما و مصالح، منها ظهور بعض أسماء الله الجماليه، كصادق الوعد و أصدق القول، و تحقّق عاداته في نصره المؤمنين (٢)، و الأسماء الجلايه، كالمنتقم و العزيز و شديد المحال و غيرها، في انقهار الأعداء على يد الأولياء (٣)، و غلبتهم على الأعداء، (و إلّا لزم خلف الوعد منه سبحانه، و هو محال). و لا شكّ في تحقّق كل ذلك في الرجعه، منها: قدّر الله سبحانه منازل خاصّه عاليه للصالحين من أوليائه، كمنزله الشهيد في سبيل الله، فربّما كان كثير منهم يتمنون بلوغ تلك المنازل طول القرون و الأعصار و ماتوا و لم يبلغوها، فبحقّيه الرجعه يحيى هؤلاء و ينالون في الرجعه ما تمنّوا، و لولاها لا ينالون.

ص: ٥٢٤

-
- ١- بحار الأنوار ١٠٣:٣٢٠- [١] عن: كتاب الهدايه للشيخ الصدوق ص ٦٩. [٢]
 - ٢- ٢. قوله تعالى: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» (الصافات: ١٧١-١٧٣). [٣]
 - ٣- ٣. لأنّ لكل اسم من أسمائه الساميه ظهورا عيّنيا فعليّا في هذا العالم، و هذا الأصل جار في أسمائه الحسنى المذكوره آنفا و أشباهها.

السابعه:(منتظر لأمركم)،المراد من أمر الذى ينتظره الزائر هو إمامه آل البيت عليهم السّلام المبسوطه المقتدره، كما تشهد على ذلك آيه اولى الأمر مع الروايه المشهوره فى تفسيرها عن النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (1)؛لأنّ إمامتهم كانت غير مبسوطه بسبب الجبايره فى أعصارهم عليهم السّلام.

الثامنه:(مرتقب لدولتكم)،قد أشرنا إلى الفرق بين الانتظار و الارتقاب، ونقول هنا:معنى قوله «مرتقب» و أنّى فى حال إعداد المقدمات و الإمكانيات لظهور دولتكم الكريمه،فانتظارى لأمركم ينتج مراقبتى و إعدادى و استعدادى (2)،و هذا أمر مسلّم، كما وعد الله به فى قوله الرضى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا (3).

١١٩ [أخذ بقولكم...عائد بقبوركم]

«أخذ بقولكم،عامل بأمركم،مستجير بكم،زائر لكم،لائذ

ص:٥٢٥

١- النساء:٥٩.

٢-٢). و هذا أمر تربوىّ فى رقىّ الأئمه الإسلاميه،و لهذا قال النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:«أفضل أعمال أمتى انتظار الفرج من الله عزّ و جلّ»،بحار الأنوار ٥٢/١٢٨:ح ٢١- [١] عن:كمال الدين و تمام النعمه للشيخ الصدوق /٦٤٤ح ٣ -الباب ٥٥،ما روى فى ثواب المنتظر للفرج،و لا ينافى ما قلنا من الانتظار فى المقام عموميه مفهومه.

٣-٣). النور:٥٥. [٢]

عائد بقبوركم» و فيه تسع نكات:

الأولى: أنّ هذه الجملة (أخذ بقولكم) مأخوذة من مضمون قوله سبحانه: ما آتاكم الرسول فخذوه (١)، و نظيرتها: خذوا ما آتيناكم بقوه (٢)، و هذا دليل آخر على مقارنه العتره مع القرآن من جهه، و كون آل البيت عليهم السلام أقران النبي صلى الله عليه و اله من جهه اخرى.

الثانيه: الأخذ بقول آل البيت عليهم السلام يبتنى على عدّه مبان تقدّم شرحها:

(١) أنفسيه آل البيت عليهم السلام لرسول الله صلى الله عليه و اله.

(٢) إمامتهم الحقه المنصوبه من قبل الله.

(٣) عصمتهم الكبرى و أنّهم لا ينطقون بموجها عن الهوى كالنبي صلى الله عليه و اله، قال تعالى: و ما ينطق عن الهوى * إنّ هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى (٣).

(٤) علمهم الواسع بالحقائق و لا سيما الحقائق التشريعيه.

(٥) كونهم أولياء في التشريع.

(٦) كونهم ذوي رحمه واسع على أئمه، و غير ذلك من المباني.

ص: ٥٢٦

١- الحشر: ٧. [١]

٢- ٢. البقره: ٦٣. [٢]

٣- ٣. النجم: ٣-٥. [٣]

الثالثة: الأخذ بقولهم عليهم السلام هامّ جدًّا، لأنه كجزء رئيسيّ للإيمان، فلهذا قال مولانا الرضا عليه السلام: «شيعتنا المسلمون لأمرنا الآخذون بقولنا، المخالفون لأعدائنا، فمن لم يكن كذلك فليس منّا» (١). ولأنه لو لا الأخذ لا يكمل المؤمن في مرتبه العبوديّة و العمل، ولا يقدر على أن يطير من أرض الهوى السفلى إلى الأفق الأعلى كطائر له جناح واحد، لأنّ المؤمن بدونه يصير كمن لم يعمل، ومعلوم أنّ العمل مصرّح بلزومه بعد الإيمان في كثير من الآيات في القرآن.

الرابعة: أنّ المراد من الأخذ هنا هو مفهومه الواسع الذي يعمّ جميع المجالات من العمل و الاعتقاد و الخلق في الأمور الحيويّة مع الأفراد و المجتمعات، و في الأمور الأخرويّة بالنسبة إلى الله سبحانه.

الخامسة: (عامل بأمركم)، ليس المراد من الأمر هنا هو الشأن، بل الطلب خصوصا بذكره بعد أخذ القول، و يريد الزائر من تعبيره بأخذ و عامل (بدل التعبير بصيغه الفعل) بيان كونه مستعدًّا للرجعه قبلها؛ لأنّ صيغه الفاعل مفيد للدوام و الاستمرار دون الفعل، و لا يتوهم أنّ جملة (عامل) تؤكد مضمون (أخذ)، بل الزائر يريد أن يبيّن أنّي لا أكتفى بتعلّم أقوالكم الرزيّة و حفظها و نشرها ليصدق في قوله سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

ص: ٥٢٧

تَفْعَلُونَ (١)، و قوله تعالى: أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تُثَلُّونَ الْكِتَابَ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (٢).

السادسه:(مستجير بكم)الاستجاره استفعال من الجوار(و هو القرب)،أى أطلب منكم الجوار،قال تعالى: وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ (٣)،لأ-كون فى أمن من الضلال فى الدنيا و من النكال فى الآخره،فلهذا ألصق نفسى بقبوركم و أعود بها.و قد روعى فى هذه التعابير(الاستجاره ثم اللوذ ثم العوذ)الترتيب الطبيعى؛لأن الاستجاره متقدمه على اللوذ(و هما قريبا المعنى).

السابعه:أن الزائر المستجير يكون مطمئنا بإجارتهم إياه؛لكونهم مأمورين بإجاره الأعداء فضلا عن الأولياء،قال تعالى: وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ. و لكن بين الإجارتين فرق،فإجاره الأعداء لإتمام الحجّه و إثبات الحقيقه،و إجاره الأولياء لرفع الدرجه و علو المنزله.

الثامنه:الاستجاره و اللوذ بآل البيت عليهم السلام لا تتنافى مع كونه تعالى مجيرا؛لأنهم مظاهر أسماء الله الحسنى،و مجالى صفاته العليا،فهم

ص:٥٢٨

١- الصف ٣،٢. [١]

٢-٢. البقره:٤٤. [٢]

٣-٣. التوبه:٦. [٣]

معاذ و مجير؛ لظهور هذه الصفات فيهم، وقد تقدّم نظير ذلك في ما سبق من الفصول.

التاسعة: أنّ لوذ الزائر و عوذه بقبور آل البيت عليهم السّلام الشريفه ليس نابعا من اعتقاده بتأثير القبور دون ذوبها؛ لأنّه بذلك يتشبهه بعباده الأوثان و الأصنام (1)، بل يرى أنّ القبور منسوبه لآل البيت عليهم السّلام، و المشتاق إلى كلّ شيء يشتاق إلى آثاره كما قيل:

أمّر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار و ذا الجدارا

و ما حبّ الديار شغفن قلبي و لكن حبّ من سكن الديارا

ص: ٥٢٩

١- إنّ الوهّابيّه قائله بالشّرك في أمثال هذه الأفعال، و إنّها مخالفه لعامّه المسلمين من غيرهم، و لكن نقول: أوّلا لا يعتقد أيّ مسلم بتأثير القبور، و حتّى تأثير ذوبها على الاستقلال دون الله سبحانه. و ثانيا: لا تعتقد الشيعة الإماميّة بكون المعصومين أمواتا بعد رحيلهم من هذا العالم. و ثالثا: إنّ لهذه الأفعال فوائد جليله كالتقرّب إلى الله و تقويه إيمان العامّه بل الخاصّه أيضا، و إنّها أمور عباديّة؛ مضافا إلى أنّ هذه قبل أن تكون أفعالا تكون عقائد، و في العقائد تتقدّم الأدلّه العقليّه على النقليات؛ فإذا كانت الأفعال و أمثالها كمسّ قبور المعصومين و تقبيلها و الطواف و البناء عليها و الإسراج حولها و ما شابه ذلك خاليه من المفسد، مليئه بالمصالح و الفوائد، غير منافية للتوحيد، فإنّ العقل يحكم بجوازها بل يوجبها، لما قلنا إنّها أمور عقيدية لا- عمليه تقليديه محضه، فيجب على كلّ من الخصمين الاحتراز عن قتال صاحبه بسيف غير قاطع (و هو من متشابهات الآيات و آحاد الأخبار و الأخبار المعارضه) و إن كان ما في يد الإماميّة أقطع، كذا يجب على كلّ منهما البناء على أساس العقل و الإنصاف و صريح القرآن و معتبر الروايات كحديث الثقلين.

«مستشفع إلى الله عزّ وجلّ بكم، و متقرّب بكم إليه، و مقدّمكم

أمام طلبتي و حوائجي و إرادتي في كلّ أحوالي و أموري»

و فيه خمس نكات:

الأولى: أنّ الشفاعة متقومه بأمور، فبتحقّقها يصحّ الاستشفاع.

الأمر الأول: حقّية الشفاعة، و قد حقّقنا فيها (في شرح «شهداء دار الفناء، و شفعاء دار البقاء»).

الأمر الثاني: المستشفع (و هو طالبها)، يلزم في من يطلب الشفاعة كونه محتاجا إليها و مؤمنا بحقيّتها، و كذا يكون مؤمنا بالشفيع و المشفّع (و إن كان مقصّرا في باب العمل و الخلق)، و ثبوت كون الشفيع شفيعا حقّا و أنّه يشفع أي تقبل شفاعته، و كذلك المشفّع، أي جاعل الشفيع شفيعا، فلو لا أحد من هذه اللوازم لا يصحّ استشفاعه و لا تفيد الشفاعة منه، كما قال تعالى: **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشّٰفِعِينَ (١)**.

الأمر الثالث: (من مقومات الشفاعة) الشفيع، و يلزم فيه أن يكون أكمل من المستشفع و مستغنيا عنه، و أنقص المشفّع و أقرب إليه من المستشفع.

ص: ٥٣٠

الأمر الرابع: المشفّع (و هو الله تعالى) و هو جاعل الشفاعة للشفيع تحصيلًا لنجاه المستشفع، و يلزم فيه الاستقلال في أمر جعله.

الأمر الخامس: يترتب على الشفاعة عدّه أغراض:

(١) رفع العذاب عن المستشفع.

(٢) دفعه.

(٣) ارتفاع درجته (كلّ مستشفع بحسب استحقاقه).

(٤) إظهار كمال الشفيع عند المشفّع للمستشفع و في النهايه تبين رحمه المشفّع على المستشفع.

الثانيه: (متقرب بكم إليه)، إذا لم يكن بين الشيين فصل تكون النسبه بينهما نسبه القرب، فالقرب إمّا أن يكون حاصلًا (كقرب العله و المعلول) فلا حاجه إذا إلى تحصيله لئلا يلزم تحصيل الحاصل المحال، و إمّا غير حاصل فيكون تحصيليًا، و التقرب و المتقرب و مشتقاته من باب التفعيل يطلق على هذا النوع، فالقرب الذي يطلبه الزائر بآل البيت تحصيليًا؛ لأنّ قربه إلى الله تكوينًا حاصل لأنّ الله علّه وجوده و ما يتفرّع على وجوده كالبقاء، و هذا من شؤون الرحمه الرحمانيه التي تعمّ جميع الخلائق، فلو لا هذا القرب بين الخلق و الخالق و هذه الرحمه العامه على الخلق للزم التعطيل و رجوع الخلق إلى العدم المحض.

الثالثه: التقرب (و هو قرب تحصيليًا) يطلق في ما إذا كان بين

ص: ٥٣١

المتقرب و المتقرب إليه بعد يلزم رفعه (كما أشير إليه)، فالزائر حيث يرى بينه و بين الله بعدا و لا يرى أيضا سببا لرفع هذا البعد إلا آل البيت عليهم السلام فلا جرم يتقرب بهم إلى الله (١).

الرابعة: سبب التقرب إلى الله يكون على حسب الأبعاد الوجودية للإنسان من البدن و العاطفه (٢) و العقل، فالتكاليف البدنية أدنى الأسباب و أعلى منه التكاليف العاطفية المعبر عنها بالأخلاق، و التكاليف الاعتقادية على حسب البعد العقلي أعلى منهما. و الحاصل أن معرفه آل البيت عليهم السلام جزء رئيسي لكونها متعلقه بالعقل، و لا ينافي كونهم عليهم السلام أقرب إلى المتقرب لكونهم مخلوقا ممكنا مجانسا للمتقرب من جهة، و من جهة أخرى لكونهم أقرب إلى الله لأنهم مظاهر أسمائه الساميه و مجالى صفاته العاليه، كما روى معاويه بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «سمعتة يقول فى قول الله عزّ و جلّ: وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا: نحن و الله الأسماء الحسنى الذين لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا» (٣).

الخامسه: (و مقدّمكم أمام طلبتي) أن تقديم الزائر آل البيت عليهم السلام أمام طلبته و قبل حاجاته هو ذكره آل البيت عليهم السلام بالصلاه و التحيات عليهم،

ص: ٥٣٢

- ١- .ينبغى القول هنا بأن هذا القرب من شؤون الرحمه الرحيمه غير الشامله لعامه الخلق.
- ٢- ٢). المراد من العاطفه هو الواهمه، و يعبر عنها بالعاطفه لتبعيتها الصحيحه للعقل و الشرع.
- ٣- ٣). تأويل الآيات الظاهره ١٩٤، سوره الأعراف، الكافي ١: ١٤٣-١٤٤/ح ٤-باب النوادر. [١]

و جعله إياهم وسائط إلى الله لقضائها (١)، لأنه يحس نفسه بعيدة عن الله، و هو مؤمن بكونهم أقارب الخلق إليه، و قضاء حوائجه يعدّ فيضا من الله الفيّاض و هم عليهم السّلام وسائط الفيض، و لا يمكن له أن يستفيض من الله المفيض بلا واسطه. و في هذا إشاره ضمنا إلى خالص توحّده، و عدم تكدّره بإشراكه إياهم لله سبحانه و الاقتداء بقولهم و فعلهم عليهم السّلام أيضا؛ لأنّ كلّ واحد منهم يصلّى على محمّد و آله و يقدمهم قبل ذكر مطلوبه حين الدعاء، و ذلك معلوم لمن استأنس بأدعيتهم عليهم السّلام كأدعية الإمام زين العابدين عليه السّلام، قال الإمام عليّ عليه السّلام: «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجه فابدأ بمسأله الصّلاه على رسوله صلّى الله عليه و اله ثم سل حاجتك؛ فإنّ الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى إحداهما و يمنع الأخرى» (٢).

ص: ٥٣٣

١- الحاصل، أنّ شؤونهم العاليه لا تقبل الحدّ و العدّ، لكون شؤونهم و كمالاتهم هي شؤونه و كمالاته تعالى الظاهره فيهم، فكما أنّ كمالاته تعالى غير محدوده و لا معدوده كانت شؤونهم كذلك، و لكنّ الشؤون معدوده أنواعا و محدوده على حسب محدوديّة و عاء الممكن في ذاته، و هي الولايه التكوينيّه و الإمامه (المعبّر عنها بالولايه التشريعيّه) و القرب، فالزائر يستشفع بهم بسبب ولايتهم التكوينيّه، و يتقرّب إلى الله بسبب إمامتهم، و يستقضى حوائجه بقربهم عند الله.

٢- ٢). نهج البلاغه: الحكمه ٣٦١. [١]

«مؤمن بسرّكم و علانيتكم، و شاهدكم و غائبكم، و أولكم

و آخركم»

و فيه نكتتان:

الأولى: يقرّ الزائر هنا بحقائق ستّ كفرائض اعتقاديّه في آل البيت عليهم السّلام: سرّهم و علانيتهم، و شاهدهم و غائبهم، و أولهم و آخرهم عليهم السّلام؛ لأنّ عدم الإيمان بأيه منها يكون كإنكار جميعها، قال تعالى: **وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ (١)**.

الثانية: هنا يلزم توضيح المراد من هذه الحقائق:

(١) المراد من سرّ آل البيت عليهم السّلام هو سرّ الله الذي اختاره الله، و هو الذي كان آل البيت عليهم السّلام حفظه له (٢)، و أمّا إضافه هذا السرّ تاره إلى الله و تاره إلى آل البيت عليهم السّلام غير منافيتين.

(٢) المراد من علانيتهم هو كونهم كسائر الناس في الأمور المعيشيّة، و يجمع هذين المرادين قوله سبحانه مخاطبا نبيّه صلّى الله عليه و اله: **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ (٣)**، فقوله: لهم «إنّما أنا بشر» كعلانيه آل البيت عليهم السّلام

ص: ٥٣٤

١- البقره: ٢٨٥. [١]

٢- ٢. فراجع شرح كلّ واحد من هذه الفقرات الشريفه.

٣- ٣. الكهف: ١١٠. [٢]

وقوله «يوحى إليّ» كسرهم، فالأسرار التي أودعها الله فيهم بالإلهام وغيره بمنزله الإيحاء للنبي «صلى الله عليه وآله».

٣) يمكن أن يكون المقصود من شاهدتهم جميعهم دون مهديهم المنتظر، والمراد من غائبهم هو المهدي، وهذا ليس بعيد كما فسّره الشراح. ويحتمل كون المراد من الشاهد هو إمامتهم المشهوده بين الناس، ومن الغائب هو ولايتهم التكوينية على الأشياء وعلومهم اللدنية وغيرهما من شؤونهم الخفية على الناس.

٤) والمقصود من أولهم وآخرهم عليهم السلام وجوه من التفسير:

ألف) الأول هو رسول الله صلى الله عليه وآله والآخر هو المهدي، كما قال تعالى:

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ (١).

ب) الأول هو أنهم وجدوا قبل إيجاد الخلق، والآخر هو أنهم سيظهرون في القيامة ظهوراً تاماً بالولاية الإلهية الذي لم يظهروا في الدنيا مثله، لضيق إدراك الناس لذلك الظهور.

ج) الأول هو رسول الله صلى الله عليه وآله، والآخر جميعهم غير الرسول، المتحدون به اتحاداً نورياً في غيب هذا العالم؛ فهم كدائرته، أول نقطه منها هي آخر النقط، كما قال الصادق عليه السلام: «أولنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا

ص: ٥٣٥

١- البقرة: ٢٨٥، [١] خصوصاً إذا لاحظنا عدم تفرّق الشيعة إلى فرق وأحزاب، مبتدأ من زين العابدين ومختتماً في المهدي عليه السلام.

«و مَفُوضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ، وَ مَسْلَمٌ فِيهِ مَعَكُمْ، وَ قَلْبِي

لَكُمْ مَسْلَمٌ، وَ رَأْيِي لَكُمْ تَبِعٌ، وَ نَصْرَتِي لَكُمْ مَعْدَةٌ»

وَ فِيهِ تِسْعُ نَكَاتٍ:

الأولى: يذكر الزائر هنا امورا فيها إظهار شوقه إليهم عليهم السلام و هي:

التفويض و التسليم، و انقياد القلب و تبعيته الرأي و إعداد النصرة، كل ذلك يحكى -مضافا إلى اشتياقه- عن محض إيمانه بآل البيت، كما هو سجيته أشياعهم المخلصين، و يتبين ذلك بالتتبع في تاريخ شيعتهم كسلمان الفارسي و أبي ذر الغفاري و ميشم التمار، و غيرهم (رضوان الله عليهم و جعلهم لنا قدوة في التشيع لآل البيت).

الثانية: في الفرق بين التفويض و التسليم، التفويض هو غايه التسليم، و الغايه متأخره عن المعيار رتبه و متقدمه عليها شرفا، لأن الشخص يستسلم و ينقاد لسيدته أولا ثم يفوض أمره إليه، فلهذا قدمه الإمام عليه السلام في الذكر.

الثالثة: أن الزائر عرف آل البيت عليهم السلام حتى معرفته على ما هم عليه من الكمالات و المنازل الجليله و الشؤون الرفيعه بقدر وسعه، و منها يريد

ص: ٥٣٦

١- بحار الأنوار ٢٥/٣٦٣-٢٣ [١] عن: المختصر ٢٧٧/٣٦٩- طبعه المكتبه الحيدريه سنه ١٤٢٤ هـ - قم المقدسه.

أظهار امتثاله عملاً- بالتفويض والتسليم والتبعيه و غير ذلك. أمّا المراد من ذلك (و مفوض في ذلك) هو أنه عرف آل البيت عليهم السّلام و آمن بمنزلهم و شؤونهم بعضها بالإجمال و بعضها بالتفصيل، فمقصوده من ذلك هو ما عرف من بعض شؤونهم بالإجمال الذي لا يسع له تفصيله، فيقول: «إني فوّضت إليكم الساده ما لم يسع لي تفصيله: كسرّ شهادتكم و مظلوميّتكم و كيفيّة صلتكم باللّه و قبولكم الاستضعاف (مع قدراتكم الواسعه)، و غير ذلك.

الرابعه: ذكر التسليم هنا مرّتين، حيث يقول الزائر: «و مسلّم فيه معكم» مرّه و «قلبي لكم مسلّم» اخرى، و الفرق بين التسليمين هو أنّ مراده في الأوّل انقياده لآل البيت، و في الثاني انقياده معهم لله تعالى، كأنّه قال كما أنّكم سلّمتم لله في جميع ما قدره لكم فأنا أيضا مسلّم لله كما تكونون.

الخامسه: إذا استشكل أحد في كون الزائر المأموم في مرتبه التسليم كون أئمتّه عليهم السّلام أيضا كذلك فلا يبقى فرق بين الإمام و المأموم مع أنّ المساواه بينهما باطله، نقول: لا يريد الزائر نيله إلى رتبتهم و لا التساوى بينه و بينهم، بل يريد أن يقول: أنا في أصل التسليم مثلكم، و إن كنت في أنزل مراتبه و أنتم في أعلىها، بحيث لا يمكن المقايسه بين أحد و بينكم في عيّنّه شؤونكم و منها شأن التسليم، و يؤيد الجواب ما سيقول «و رأيي لكم تبع».

السادسه: أن التسليم (و كذا التفويض) كما رسمه العارفون هو كمنزل من منازل السير إلى الله، فيجب أن يكون التسليم له سبحانه، لا- لغيره، كما قال الإمام علي عليه السلام: «الإيمان له أركان أربعة: التوكل على الله، و تفويض الأمر إلى الله، و الرضا بقضاء الله، و التسليم لأمر الله عز و جل» (١).

فوجه تسليم الزائر لآل البيت عليهم السلام هو أن تسليمه لهم يعد تسليمًا لله (و تفويضه إليهم يعد تسليمًا إلى الله)؛ لأنهم خلفاؤه و حججه كما قال تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (٢)، و قال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ (٣) و غير ذلك من الآيات الكريمة.

السابعة: هذه مره ثانيه ذكر فيها التسليم كما أشرنا إليه، و يمكن القول في وجه التكرار أن التسليم الأول مشير إلى التسليم في القول و العمل، و هنا (و قلبي لكم مسلم) إشاره إلى التسليم الاعتقادي (و الفرق بينهما ظاهر)، فما لم يكن المؤمن مسلمًا (أو مسلمًا) في العقيدة لا- يظهر تسليمه في القول و لا- في العمل، و إن ظهر كان منافقًا، قال تعالى: فَلَا- وَ رَبِّكَ لا- يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

ص: ٥٣٨

١- الكافي ٢: ٤٧/٢ ح ٢- باب خصال المؤمن. [١]

٢- ٢. النساء: ٨٠. [٢]

٣- ٣. الفتح: ١٠. [٣]

حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَبِّحُ لِمُؤَا تَسْلِيمًا (١)، إِنَّ هَذِهِ آيَةٌ-مُضَافًا إِلَى تَجْوِيزِهَا التَّسْلِيمَ لِخَلِيفَةِ اللَّهِ-تَعَدُّ التَّسْلِيمَ جُزْءًا هَامًا لِلإِيمَانِ، بَحِثْ لَوْلَاهُ كَانَ وَجُودُ الإِيمَانِ كَعَدَمِهِ.

الثامنة: أَنَّ الإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَّمَ الزَّائِرَ مَرَاعَاةَ التَّرْتِيبِ بَيْنَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ الثَّلَاثِ، حَيْثُ قَدَّمَ التَّسْلِيمَ وَ التَّفْوِيزَ كَمَقْدَمَتَيْنِ وَ تَبَعِيَّةَ رَأْيِهِ كَتَبْتَهُمَا، وَ هُوَ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ: إِذَا كُنْتَ مَفُوضًا إِلَيْكُمْ وَ مَسَلَّمًا لَكُمْ، فَلَا رَأْيَ لِي، وَ إِنْ كَانَ لِي رَأْيٌ فَهُوَ تَبَعٌ لِرَأْيِكُمْ.

التاسعة: «وَ نَصَرْتِي لَكُمْ مَعَدَّةً» يَخْبِرُ الزَّائِرُ آلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُنَا بِأَنَّ نَصْرَتَهُ مَعَدَّةٌ لَهُمْ، وَ هَذَا التَّعْبِيرُ أَبْلَغُ لِإِبْرَازِ الشُّوقِ إِلَيْهِمْ، حَيْثُ لَا- يَتَوَجَّهُ إِلَى الْبَعْدِ الزَّمَانِيِّ مِنْ طَوْلِ الْفَصْلِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ زَمَانِ الرَّجْعَةِ، بَلْ يَظُنُّ كَأَنَّ الرَّجْعَةَ تَقَعُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا، وَ كَأَنَّهُ يَقُولُ: وَ أَنَا لِنَصْرَتِكُمْ مَعَدَّةٌ أَوْ مُسْتَعَدَّةٌ (٢)، وَ قَدْ احْتَمَلَ الشَّرَاحُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ النُّصْرَةِ وَجُوهًا، وَ لَكِنَّ الْمُرَادَ مِنْهَا هُوَ نَصْرَتُهُ إِتَاهِمَ فِي عَصْرِ ظُهُورِ الإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ زَمَانَ رَجْعَتِهِمْ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَ يَتَأَيَّدُ هَذَا الْمَعْنَى كَمَا سَيَقْرَأُ الزَّائِرُ فِيمَا بَعْدَ.

ص: ٥٣٩

١- النساء: ٦٥. [١]

٢- ٢). يستفاد من هذا التعبير رجعه جميع آل البيت عليهم السلام لا مهديهم عليه السلام فقط.

«حتى يحيى الله تعالى دينه بكم، ويردكم فى أيامه،

و يظهركم لعدله، و يمكنكم فى أرضه»

و فيه خمس نكات:

الأولى: المراد من الأيام هو أيام الرجعه، عن مثنى الحنّاط قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «أيام الله ثلاثه: يوم يقوم القائم، و يوم الكثره (أى الرجعه)، و يوم القيامه» (١). الحاصل أنّ هذه الفقره مأخوذه من هذه الآيه الشريفه وَ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ (٢) و إضافه الأيام لنسبتها إلى الله تعالى (٣).

الثانيه: بعد أن ذكر الزائر تسليمه و نصرته لآل البيت و تفويضه إليهم، يذكر هنا ثلاث غايات، و هى: إحياء الدين، و ردّهم فى أيامهم، و تمكينهم.

الثالثه: يلزم هنا توضيح الألفاظ المحيى، و المحيى، و المحيى به،

ص: ٥٤٠

١- تفسير نور الثقلين ٢: ٥٢٦/٧- [١] فى ظلّ الآيه ٥ من سوره إبراهيم. [٢]

٢- ٢. إبراهيم: ٥. [٣]

٣- ٣. أيام الرجعه تعدّ من أيام الله، للمشابهه بينها و بين أيام نجاه بنى إسرائيل بسبب الكليم عليه السلام و إهلاك الله الظالمين، و أمّا إضافتها إلى الله فالأنها أيام النور و النجاه و العلم و إحقاق الحقّ و إبطال الباطل. و ملخص القول أنّ تلك الأيام هى الأيام التى تتحقّق فيها إرادته الله التشريعيّه (و إن كانت راجعه إلى الإراده التكوينيّه) المتخلفه عن المراد طول الأزمان، فيتبين من ذلك أنّ كلّ زمان يشبه بذلك الزمان يعدّ من أيام الله.

(١) أمّا المحيي، فشرائطه: أن يكون قادرا على الإحياء و استخدام سببه، عالما بمصالح الإحياء في أيّ زمان تحصله، و عادلا حكيما لئلا يكون إحياءه لغوا و عبثا، فذلك المحيي ليس إلاّ الله جلّ و علا.

(٢) و أمّا المحيي و هو الدين (١)، فشرط إحيائه أن يكون ميتا، و حياه كلّ شيء هي أن يكون ذا أثر و ثمر متوقّع منه، كما أنّ حياه الأرض كونها منبتة و منمّيه للنبات و مخضّره بالأشجار و الخضّر، قال تعالى: **إِغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (٢)**. فحياه الدين هي كونه حافظا لأصالة الفطره في الإنسان، و محرّكا للعمل بمقتضاها، و مانعا عن كلّ باطل و هو ما تنفر منه الفطره الأصيله، و بدون تلك الآثار يكون الدين قد مات، و موت الدين أعظم المصائب، كما قال النبيّ صلّى الله عليه و اله في دعائه: «و لا تجعل

ص: ٥٤١

١- الدّين هو عبارته، عن الحقائق الثابته الغير مادّيّه الغير قابله للتغيّر، أعمّ من الاعتقاديّه و الأخلاقيّه.

٢- ٢). الحديد: ١٧، [١] تفسير هذه الآيه الكريمة في إنبات الأرض و تنميتها معلوم، و لكن وردت في تأويلها أخبار مبينه [٢] عن مراده سبحانه عصر ظهور المهديّ عليه السّلام، [٣] كما في كتاب «كمال الدين و تمام النعمه [٤] ص ٦٦٨/ ح ١٣-الباب ٥٨» بإسناده إلى سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السّلام في قول الله عزّ و جلّ: «اعلموا أنّ الله يحيي الأرض بعد موتها»، قال: يحييها الله عزّ و جلّ بالقائم بعد موتها. يعنى بموتها كفر أهلها، و الكافر ميت. و بإسناده إلى عبد الرحمان بن سليط قال: قال الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام: «منا اثنا عشر مهديّا، أوّلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، و آخرهم التاسع من ولدى و هو الإمام القائم بالحقّ، يحيي الله به الأرض بعد موتها، و يظهر به دين الحقّ على الدين كلّه و لو كره المشركون»، و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجه. (تفسير نور الثقلين ٥: ٢٤٣/ ح ٦٨ [٥] ذيل الآيه).

مصيبتنا في ديننا» (١)، وقال وصيه أمير المؤمنين عليه السلام: «المصيبة بالدين أعظم المصائب» (٢). وأما تفسير بعض الشراح للدين بما ينطبق على الشريعة (و هي المقررات العمليّة) فغير صحيح.

٣) وأمّا المحيي به (و هو سبب الإحياء) فهم آل البيت عليهم السلام، و يشترط أن يكون المحيي به موجودا ظاهرا عالما بالإحياء، قادرا على السبب للإحياء، لأنّ الله سبحانه هو علّة الإحياء، و آل البيت عليهم السلام هم أسبابه، و الفرق بين العلّة و السبب ظاهر و صلّتهم بالمحيي فيه واضح.

٤) وأمّا المحيي له (و هو غرض الإحياء)، و هو متعدّد مذکور في الآيات و الأخبار، بعضها كما يلي:

ألف) إظهار الدين على كلّ دين باطل، قوله تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ (٣).

ب) رفع الفتنة، قوله سبحانه: وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ (٤).

ج) إمامه المستضعفين و حكومتهم في الأرض و اقتدارهم فيها، قوله سبحانه: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضُّعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ

ص: ٥٤٢

١- . كنز العمال ٢: ١٧٦/٢ خ ٣٦١٥.

٢- ٢) . غرر الحكم ٣٠. [١]

٣- ٣) . الصف: ٩. [٢]

٤- ٤) . الأنفال: ٣٩. [٣]

أَيْمَهُ وَنَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (١).

د) إخلاء الأرض من الظلم و الجور بعد ملئها منهما، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ أَلِهِ: « لو لم يبق من الدُّنيا إلاَّ يوم واحد لطَوَّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتَّى يخرجَ رجلاً من أهل بيتي، يملأُ الأرضَ عدلاً و قسطاً كما ملئتَ ظلماً و جوراً» (٢).

ه) و أمَّا المحيي فيه، و هو البشر عامه فيشترط أن يكونوا أحياء بالغين.

الرابعة: أنه تعالى يصنع في أيامه في حق آل البيت عليهم السلام أمرين:

الأول: يظهرهم بعد أن كانوا مبعدين مخفيين مكتوفي الأيدي.

الثاني: يجري عدله بهم بين عامه البشر في جميع بقاع الأرض.

الخامسة: قد تقدّم أنّ القدره تكون شرطاً لمن كان سبباً لإحياء الدين، و هذه القدره موعود بها في قوله تعالى: وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٣)، مضافاً إلى ما جاء في الأخبار الواردة في هذا المقام من كون الوعد حتماً لا يقبل الريب، منها قول الإمام عليّ عليه السلام: «لتعطفنّ الدُّنيا علينا بعد شماسها عطف الصُّروس

ص: ٥٤٣

١- القصص: ٥، ٦. [١]

٢- ٢. بحار الأنوار ٥١/٥١: ٧٤-٢٦ [٢] عن: كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ١/١١٢: ١٣٠ و ١٣١-الباب ١. [٣]

٣- ٣. القصص: ٦. [٤]

على ولدها. و تلا عقيب ذلك: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» (١).

١٢٤

«فمعكم معكم لا مع عدوكم، آمنت بكم، و توليت آخركم

بما توليت به أولكم».

و فيه خمس نكات:

الأولى: هذه الفقرة مترتبة على الفقرات المتقدمة، فلهذا جاءت مسبوقه بفاء النتيجة، فتكون هذه كتصديق للإقرارات السابقة التي لولاها لكان الزائر كاذبا فيها.

الثانية: يظنّ بكون هذه الفقرة مأخوذة من قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (٢)، فبهذا يصرّح الزائر بكونه مع آل البيت عليهم السّلام، و يلوّح ضمنا بأنهم هم الصادقون المذكورون في الآية، الذين أمر الله المؤمنين بالكون معهم في جميع الشؤون، من: الإيمان و العمل و الخلق.

الثالثة: قد تكرّرت المعية هنا، و في سرّ تكرارها احتمالات:

ص: ٥٤٤

١- نهج البلاغة: الحكمه ٢٠٩. [١]

٢- ٢. التوبة: ١١٩. [٢]

(١) يقول إني معكم في الآخرة بعد معيتي لكم في الدنيا.

(٢) إني معكم في زمان الرجعه بعد معيتي لكم قبلها.

(٣) هي تأكيد للمعنيه الأولى.

(٤) المعنيه الثانيه إشاره إلى كونه معهم في العقيده و العمل بعد أن كان مقرا بهما آنفا.

الرابعه: يقرّ الزائر بكونه معهم و يرفض المعنيه لأعدائهم؛ لأنّ هاتين المعنيتين متنافيتان لا- تجتمعان (١)، مضافا إلى أنّ الجمع بين المعنيتين يخالف التولي و التبري المبحوث فيهما في ما سبق.

الخامسه: المراد من التولي هنا قبول ولا-يتهم، و المقصود من الأوّل و الآ-خر يمكن أن يراد كلّ إمام سابق بالنسبه إلى اللاحق، كالمجتي عليه السّلام يكون أولا و الإمام الشهيد (روحي فداهما) يكون آخرا. و يحتمل كون المراد من أوّلهم هو الإمام عليّ و من الآ-خر هو الإمام المهديّ (٢) (جعلنا الله من أعوانه). و قد أقرّ الزائر في ما سبق بإمامتهم جميعا، و هنا يظهر قبول ولايتهم، و يتبرأ من الذين توقّفوا في إمامه من بقى منهم و أنكر أنّهم اثنا عشر، كالزيديه و الواقفه و غيرهم.

ص: ٥٤٥

١- أعمّ من أن يكون المنقول لفظ «مع عدوّكم» (كما هو المشهور) أو «مع غيركم» (كما في بعض النسخ)؛ لأنّ غيرهم، عدوّا كان أو لا، ليس بصادق على معناه الحقيقي كما تقدّم في معناه.

٢- ٢). و قد فسّرنا أبسط من ذلك في معنى «الأوّل و الآ-خر» في الفصل ١٢١.

«و برئت إلى الله عزّ وجلّ من أعدائكم، و من الجبت

و الطاغوت و الشياطين، و حزبهم الظالمين لكم، الجاحدين لحقكم،

و المارقين من ولايتكم، و الغاصبين لإرثكم، الشاكين فيكم،

المنحرفين عنكم، و من كلّ وليجه دونكم، و كلّ مطاع سواكم،

و من الأئمة الذين يدعون إلى النار»

و فيه نكتتان:

الأولى: أنّ الزائر بعد تولّيه يتبرّأ هنا من طوائف عديده؛ لأنّ التولّى و التبرّى كما ذكرنا سابقا كانا كجدارين حافظين لدار الإيمان من تجاوز أهل العدوان و الطغيان.

الثانية: الذين يتبرّأ الزائر منهم و هم:

(١) أعداء آل البيت عليهم السّلام (١): الزائر يجعل الله غايه لتبرّيه باستعمال حرف «إلى»، و يقرّ ضمنا بأنّ هذا التبرّى عباده لله، و يستمدّ منه سبحانه بعزّته و جلاله تبرّيه، حتّى يوفّق للثبات على التولّى و التبرّى و يتغلّب على الأعداء المذكورين.

٢ و ٣) الجبت و الطاغوت: ورد في بعض الروايات أنّ المراد من

ص: ٥٤٦

١- و يمكن أن يكون الأعداء هنا مقسما و الذين يذكرون من بعدهم أقسام الأعداء.

الجبت و الطاغوت الأول و الثانى، قال الإمام الرضا عليه السلام فيما كتبه للمؤمن:

«و لا- إيمان إلا- بالبراءه من الجبت و الطاغوت اللذين ظلما آل محمّد صلى الله عليه و اله حقّهم، و أخذنا ميراثهم، و أخذنا خمسهم، و غصبا فدك من فاطمه» (١). و أنت خير بأنّ هذا التعبير عن بعض المصاديق و لا يختصّ بهذين الشخصين، لأنّ لفظى الجبت و الطاغوت يعمان كلّ صنم يعبد من دون الله.

٤ و ٥) الشياطين و حزبهم الظالمون: و المراد من الشياطين هم الإنسيون منهم، و إن كان اللفظ يعمّ الجتّين أيضا، و المراد من حزبهم هو التابعون لهم الذين يعاونون الشياطين و الجبت و الطاغوت، و ينصرونهم فى مواجهه آل البيت عليهم السّلام بطرق شتى (٢)، و لكنّ الزائر يقرّ هنا ضمنا بخسرانهم و خذلانهم كما وعد الله سبحانه فى قوله بخصوص ذلك: أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣).

٦) الجاحدون لحقوق آل البيت عليهم السّلام: و إنكارهم ينشأ إمّا عن جهل أو عن علم، فما ينشأ عن علم فهو غايه العناد و الإلحاد، قال تعالى:

ص: ٥٤٧

١- الشموس الطالعه ٤٤٧، [١] فى ظلّ العبارة «برئت إلى الله...».

٢- ٢). من القتل و القهر و غصب الحقوق و إنكار المناقب و إخفاء الفضائل و السبى و الإقصاء و التكذيب و تأييد المخالف، و غير ذلك.

٣- ٣). المجادله: ١٩. [٢]

وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ (١)، و قال أيضا: يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا (٢)، و قال أيضا: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٣).

و أما ما كان ناشئا عن الجهل، فهو على قسمين:

الأول: ما إذا كان الجاحد يجحد الحق عن جهل بسيط معبر عنه بالجهل القصورى، فالموصوف بهذا الجهل لا يستحق اللعن أو التبرى، بل هو أقرب إلى الهدايه و التوبه، و لكن يذم و يوبخ على كل تأخير غير موجه فى التعلّم و الاهتداء.

و أما الثانى: فهو الذى ينكر الحقّ و يجحده جاهلا به و هو متمكّن من تحصيل العلم بالحقيقه، و لكن يقصّر أو يتخيل نفسه عالما به و يصرّ على إنكاره، فهذا الجهل ما يعبر عنه بالجهل المركّب، فمثل هذا الجاهل محكوم بما حكم عليه الجاحد العالم، من استحقاق اللعن و التبرى (و غيرهما). و هذا النوع من الجاحدين هو مراد الزائر هنا، لأن الجاحد ربّما كان عالما، لما علم الزائر من أنّ حقوق آل البيت عليهم السّلام من الإمامه و الولايه و الخلافه و الوصايه و غير ذلك مغصوبه، و هذا لا يخفى على أحد من المخالف و الموافق، بل ثبتت بأدله قاطعه كثيره (من: العقل

ص: ٥٤٨

١- النمل: ١٤. [١]

٢- ٢. النحل: ٨٣. [٢]

٣- ٣. البقره: ١٤٦. [٣]

و القرآن و الحديث) فلا ينبغي أن يرتاب فيها و في صحه أدلتها.

٧) و أمّا المارقون من ولايتهم، فهم الذين خرجوا منها عالمين بحقيقه أمير المؤمنين، و المشهورون بالخوارج.

٨) و أمّا الغاصبون لإرث آل البيت عليهم السّلام، فيلزم هنا ذكر مصاديق إرث أهل البيت عليهم السّلام و الغاصبين له، أمّا إرثهم فهو عبارته عن:

الف) فدك، و قد انتقلت من رسول الله صلّى الله عليه و اله إلى الزهراء عليها السّلام إرثا.

ب) الخمس، كما قال تعالى: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ (١).**

ج) الغنائم الحاصلة من القتال، قال تعالى: **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ (٢).**

د) الأنفال، قال تعالى: **قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ (٣).**

ه) الإمامه و الخلافة، **إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا وَ إِنَّا بِأَنْفُسِنَا يُرْجَعُونَ (٤).**

و معلوم أنّه إذا كانت الأرض و من عليها يرثها الله تعالى، يصير حاكما

ص: ٥٤٩

١- الأنفال: ٤١. [١]

٢- ٢. الحشر: ٧. [٢]

٣- ٣. الأنفال: ١. [٣]

٤- ٤. مريم: ٤٠. [٤]

و تجرى حكومته سبحانه فيها على أيدي خلفائه الحقيقيين، وهم ليسوا غير آل البيت عليهم السلام.

٩) و أمّا الشاكّون في آل البيت عليهم السّلام المنحرفون عنهم، فهم المذبذبون المتردّدون بين الإقرار و الإنكار في إمامتهم عليهم السلام (١)، و أمّا سرّ التبرّي منهم فهو سوء تأثيرهم في من كان إيمانه ضعيفاً، و لأنّهم ليسوا مصداقاً لقوله سبحانه: وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (٢).

١٠) و أمّا الوليجه دون آل البيت عليهم السّلام فهي من يأتّمه المؤمن على أسراره و خفاياه، فالزائر يتبرّأ من كلّ مؤتمن دون آل البيت عليهم السّلام و يعترف ضمناً بكونهم عليهم السّلام وليجه فقط، و هذا من خصائص المؤمنين الكاملين الذين لا يتخذون دون الله و رسوله و المؤمنين وليجه (٣)، كما قال سبحانه:

وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لا الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيَجْهَ (٤).

١١) و أمّا المطاع من دون آل البيت عليهم السّلام، فيتبرّأ الزائر منه لعدم كونه من أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، لأنّه لو لم يتبرّأ منه لزم: إمّا أن لا يطيع آل البيت عليهم السّلام و يطيعه، و إمّا أن يطيعهما كليهما، و إمّا أن لا يطيع أيّاً

ص: ٥٥٠

١- هذا أضعف مراتب الانحراف؛ لأنّه لا ينشأ من إنكار خالص لهم عليهم السلام عنادا.

٢-٢) .البينه: ٥. [١]

٣-٣) .هذا معلوم للزائر العارف أنّهم عليهم السّلام أكمل المؤمنين، فأخذ أكمل المؤمنين وليجه يمنع من أخذ الناقصين منهم وليجه.

٤-٤) .التوبه: ١٦. [٢]

منهما، فيلزم من الأوّل نفع إيمانه بهم، و من الثّاني الإشراك في الإمامه الذي يرجع في الحقيقة إلى الإشراك بالله في العباده و الطاعه، و من الثالث أن لا- يكون طاعه منه أصلاً، فهذه الصور كلّها باطله، فتلزمه الصوره الرابعه، و هي طاعته لآل البيت عليهم السلام و عرفانه بكونهم المطاعين دون غيرهم.

(١٢) و أمّا الأئمّه الداعون إلى النار، فيتبرأ الزائر منهم؛ لذكر علّه ذلك صريحاً (١)، و هي دعوتهم إلى النار، و يعترف ضمناً بكون آل البيت عليهم السلام مصداقاً لقوله سبحانه: وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا (٢).

ص: ٥٥١

-
- ١- هذا من قبيل الذّكر الخاصّ بعد العامّ، لكون الأئمّه أخصّ من المطاع، فلا يرد إشكال التكرار فيه.
 - ٢- (٢). الأنبياء: ٧٣. [١]

١٢٦ [فتبتنى الله... غدا برويتكم]

«فتبتنى الله أبدا ما حييت على مواليتكم و محبتكم و دينكم، و وقفتنى لطاعتكم، و رزقتنى شفاعتكم، و جعلنى من خيار مواليتكم التابعين لما دعوتهم إليه، و جعلنى ممن يقتص آثاركم، و يسلك سبيلكم، و يهتدى بهداكم، و يحشر فى زمركم، و يكر

ص: ٥٥٢

١- و هو يشتمل على فصل واحد و إنما سمينا هذا الباب بهذا الاسم، لأنّ الزائر يتمنى فيه خمسة عشر مطلباً متفرعاً على ما تقدّم من أشواقه (كما عطف بفاء التفرع)، فإن سأل سائل: لا شكّ فى حصول هذه المطالب و الأمتيات بجده و جهده، فما وجه تمّيه لها من الله؟ نجيب عن سؤاله بوجوه: الأول: يسأل الزائر أن يجعل الله الأثر فى بلوغه إليها لما قيل: «لا- مؤثر فى الوجود إلاّ الله». الثانى: ليرزقه الله التوفيق و توجيه الأسباب نحو مطلوباته؛ لا امتناع نيله إليها بدون توفيقه سبحانه. الثالث: لأنّ يعفو الله عن خطاياها فى الطريق؛ حتّى لا- تمنعه الخطايا و الزلاّت عن إدراكها. الرابع: أنّ مسأله الحاجات من الله عباده هامه جدّاً، كما هو المشروح فى موضعه. الخامس: هذا السؤال جار بعينه فى طلب المؤمن الهدايه فى صلاته (بقوله: «اهدنا الصّراط المستقيم»)، فما هيأه من الجواب هناك يجب به فى المقام.

فى رجعتكم و يملك فى دولتكم، و يشرف فى عافيتكم، و يمكن فى أيامكم، و تقر عينه غدا برؤيتكم» و فيه سبع عشره نكته:

الأولى: أن حصول كل أمية هامة حسنه من كل أحد لأى شخص هو فرع على ثلاثه اصول:

الأول: معرفه الشخص (التمنى) بالتمنى منه، و الثانى؛ حبه له، و الثالث؛ ذكره امتياته إياه.

فالزائر أبرز عرفانه بالله و بخلفائه و كمالاتهم و شؤونهم عليهم السلام فى الفصول السابقه من الأبواب المتقدمه، و أبرز أيضا حبه و كمال اشتياقه إلى آل البيت عليهم السلام فى الباب السابق على هذا، و هنا يذكر ما يتمنى من الله بتوسيط آل البيت عليهم السلام. و الحاصل أن ترتب هذا الباب على ما قبله من الأبواب ترتب طبيعى، فإله من ترتب جميل. و إذا قلنا بأن معرفه الله (كما نقول به حقا) و حججه شرط فى إجابته دعاء الزائر، فهنا أحرز الزائر هذا الشرط حتى تستجاب دعوته و تعطى طلبته إن شاء الله.

الثانيه: قد وعد الله سبحانه المؤمنين بأنه يثبتهم على حقيقه الإيمان فى الحياه الدنيا و فى الآخره بقوله الرضى: **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ ۗ**

ص: ٥٥٣

الثانية: قد وعد الله سبحانه المؤمنين بأنه يثبتهم على حقيقه الإيمان في الحياه الدنيا و في الآخره بقوله الرضى: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ (١).

الثالثة: (فثبتني الله... و دينكم) أنّ ثبات المؤمن على إيمانه أمر واجب، كوجوب إيمانه بجميع متعلقات الإيمان؛ لأنه بدون الثبات ينقلب إيمانه كفرا و توحيده شركا (٢)، و يحبط عمله، و قد قال تعالى: لئن أشركتك ليحبطن عملك (٣). و قال المتكلمون: «إنّ الإيمان مشروط بالموافاه»، و معلوم أنّ ثبات الزائر على إيمانه صعب مشكل و هو لا يقدر عليه، خصوصا مع أعداء كثيرين لآل البيت عليهم السّلام، الذين يصدّون عن سبيل الله، إذا يلتجأ الزائر إلى الله أن يثبته. و أمّا استثباته على موالاه آل البيت عليهم السلام و محبتهم (٤) فهو حقيقه الدين و التوحيد، فبطلبه الثبات على جزء أخير من الدين يكون ثابتا على كله، مضافا إلى أنّ دين آل البيت عليهم السلام هو الدين الوحيد الذي ينجو به المرء و يرضى به الله.

الرابعة: (و وقّنى لطاعتكم) يسأل الزائر من الله التوفيق لطاعتهم، لأنه في الحقيقه جاهل بأسباب الطاعة و توجيهها، حتّى يصل إليها بلا خطا، و لكنّه عارف بأنّ طاعتهم خير بعد المعرفة بهم و المحبّه لهم. و يعلم من

ص:

-
- ١- إبراهيم: ٢٧، [١] إنّ هذه الآيه-مضافا إلى شهادتها على المراد-تكون مصدرا لهذه الفقره أيضا، و أنت خير مما تقدّم بأنّ المعرفة بآل البيت هي لبّ الإيمان و حقيقته، و بدونها يكون الإيمان قشرا.
 - ٢-٢. فلهذا يؤكّد الزائر مسأله الثبات ب«أبدا ما حييت».
 - ٣-٣. الزمر: ٦٥. [٢]
 - ٤-٤. قد تقدّم أنّ الفرق بين الموالاه و المحبّه هو أنّ المحبّه أمر قلبى، و ظهورها في صوره العمل يعبر عنه بالموالاه.

ذكر الطاعة بعد ذكر الدّين أنّ المراد من الدين هو الاعتقاد الثابت، و تكون الطاعة ثمره له.

الخامسة: أنّ صلّه الفقره «وقفنى» بما قبلها (ثبتنى الله) هي أنّ كلّ وصول إلى كلّ خير يجب فيه ثلاث مقدمات:

إحداها: رفع الموانع، ثانيها: المعرفه بخيريّه المطلوب، ثالثها: الثبات على الطريقه، والأخيرتان هما جمع الشرائط. والحاصل أنّ الزائر عرف خيريّه مطلوبه فيما تقدّم من الفصول و سأل التثبيت آنفاً، و هنا يسأل التوفيق إلى الطاعة، إذا روعى الترتّب الطبيعيّ.

السادسه: (و رزقنى شفاعتكم) أنّ من طلب الزائر شفاعه آل البيت عليهم السلام من الله يعلم أنّه مؤمن بكونهم شفعا مشفعين من قبل الله عزّ و جلّ، و معلوم من إطلاق الرزق على الشفاعه أنّه يطلبها، لينتفع بها أعمّ من أن تكون شفاعه دافعه للعذاب أو رافعه له أو ترفع بها درجته، لما قيل في تعريف الرزق: «الرزق ما صحّ الانتفاع به» و إن عرّف بأنّ رزق كلّ شيء ما به قوامه، (1) فوجه إطلاق الرزق على الشفاعه بأنّ سعادتي و تجنّبي من الشقاوه يتقوّمان بشفاعتكم.

السابعه: (و جعلنى من خيار مواليكم) أنّ ممّا تمنّى الزائر من الله

ص: ٥٥٥

١- .سمعت هذا التعريف للرزق من استاذى الجليل سماحه آيه الله العظمى و حجّته البالغه الكبرى المرحوم ملا على المعصومى الهمدانى جزاه الله عنى و عن تلامذته الأفاضل خير الجزاء.

بتوسيطهم عليهم السّلام هو أن يجعله الله من خيار مواليتهم، فلفظه «خيار الموالى» لها موضوعيّة لما يتمناه (إن أخذنا الخيار قيّدا احترازيّاً)؛ لأنّ مواليتهم ليسوا على حدّ سواء فى المعرفة و العمل و الخلق، فهو إذا يسأل أن يكون من خيارهم، و هؤلاء الخيار (الأخيار) هم أشباه أبى ذرّ و سلمان (عليهما و علينا الرضوان).

و إن أخذنا قيد الخيار توضيحياً ليس له موضوعيّة (إلاّ قبال أشياع الأنبياء الماضين)، فالزائر يتمنى أن يكون من مواليتهم فقط، كما أنشد الإمام الشهيد المفدى أبو عبد الله الحسين عليه السّلام حين كان يقاتل الأعداء يوم عاشور.

و شيعتنا فى الناس أكرم شيعه و مبغضنا يوم القيامة يخسر

و أنت خير بأنّ وصف الزائر خيار الموالى بالتبعيّة، لما دعا آل البيت عليهم السّلام إليه، فهو لكون التبعيّة تكون ملاكا و ميزانا للكون من خيار أوليائهم، و بدون التبعيّة يكون مخالفا لهم فى العمل، و إن كان مؤمنا بهم.

إذا يسأل الزائر أن لا يجعله الله تابعا لغير ما دعا إليه آل البيت عليهم السّلام، لأنّه إن كان تابعا لهذا الغير كان تابعا لأئمّه الجور و هم يدعون إلى النار.

الثامنة: (و جعلنى ممّن يقتصّ آثاركم)، يتمنى الزائر من الله أن يجعله ممّن يقتصّ آثار آل البيت عليهم السّلام، و يلزم هنا ذكر معنى القصص و الاقتصاص، قال فى المنجد «قصّ قصصا عليه الخير: حدّثه به، و قصّا

و قصصا أثره: تتبعه شيئا فشيئا. اقتص أثره: أتبعه». قال تعالى: نَحْنُ نُقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ (١)، أى نَتَّبِعُ جميع ما وقع فيها شيئا فشيئا.

الحاصل أنّ من أُمِّيَّاتِ الزَّائِرِ هِيَ أَنْ يَكُونَ مَتَّبِعًا لِآثَارِهِمْ؛ لِأَنَّ الْكَمَالَ الْحَقِيقِيَّ لَا يَحْصُلُ لَهُ إِلَّا بِهَذَا الْإِتِّبَاعِ، وَوَجْهَهُ يَظْهَرُ مِنْ جَمِيعِ الْبَحُوثِ الْمَتَقَدِّمَةِ.

التاسعة: أنّ لسؤال الزائر هذا معنيين:

الأول: أن يجعله الله بفضلِهِ وَكَرَمِهِ مِنَ الْمُقْتَصِّينَ لِآثَارِهِمْ بِكَتَابَتِهِ تَعَالَى إِيَّاهُ فِي زَمَرَتِهِمْ.

و الثاني: أن يوفقه للعلم والعمل بآثارهم. وهذا الوجهان يجريان في الفقرات الماضية والآية من هذا الباب، وهذا تكليف هام و فريضه: «قال الإمام الصادق عليه السلام: ليس من شيعتنا من قال بلسانه و خالفنا في أعمالنا و آثارنا» (٢).

و هذا شأن رفيع و هو شأن إبراهيم الخليل عليه السلام كما جاء في تأويل قوله سبحانه: وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ (٣)، أنّ الخليل عليه السلام كان من شيعه علي عليه السلام، وقد استشهدنا عليه بحديث طويل عن الصادق عليه السلام في الفصل

ص: ٥٥٧

١- يوسف: ٣. [١]

٢- ٢. بحار الأنوار ٦٨: ١٦٤/ح ١٣- [٢] عن: السرائر لابن إدريس الحليّ. المراد من آثارهم عليهم السلام هو كل ما بقى منهم من العلوم و المعارف الحقّه في جميع المجالات المرتبطه بكون الإنسان موحدًا لله و شيعه لهم.

٣- ٣. الصافات: ٨٣. [٣]

العاشره: (و يسلك سبيلكم، و يهتدى بهداكم)، يحتمل أن يتفرع سلوك سبيلهم و الاهتداء بهداهم على اقتصاص آثارهم. و الحاصل أن الزائر بهذين السؤالين يتبرأ ضمناً من كل سبيل غير سبيل آل البيت عليهم السلام كأصحاب البدع و المتصوفه، و غيرهم.

الحاديه عشره: الفرق بين سلوك السبيل هنا و الاهتداء بهداهم هو أن السلوك يكون من مقوله العمل، و الاهتداء من مقوله الاعتقاد، هذا إذا كان المراد من الاهتداء قبول الزائر إراءه الطريق من قبل آل البيت عليهم السلام، أما إذا كان المراد من الاهتداء الوصول إلى المطلوب فيكون سلوك السبيل مقدّمه، و الاهتداء نتیجه له.

الثانيه عشره: أن فقره «يحشر فى زمركم» مأخوذه من سوره الزمر المباركه، فيريد الزائر بتمنيه هذا أن يكون مصداقاً للمتقين الذين قال الله تعالى فيهم: وَ سَبِقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (١)، و لا يصير مصداقاً لقوله سبحانه: وَ سَبِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَ يُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا

ص: ٥٥٨

بلى وَ لَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (١).

الثالثة عشره: (و يكرّر فى رجعتكم) يتمنى الزائر الكره فى رجعتهم، و يلزم هذا التمنى كونه من خلص شيعتهم، و هم الذين محضوا الإيمان محضاً؛ لأنّ غيرهم (غير ممحضى الإيمان محضاً، أى هم المتوسّطون من المؤمنين) لا يعودون فى الرجعه.

الرابعة عشره: (و يملك فى دولتكم) الزائر يتمنى أن يصيره الله ممّن تملك فى دوله آل البيت عليهم السّلام عصر الرجعه، حتّى يكون مصداقاً للمستضعفين، الذين صاروا أئمه الأرض و ورثتها، و يصير ممّن يصدق فيه قوله سبحانه: إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا (٢)؛ ليعلى الحقّ بهذا التملك، فإذا بلغ الزائر ما تمناه كان من قبل الله سلطاناً يتبع آل البيت عليهم السّلام و أمرهم المطاع.

الخامسه عشره: (و يشرف فى عافيتكم) سؤال الزائر التشرف فى عافيه آل البيت عليهم السّلام راجع إلى عافيتهم من ظلمه الزمان و الجبابره من أهل الطغيان، فهو يتمنى بأن يتشرف فى عافيتهم بعد أن يكون من خلص شيعتهم. و جميع هذه التمنيات و أمثالها من الزائر بتعليم الإمام الهادى عليه السّلام تكون موافقه لحكمه الله البالغه و عداته المفعوله، لأنّ الله لم يرد الذلّه

ص: ٥٥٩

١- الزمر: ٧١. [١]

٢- ٢. البقره: ٢٤٧. [٢]

لخَلَصَ عِبَادَهُ أَبَدًا، مضافًا إلى أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَّهُمَ بِالنَّصْرِ وَالْغَلْبَةِ.

السادسه عشره: (و يَمَكِّنُ فِي أَيَّامِكُمْ) الفرق بين تملكك الله للزائر و تمكينه في أيام آل البيت عليهم السلام (التي تكون من أجلى المصاديق لأيام الله المذكوره في القرآن) هو أَنَّ تملكه يمكن أن يكون مقترنا بالعسر و الصعوبه (كعصر الخلفه الظاهريه لأمير المؤمنين عليه السلام)، و يمكن أن يكون مقترنا باليسر و الراحة، فهنا لا يريد الزائر بسؤاله الأول بل يريد ثانيهما.

السابعه عشره: (و تَقَرَّرَ عَيْنُهُ غَدًا بِرؤْيَيْكُمْ) أَنَّ لاسْتِعْمَالَ الزَّائِرِ لِفِظِهِ «الغد» هنا جهتين:

الأولى: أَنَّهُ يَرَى ذَلِكَ الزَّمَانَ قَرِيبًا فِي الْحَقِيقَةِ وَ إِن بَعْدَ فِي الظَّاهِرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ): إِنَّهُمْ (أَيَّ الْمُنْكَرُونَ لَهَا) يَرَوْنَ بَعِيدًا* وَ نَرَاهُ قَرِيبًا (١).

الثانيه: أَنَّ الزَّائِرَ يَرَى الْأَمْرَ قَبْلَ زَمَانِ الرَّجْعِ مَظْلَمَهُ طَوِيلَهُ كَاللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، وَ مَعْلُومٌ أَنَّ لَيْلًا يَعْقِبُهُ نَهَارٌ نَبِيرٌ مَبْصُرٌ دُونَ أَيِّ فَاصِلٍ بَيْنَهُمَا.

ص: ٥٦٠

«بأبى أنتم و أمى و نفسى و أهلى و مالى (٢)، من أراد الله بدأ

بكم، و من و حده قبل عنكم، و من قصده توجه بكم»

و فيه نكتتان:

الأولى: ألف) (من أراد الله بدأ بكم، و من و حده قبل عنكم)، إن كون الشخص موخدا يستلزم أمرين: جبرياً و اختيارياً، فالأول: هو اقتضاء فطرى للتوحيد، و لولاه كان التوحيد تعليمياً محضاً غير مفيد لا يريد

ص: ٥٦١

١- يريد الزائر هنا أن يثنى آل البيت عليهم السّلام بأثنيه لإظهار معرفته أولاً، و لتوسيطه إياهم فى قضاء حوائجه التى سيدكرها ثانياً، و إن كان مثنيا عليهم فى ما سبق بجميع كلامه على مدى الأبواب و الفصول، و لكنّه لم يصرح بإرادته الشاء كما سيصرّح عليه فيما بعد.

٢- ٢). هذه مرّه ثانيه يفدى الزائر فيها بجميع محبوباته حتّى بنفسه آل البيت عليهم السّلام، و قد تقدّم التوضيح فى التفديه، و لم يذكر هنا «الأسره» بخلاف التفديه السابقه، فكأنّه قويت معرفته بهم بالنسبه إلى معرفته حين فدى فى المرتبه الأولى و لم ير هنا اسرته لقوّه معرفته و ضعف تعلقه تبعاً بغير آل البيت عليهم السّلام.

توحيد الله اختياراً، وهو خلاف قوله سبحانه: فَطَرَتِ اللَّهُ اللَّيْلَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا (١)، وإرادته الزائر هنا راجعه إلى الأمر الثاني. والحاصل أنّ كلّ إرادته واختيار يتوقف على العلم بالمراد والمختار، كمن يريد أن يبتاع شيئاً، فإن لم يكن له علم به (و العلم به غير إختيارى) لم يقبل على الابتاع. ومحصل القول أنّ إرادته كلّ مرید لله سبحانه هو من قبيل الأمر الثاني؛ لأنّ الأمر الفطرى لا تتعلّق به الإرادة، لكونه خارجاً عن الاختيار. أمّا تعلّم التوحيد صحيحاً والاتّصاف بصفات الموحّدين على ما هو عليه، والتخلّق بأخلاق الله على ما هو مرضى عند الله والتعبّد لله كما يرضى سبحانه، وبالجملة التوحيد بمراتبه الخمسة المقبولة عند الله، فلا يمكن إلاّ أن يكون بتعليمهم وتربيتهم؛ لأنّهم قد تربّوا فى حجر التوحيد، وتعدّوا من ثدى النبوة حتّى رسخت فيهم أصوله و نما فيهم فروعه بحيث صاروا مظاهره التامه.

ويمكن تبين الفرق بين هاتين الجملتين «من أراد الله... و من وحده...» بأن نقول: الأولى مشيره إلى الاعتقاد بوحدانيه الله، والثانيه إلى الاتّصاف والعباده، أو أن تكون الأولى إشاره إلى علم التوحيد (المعبر عنه بالتوحيد النظرى)، والثانيه، أى العمل بمقتضاه المعبر عنه بالتوحيد العملى.

(ب) (و من قصده توجّه بكم) أنّ القصد لله تعالى على قسمين:

ص: ٥٦٢

ففي الأول لا يحتاج الممكن إلى واسطه كوسائط مختارين، كما قال تعالى: ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١)، و لكنّه (القاصد) يفتقر إلى واسطه في الثاني؛ فالواسطه يجب أن تكون قويّه (من القاصد الممكن) في كمالاته، حتّى يكون بها أقرب إلى الواجب الذاتيّ، و يكون بإمكانه الذاتيّ أدنى من الممكن القاصد-المعبر عن الأوّل ب«يلي الربّي» و عن الثاني ب«يلي الخلقيّ»-، فأل البيت هم أقرب الخلق إلى الله بكمالاتهم، و هم الأقرب إلى الخلق بإمكانهم الذاتيّ، فجميع المكلفين القاصدين لله محتاجون إليهم كي يتوجّهوا بهم إليه سبحانه.

الثانيه: الفرق بين الإراده و القصد، هو أنّهما يشتركان في كونهما طلبا، و لكنّ الإراده طلب ضعيف بالنسبه إلى القصد الذي هو طلب أقوى منه؛ لأنّ المرید يريد مراده أوّلا ثم يتوجّه قاصدا السير إليه (٢).

ص: ٥٦٣

١- هود: ٥٦. [١]

٢- ٢). و قد استفدنا هذا الفرق بينهما ممّا استعمل هنا في كلام الإمام.

«مولى لا أحصى ثناءكم، ولا أبلغ من المدح كنهكم، و من

الوصف قدركم»

و فيه خمس نكات:

الأولى: قد ذكرنا فى توضيح عنوان هذا الباب أنّ الزائر يريد الثناء على آل البيت عليهم السّلام مصرّحاً به مرّتين، فهذا أوليهما، و لكنّه يظهر العجز عن إحصاء ثنائهم، أى لا يقدر أن يحصى جميع كمالاتهم واحداً واحداً من جهه، و لا يتمكّن ترك أصل الثناء لكونه مشتاقاً إليهم و الها بهم مفتوناً فيهم، و لا يريد بعد الله سواهم، بل يريدهم بعده سبحانه بإذنه و أمره بطاعتهم كأمره بالكون معهم و غير ذلك. و أمّا علّه عجزه عن الإحصاء فهى ضعف علمه بما هم عليه من الكمالات و الشؤون و كلّ لسانه عن أداء الثناء، و ضعف عقله و ضيق نفسه عن إدراك الكمالات (١).

الثانية: (مولى لا- احصى ثناءكم) أنّ المولى هنا بمعنى السيّد و صاحب الاختيار و المدبّر، و لا- نظر هنا إلى سائر معانيه الغير صالحه، فالمولويّه قد تنقسم بحسب ذاتها إلى: تكويته و تشريعته. و بحسب الموصوف بها تنقسم إلى المستقلّه و التبعية، فالمولويّه التكوينيّه المستقلّه منحصره فيه

ص: ٥٦٤

١- و يمكن أن يريد من كلامه عدم تجزيه على إحصاء الثناء، و هذا الاحتمال ضعيف بالنسبه إلى ما احتملناه أوّلاً.

سبحانه، وهكذا الموليّ الشريعيّ المستقلّ؛ ولكنّ الشريعيّ التبعيّ منها تكون عامّه لآل البيت وغيرهم عليهم السّلام، فمراد الزائر هنا من إطلاق المولى على آل البيت عليهم السّلام من هذا القبيل.

الثالثة: قد تقدّم أنّ آل البيت عليهم السّلام مظاهر الله التامّه و مجاليه الكامله فى الأسماء و الصفات، فكما لا يمكن الإحاطه بالظاهر و المتجلّى (لكونه غير متناه) يمتنع الإحاطه بالمظهر و المجلى، و الدليل النقلى على استحاله الإحاطه بالمتجلّى (مضافا إلى استحالتها فى العقل) هو قوله تعالى: وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ (١)، و قول النبىّ صلّى الله عليه و اله: «لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» (٢)، و من الأدلّه النقلية على امتناع الإحاطه بالمجلى و المظهر هو قول النبىّ صلّى الله عليه و اله أيضا للإمام علىّ عليه السّلام: «يا علىّ، ما عرف الله إلا أنا و أنت، و ما عرفنى إلا الله و أنت، و ما عرفك إلا الله و أنا» (٣)، فتبيّن بهذا التقرير-مضافا إلى ما مرّ آنفا-عجز الزائر عن إحصاء ثنائهم عليهم السّلام.

الرابعة: (و لا- أبلغ من المدح كنهكم) فى الفرق بين المدح و الثناء: إنّ المدح كما يستظهر من هذه الفقره السابقه الشريفه هو وصف المادح الممدوح بكماله الذاتى، (لأنّ المراد من الكنه هنا هو الذات)، و الثناء هو

ص: ٥٤٥

١- الأنعام: ٩١. [١]

٢- ٢. مرآه العقول للعلامة المجلسى ١٤٦: ٨- كتاب الإيمان و الكفر، باب الشكر. [٢]

٣- ٣. الأنوار اللامعه ١٧٩- شرح العبارة أعلاه.

وصف المثني، المثني بكماله الفعلِيّ، كما يقال في الأوّل: «مدحت اللؤلؤ لصفائه»، وفي الثاني: «أثنت على حاتم لسخائه»، قال الإمام عليّ عليه السّلام:

«الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون (1)، ولا يحصى نعماءه العادّون» (2)، فعدم بلوغ القائلين مدحته سبحانه يتعلّق بالأوّل، وعدم إحصاء العادّين نعماءه، يتعلّق بالثاني؛ لأنّ الإنعام كمال فعليّ له تعالى.

الخامسة: (و من الوصف قدر كم) يظهر الزائر العجز عن بلوغه إلى وصف قدرهم عليهم السّلام، فيكون هذا كمعلول ذكرت علته قبله و كفرع سبق ذكر أصله.

توضيح ذلك: كأنّ الزائر يقول: «إني حيث كنت عاجزا عن إحصاء ثنائكم و عن بلوغ مدح كنهكم، يجرى هذا العجز في وصف قدركم، لأنّ وصف قدر كلّ شيء يتفرّع على العلم بكماله الذاتيّ أو الفعلِيّ». الحاصل أنّ كلّ ما قاله الزائر في عدّ شؤونهم و كمالاتهم أو كلّ ما سيقول و كلّ ما أثنى عليهم أو مدحهم أو سيثني و يمدح، إنّما هو بقدر علمه و على حدّ عرفانه، لا على ما هم عليه؛ لأنّه إن أراد أن يصف قدرهم أو يثني عليهم على ما هم عليه، لغرق في بحر الضلاله، الغلوّ أو القلوّ.

ص: ٥٦٦

١- الحمد قريب المعنى مع المدح.

٢- ٢). نهج البلاغه: الخطبه الأولى. [١]

«و أنتم نور الأخيار، و هداه الأبرار، و حجج الجبار»

و فيه خمس نكات:

الأولى: إظهار الزائر هذا بكون آل البيت عليهم السّلام «نور الأخيار...» يكون كبرهان على ما ادّعى أنفا من عجزه إحصاء ثنائهم و بلوغه كنه مدحهم و وصف قدرهم. توضيح ذلك: كأنه يقول إنني عاجز عن كذا و كذا في حقكم؛ لأنكم نور الأخيار و... و لو لم تكونوا هكذا ما كنت عاجزا عن إحصاء ثنائكم و بلوغ مدح حقائقكم و ذواتكم، و لم أعجز عن وصف قدركم.

الثانية: إطلاق النور هنا على آل البيت عليهم السّلام، إنما هو باعتبار وحدتهم الغير مادّيّه، و إطلاق الأنوار عليهم السّلام يكون باعتبار تعدّدهم في هذه النشأه؛ لأنهم في النشآت الغيبية و في عالم الأسماء و الصفات ليسوا إلا حقيقة واحده محمديّه، و لكنهم تعدّدوا هنا بتعدّد قوالبهم القابله لتلك الحقيقه النوريّه، و قد سبق الكلام في المقام في شرح «خلقكم الله أنوارا» أبسط من ذلك.

الثالثة: الفرق بين الأبرار و الأخيار:

المراد من هاتين الطائفتين واحد و ليس كلّ منهما غير الآخر، لأنهم

ص: ٥٦٧

أخيار باعتبار كمال ذاتي لهم، وأبرار باعتبار كمالهم الفعلي (١)، والمقصود منهما هو الشيعة (٢)، وكل من كان محبا لهم في عالم الملك و الملكوت (فيعمّ الملائكة أيضا) من السابقين لهم أو معاصريهم أو من يأتي من بعدهم.

الرابعة: إنّ في كونهم عليهم السّلام نورا للأخيار و هداية للأبرار إشاره إلى مظهريتهم لجمال الله سبحانه، و في كونهم حجج الجّيار إيماء إلى مظهريتهم لجلاله تعالى؛ لأنّ النوريه و الهدايه يجذبان الأحباب، و الحجّيه تدفع الأعداء خصوصا مع إضافه الحجج إلى اسم الجّبار السامي.

الخامسه: أنّا و إن ذكرنا حجّيه آل البيت عليهم السّلام و ما يتعلّق بها في ما سبق، و لكن هنا نقول: ذكر الزائر إياها هنا من باب الثناء عليهم، و الثناء - كما قلنا - هو أن يذكر المثنى كمالا فعليا ممّن يشئ عليه، فحجّيتهم عليهم السّلام الملازمه لدفع الأعداء بأي معنى كان من إظهار المعجزه أو الدعاء عليهم أو إقامة البرهان، و نحو ذلك.

ص: ٥٦٨

١- . كما قال تعالى: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّنَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمُونَ بَعَثْتَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقره: ١٧٧). [١]

٢- ٢). خصوصا إذا نظرنا إلى أخبار الطينه المعبره.

«بكم فتح الله و بكم يختم، و بكم ينزل الغيث، و بكم يمسك

السَّماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، و بكم ينفس الهَمَّ

و يكشف الضَّرَّ»

و فيه عشر نكات:

الأولى: يمكن أخذ كل جملة في هذا الفصل من آية معينه، إنا من مضمونها كما في: «بكم فتح الله و بكم يختم» من قوله تعالى: ما يفتح الله للناس من رحمته فلا ممسك لها و ما يمسكك فلا مرسل له من بعده (١)، «و بكم ينزل الغيث»: و هو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا و ينشرو رحمته (٢)، و يكشف الضَّرَّ: فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر و آتيناه أهله و مثلهم معهم رحمته من عندنا (٣). و يحتمل أخذ الجملة «و ينفس الهَمَّ» من مضمون إحدى الآيتين التاليتين: قال بل سؤلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل و الله

ص: ٥٦٩

١- فاطر: ٢. [١] يستنتج من جمع فقره إلى الآية أن مراد الإمام عليه السلام من المفتوح و المختوم بهم هو من شؤون رحمه، و هكذا كشفه الضَّرَّ و تنزله الغيث.

٢- ٢. الشورى: ٢٨. [٢]

٣- ٣. الأنبياء: ٨٤. [٣]

الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١)، قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢)، وَأَنْتَ خَيْرٌ بِتَنْفِيسِ اللَّهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَمَّهُ عَلَى أَىِّ تَقْدِيرٍ.

الثانية: يقرّ الزائر بسببته آل البيت عليهم السلام و فاعليته سبحانه و تسبيبه تعالى إياهم لأمر سته:

(١) الفتح (٢) الختم فى كلّ أمر (٣) نزول الغيث.

(٤) إمساك السماء (٥) تنفيس الهم (٦) كشف الضّر.

فيظهر من ذلك عدم منافاه تأثيرهم عليهم السّلام مع التوحيد الخالص، لأنّ تأثيرهم عليهم السّلام تأثير سببى (و ماهوى) مجعول بجعله تعالى، و تأثيره تعالى تأثير علىّ وجودى.

الثالثة: أنّ الموارد المذكوره فى هذه الفقره هى موارد اصوليه؛ لأنّ كلاً من الفتح و الختم يعمّ الآفاق و الأنفس و التنزيل و الإمساك خاص بالآفاق، كما أنّ التنفيس و الكشف يخصّان بالأنفس.

الرابعة: أنّ لكلّ من الفتح و الختم معنيين:

ألف) الختم بمعنى السدّ، و الفتح ما يقابله.

ب) الفتح بمعنى الشروع و الابتداء، و الختم ما يقابله.

ص: ٥٧٠

١- يوسف: ١٨. [١]

٢- ٢. يوسف: ٨٦. [٢]

فعلى هذين المعنيين (السدّ و مقابله) يكون معنى الجملة ظاهرا لا- يحتاج إلى توضيح. فكلّ ما يفتح الله من الأمور المادّيّه ظاهرا، كفتح الأنهار و سدّ الطرق، و من الأمور المعنويّه كالختم على قلوب المنافقين (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ (١)) يكون بسببته آل البيت عليهم السّلام.

و إن فسّرنا الفتح بالابتداء و الشروع، و الختم بمقابله، كان معنى الجملة أنّ الله يبتدئ كلّ أمر بسببكم و يختمه بسببكم.

الخامسه: لم يذكر هنا عين المفتوح و المختوم ما هما، بل المذكور هو أنّهما من شؤون الرحمة (٢) (كما أشرنا)، و لكن نقول: الغرض من حذف المفعولين هو التعميم، أى ليذهب ذهن السامع و القارئ و القائل إلى كلّ مفتوح و مختوم فى أى نشأه كان، سواء أكان الأمر تشريعيّا أو تكويّتا.

السادسه: فى تفسير آخر على الفتح و الختم يمكن أن يكون المراد من الفتح أن يوجد الله الماهيّات الممكنه بوجود آنى انقطاعى غير مستمر، و من الختم عدم كلّ موجود أنا فأنا، قبل كلّ وجود جديد له. فعلى هذا تكون و ساطه آل البيت عليهم السّلام فى الفتح و الختم أكد و أبلغ ممّا فسّرناه سابقا (٣).

ص: ٥٧١

١- البقره: ٧. [١]

٢- ٢). و منها ختم قلوب الكافرين؛ إمّا هو رحمه للمؤمنين و إمّا لكونهم غير قابلين للرحمه، و إمّا الختم لقلوبهم هو رحمه رحمانيّه لهم فى الدنيا؛ لأنّ الرحمه تقتضى إعطاء كلّ ذات ما هى قابله له.

٣- ٣). يوجد هنا سؤالان:

السابعة: (و بكم ينزل الغيث) أنّ للماء النازل من السماء أسماء، فكل اسم يكون باعتبار خاص، كالوايل يطلق عليه باعتبار توالى نزوله و عدم الفصل و الانقطاع بين سقوط القطرات متسارعه، و لكن يطلق عليه الغيث باعتبار استغاثه الناس لكي ينزل، فاستعمال الإمام هنا غيثا دون الوايل أو المطر إشاره إلى سببه آل البيت عليهم السلام في مثل هذا الأمر الهام، فضلا عن أن يكون أمرا خفيفا.

الثامنة: (و بكم يمسك السماء...) أنّ السماء جسم مادّي، و هو ثقيل لما يجذب بالقوه الجاذبه للأرض، و السماء تقتضى السقوط على الأرض، لكنّه سبحانه أمسكها بقدرته القاهره و منعها من السقوط (1)، و لهذا المنع سببان: سبب طبيعي كما بيّنته العلوم الحديثه، و سبب غير طبيعي و هو ولايه الكملين من الأولياء و هم آل البيت عليهم السلام (2)، و يؤيده ما ورد عن الإمام

ص: ٥٧٢

١- ١). لا حاجه لنا أن نتعرض إلى توضيح أكثر من هذا، لعدم أهليتنا لذلك.

٢- ٢). أمّا تقييد سقوط السماء بإذن الله فأشأ [١] إره إلى انقطاع هذا الوضع في القيامة، فإذا وقعت الواقعة لا تختلّ

الصادق عليه السّلام عن السّجاد عليه السّلام: «و نحن العّدين بنا يمسك الله السّماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، و بنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، و بنا ينزل الغيث و بنا ينشر الرّحمه و يخرج بركات الأرض» (١).

التاسعه: (و بكم ينفس...) يقزّ الزائر بأنّ لآل البيت عليهم السّلام سببته في تنفيس الهموم و كشف الأضرار، و ظاهر العبارة يفيد أنّ جميع الهموم التي ينفسها الله و جميع الأضرار التي يكشفها سبحانه من المؤمن و غير المؤمن، إنّما هو بسببته آل البيت عليهم السّلام، لأنّ لهم مظهرية للرحمة الرحمانية الواسعه كلّ شيء، كما تقدّمت الإشارة إليه في قصه المتوكّل اللعين مع الإمام الهادي عليه السّلام (٢).

العاشره: أنّ سببته آل البيت عليهم السّلام في هذه الموارد الستّه، بل في جميع الموارد، كان كاملا نفسانيا لهم عليهم السّلام؛ لعدم تعلّقها بأبدانهم الشريفه؛ لأنّها ناشئه من شأن الولاية الكليّيه المطلقه لهم.

ص: ٥٧٣

١- ١). أمالى الصدوق / ١٥٧ ح ١٥- المجلس الرابع و الثلاثون.

٢- ٢). في الفصل الثامن، و هي مشهوره.

«و عندكم ما نزلت به رسله، و هبطت به ملائكته، و إلى

جدكم (١) بعث الروح الأمين، آتاكم الله ما لم يؤت أحدا من

العالمين»

و فيه إحدى عشره نكته:

الأولى: هنا إشاره إلى جامعته علميه و كمال نفساني لآل البيت، و مظهره لهم عن جامعته رسول الله كما قال صلى الله عليه و اله: «أوتيت جوامع الكلم» (٢).

توضيح ذلك: كأنّ الزائر يقرب بأنّ قلوبهم عليهم السلام مجمع لكلّ ما أوحى الله تعالى إلى رسله بتوسيط الملك، و لكلّ ما ألهمه الله لهم عليهم السلام. و ظاهر أنّ هذا لشأن رفيع لهم، و ثناء جميل من الزائر في حقهم.

الثانية: (و عندكم ما نزلت به رسله) أنّ المراد هنا من الرسل هو المرسلون الذين فاقوا غير المرسلين، فإذا كان عندهم ما نزلت به رسل الله لزم أن يكون عندهم ما كان عند غير المرسلين؛ لأنّ الأنقص في ضمن الأكمل (و لا- أكثر)، مضافا إلى أنّ حرف الباء (به) هنا سببه أو للمصاحبه.

ص: ٥٧٤

١- و إذا كانت الزياره لأمر المؤمنين عليه السلام فقل: «و إلى أخيك بعث الروح الأمين».

٢- ٢). عوالي اللآلى ٤: ١٢٠/٤ ح ١٩٤. [١]

الثالثة: أنّ لما نزل به رسل الله مصداقين: أحدهما الكتب و فيها الشرائع، و ثانيهما الإلهامات القلبيّة و العلوم السريّة بينهم و بين الله.

و يمكن كون المراد ممّا نزل هو الإلهامات القلبيّة فقط، بقريته التقابل بينه و بين ما هبطت به الملائكة، و يشهد على كون الملهمات عند آل البيت عليهم السّلام ما ورد عن الإمام عليّ عليه السّلام أنّه قال: «كنت مع الأنبياء سرّاً...» (١)، فيستلزم كونه معهم سرّاً أن يكون عالماً بما في قلوبهم الشريفه و خبيراً بما في نفوسهم الطاهره. و أمّا كون آل البيت عليهم السّلام عالمين بما هبطت به ملائكة الله فهو ظاهر؛ لأنّ النبيّ الخاتم الذي استخلفهم كان صاحب مقام الختميّة، أعنى من ختمت به جميع الكمالات العلميّة و العمليّة، و من الكمالات العلميّة إحاطته صلّى الله عليه و اله بالشرائع السابقه، و هم عليهم السّلام كانوا له كنفسه الشريفه و كعقله القادس الكلّي، فيكون ما عنده (ما أوحى بسبب الملائكة على الرسل) عندهم، و يتأيد ذلك بما روى عن الإمام عليّ عليه السّلام حيث قال:

«لو كسرت لى الوساده و جلست عليها لحكمت بين أهل التّوراه بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزّبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم» (٢).

الرابعه: يستفاد من كون «ما نزلت به رسل الله» و «هبطت به ملائكة الله

ص: ٥٧٥

١- اسرار الحكم، ص ٣٩٨

٢- ٢. نوادر المعجزات: ٤٨٠، و [١] شرح الأجناب: ٣١١، بتقديم و تأخير. يحتمل صدور هذا الكلام الشريف منه عليه السّلام في زمان كان منزويًا مقهورًا.

عندهم» عدم عروض النسيان أو الغفلة على آل البيت عليهم السّلام، وأنّ علمهم بجميع ذلك علم حضوريّ شهودي؛ لأنّه لو عرض النسيان أو الغفلة لا تصدق هذه الفقره على إمام معصوم، ويؤيده قوله سبحانه مخاطبا النبيّ:

سُنِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى (١)، فما كان للنبيّ من عدم النسيان يكون لهم، ويتأيد ذلك أيضا بقوله تعالى: وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (٢)، إذ لو كانت علوم آل البيت عليهم السّلام في معرض الغفلة أو النسيان فإنّه لا تصدق في حقهم عباره أذن واعيه، ومحال بأن يصفهم الله بوصف ليس فيهم (٣).

الخامسه: من الأثنيه التي أثنى بها الزائر على آل البيت عليهم السّلام هو هبوط الملائكه على جدّهم رسول الله صلّى الله عليه و اله (٤)، و معلوم أنّ الهبوط و الصعود وصفان للأجسام الماديّه، و هنا اسند الهبوط إلى الملائكه من حيث إنهم

ص: ٥٧٦

١- الأعلى: ٦. [١]

٢- ٢. الحاقه: ١٢. [٢]

٣- ٣. قال رسول الله صلّى الله عليه و اله في قول الله عزّ و جلّ «و تعيها اذن واعيه»: «دعوت الله عزّ و جلّ أن يجعلها اذنك يا عليّ». (نور الثقلين ٥: ٤٠٢) [٣] أقول: و يستفاد من كون القرآن كتابا خالدا و يواجهه خطر الزوال و الدثور في جميع الأزمان و العصور، ضروره هذه الأذن الواعيه إلى آخر الدهر، و هو اعتقاد الشيعة الإماميه من أنّه لا بدّ في كلّ زمان من إمام معصوم حتّى تحفظ به الآيات و الشرائع، و تحفظ به أيضا الصلّه بين الغيب و الشهود، فيكون كلّ إمام بعد الإمام عليّ عليه السّلام مصداقا عينيّا للأذن الواعيه.

٤- ٤. و إذا كان الزائر يزور أمير المؤمنين عليه السّلام يخاطبه هكذا: «و إلى أخيك»، و أنت خبير بعدم استقامه معنى عباره إن كان المراد بالأخ هو معناه المتعارف، فيكون معناه المثل و النظير، فينتج أنّهما عليهما السّلام نظيران في الكمالات و الشؤون، أو أنّهما أخوان من النشأه النوريّه كما يدلّ على ذلك كثير من الأخبار.

أجسام لطيفه نوريه-على قول المتكلمين-كما تؤيده ظواهر الآيات و الأخبار، إذا لا- إشكال في هبوطهم عليهم(و كذا في صعودهم).و أمّا على قول الحكماء القائلين بتجرّد الملك من الجسميه،فيكون معنى الهبوط هو التجلّي و الظهور من عالم الغيب إلى عالم الشهود،لا التجافى و التخلّي اللذان يخصّان بالأجسام.

السادسه:بين النزول و الهبوط تقارب في المعنى،و يتفاوتان في استعمال النزول بقصد التكريم،و الهبوط ليس كذلك.فلهذا عبّر في الرسل بالنزول و في الملائكه بالهبوط،لأنّ الرسل أشراف بالنسبه إلى الملائكه على الفريقين جميعا(عليهم سلام الله و التحية)،فيكون معنى الجملة:

و عندكم ما استنزلته الرسل.

السابعه:يتصوّر كون الشرائع الماضيه عند آل البيت عليهم السلام على فرضين:

ألف)أنّهم عليهم السلام كانوا عالمين بها مع الواسطه،و الواسطه هي القرآن، فعلمهم بالقرآن يستلزم علمهم بها،لأنّ ما في القرآن أكمل و أوسع ممّا سبق عليه،مضافا إلى أنّ الشرائع السابقه منسوخه بالشرائع القرآنيه،فالعلم بالناسخ من حيث كونه ناسخا يستلزم العلم بالمنسوخ.

ب)أنّهم عالمون بها بلا واسطه،كما يفيدّه ظاهر فقره الشريفه.

الثامنه:يثنى الزائر على آل البيت عليهم السلام ببعث الروح الأمين إلى جدّهم،

و لكنّه يترك التعبير بالبعث فى الرسل؛ لعدم انقطاع الرسل و مجىء كل واحد منهم بعد الآخر، كما قال تعالى: ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرًا ١، و وقوع الفتره و الفصل فى زمان يقرب من ستّه قرون بعد المسيح عليه السّلام، حتّى بعث الخاتم، فكانّ الأمم التوحيديه كانت راقده، و الشرائع كانت خامده، و لكنّ الرقود و الخمود تبدّل إلى الحركه و الظهور، فهذا هو معنى البعث، كما قال تعالى: قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ٢.

التاسعه: الزائر يشى هنا على آل البيت عليهم السّلام بثناء جميل جليل، و هو أن بعث الله الروح الأمين إلى جدّهم رسول الله صلّى الله عليه و اله، و سرّ كونه جميلا- جليلا- هو أنّ الروح الأمين (جبرائيل) هو أشرف الملائكه (لكونه موكّلا على العلم) كما يصفه تعالى بقوله الرضى: ذى قُوّه عِنْدَ ذى الْعَرْشِ مَكِينٍ ٣، و بأنّه شديد القوى (على احتمال) بقوله: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ٤، فالحاصل أنّ أشرف الملائكه مبعوث بأكمل الشرائع إلى أفضل الأنبياء، لتأسيس أجلّ الأبنيه التوحيديه بعد خمول طويل، فيتبين إذا سرّ التعبير بالبعث فى حقّ الروح الأمين، أى لوحظ فى التعبير بالبعث عدم

مجيئه إلى الأرض بعد المسيح عليه السلام.

العاشره: قد ذكرنا فيما مضى أنّ المخاطبين في هذه الزيارة المباركه هم الأئمه الاثنا عشر فقط، دون رسول الله و دون الصديقه الطاهره، لأنهما (عليهما و آلهما السلام) إن كانا من المخاطبين لم يستقم معنى هذه الفقره «و إلى جدكم...»، مضافا إلى أنّ واحدا من أغراض هذه الزيارة هو إحياء الإمامه التي وقع الاختلاف فيها بين الأئمه.

الحاديه عشره: (آتاكم الله ما لم يؤت أحدا من العالمين) من الأئنيه التي أثنى الزائر بما هو أنّ الله سبحانه آتى آل البيت عليهم السلام ما لم يؤت أحدا من العالمين، فهذه مأخوذه من قوله سبحانه مخاطبا بنى إسرائيل: إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَ آتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (١)، فهو تعالى آتى بنى إسرائيل ما لم يؤت أحدا من معاصريهم من العالمين، و لكن آتى آل البيت عليهم السلام ما لم يؤت أحدا من السابقين و لن يؤتى أحدا من المعاصرين و لا- اللاحقين، و المراد من ما آتى هو جميع الكمالات و الشؤون الفائقين، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام أعطى حرفين و كان يعمل بهما، و أعطى موسى بن عمران عليه السلام أربعة أحرف، و أعطى إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف، و أعطى نوح عليه السلام خمسة عشر حرفا، و أعطى آدم عليه السلام خمسة و عشرين

ص: ٥٧٩

حرفا، وإنه جمع الله ذلك لمحمد صَلَّى اللهُ عليه و آله و أهل بيته، وإن اسم الله الأعظم ثلاثة و سبعون حرفا، أعطى الله محمدا اثنين و سبعين حرفا و حجب عنه حرفا واحدا» (١).

١٣٢

«طأ طأ كل شريف لشرفكم، و بخع كل متكبر لطاعتكم،

و خضع كل جبار لفضلكم، و ذل كل شيء لكم»

و فيه خمس نكات:

الأولى: أن هذه الجملات الشريفة تكون كتفسير لما قبلها، أى ما آتاكم الله الذى لم يؤت أحدا هو هذه الحقائق. مضافا إلى أن ما تحتويه هذه الجمل، ذكر بعض الكمالات الخارجيه الغير فعلية لهم عليهم السلام، و هكذا المضامين السابقه.

الثانية: طأ طأ كدحرج، رباعى مجرد، بمعنى التواضع، قال النبى صَلَّى اللهُ عليه و آله:

«لو لا ثلاثه فى ابن آدم ما طأ رأسه شيء: المرض و الموت و الفقر...» (٢).

ص: ٥٨٠

١- بحار الأنوار ٢٧: ٢٥/٢، باب أن عندهم الاسم الأعظم- [١] عن بصائر الدرجات ٢٢٨/٢ ح ٢-الباب ١٢ من الجزء الرابع.

٢- ٢. بحار الأنوار ٦: ١١٨/٥ ح ١-باب ١-حكمه الموت و حقيقته، [٢] رواه الصدوق فى الخصال ١١٣/٨٩-باب الثلاثة.

و الشريف يطلق أولًا على كل من كان في مكان عال بالنسبه إلى من هو في مكان سافل، و لكنّه اطلق ثانيًا؛ على كل ذي كمال من المال و العجاة و غيرهما.

الثالثه: تقتضى القاعده العامه، أن يتواضع كل ناقص عند من هو أكمل منه، فعلى هذا كل شريف يطأطأ لآل البيت عليهم السلام؛ لأنه يرى نفسه أنقص منهم في الشرف، بل حيث ينظر إلى أن شرفه في النقص لا يقاس مع شرفهم في الكمال، فيكون أشد تواضعا و خضوعا.

الرابعه: (بخع كل... لفضلكم) بخع بخوعا بمعنى أقرّ و أذعن، فيكون معنى الجملة أن كل متكبر أقرّ و أذعن بلزوم طاعته لكم، و هذا الإقرار إقرار تكويني منهم (1)، لأنّ لآل البيت و ساطه تكوينيه في شمول الفيوضات على كل ما سوى الله، فالمتكبرون هم المستفيضون بآل البيت، فيلزم لهم الإقرار بطاعه الوسائط كإقرارهم تكوينا بطاعه الله، و يمكن أن يكون إقرارهم من جهه و لايه آل البيت عليهم السلام و تمكّنهم على الأشياء، لأنّهم أتقى الناس و أطوعهم لله، فكل من كان أطوع و أتقى كانت ولايته على الأشياء

ص: ٥٨١

١- .فهذا القيد التكويني لا يرد إشكال تمرّد المتمردين المعاصرين لهم، و طغيانهم و جرأتهم على قتل آل البيت عليهم السلام و أقصائهم و سبيهم و حبسهم و غير ذلك، و هذا الدفع يجرى في خضوع الجابره لفضل آل البيت عليهم السلام، مضافا إلى أنّهم حيث لم يجدوا نقصانا و لا ضعفا و لا خطأ في شؤون شتى لآل البيت، أصبحوا خاضعين لهم في أنفسهم الخبيثه و إن قتلوهم و ظلموهم، كما أقرّ بذلك ابن الخطّاب كثيرا في فضل الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام و كذا المأمون في حقّ عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام غيابا، و قد اتفق ذلك حضورا أيضا.

أشدّ و أقوى، كما قال الإمام الهادي عليه السّلام: (من اتقى الله يتقى، و من أطاع الله يطاع) (1) فتكون ولايه آل البيت عليهم السّلام على الأشياء (و منها على المتكبرين) أقوى مراتب الولايه، و يمكن الإقرار اختياريًا في زمان الرجعه أو في القيامه، فلهذا عبّر الإمام عليه السّلام عن إقرارهم بفعل الماضي (بخع) لدلالته على الحتميّة في مقام الحكايه.

الخامسه: (و ذلّ كلّ شيء لكم) يطلق اسم الشيء على كلّ ما له وجود حقيقه، و على كلّ ما ليس كذلك (كالموهومات) مسامحه فكلّ ما كان وجوده أقوى فالشيئيه فيه أجلى، و لهذا يطلق على الواجب أيضا، قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (2) و المقصود من ذلّه كلّ شيء هنا هي ذلّه الممكنات، فلا يعمّ الممتنع الذاتيّ و لا الواجب الذاتيّ. و الحاصل أنّ بالعلم بما صدر منهم عن المعجزات و الكرامات يتبيّن ذلّه كلّ شيء من الجماد و النبات و الحيوان حتّى القلوب لهم، (3) و (الذلّه) إمّا من جهه أنّ لهم ولايه مطلقه كليّه تكويته على الأشياء، فهم مقتدرون على أن يتصرّفوا فيها متى شاءوا و كيف شاءوا و من حيث شاءوا بإذن الله، و إمّا لكونهم مظاهر أسماء الله الحسنی و صفاته العليا (4) من غير أعمال قدره أو اختيار

ص: ٥٨٢

١- تحف العقول ٤٨٢ في قصار الحكم.

٢-٢. الشورى: ١١. [١]

٣-٣. كما تصرّف الإمام الشهيد الحسين المفدى عليه السّلام بقلب زهير بن القين البجليّ.

٤-٤. قال الإمام [٢]م علىّ عليه السّلام في دعاء كميل: «و بقوتك التي قهرت بها كلّ شيء، و خضع لها كلّ شيء، و ذلّ

«و أشرقت الأرض بنوركم، و فاز الفائزون بولايتكم، بكم

يسلك إلى الرضوان، و على من جحد ولايتكم غضب الرحمن»

و فيه تسع نكات:

الأولى: يذكر الزائر هنا في ثنائه على آل البيت عليهم السّلام بعضا آخر ممّا آتاهم الله ما لم يؤته أحدا من العالمين؛ لأنها تعدّ من الكمالات الخارجيّة المنحصرة فيهم عليهم السّلام حيث لا يشاركون فيها غيرهم.

الثانية: أنّ جملة «و أشرقت الأرض بنوركم»، مأخوذة من قوله تعالى:

وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ۝١؛ و الجمع بينها و بين قوله سبحانه هذا على وجهين: إمّا بإبقاء الآية على معناها و ظهور ذلك النور القاهر في آل البيت عليهم السّلام، فيكون نورهم نوره من باب ظهور الظاهر في المظهر، فيكون إشراق الأرض بنورهم عين إشراقها بنوره، فيكونوا هم مظاهره في الربوبيّة و لم يكونوا أربابا، و ربوبيّته تعالى و ولايته على الأشياء تكويننا ٢

و تشريعاً (١) تجريان فيهم و تظهران منهم، و يؤيدده قول الحكماء بالعقول (و إن لم تثبت صحه هذا القول)، و إمّا بتأويل الآيه و القول بالسعه في مفهوم الرب، فيؤول إمّا بتأويل الآيه و القول بالسعه في مفهوم الرب، فيؤول الرب إذا بالإمام، كما يشهد عليه الحديث الآتي: «عن المفضل بن عمر أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله: وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا: رَبُّ الْأَرْضِ، يعني إمام الأرض» (٢)، إذا يستقيم معنى جملة الإمام عليه السلام «و أشرق الأرض بنوركم»، و يرتفع التعارض بينها و بين الآيه بكلا الوجهين.

الثالثه: استعمال الإشراق هنا بصيغه الماضى -كنظائره- يدل على حتميه الأمر و إن أبقينا معنى الآيه على إطلاقها، فيكون الإشراق فى القيامة، و هذا (الإبقاء على إطلاقها) يؤيد معناها التأويلي، فيكون شروق الأرض زمان الرجعه.

الرابعه: يتصوّر المراد من الشروق أمران:

أحدهما: ما وقع، و هو وجود الأرض بعد عدمها (٣)، و هذا بإفاضه الله من طريق وساطه آل البيت عليهم السلام (كما حققناه فى نظائره مراراً) تكويناً.

ثانيهما: ما سيقع (عجل الله تعالى فيه) بإمامتهم و ولايتهم التشريعيه المجعلتين من الله فى زمان الرجعه، و لكن الآيه و جملة الإمام عليه السلام

ص: ٥٨٤

١- . «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...».

٢-٢. نور الثقلين ٤: ٥٠٣/١٢١- [١] عن تفسير القمى. [٢]

٣-٣. إذ الوجود و النور متساوقان على قول الحكماء.

الخامسة: سرّ التعبير بالإشراق دون النور:

الفرق بين الإشراق و النور هو أنّ إطلاق النور في ما إذا وصل النور من خارج الشيء، و أمّا إذا كان النور في باطن الشيء و ظهر برفع الحجب المانعه فيعتبر عنه بالإشراق (١). و الحاصل إذا قلنا بأنّ المراد من الأرض هنا أهل الأرض فهم خلقوا مفتورين بالعدل و الإنصاف و مجبولين بالكمالات و النفه من الظلم و النقص. فإذا قام المهديّ عليه السّلام و حان بقيامه زمان الرجعه ترتفع حجب الطواغيت و يظهر من باطن أهل الأرض كلّ كمال و فضيله، و هذا هو المقصود من إشراق الأرض، و أمّا نور آل البيت عليهم السّلام فواصل من الخارج الذي بسببه يظهر شروق الأرض، فهو نور الإمامه و الولاية (إذ الجنس إلى الجنس يميل).

السادسه: (و فاز الفائزون بولايتكم)، قد سبق في ما مضى معنى كلّ من الولاية و الفوز (٢)، و هنا نقول: إنّ ولاية آل البيت عليهم السّلام هي سبب لحصول الفوز، و هذا يعدّ من الكمالات الخارجيه لهم عليهم السّلام كسابقته (إشراق الأرض).

توضيح الكلام: أنّ المؤمن الذي له ولاية آل البيت الكامله، لا يمكن أن

ص: ٥٨٥

١- فلهذا سمّي الإشراقيون من الحكماء بهذا الاسم قبال المشائين.

٢- (٢). في الفصلين: ١٠ و ٦١.

يتولّاهم دون التبرّي من أعدائهم، ولا أن يحبّ في قلبه حبّاً شديداً ولا يتبعهم في أعماله، ولا يمكن أن يترك التسمّي بأسماء أهل البيت، أو أن يترك ذكرهم، وهذا هو سبب تامّ لفوزه فضلاً عن فلاحه.

السابعة: (بكم يسلك إلى الرضوان) ذكر السلوك إلى الرضوان بسبب آل البيت عليهم السّلام تفسير للفوز المذكور آنفاً، لأننا قلنا سابقاً بأنّ المراد من الفوز هو النيل إلى المحبوب (دون الفلاح الذي هو الخلاص من المكروه)، فرضوان الله أعظم محبوبات المؤمن كما قال تعالى: وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ (١)، فيتبيّن إذا من أعظميّة الرضوان عظمه سبب حصوله و جلاله السلوك إليه، فقد ظهر أنّ هذا الثناء من الزائر من أعظم الأثنيه لآل البيت، وهو كمال خارجيّ لهم.

الثامنة: تقديم الظرف يفيد الحصر، والظرف ظرفان:

(١) بكم (٢) على من.

فيكون المعنى أنّ بسببكم فقط يسلك إلى الرضوان، ولا سبب إليه غيركم، وليس على من جحد ولا يتكم إلاّ غضب الرحمن، مضافاً إلى رعايه السجع في آخر كلّ من الجملتين (الرضوان، والرحمن)، وهذا موجب لجمال اللفظ مع كمال المعنى، فيصير الجاحد من مصاديق قوله

ص: ٥٨٦

١ - التوبة: ٧٢. [١]

تعالى: الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ (١)، (و اليهود مصداق آخر منه).

التاسعة: (و على من جحد...) أنّ لاستعمال لفظه الرحمن الساميه عناية خاصه، و هي أنّ الرحمه الرحمانيه عامه بالنسبه إلى المؤمن والكافر، و بالنسبه إلى عموم ما سوى الله، و لهذا شواهد كثيره من النقل، فهي مع سعتها العامه الشامله لا تشمل الجاحدين بولايه آل البيت عليهم السلام، و هذا يدلّ على شدّه قبّحهم و شنأتهم و خبث سرائرهم.

١٣٤

«بأبي أنتم و أمي و نفسي و أهلي و مالي، ذكركم في

الذّاكرين، و أسماءكم في الأسماء، و أجسادكم في الأجساد،

و أرواحكم في الأرواح، و أنفسكم في النفوس، و آثاركم في

الآثار، و قبوركم في القبور»

و فيه ثمانى نكات:

الأولى: هذه تفدييه ثالثه من الزائر في حقهم عليهم السلام، و قد قدّمنا شرحا للتفدييه في كلّ من المرّتين الأوليين، و ما يقال هنا هو أنّ التفدييه من أيّ مفدّ وقعت لأيّ مفدّي بأيّ مفدّي به كاشفه عن أمرين:

ألف) تجلّي المفدّي عند المفدّي بشدّه الحسن و الكمال و قوّه البهاء

ص: ٥٨٧

ب) شدّه لهب قلب المفدى و اشتياقه و احتراقه لفراق مفداه، فلو لا هذا الظهور و التجلى من المفدى و هذا الالتهاب و الشوق من المفدى لم تقع التفديه أصلاً، و لهذا لا يقنع الزائر المشتاق بتفديه واحده، بل كلما ذكر شيئاً من كمالات آل البيت عليهم السلام و عددها على عشقه و اشتياقه، و كرّر التفديه بأشدّ ممّا سبق.

الثانيه: قد عدّ الزائر كمالات لآل البيت عليهم السلام و ذكر لهم شؤنا عاليه خارجه عن تصوّر خواصّ الناس فضلاً عن المتوسّطين و العوامّ، و هذا يوجب الغلوّ فى حقّهم عليهم السلام و بلوغهم من البشريه إلى حدّ الألوهيه، فلهذا علّمه الإمام الهادى عليه السلام بأن يسدّ باب الغلوّ، و لتستقيم معرفته بهم، بالقول التالى، الذى لولاه لم تتوجّه القلوب إلى كونهم بشراً مخلوقين، بل كانوا كآله باطله و كأرباب متفرّقين من دون الله، الذين وصفوا بعدم الخيريّه، قال تعالى: أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١)، و أمر الناس بترك اتّخاذهم أرباباً، قال تعالى: وَ لَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ (٢)، فالحاصل أنّ الزائر يريد بإقراراته الآتية أن ينزل آل البيت عليهم السلام فى المراتب التى ربّهم الله فيها حتى لا يغلوّ فيهم و لا يشرك فيهم.

ص: ٥٨٨

١- يوسف: ٣٩. [١]

٢- ٢. آل عمران: ٦٤. [٢]

الثالثة: يمكن أن تفسر الجملة (ذكركم في الذاكرين) على معنيين:

ألف) أنّ الذاكرين من المؤمنين يذكرونكم بالتسليه و التحية عليكم، فكلّ من الذّكر اللسانى أو النظر إليهم يلازم الذكر القلبي، و لا- شكّ في أنّ ذكر الله عباده، فإذا كان ذكرهم ذكراً لله كان ذكرهم عليهم السّلام أيضاً عباده، و إذا أمر الناس بإكثار ذكر الله، فإنّ الناس مأمورون بإكثار ذكرهم أيضاً بالملازمه، قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (١).

عن جابر قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه و اله لعليّ: عد عمران بن حصين فإنّه مريض. فأتاه و عنده معاذ و أبو هريره، فأقبل عمران يحدّ النظر إلى عليّ، فقال له معاذ: لم تحدّ النظر إليه؟ فقال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و اله يقول: «النظر إلى عليّ عباده»، فقال معاذ و أنا سمعته من رسول الله صلّى الله عليه و اله، و قال أبو هريره: و أنا سمعته من رسول الله صلّى الله عليه و اله» (٢).

ب) أنّ الألفاظ المرويّه عنكم بعنوان ذكر الله هي في الذاكرين، بمعنى أنّ الذاكرين يردّدون الألفاظ كالأذكار بالسنتهم و يتصوّرون معانيها في قلوبهم و يتقرّبون بها إلى ربّهم، فلو لا- تلك الأذكار المرويّه عنكم لم يكن للذاكرين طريق إلى محفل القرب، فعلى هذا الاحتمال يكون معنى الجملة أنّ ذكركم (إفراد الذكر لإرادته الجنس) في ذكر الذاكرين.

ص: ٥٨٩

١- الأحزاب: ٤١. [١]

٢- ٢. ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، لمحّبّ الدين الطبرى ص ٩٥. [٢]

الرابعة:مراد الزائر من كون أسماء آل البيت عليهم السّلام فى الأسماء، إمّا ألفاظ الأسماء أو حقائقها، فإن كان الأوّل كان معنى الجملة أنّ المؤمنين من الناس يتسمّون بأسمائهم و يسمّون بها، و يذكرون أسماءهم الساميه ملتذّين بها(كما سيذكر خطاب الزائر بهم عليهم السّلام حيث يقول:«فما أحلى أسماءكم»). و إن كان الثانى(حقائق الأسماء و مصاديقها) كان معنى الجملة أنّ كمالاتكم و فضائلكم التى اتّصف بها المؤمنون تعدّ من الكمالات الوجوديّة، و هى تدلّ على المسمّيات (١).

الخامسة:«و أجسادكم فى الأجساد، و أرواحكم فى الأرواح»، يقزّ الزائر مرّه اخرى بحضور آل البيت عليهم السّلام فى عالم الملك بالأجساد و فى عالم الملكوت فى نفس الوقت بالأرواح، فحاصل إقراره هو إحاطتهم بالغيب و الشهود، كما قال تعالى فى حقّ جدّهم الأجد: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ (٢)، (و هذه إشاره إلى حضور النّبى صلّى الله عليه و اله فى هذه النشأه)، و«يوحى إلى»(إشاره إلى اتّصاله صلّى الله عليه و اله بالغيب).

السادسه:قد ذكرنا سابقا أنّ الزائر يريد فى هذه الفقرات أن لا يغلو فى

ص: ٥٩٠

١- .إطلاق الاسم على المعانى و الأوصاف من جهه أنّ الأوصاف و المعانى علامات لموصوفات، قال رسول الله صلّى الله عليه و اله:«لله عزّ و جلّ تسعه و تسعون اسما، من دعا الله بها استجيب له، و من أحصاها دخل الجنّه»(التوحيد، للصدوق ص ١٩٥/ ح ٩- الباب ١) و أنت خير بأن ليس المراد من إحصاء الأسماء هو إحصاء الألفاظ فقط، فيتبين بذلك أنّ الاسم الحقيقى لكلّ مسمّى ليس اللفظ؛ لأنّ اللفظ لا يدلّ على وجود أىّ كمال فيه.

٢-٢). الكهف: ١١٠. [١]

حقّ آل البيت عليهم السّلام، ولازمه أن يقرّ فيهم بالأحكام التي يحكم بها سائر الناس، فمنها أن تكون أنفسهم في النفوس. إذا ليس المراد من الأنفس قبال الأبدان، بل المراد ذواتهم الشريفة جسما و روحا، بقريته جعل الأنفس قبال الأرواح.

السابعة: أنّ اللام الداخلة في الآثار هي لام الجنس، فيلزم كون آثار آل البيت عليهم السّلام فيها أن تكون باقية في آثار كلّ عصر. والحاصل أنّ تاريخهم لا ينقرض، و علومهم و معجزاتهم لا تنقضيان، بل هما باقيتان كبقاء القرآن؛ لأنّ تلك الآثار هي إحدى مصاديق الذكر، فتكون في حفظ الله، قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١).

الثامنة: هذا أيضا دليل آخر على ترك الزائر الغلوّ في حقّهم و اعترافه بكون قبورهم في القبور، و هو خلاف الغلوّ الذي يقتضى عدم اعتقاد الغالى بمماتهم حتّى تكون لهم قبورا.

١٣٥

«فما أحلى أسماءكم، و أكرم أنفسكم، و أعظم شأنكم،

و أجلّ خطركم، و أوفى عهدكم، و أصدق وعدكم»

و فيه ثمانى نكات:

ص: ٥٩١

الأولى: يتعجب الزائر في أثنيته هنا من كمالات سته لهم عليهم السّلام، وهذا العجب يتفرّع على جميع ما ذكر من كمالاتهم و شؤونهم، مؤمنا بها و مشتاقا إلى موصوفها و متمتعا بذكرها.

الثانية: الإيمان بكلّ شيء إمّا أن يكون إيمانا عقليا فقط غير مؤثر في الأحاسيس و العواطف، كالأوراق اليابسه في الأشجار، و إمّا ليس كذلك، فإيمان الزائر بآل البيت عليهم السّلام ينشأ من عقله و يؤثر في إحساسه و عاطفته، فيكون إيمانه كالأوراق الرطبه الخضره في الربيع على الأشجار، قال تعالى:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (١)، و قال أيضا:

وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ (٢)، فلهذا يؤدى الزائر هذه الكلمات بكلّ إحساس و شوق من أعماق قلبه.

الثالثة: «أحلى» تفضيل من الحلاوه و معناها ظاهر، يتعجب الزائر هنا من حلاوه أسماء آل البيت عليهم السّلام فلحلاوه أسمائهم جهات ثلاث:

ألف) خفتها في التلفظ.

ب) اشتمالها على أوصاف كماله.

ج) اشتقاقها من أسماء الله الحسنی.

لا يحسّ غيره هذه الحلاوه لعدم عرفانه بها كعرفان الزائر، و عدم

ص: ٥٩٢

١- الأنفال: ٢. [١]

٢- ٢. المائدة: ٨٣. [٢]

التداذه بالأسماء كما يلتذُّ بها الزائر، فسبب حصول هذه الحلاوه أمران:

الأول؛ ما قلنا من الجهات الثلاث في الأسماء.

و الثاني، سلامه الذائقة الروحيه للزائر و هي عباره عن معرفته بكماليه الأسماء و كمال المسّميات، و عشقه و التداذه بها، و هذا من خواصّ عشق كلّ عاشق لمعشوقه فيرى العاشق جميع ما يتعلّق بمعشوقه حسنا و لو كان سيّئا فضلا عن أن يكون المعشوق حسنا في الحقيقه.

الرابعه: قد يراد من الاسم معناه الخاصّ قبال الكنيه و اللقب، و قد يراد معناه العامّ (مطلق العلامه) الشامل لهما أيضا، و هذا من هذا القبيل، فالحاصل أنّ الزائر يصف كلّ اسم و كنيه و لقب لآل البيت بأشدّ حلاوه.

الخامسه: هذا ثناء آخر لهم عليهم السلام و هو كرامه أنفسهم، قد حقّقنا في ما مضى معنى الكرامه، و نقول هنا ما حاصله أنّ كرامه كلّ شيء عباره عن صفائه و بهائه الذاتيين، قال تعالى: **فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١)**، فيكون كرامه الأنفس هو النور و البهاء و الصفاء و الجلاء في أنفس آل البيت عليهم السلام التي تكون منشأ للكرامه في الأقوال و الأفعال، فالزائر يذكر كرامه أصلية لهم و هي التي تتضمّن جميع الكرامات.

السادسه: يستفاد من وصف الإمام هنا شأنهم بالعظمه و خطرهم بالجلاله أنّ الفرق بين الشأن و الخطر هو في الشأن، فينظر إلى موصوفيتهم

ص: ٥٩٣

بالكمال و فى الخطر إلى نراهم عن النقص، كما نصف الله تعالى بصفاته الثبوتية بالحمد و نزهه عن النقائص بالتسبيح.

السابعة: يشى الزائر على آل البيت عليهم السّلام بكون عهدهم هو الأوفى، و الأوفى أفعلى من الوفى، و الوفاء بالعهد من جلائل الصفات لكل إنسان فضلا عن أهل الإيمان و أئمتهم، قال تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (١)، و أمّا سرّ و صفهم بالأوفى للعهد دون الوفى فهو لما تستوجبانه قوّه إيمانهم و إمامتهم للأمة.

الثامنة: يصفهم الزائر بكونهم أصدق الوعد و يمكن لكل مؤمن الاتّصاف بصدق الوعد بأن يكون صادقا فى ما وعد، و لكن لا يمكن أن يكون الأصدق فى عاداته، فاتّصاف آل البيت عليهم السّلام بكونهم الأصدق ناشى من عصمتهم عليهم السّلام، قال تعالى: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٢). و أنت ترى أنّ الله وصف إسماعيل بصدق الوعد (كمعلول) ثم يصفه بالرسالة و النبوه الملازمين للعصمه، و قد قال تعالى فى حقّ آل البيت عليهم السّلام (على ما جاء فيهم تأويل الآيه):

ص: ٥٩٤

١- الأحزاب: ٢٣، و [١] قد نقلنا فى شرح «و وكدتم ميثاقه» حديثا مشتملا على تأويل الآيه بالإمام على عليه السّلام.

٢- ٢. مريم: ٥٤. [٢]

«كلامكم نور، وأمركم رشد، وصيبتكم التقوى، وفعلكم الخير،
وعادتكم الإحسان، وسجيتكم الكرم، وشأنكم الحقّ والصدق والرّفق،
وقولكم حكم وحتم، ورأيكم علم وحلم وحزم».

وفيه إحدى عشره نكته:

الأولى: يصف الزائر آل البيت عليهم السّلام في هذا الفصل من فصول «باب الأثني» بعدّه صفات اخرى، وهي كون كلامهم نورا (٢)، ثمّ يذكر بعدها من الصفات.

إنّ لنوريّه كلامهم وجوها:

الأول: لا شكّ في كون القرآن نورا وهم عليهم السّلام يفسرونه بكلامهم، ولازم ذلك أن يكون كلامهم مسانخا له، وإلاّ يكون كلامهم نقيض النور، والظلمه لا يكون تفسيرا للنور.

ثانيا: أنّهم عليهم السّلام كانوا كتابا ناطقا لله كما أنّ القرآن هو كتابه الصامت، فيلزم ذلك نوريّه كلامهم للزوم التوافق بين الكتابين.

ثالثا: أنّ صورته كلّ كلام ولفظه تصدر من لسانه وشفته و حلقومه

ص: ٥٩٥

١- التوبه: ١١٩. [١]

٢- ٢). قد سبق توضيح معنى النور وأقسامه في الفصل ٤٧.

و غير ذلك كأسنانه، و لكنّ معناه و نظمه و قصد أدائه يكون صادرا من نفسه، فإذا كانت الأنفس لآل البيت مخلوقه من النور (١) لزم ذلك نورّيّه الكلام الصادر منها.

الثانيه: أنّ النورّيّه (و هي الظهور بالذات و إظهار الغير) جاريه في القرآن، كما تجرى في كلامهم عليهم السّلام، إلّا- أنّ نورّيّه كلامهم تلى نورّيّه القرآن، فلا يكون بين النورين معارضه، كعدم المعارضه بين القمر و الشمس، و لكن بينهما فرق من حيث إنّ القرآن منشأ نورّيّه علومهم و كلامهم كما أنّ نور القمر ينشأ من الشمس و هما حسّيّان، و بالجمله لهذا التقرير مؤيّدات من الأخبار.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السّلام: «فضرب مثل محمّد صلّى الله عليه و اله الشمس و مثل الوصيّ القمر، و هو قوله عزّ و جلّ: جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُورًا» (٢).

الثالثه: (و أمرهم رشد، و وصيتكم التقوى) أنّ كون أمرهم رشدا و وصيتهم «التقوى» يدلّان على نورّيّه كلامهم و علوّ مقاصدهم و عظمه نفوسهم، لأنّ الأمر بالرشد و الوصيّه بالتقوى لا ينبعثان من النفوس الحقيره، و لا تبعثهما المقاصد الدانيه النازله، و الكلام المظلم لا يصدر منه

ص: ٥٩٦

١- كما سبق شرح فقره «خلقكم الله أنوارا» في الفصل ١١٠.

٢- ٢. نور الثقلين ٢: ٢٩٣/ح ١٦، و [١] بحار الأنوار ٢٤: ٣٦٨/ح ٩٤- [٢] عن: الكافي ٨: ٣٨٠/ح ٥٧٤. [٣]

الرابعه: هذا ثناء من أثنيه الزائر (و هو كون أمرهم رشدا) إنما استعمل الإمام الرشد لا الكمال، لأن بينهما فرقا و هو نسبه العام و الخاص المطلقين، فالكمال يطلق على كل ما ليس له نقص، سواء كان محبوبا أو غير محبوب، كالإيمان و الكفر الكاملين. و لكن الرشد هو الكمال في المحبوب، و لا يطلق الرشد على المبعوض الكامل، قال تعالى على لسان لوط عليه السلام: أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (١)، و قال أيضا: وَ مَا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْتَدِمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ (٢). و الحاصل أن ضلاله فرعون و أصحابه كامله، و لكن الله نفى الرشد لعدم محبوبيته، و أما كون أمر آل البيت عليهم السلام رشدا فيفيد عصمتهم عليهم السلام، و مع عدم العصمه لا يقطع بالرشدية في أمرهم، قال تعالى: إِنَّا سَجَعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ (٣)، فحيث ثبت أن أمرهم رشدا لزم كونهم معصومين (٤).

ص: ٥٩٧

١- هود: ٧٨. [١]

٢- ٢. هود: ٩٧، ٩٨. [٢]

٣- ٣. الجن: ٢، ١. [٣]

٤- ٤. إن قال قائل: لا يلزم رشدا آل البيت عليهم السلام العصمه، لأن القرآن يصف غيرهم من المؤمنين بالرشد أيضا، قال تعالى: «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» (الحجرات: ٧) [٤] نجيب عنه: الأمر بالرشد على إطلاقه يدل على كون الأمر رشيدا في العلم و العقل و الاعتقاد و الوصف، و هذا الأمر أجل مصداق للمعصوم. و أما وصف القرآن المؤمنين بالرشد، فرشدهم هذا رشدا تحصيلى ينتهى إلى رشدا ذاتى، و هو إما كون الرسول فيهم و إما تحبيب الله للإيمان إليهم و تزيينه في قلوبهم و تكريهه الكفر و الفسوق و العصيان لهم، و كل منهم و كل واحد من

الخامسة: أن الوصيَّه بالتقوى وصيَّه مؤكَّده فى كلمات آل البيت عليهم السَّلام و خطبهم و مواعظهم بما لا يعدّ و لا يحصى، و ذلك معلوم للمتتبع، بألفاظ عديده و تعابير مختلفه و ذلك أقوى برهان على سعه علومهم بمفاسد العمل بجميع ما يجب التجنّب و التحرّز منه، خصوصا إذا كانت تلك الوصايا موافقه لما فى القرآن من الترغيب و التحضيض على رعايه التقوى.

السادسه: (فعلكم الخير) وصف آل البيت عليهم السَّلام فى هذه الزياره بكثير من كمالاتهم الذاتيه، و هذا يدلّ على الحسن الفاعليّ متى كانوا فاعلين، فالحسن الفاعليّ يكون علّه للحسن الفعليّ، و لا يمكن صدور فعل سيّئ (بما هو سيّئ) عن فاعل حسن (بما له حسن فاعليّ) فهذا معنى كون فعلهم خيرا (و فعلكم الخير).

السابعه: (عادتكم الإحسان) معنى العاده ظاهر، و هى مأخوذه من العود، و إنّ لكون عادتهم الإحسان سببين:

الأوّل: كونهم مظاهر رحمه الله الرحمانيّ. و الثانى: كرامه أنفسهم الشريفه، فكما أنّ الرحمه الرحمانيّ عامّه بالنسبه إلى التقىّ و الطاغىّ، و كما أنّ الكريم من كلّ شىء ينفع المعادى و الحبيب، كذلك آل البيت عليهم السَّلام فى الإحسان إلى العدوّ و الصديق.

ص: ٥٩٨

الثامنة: (سجيتكم الكرم) هذا كعلّه لما قبلها، أى إن لم تكن سجيتهم كرما و لم يكونوا طبيى الطبيعه و طاهرى الجوهر و تبرى الذات لم تكن عادتهم الإحسان، كما أشرنا إليه آنفا.

التاسعه: (شأنكم الحق) الشأن هو الحال و القصّه، و الأمر هو الذى جمعه أمور. الحاصل: إن معنى شأنهم الصدق هو كونهم صادقين فى جميع المجالات، فيكون كلّ واحد من شؤونهم الاعتقاديّه و الأخلاقيّه و القوليه و العمليّه و الوصفيه مطابقا للحقّ الحقيق ملازما له.

العاشره: (و قولكم (1) حكم و حتم) و وصف قول آل البيت عليهم السلام بوصفين:

الحكم و الحتم، و يلزم هنا توضيح الوصفين لقولهم الرضى، أما الحكم فله معنيان:

ألف) الحكم، هو القضاء النهائى فى كلّ معضله مشكله، و هذا المعنى من خواصّ القرآن، قال تعالى فى وصف القرآن: إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ (2)، فقول آل البيت عليهم السلام إن لم يوصف بهذا الوصف لا يكون عدلا للقرآن.

ص: ٥٩٩

١- النسبه بين الكلام و القول المرادف للنطق هى نسبه العامّ و الخاصّ المطلقين، فالكلام عام بالنسبه إلى القول لكونه مستعملا فى ما كان مستمعا أو مخاطبا له أو لم يكن، ككلام الذاكر لله أو المتكلّم لنفسه، و لكنّ القول و النطق مستعملان فى ما إذا كان مستمعا أو مخاطبا فقط. قال النبيّ صلى الله عليه و اله فى وصف أولياء الله: «و تكلموا فكان كلامهم ذكرا، و نطقوا فكان نطقهم حكمه» (أمالى الصدوق / ٢٥٠ ح ٧- [١] المجلس الخمسون).

٢-٢. الطارق: ١٤، ١٣. [٢]

ب)الحكم بمعنى الحكمة،فيكون معنى الجملة:أن قولكم متضمن للحكمة و متوغل فيها،بحيث صار عين الحكمة،(فيكون مبالغه من باب:

زيد عدل)،فإن كان المراد هذا المعنى كان تكليف شيعتهم فى اتباع أقوالهم خطيرا،و التخلف عنه عظيما،لانتهاى التخلف إلى الإخلال فى الحكمة.

و أما الحتم(و هو وصف ثان للقول)فمعناه أنه لازم الاتباع و يجب التسليم له،إمّا لكونه فاصلا بين الحقّ و الباطل،قال تعالى: فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ، (١)و أمّا لكونه حكمه يجب تحصيلها و الظفر بها.

الحادى عشر:وصف رأى آل البيت عليهم السلام هنا بأوصاف ثلاثه:

ألف)كونه علما.ب)حلما.ج)حزما.

فيكون رأى كهذا أكمل رأى،و لا يوجد مثله فى الآراء فى الكمال و الجامعيه.أمّا وصف الرأى بالعلم فمعناه عدم صدور رأى منكم على الظنّ أو الحدس أو التخمين،فضلا عن أن يكون على الوهم و الجهل (معاذ الله)،بل يكون رأيكم دائما على العلم الشهودى بجميع الحقائق الكونيه و الشرعيه.

ص:٦٠٠

و أما وصفه بالحلم، فالحلم هو ثبات النفس و استقرارها عند المكروه، فيكون معناه أنّ رأيكم لا يتلوّن بألوان الشروط المتغيّره، و لا- يتأثر بأثر كلّ زمان أو مكان أو حال، بل هو حقّ ثابت لا يتطرّق إليه الباطل. و أما وصفه بالحزم، فمعناه أنّكم حين تصدرون رأيكم لا تغفلون عن المصالح و المفسدات الجانبيتين (فتدبّر).

١٣٧

«إن ذكر الخير كنتم أوله و أصله و فرعه و معدنه و مأواه

و منتهاه»

و فيه سبع نكات:

الأولى: هذا ثناء آخر لآل البيت عليهم السّلام عند ذكر الخير، و ينحلّ بعدّه أثنيه اخرى، و بهذه الفقرات تتبين نسب آل البيت عليهم السّلام مع الخير، و ليس معناها أنّ كون هذه النسب فيهم عليهم السّلام مشروطه بذكر الخير و مع عدم ذكره تنتفى النسب عنهم، بل تكون هذه النسب حقائق ثابتة أعمّ من أن يذكر الخير أم لم يذكر، و أعمّ من أن يكون للخير ذاكراً أم لم يكن، (كما أنّ الحمد لله سواء كان هناك حامد أو لم يكن)، بل المراد هو أنّ ذكر الخير في ذكر كلّ عارف يوجب توجيهه إليهم كما بذكر الجود يتبادر «حاتم» إلى الذهن بدلاله التزاميه.

الثانية: الخير صيغه تطلق على ثلاثه معان في علم الصرف، و هي:

ص: ٦٠١

المعنى المصدرى، والوصفى، والتفضيلى، فمعناه المصدرى هو ما كان أصلاً لمشتقاته، كالضرب بالنسبه إلى جميع ما يشتق منه، ولا اعتبار هنا بهذا المعنى، وأما معناه الوصفى فهو ما يقابل الشر، ومعناه التفضيلى هو ما كان فى الأصل الأخير. وما اريد هنا من لفظه الخير هو معناه الوصفى لا التفضيلى، لأنه يندرج تحت معناه الوصفى بملاحظه جميع هذه النسب فيه، أى إذا كان آل البيت عليهم السلام أولاً وأصلاً وفرعاً ومعدناً وماوى ومنتهى للخير كانوا فى كل خير أكمل من غيرهم.

الثالثه: أنّ للخير مفهومًا واسعًا، وهو ما يرغب إليه الكل، ولمفهومه مصاديق لا تعدّ ولا تحصى، ولكن ذكر بعض مصاديقه فى القرآن والحديث، قال تعالى: **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (١)**، (و هو المال على ما فسّروه):

«...أنّ رجلاً من أهل الكوفه كتب إلى الحسين بن على عليه السلام: يا سيّدى أخبرنى بخير الدّنيا والآخره. فكتب صلوات الله عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد؛ فإنّ من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله و كله الله إلى الناس، والسلام» (٢)، وقال زين العابدين عليه السلام: «الخير كلّ صيانه

ص: ٦٠٢

١- العاديات: ٨. [١]

٢- ٢. الاختصاص، للشيخ المفيد ص ٢٢٥.

الرابعه: أنّ الخير الذى ينسب إلى آل البيت عليهم السّلام هو ما كان خيرا حقيقيًا، لا- الخيرات الإضافيه المتغيره بحسب تغير الظروف و الشروط كالزّمان و المكان و المّليه و الاعتقاد الخاصّ، فالخير الحقيقى: إمّا أن يكون أمرًا وجوديًا، فالوجود خير لا شرّيه فيه أصلاً (و إن كانت ماهيته المعروضه له شرًا)، و إمّا أن يكون ما يرغب فيه العقل السليم و الفطره الأصيله، فالحاصل أنّ لآل البيت عليهم السّلام نسبا إلى الخير بهذين المعنيين؛ لأنّه إن اريد بالخير أمر وجودى كانوا أوّله، لأنّ فيض الوجود من الله يفيض إلى كلّ موجود بوساطتهم، و إن اريد منه الخير، بالمعنى الثانى فلا ينشأ ذلك الخير الحقيقى إلاّ منهم.

الخامسه: أنّ لآل البيت عليهم السّلام فى الخير نسيات ستّ.

ألف) الأوّليه. ب) الأصليه.

ج) الفرعيّه. د) المعدنيه.

ه) المأوائيه. و) المنتهائيه.

توضيح النسبه:

ألف) الأوّليه، أنّ آل البيت عليهم السّلام من حيث كونهم وسائط فى عالم التكوين، و أوّل ما صدر كانوا أوّل الخيرات (فيتعين المعنى الأوّل من

ص: ٦٠٣

الخير).

ب)الأصليه،معنى أصليتهم للخير أكملتهم من كل موجود:

عن جابر بن عبد الله قال:«قلت لرسول الله صلى الله عليه و اله:أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟فقال:نور نبيك يا جابر،خلقه الله،ثم خلق منه كل خير»(١)،فعلى هذا ينطبق معنى الأصل عليهم عليهم السلام(و هو الذى يبنى عليه شيء غيره).

ج)الفرعيه،و هى ثالثه النسبيّه و معناها هو عباره عن بقاء كل خير بسببهم.

توضيحه:أنّ كل أصل مجمل يتفصيل بفروعه،و من الفروع بقاء وجوده و دوامه و إنتاجه،و تحصيل غرضه كشجره مثمره،فما كانت أعراقها و اصولها فى بطن الأرض فهى فى مقام الإجمال،فإذا نبتت أغصانها و أوراقها كانت مثمره،فكل هذه الفروع من الأغصان و الأوراق و الثمر تعين على بقائها،فحيث إنّ آل البيت عليهم السلام عله مبقية مفضله لكل خير حقيقى،كانوا فرعه بهذا المعنى؛لأنه كما اشير إليه:البقاء و التفصيل فرعان على الوجود الإجمالى الأصلى كما مثلنا لك فى الشجره.

د)معدن كل شيء هو مقرّ الشيء و منبته،فكون آل البيت عليهم السلام معدنا للخير معناه أنّ الخير يبيت منهم و يستقرّ فيهم،كظهور المعجزات و تكثّر

ص:٦٠٤

١- بحار الأنوار ١٥:٢٤/ح ٤٣-الباب ١، [١] عن:رياض الجنان،لفضل الله بن محمود الفارسى (مخطوط).

الكرامات منهم أحياء و أمواتا.

ه) مأواه، المأوى هو المنزل و المرجع، جاء فى كتاب الله تعالى على لسان ابن نوح: سَأْوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ (١)، فكون آل البيت عليهم السّلام مأوى للخير معناه أنّ الخير يرجع إليهم و يأمن بهم من الزوال و غلبه الشرّ المعارض له، كما تأوى القطره النازله من السماء إلى النهر و من النهر إلى البحر لئلاّ تزول أو لا تضمحلّ بحراره الشمس أو بروده الهواء أو يبوسه التراب و غير ذلك، فكلّ خير يقع فى العالم يرجع إليهم فى القيامه؛ لأنّ وساطتهم فى نزول الخيرات من الله كوساطتهم فى صعودها و بلوغها إلى الكمال المطلق (٢).

و) منتهاه، و أمّا لكونهم «منتهى الخير» معنيان:

الأوّل: أنّ كلّ خير سواهم ينتهى إليهم كما تقدّم آنفا، فيكونون هم نقطه نهائيه للخيرات، الثانى أنّهم عليهم السّلام بلغوا فى الخيريه نهايتها و وصلوا إلى غايتها، بحيث لا- يفوق خيريتهم فى الإمكان شىء، بل لا تتصوّر خيريه إلاّ الخيريه الصرفيه المطلقه الذاتيه لواجب الوجود.

السادسه: أنّ للخيريه مفهوما واسعا كمفهوم الشئيه و الوجود، تطلق

ص: ٦٠٥

١- هود: ٤٣. [١]

٢- ٢). و يمكن تعيين المصداق الجليّ لهذا الخير بأن نقول: «إنّ الخير الذى كان آل البيت عليهم السّلام فرعاً له هو الكمال الحقيقى للإنسان الذى يكون خلاصه الكون و أشرف المكوّنات فى مجالات العقيده و الأخلاق و العمل و بلوغه إلى ما يليق به».

على الواجب و الممكن و على الخيريه الذاتيه المحضه و غيرها، و لكن المراد هنا من الخيريه هو ما فى افق الامكان، فلا- تعم الخيريه الواجبه الذاتيه، فلا يشاركون فى الخيريه مع الله (نعوذ بالله)، و يشهد على ما قلناه التصريح بكونهم عليهم السلام منتهى الخيريه، و الخيريه الذاتيه لا تنهاى.

السابعه: ان الخير منسوب الى آل البيت عليهم السلام بالنسيب الست المذكوره تكويننا، و لكنها لا تمنع من انتساب الخيرات التشريعيه اليهم بنفس هذه النسب ايضا، بل تؤكد؛ للصله بين التكوين و التشريع، فان آل البيت عليهم السلام لا يؤدون اولياء فى التشريع و عللا مبقيه للشريعه ما لم يكونوا منسوبين الى الخيرات التكوينيته، فتدبر.

١٣٨

«بأبى أنتم و أمى و نفسى، كيف أصف حسن ثنائكم،

و أحصى جميل بلائكم، و بكم أخرجنا الله من الدل و فرج عنا

غمرات الكروب، و أنقذنا من شفا جرف الهلكات و من النار»

و فيه ثمانى نكات:

الأولى: هذه مره رابعه من تفديات الزائر لآل البيت عليهم السلام، قد انقسمت المحبوبات فى ما مضى الى: العقلية، و العاطفيه، و الغريزيه. و هنا نضيف الى ما تقدم ان التفديه تنقسم الى العليا، و غير العليا، و هى ما كانت غير عقليه (سواء كانت غريزيه أو عاطفيه)، فهنا يفدى الزائر محبوباته العقلية

ص: ٦٠٦

و هي نفسه و أبوه و أمه، فهي (المحجوبات العقلية) متضمنة لصاحبيتها لكونها أصلا بالنسبة إليها (١).

الثانية: (كيف أصف حسن ثنائكم) يظهر الزائر العجز عن وصف حسن ثنائهم عليهم السلام، و هذا العجز: إما لعدم إدراكه لحسن الثناء، و إما لكل لسانه و بنانه عن البيان، و إما لضعف كليهما؛ و الحق هو الأخير كما قال في ما سبق: «و لا أبلغ من المدح كنهكم، و من الوصف قدركم»، إذا يعجز عن البيان أيضا، لأن التبيين فرع على الإحاطة بالمبين و هي متفتية هنا، و الدليل على امتناع الإحاطة الممكنة ببناء آل البيت عليهم السلام هو أنهم كلمات الله التي تستحيل الإحاطة بها كما قال تعالى: وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ

ص: ٦٠٧

١- . تقع هنا مسأله، و هي أن هذه التفدييه ليست بشيء؛ لأن المفسدى به إما الأبدان و إما النفوس، فالأبدان لا قيمه لها، لكونها أمرا ماديا يحكم عليها بالزوال و الدثور، و أما النفوس فهي غير قابله للفداء و الفناء في عتبه المفسدى. نجيب على ذلك بأن مراد الزائر أولا هو أن يفسدى نفسه و أباه و أمه بقطع علاقته النفوس عن أبدانهم، فبهذا يتحقق نوع من الفناء، و هذا يكفي في تحقق الفداء. و ثانيا: أن بقاء النفوس و إن قال به الحكماء و لكنّه غير مسلم عند المتكلمين، فبذلك يتحقق الفناء جسما و روحا على رأى أهل الكلام. ثالثا لو فرض صحه قول الحكماء في كون النفوس المجرده غير قابله للموت، نقول: إن التجرد لا يكون علّه لخروجها عن الإمكان الذاتى الذى لا اقتضاء له للوجود و للعدم، فإذا كانت ممكنة تقبل الفناء إذا لم تكن علّه بقاءها، كما يؤيده قوله تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» (القصص: ٨٨)، و [١] تؤيده الأخبار الواردة في عروض الموت على ملك الموت عليه السلام أيضا مع كونه مجرّدا كالنفوس على رأى الحكماء. إذا يتفاوت قبول كل من الأبدان و النفوس للموت، فالأبدان محكوم به بالموت ذاتا لكونها ماديه، و لكنّ النفوس لا تقبلها ذاتا، لأن ذواتها بعد وجودها لا تقتضى الموت بجعل الله تعالى إياها كذلك، و لكنّها قابله للموت بالعرض، فتدبر.

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١).

الثالثة: (و أحصى جميل بلائكم) أنّ الزائر يظهر العجز مرّه اخرى عن إحصاء ما ابتلى به آل البيت عليهم السّلام لعدم إمكان إحصاء تلك البلايا؛ لأنّ البلايا مع آثارها و توابعها فى قلوب آل البيت عليهم السّلام، و فى الأئمّه و الإسلام بل فى العالم أجمع، خارجتان كمّا و كيفا عن حيطه الحدّ و العدّ، أضف إلى ذلك كيف يمكن إحصاء هذه البلايا و جوانبها، كبلايا أمير المؤمنين بعد رحيل سيّد المرسلين؛ أو كيف يمكن إحصاء ما ورد على إمامنا المفدى الشهيد و أهل بيته فى كربلاء، و كذلك ما ورد عن أئمّه الهدى من بعده، و لا يزال ترد على سيّدنا المهديّ عليه السّلام طول هذه القرون من طواغيت العالم، هل يقدر أحد على إحصائها؟!!

الرابعة: وصف الزائر البلايا الوارده عليهم بالجمال، فكأنّ هذا الوصف للبلاء مأخوذ من قوله تعالى: وَ لِيُبَيِّنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا (٢)، (و الحسن و الجمال قريبا المعنى)، أو من مضمون قوله سبحانه عن يعقوب النّبىّ عليه السّلام: قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ جَمِيلٌ (٣).

ص: ٦٠٨

١- لقمان: ٢٧، [١] هذا من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، و الغرض منه هو عدم النفاذ و الانتهاء لكلمات الله، و قد جاء فى تأويل الآيه عن مولانا الرضا عليه السّلام: «نحن كلمات الله التى لا تدرك فضائلنا و لا تستقصى»، (بحار الأنوار ١٧٤: ٢٤، باب ٥٠، [٢] أنّهم كلمات الله...» إذا يحقّ للزائر عجزه عن وصف ثنائهم.

٢- ٢. الأنفال: ١٧. [٣]

٣- ٣. يوسف: ٨٣. [٤]

الخامسة: علّه وصف البلايا بالجمال: إمّا أن تكون باعتبار تشبّهم بالأنبياء شباهه تامّه، كما قال إمامنا الكاظم عليه السّلام: «إنّ الأنبياء و أولاد الأنبياء و أتباع الأنبياء خصّوا بثلاث: السّقم في الأبدان، و خوف السّيلطان، و الفقر». (١) و إمّا باعتبار الآثار المثبتة على تلك البلايا فهي متضمّنه لتناج عظيمه لهم و لشيعتهم، كظهور كمالات لهم مثل قوّه الصبر و شدّه العزم و كمال الإيمان بالله و خزي الأعداء و فضيحه المخالفين، و بقاء الشريعة، و المنازل الجليله في الآخره للشيعه، و تبين الحقّ من الباطل في التاريخ عند أحرار العالم، و غير ذلك.

السادسه: (بكم أخرجنا الله من الدّل) يقول الزائر مخاطبا لهم عليهم السّلام:

«قد أخرجنا الله بسببكم من ذلّ الكفر في العقيدة، و النفاق في قبول الإسلام ظاهرا، و من الفسق في الخلق و العمل، فلو لا إمامتكم و كونها شرطا لتحقق الإيمان بقينا نحن في الدّل بأقسامه»، و لعلّ هذا كان تفسيرا أو ذكر علّه لكون البلايا المذكوره جميله.

السابعه: (و فرج عنا غمرات الكروب) أنّ المراد من تفرّيج الله مضائق الكروب عن الشيعة، و هي كروب الدنيا، لأنّ لكلّ من الكفر و النفاق و الفسق مخاوف و خطرات خاصّه، و إن كانت غير محسوسه للمؤمنين الأتقياء، قال تعالى في بعض مخاوف الكفر: وَ لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا

ص: ٦٠٩

١- الخصال / ١١٤ ح ٢٠- باب الثلاثة- الخصال التي خصّ بها الأنبياء عليهم السّلام.

تَصِيَّبُهُمْ بِمَا صَدَّعُوا قَارِعَةً (١)، وقال تعالى فيهم أيضا: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى (٢)، وقال سبحانه في المنافقين: يَخِذْرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ... (٣)، مضافا إلى أن: «من لا إيمان له لا أمان له».

الثامنة: (وأنقذنا من شفا جرف الهلكات و من النار) كأن هذه الفقرة أخذت من قوله تعالى: وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا (٤). ويمكن كون المراد هنا من الهلكات و النار هو الهلكات و النار يوم القيامة، بقريته التقابل مع الجملة السابقة، لأن كروب الدنيا أنزل من كروب الآخرة و عذابها، إذا يريد الزائر هنا ذكر الأشد بعد الأضعف على ترتيبه الطبيعي.

١٣٩

«بأبي أنتم و أمي و نفسي، بموالاتكم علمنا الله معالم ديننا

و أصلح ما كان فسد من دنيانا، و بموالاتكم تمت الكلمة و عظمت

النعمة و ائلفت الفرقه، و بموالاتكم تقبل الطاعة المفترضه»

و فيه اثنتا عشره نكته:

ص: ٦١٠

١- الرعد: ٣١. [١]

٢- ٢. الحشر: ١٤. [٢]

٣- ٣. التوبه: ٦٤. [٣]

٤- ٤. آل عمران: ١٠٣. [٤]

الأولى: أن هذه التفدييه تعدّ خامسه من الزائر و تعليمها من الإمام الهادى عليه السّلام، و الفارق بين تفدييته و تفدييه الإمام، هو أن كلّ تفدييه تنشأ من قوّه معرفه المفدّى و شدّه لطافه إحساسه بالنسبه إلى المفدّى، كما اشير إليه فى ما سبق، فكما أن الإمام أقوى معرفه و اللطف إحساسا بالنسبه إلى آل البيت عليهم السّلام، بحيث لا نسبه للزائر معه عليه السّلام فى هاتين الجهتين، تكون تفدييته أنزل بما لا أنزل منه جنب معرفه الإمام عليه السّلام بهم، و هكذا بين الإحساسين باللطف، مضافا إلى أن الزائر يفدّى هنا بعد ذكر البلايا الوارده عليهم، إذا ينبعث إلى التفدييه لشدّه لهيب قلبه، فكأنّ الزائر يقول: «لو كنت فى خدمتكم حين ورد عليكم كلّ بليّه لأثرتم بنفسى لكى تحفظوا، فتصينى البليّه دونكم».

الثانيه: الزائر يثنى عليهم بذكر سته آثار جليله مترتبه على مولاتهم، و لكنّ ترتيب الآثار المذكوره و غير المذكوره مشروط بقبول الأمّه عامّه، فحيث لم تقبل الأمّه ذلك بعد رحيل النّبىّ صلى الله عليه و اله لم تتحقّق (فيا له من أسف شديد)، و تلك الآثار عباره عن:

(١) تعليم معالم الدين (٢). إصلاح كلّ فاسد من دنيا المؤمنين.

(٣) تماميّه الكلمه (٤). تعظّم النعمه.

(٥) ائتلاف الفرقه (٦). قبول الطاعه.

الثالثه: (بمولاتكم علّمنا الله معالم ديننا) تعليم المعالم المذكور بموالاه

ص: ٦١١

آل البيت عليهم السلام يقتضى تبعيته المؤمنين فى جميع الشؤون من آل البيت عليهم السلام، فهذا هو معنى الموالاه هنا (١). و أما سرّ التعبير بالموالاه من المفاعله (٢) فهو أنّ الزائر يليهم كما ذكر و هم عليهم السلام يلونه بالحبّ و الوداد.

الرابعه: أنّ لتعليم المعالم علّه و جوديه، و هى الله سبحانه (كما قال تعالى: كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٣))، و سببا ماهويا و هم آل البيت عليهم السلام، فلولا- موالاه آل البيت عليهم السلام للمؤمن لم يتعلم منهم معالم الدين و لم يمكن أن يوجد الله العلم بالمعالم فيه.

الخامسه: يحتاج إلى تعليم آل البيت عليهم السلام فى ما إذا قصير النبى فى التعليم (معاذ الله) مع أنّه صلّى الله عليه و اله لم يقصّر فيه كما قال صلّى الله عليه و اله فى حجّه الوداع:

«يا أيها الناس، و الله ما من شىء يقربكم من الجنّه و يباعدكم من النار إلاّ و قد أمرتكم به، و ما من شىء يقربكم من النار و يباعدكم من الجنّه إلاّ و قد نهيتكم عنه» (٤). نجيب عنه أولا: أنّ النبى علّم الناس معالم الدين بقدر حاجتهم إليه فى زمانه أو ما يقرب من زمانه بعده، فذلك يكون تعليما على الإجمال؛ لأنّه صلّى الله عليه و اله كان مؤسسا للشريعه، و يستلزم

ص: ٦١٢

١- و قد تقدّم شرح الولاية و الموالاه فى الفصلين: ١٠٢ و ١١٢.

٢- ٢). و سرّ التكرار و التعبير (بموالاه-تكم) هو: إمّا التأكيد فى أنّ الآثار المذكوره لا تتحقّق إلاّ بموالاهتكم، و أنّ علّه هذا التحقّق ليس إلاّ الموالاه أو حصول السكينه فى قلبه المشتاق.

٣- ٣). البقره: ٢٣٩. [١]

٤- ٤). الكافى ٢: ٧٤/٢-باب الطاعه و التقوى. [٢]

التأسيس إجمال الكلام لا تفصيله، و لكن آل البيت عليهم السلام يعلمون تفصيل الأحكام بما يناسب حاجات الناس المتغيره المتبدله، و لما كانوا أئمه للناس، و ثانياً: أنّ النبي صلى الله عليه و اله علمهم المعالم من جهه و علمهم عمّن يأخذوا العلم من بعده من جهه اخرى.

السادسه: يتحقّق تعليمهم المعالم بأقوالهم الرضيّه و أعمالهم الزكيه و تقريراتهم الجميله، و كانوا عليهم السلام يكرّرون ما يعلمون على مشى القرآن العزيز لحصول الحفظ في قلوب الناس.

السابعه: (و أصلح ما كان فسد من دينانا) إصلاح مفاسد الأمور من قبله تعالى بالعلّيه الوجوديه و لآل البيت سببّه ماهويّه كما أشرنا إلى ذلك؛ و المراد من المفاسد هو المفاسد التبعيّه الناشئه من الكفر و النفاق و الفسق في الدنيا، فإصلاح الأمور هذا أسباب أربعة:

(١) الاعتقاد بإمامه آل البيت عليهم السلام.

(٢) المحبّه الشديده لهم.

(٣) التعلّم منهم.

(٤) استعمال تعاليمهم كما ينبغي.

الثامنه: أنّ لموالاه آل البيت عليهم السلام تأثيراً جامعاً للآخره و الدنيا و لا يقصر التأثير مولاتهم في الدنيا فقط، أو في الآخره فقط، فمولاتهم تكون سبباً لإجابته مسأله أولى الألباب الذين وصفهم الله في الكتاب، إلى أن قال:

ص: ٦١٣

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١).

التاسعة: (و تَمَّتْ الكَلِمَةُ) أَنْ فِي تَفْسِيرِ الكَلِمَةِ اِحْتِمَالَيْنِ:

الأول: المراد منها هو كلمه الإخلاص أعني «لا إله إلا الله»، و تماميتها بالموالاه معلومه لكل مؤمن، لكون الموالاه شرطاً لها، فلولاها كان توحيد الموحّد كأن لم يكن. و يؤيده حديث سلسله الذهب الآتي عن مولانا الرضا عليه السّلام عن آبائه: «سمعت النبيّ صلّى الله عليه و اله يقول: «سمعت الله جلّ جلاله يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي. قال:

فلما مرّت الرّاحله نادانا: بشروطها، و أنا من شروطها» (٢).

الثاني: المراد من الكلمه «وحده الأمه» التي غير متحقّقه دون موالاه آل البيت عليهم السّلام كما لم تتحقّق حتّى اليوم.

العاشرة: تمامية الكلمه: (٣) إن كان المراد من الكلمه هو كلمه الإخلاص، فتكون تماميتها بتحقّق الآثار المطلوبه منها عينا، و التي لا تحقّق لها بغير الموالاه، و يؤيده كثير من الأخبار، منها ما ورد عن النبيّ صلّى الله عليه و اله:

«من رزقه الله حبّ الأئمّه من أهل بيتي فقد أصاب خير الدّنيا و الآخره، فلا يشكّن أحد أنّه في الجنّه، فإنّ في حبّ أهل بيتي

ص: ٦١٤

١- البقره: ٢٠١. [١]

٢- ٢. عيون أخبار الرضا عليه السّلام ٢: ١٣٥/٢ ح ٤-الباب ٣٧- [٢] ما حدّث به الرضا عليه السّلام في مربعه نيسابور.

٣- ٣. قد تقدّم في شرح «و التامين في محبّه الله» (الفصل ٣٣) معنى التمام و الكمال و الفرق بينهما على القول المرضي.

عشرين (١) خصله، عشر منها في الدنيا و عشر في الآخرة. أمّا في الدنيا: فالزهد، و الحرص على العمل، و الورع في الدين، و الرغبه في العباده، و التوبه قبل الموت، و النشاط في قيام الليل، و اليأس ممّا في أيدي الناس، و الحفظ لأمر الله و نهيه عزّ و جلّ، و التساعه بغض الدنيا، و العاشره السيئه، و أمّا في الآخرة: فلا ينشر له ديوان، و لا ينصب له ميزان، و يعطى كتابه بيمينه، و يكتب له براه من النار، و يبضّ وجهه، و يكسى من حلل الجنّه، و يشقّ في مائه من أهل بيته، و ينظر الله عزّ و جلّ إليه بالرحمه، و يتوّج من تيجان الجنّه، و العاشره يدخل الجنّه بغير حساب، فطوبى لمحبيّ أهل بيتي» (٢).

و إن كان المراد منها هو الوحده التي تكون تماميتها بانتفاء كلّ خلاف عقيدتيّ: كالأشعريّ و المعتزليّ و الشيعيّ غير الاثنى عشرىّ و... أو خلاف فقهيّ: كالحنفيّ و الحنبليّ و المالكيّ و... فتكون هذه الاختلافات كلّها معلومه لعدم جريان موالاتهم في الأمّه.

و الحاصل أنّ التماميه تتحقّق في ما إذا لم يكن في الأمّه أيّ اختلاف و انشعاب في الأصول و الفروع، و تكون السبل في شتى المجالات متّصله بطريق واحد مستقيم.

ص: ٦١٥

١- في المصدر: «عشرون». و هو خطأ، انظر: تحف العقول: ٢٧١، و [١] مشكاه الأنوار: ١٥٣. [٢]

٢- ٢). الخصال / ٥١٥ ح ١- أبواب العشرين و ما فوقه.

الحادي عشره: لعل المقصود من «عظمه النعمه»، هو أن يكون الإسلام بعقائده و شرائعه حاكما وحيدا في جميع بقاع الأرض بعد يأس جميع الأعداء و قطع أميتهم عن زواله، و ذلك لم يحصل حتى اليوم و سيحصل بعون الله و مشيئته.

الثانيه عشره: (و بموالا تكم تقبل الطاعه المفترضه)، قال المنطقيون:

«بانتفاء الشرط ينتفى المشروط»، فهنا تكون الموالاه شرطا و مقبوليه الطاعه مشروطا (١)، إذا لا تقبل طاعه بدون الموالاه. و وصف الطاعه بالمفترضه ليس ما يقابل المندوب أو المكروه أو الحرام، بل المراد من المفترضه هنا هو المشرعه قبال الطاعات المبتدعه، كالأحكام الصادره عن غير بيت العصمه، و يؤيده قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (٢).

١٤٠

«و لكم المودّه الواجبه، و الدرّجات الرّفيعه، و المكان

المحمود و المقام المعلوم عند الله عزّ و جلّ، و الجاه العظيم،

ص: ٦١٤

١- توضيح شرطيه الموالاه يكون من جهتين: الأولى: أنّ الموالاه من حيث الاعتقاد مكتمله للإيمان، و من حيث العمل مصحّحه له، أي هي ميزان لصحّه عمل المؤمن أو عدم صحّته، كما عبّر عن الإمام عليّ عليه السلام بميزان الأعمال.

٢- ٢. النساء: ٥٩. [١]

و فيه اثنا عشره نكته:

الأولى: هذا الفصل أيضا من فصول باب الأثنيه، و هو الفصل الذى يبدأ ببيان وجوب المودّه لآل البيت. و فى هذا الفصل تتبيّن الآثار القريبه المترتبّه على مودّتهم، كما أنّ الفصول الأخيره السابقه مبيّنه لما يترتبّ عليه من الآثار الدينويّه كما أشرنا إليه قبيل هذا.

فبهذا البيان تحفظ الصله بين هذا الفصل و الفصل السابق، و يمكن تبين الصله بوجه آخر، و هو أنّ فى الفصل السابق ذكرت عدّه علل و فى هذا يذكر المعلول، أى: لكم المودّه الواجبه لما ذكر من العلل كتعليم المعالم و إصلاح المفاسد و غيرهما، فبهذا يتبيّن وجه إيجاب الله مودّه آل البيت عليهم السلام كتكليف فوق الصلاه و الصيام و أعظم منهما.

الثانيه: أنّ هذه الفقره (لكم المودّه الواجبه) مأخوذه من قوله تعالى:

قُلْ لاَ أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى (١)، فالآيه الكريمه تكون مأخذا لها من جهه، و دليلا على إثبات محتواها و هو وجوب المودّه من جهه أخرى، مضافا إلى الكمالات المذكوره السابقه لآل البيت (فى هذه الزياره) و التى توجب عقلا القول بإمامتهم و وجوب اتّباعهم.

الثالثه: ذكر فى هذا الفصل سبعة من الأثنيه، بعضها منحصر فى

ص: ٦١٧

آل البيت عليهم السّلام و لا- يشاركهم فيه غيرهم، و بعضها لا يشارك معهم الغير في كماله لاختصاص مرتبته الكامله بهم، و إن شاركهم غيرهم في مراتبه النازله، فمن الأوّل كوجوب المودّه، و من الثّاني كرفع الدرجه أو كبر الشّأن.

الرابعه: الفرق بين المودّه و المحبّه و الموالاه:

أنّ للمحبّه باعثا عقليّا ينبعث به المحبّ إلى محبوبه، كانبعاث المتعلّم إلى المعلّم و الولد إلى أبيه، و لكنّ المودّه لها باعث عاطفيّ إحساسيّ، كانبعاث الوالدين إلى ولدهما و انبعاث أحد الزوجين إلى الآخر، قال تعالى: **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً (١)**، و أمّا الموالاه (فهو كما أشير إليه) من مقوله التبعية في العمل.

الخامسه: أنّ جميع التكاليف الدينيه تنقسم إلى الأفعال و التروك، فالأفعال تنقسم إلى الواجبات و المندوبات، و الواجبات منقسمه إلى الواجبات البدنيه و الواجبات القلبيّه، و القلبيّه تكون أوجب من البدنيه لشرافه القلب بالنسبه إلى البدن، فالمودّه من القسم الأخير. فكلّ ما كان وجوب التكليف أشدّ يكون التخلّف عنه أكبر عصيانا، فيكون ترك المودّه هكذا بالنسبه إلى ترك الصلاه و نظائرها، فهذا الترك و إن لم يعدّ كفرا في

ص: ٦١٨

الفقه و لكن يعدّ كفراً بحسب الاعتقاد، و يؤيّد به بعض الآيات (كآية القريبى) التى لا- يشكّ فى كفر تارك محتواها أحد من المسلمين، و كثير من الأخبار، منها قول النبىّ صلّى الله عليه و اله فى حديث طويل: «ألا و من مات على بغض آل محمّد مات كافراً» (١).

السادسه: (و الدرجات الرفيعه) وصف آل البيت عليهم السّلام هنا برفعه الدرجات، فاستعمال الدرجات إمّا لمجموعهم باعتبار الأفراد و الأشخاص، فتكون لكلّ منهم درجه رفيعه، و إمّا لجمعهم، أى لكلّ فرد منهم درجات باعتبار شؤونهم المختلفه من العلم و الإيمان و العمل و التقوى، و غير ذلك من الشؤون.

السابعه: أنّ رفعه درجاتهم تثبت بوجوه: الأوّل؛ كونهم أئمّه، فكما يجب للإمام تقدّمه على الأئمّه فى كلّ خير (كما قال تعالى عن قول

ص: ٦١٩

١- (التفسير الكبير للفخر الرازى، ج ٢٧، ص ١٦- [١] ذيل الآيه ٢٣ من سوره الشورى). لا- بأس بذكر تمامه لتقرّ عين المؤمن المحبّ: «من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، [٢] ألا- و من مات [٣] على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا- و من مات [٤] على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا و من مات [٥] على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا و من مات [٦] على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّه ثمّ منكر و نكير، ألا و من مات [٧] على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّه كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا و من مات [٨] على حبّ آل محمّد صلّى الله عليه و اله فتح له فى قبره بابان إلى الجنّه، ألا و من مات [٩] على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكه [١٠] الرّحمه، ألا و من مات [١١] على حبّ آل محمّد مات على السنّه و الجماعه، ألا و من مات [١٢] على بغض آل محمّد جاء يوم القيامه مكتوب بين عينيه: آيس من رحمه الله، ألا- و من مات [١٣] على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا و من مات [١٤] على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحه الجنّه».

إبراهيم عليه السّلام: وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١)، هكذا يجب أن تكون درجته أرفع من الأئمة. الثاني: كمالهم في العلم، قال تعالى: يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (٢).

الثالث: أنّهم أرفع درجه من حيث كونهم أشخاص و أبرز بين العباد، و لكنّ المرتبه العليا من هذا الشأن تنحصر فيهم، و سائر المؤمنين يشار كونهم في المراتب النازله لهم.

الثامنه: هذه الفقره (و المكان المحمود) مأخوذه من الآيه التاليه، فهم ذوو مقام محمود، فهذا الشأن لا يختصّ بالنبيّ صلّى الله عليه و اله: (وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٣))، بل يعمّهم عليهم السّلام أيضا لجهتين:

الأولى: أنّ كلّ واحد منهم كان كنفس النبيّ صلّى الله عليه و اله مضافا إلى استخلافه منه صلّى الله عليه و اله.

الثانيه: أنّ كلّ سبب (خصوصا التهجد) أو جب بلوغ النبيّ صلّى الله عليه و اله إلى هذا الشأن، و هو بعينه كان موجودا في آل البيت عليهم السّلام كما يشهد عليه التسبع.

التاسعه: (و المقام المعلوم عند الله عزّ و جلّ) أنّ لآل البيت عليهم السّلام مقاما

ص: ٦٢٠

١- الأنعام: ١٦٣. [١]

٢-٢. المجادله: ١١. [٢]

٣-٣. الإسراء: ٧٩. [٣]

معلوما عند الله تعالى، فالتعبير بعند الله يدل على أفضليته آل البيت عليهم السلام على الملائكة، كاختصاص عباده المرضيين بجنته خاصه، قال تعالى في حقهم: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * اِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي (١) وقال تعالى: عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ (٢)، فهذا فرق بينهم وبين الملائكة (٣).

العاشرة: يمكن أن يراد «بالجاء العظيم» بما لهم عند الله من الزلفى و«بالشأن الكبير»، بما لهم من الكبر والجلاله فى قلوب الناس حتى فى قلوب أعدائهم، أو يراد بالجاه من الشأن آخذيتهم للفيوضات (يلى الربى)، و ب«الشأن» بكونهم سببا لاستفاضه الخلق منهم (يلى الخلقى).

الحادية عشره: (و الشفاعة المقبوله) قد سبق منّا تحقيق طويل فى الشفاعة، و هنا و بمناسبة المقام نقول: إنّ الشفاعة تقيدت بالمقبوله، فإن كان القيد توضيحياً كان معنى الجملة أنّ لكم شفاعة لا تردّ (لأنّ هذه الجملة و كلّ جملة سابقه لها عطف على جملة «و لكم المودّه الواجبه») و الشفاعة لا تنقسم إذا إلى مردوده و مقبوله، و إن كان احترازياً، كان

ص: ٦٢١

١- الفجر: ٢٧-٣٠. [١]

٢-٢. القمر: ٥٥. [٢]

٣-٣. و لا يشهد عليه قوله سبحانه فى وصف الملائكة: «و ما منّا إلاّ و له مقام معلوم»، كما استشهد به الشارحون على المراد فى آل البيت عليهم السلام، فلعدم شهاده الآيه فى آل البيت عليهم السلام جهتان: الأولى: عبّر فى الملائكة بالمقام و هنا عبّر الإمام بالمكان. الثانية: عبّر فى آل البيت عليهم السلام بعند الله و فى الملائكة لم يعبر ذلك. و الحاصل أنّ للملائكة مقاما معلوما لهم، فكلّ منهم عالم بمقامه و لا يرقى منه إلى ما فوقه.

معناها أنّ شفاعتكم ليست من سنخ الشفاعات المردودة بين الناس، بل هي مقبولة عند الله. والحاصل أنّ كلّ شفاعه تقع يوم القيامة تكون مقبولة، و الشفاعات الكاذبه التي لا تقع أصلا في القيامة هي شفاعات تروها عبده الأوثان و الأصنام، و هي غير مأذونه، قال تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (١)، فبهذا البيان يتعين كون المقبولة قيذا توضيحيا.

الثانيه عشره: أنّ هذه الشفاعه كانت كمعلوله ذكرت علّتها قبلها، و علّتها تتشكّل من أجزاء و هي عباره عن:

ألف) وجوب موّدتهم للمستشفع، و هو جزء رئيسي لسائر الأجزاء الآتيه، و به يتحقّق الربط و النسبه بين الشفعاء و المستشفعين.

ب) كون درجاتهم رفيعه.

ج) كون مقامهم محمودا.

د) كون مكانهم معلوما.

ه) عظمه الجاه.

و) كبر الشأن.

ص: ٦٢٢

«رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (١)، رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعِيدَ إِذْ هَيَّدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٢)، سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولاً (٣)»

وفيه أربع نكات:

الأولى: الغرض من إيراد هذه الآيات هنا، إقرار الزائر متضرعاً إلى الله إقراراً تضمنته الآيات، وهو كالتالي:

ص: ٦٢٣

١- آل عمران: ٥٣. [١]

٢- ٢. آل عمران: ٨. [٢]

٣- ٣. الإسراء: ١٠٨. [٣]

ألف) إظهاره الإيمان بما أنزل الله.

ب) الإقرار بمتابعه الرسول.

ج) الإقرار بكونه مهتدياً (و لله الحمد).

د) الإقرار بكونه تعالى وهاباً.

ه) الاعتراف بصدق عاداته سبحانه.

فالحاصل أنّ بعض هذه الإقرارات يرتبط بنفسه وبعضها يكون مدحاً لله تعالى، فذكر جميعها يكون كتوطئة وتمهيد لما سيسأل؛ لأنّ قبل مسأله الحاجه من الله أمر المؤمن بإظهار الإيمان و بأن يمدح الله تعالى و يثنى عليه ليستجاب دعاؤه و يعطى مسأله، كما قال الصادق عليه السلام: «كلّ دعاء لا يكون قبله تمجيد فهو أبتّر» (١).

و أما طلباته فهي كما يقول: فَكَتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ و أن لا يضيق الله قلبه عن الهدى، و أن يهب الله ما يسأله؛ و ذكر اسم الوهاب لذلك و لبيان أنّه لا يستحقّ قضاء حوائجه إلاّ أن يهب الله له، لأنّ الهبه لا يشترط فيها الاستحقاق (٢).

ص: ٦٢٤

١- بحار الأنوار ٩٣/٢٢١: ٤- [١] عن عدّه الداعي و نجاح الساعي، [٢] لابن فهد الحلّي.

٢- ٢). إن قال قائل: إنّ عدله سبحانه لا يقتضى الإعطاء بلا استحقاق، نقول في جوابه: إنّ الزائر لا ينفى الاستحقاق عن نفسه بالكفيه، بل ينفيه من حيث تقصيره في العمل، و لكن يستحقّ الزائر و كلّ مؤمن حتّى الفاسق و العاصي من المؤمنين كلّ تفضّل و إحسان منه سبحانه، فتبيّن أنّ للاستحقاق موجبين هما: موجب إيمانيّ و موجب عمليّ، فغير المؤمن لا يستحقّ أيّ تفضّل و إحسان لانتفائهما عنه.

الثانيه: يريد الزائر متعلماً من الإمام الهادي عليه السّلام أن يقرّ بكلّ ما ذكر في آل البيت عليهم السّلام من الأوصاف و الشؤون و الكمالات و وجوب التولّي لهم و التبرّي من أعدائهم ممّا يجب الإيمان به، لأنّ جميعها مصاديق جليّه لمتعلّقات الإيمان، و هي حقيقه الاهتداء التي لا ينبغي زيغ القلب عنها، و أنّ الإيمان بها و الاتّصاف بها يعدّ اتّباعاً للرسول. و أخيراً يسبّح الله و ينزّهه عن خلف الوعد، و يضيف في مسألته هبه الرحمه من عند الله، و مراده من هذه الرحمه هو أن يزيد الله في قلبه معرفه آل البيت عليهم السّلام و حبّهم، لأنّهم تلو النبيّ و إمامتهم تلو النبوه، فتكون المعرفه بهم و محبّتهم تلو معرفه النبيّ و محبّته، كما قال تعالى: **وَ رَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١)**، و قد فسرت الرحمه بالنّبوه، و يؤيده سياق الآيات.

الثالثه: (فاكتبنا مع الشاهدين) أنّ المراد من الشاهدين الذين يسأل الزائر معيّنهم، هم آل البيت عليهم السّلام، كما سبق توضيحه في الفصول السابقه، كما أنّ المراد من الصادقين، هم عليهم السّلام أيضاً، كما في قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ (٢)**. و لكنّ الزائر من حيث كونه مؤمناً أمر بأن يكون مع الصادقين، كما في الآيه، و لكن هنا يسأل الله أن يكتبه مع الشاهدين، و في ظاهر الأمر بكونه مع الصادقين، و في مسألته

ص: ٦٢٥

١- الزخرف: ٣٢. [١]

٢- ٢. التوبه: ١١٩. [٢]

تعارض؛ لأنَّ المعية إن كانت من فعله فكيف يسأل أن يكتبه الله، وإن كانت من فعل الله فكيف اسند إليه و كيف أمره الله أن يحصله لنفسه؟ استفاد الجواب في رفع التعارض من التفاوت في التعبيرين (الصادقين، و الشاهدين) فكون معيته الصادقين إنما هي باختياره بأن يؤمن بعصمتهم و انتفاء الكذب عنهم فيتبعهم، و لكن كونه مكتوباً مع الشاهدين في طومارهم خارج عن اختياره، فيجب أن يصنعه الله فيه لحصول هذه المعية في القيامة، أو يسأل الزائر أن يتقبل الله معيته و أتباعه منهم في الدنيا و يثبتته على هذه المعية حتى يموت.

الرابعة: يريد الزائر من ذكر هذه الآية (سبحان ربنا...) تأكيداً في مسألته و إصراره للإجابة كفقير محتاج عند ملك كريم، يستدل على تنزه الملك من أن يردّه من غير إعطاء له بعده الملك إياه، فكأنَّ الفقير يقول: لا يحسن أن تردني أيها الملك؛ لما وعدتني بقولك هذا (إن كان وعد ربنا لمفعولاً). مضافاً إلى أنَّ الزائر مؤمن عقلاً باستحاله خلف الوعد عليه سبحانه، لأنَّ خلف الوعد إما أن يكون من جهل الواعد المخلف أو من عجزه أو من حاجته إلى الخلف، أو من كذب وعده أو كون خلف الوعد حسناً ذاتاً، فانتفاء هذه البواعث و نزاهته سبحانه دليل عقلي قاطع على امتناع الخلف عليه.

«يا وليّ الله، إنّ بيني وبين الله عزّ وجلّ ذنوبا لا يأتي عليها

إلا رضاكم فبحقّ من ائتمنكم على سرّه، واسترعاكم أمر خلقه،

وقرن طاعتكم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبي وكنتم شفعاي»

وفيه سبع نكات:

الأولى: أنّ الزائر أقرّ بجميع الكمالات والشؤون العاليه والأوصاف الحميده، وكلّ ما يجب أن يؤمن به في حقّ آل البيت عليهم السّلام من ابتداء هذه الزيارة إلى هنا، فهنا يسأل آل البيت عليهم السّلام بأشدّ الخوف والتضرّع إليهم أن يتوسّطوا بينه وبين الله لاستيهاب ذنوبه. ويستفاد من ذلك أنّ ذنوب المؤمن لا تغفر إلاّ من طريق المعرفه بهم وتوسيطهم عند الله عزّ وجلّ، وهذا اعتقاد ضروريّ للشيعة الاثني عشرية بأنّ آل البيت عليهم السّلام وسيله بين الله تعالى وبين خلقه تكوينا وتشريعا في امور الدين والدنيا، كما قال رسول الله صلّى الله عليه واله: «الأئمّه من ولد الحسين، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروه الوثقى، وهم الوسيله إلى الله عزّ وجلّ» (١).

الثانية: يستشفع الزائر هنا ليشفعوا له بأن يغفر الله له ويعفو عنه، وهذا

ص: ٦٢٧

١- عيون أخبار الرضا عليه السّلام ٢: ٥٨٨/ح ٢١٧-الباب ٣١ [١] فيما جاء عن الرضا عليه السّلام.

الاستشفاع يتفرّع على ما أقرّ سابقا بكون شفاعتهم، مقبولة و التعبير ب«كنتم» مفيد لإطلاق شفاعتهم فى الدارين، فلا ينظر فى هذا التعبير إلى الزمان الماضى أو إلى المستقبل المحقق الوقوع (الذى يعبر عنه بالماضى)، بل ينظر إلى انسلاخ شأن الشفاعة لهم عن الزمان و ثبوته فيهم.

الثالثة: أنّ مراد الزائر من تعبيره ب«يا ولىّ الله» ثمّ خطابه بالجميع (بلفظ «إلّا- رضاكم»)، أمّا جنس الوليّ، فهذا يعمّ جميع الأئمّه عليهم السّلام فيما إذا قصد زيارتهم معا، و أمّا إذا كان زائرا لأحدهم فلا يشكّل تعبيره بالوليّ، و لكنّ تعبيره بالجمع فى رضاكم حاك عن اعتقاده هذا فى حقّ جميعهم، و إن كان مزوره واحدا منهم عليهم السّلام.

الرابعة: يريد الزائر (بعد الإقرار بمعرفتهم) من إقراره بالذنوب أنّه مع ذلك كلّ قاصر فى معرفتهم و مقصّر فى اتّباعهم، و أنت خبير بأنّ الذنوب من إمكان جمعها مع الإيمان و عدم ذلك الإمكان قسما، فمراد الزائر هنا من الذنوب هى القسم الأوّل، و إلّا لم يكن مؤمنا من رأسه.

الخامسة: الحكمه فى وصفه الله بالعزّه و الجلال هى أن يعترف بأنّى مع علمى بكونه تعالى غالبا قاهرا علىّ، و كونه ذا شوكة و هيبه قصّرت فى طاعته فعصيته، فهذا العلم أوجب كبر ذنوبى بأزيد ممّا كانت على كبرها الذاتى، فلماذا جعلتكم وسيلتى إلى الله؛ لأنّ ذنوبا كبيره كهذه لا تغفر إلّا فى ما إذا كانت الوسيله إلى الله كبيره أيضا، فهو يسأل آل البيت عليهم السّلام أن

يرضوا عنه؛ لأنّ رضاهم عنه هو عين رضا الله أو يستلزمه (1).

السادس: لا شكّ في أنّ الله، وهكذا آل البيت عليهم السلام، يرضون عن الزائر المستشفع؛ لكونه مؤمنا، ولكنّ الزائر لا يطمئنّ أوّلا بأنّه هل يلقاهم مؤمنا أم لا؟ و ثانيا هو يرى نفسه مقصّيرا في أعماله و لا يطمئنّ هل يعذبه الله على ما قصّر ثمّ يخلصه من العذاب أم لا يعذبه أصلا، فللهذا يطلب منهم الشفاعة.

السابعة: أتى الزائر هنا بثلاث أقسام (جمع قسم)، و المقسم به في جميعها هو الله جلّ و علا:

الأول: من ائتمنكم على سرّه، الثاني: «و استرعاكم أمر خلقه»، الثالث:

«و قرن طاعتكم بطاعته»، و الغرض منها تبين أنّه غير مرضيّ لدى الله و عند آل البيت عليهم السلام أيضا بأعماله الغير صالحه، ثمّ يطلب من آل البيت عليهم السلام استيهاب ذنوبه من الله بأن يهب له العفو عنها.

ص: ٦٢٩

١- فبهذا يظهر فساد ما اشكل على صاحب شرح الزيارة (الشيخ الأحسائي)، من تقديم الزائر رضا آل البيت عليهم السلام في الذكر على رضا الله؛ لأنّ رضاهم عين رضا الله (و إن أجاب عن الإشكال بوجوه و نحن أغمضنا عن ذكرها)، و لا- فرق بين رضاءين أوّلا، كما قال تعالى: «و ما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله» و لكون آل البيت عليهم السلام أقرب إليه لإمكانهم الذاتى، و كونهم مخلوقين مثله، ثانيا. و إن كان الله سبحانه أقرب إليه من جبل الوريد و من شدّه قربه إليه يحول بينه و بين قلبه. و لكنّ هذا القرب منه تعالى إليه قرب على قيوّمى بالنسبه إلى معلومه، و هو يتعلّق بالشأن الوجودى للمعلول. فالحاصل أنّ أقربيه كلّ منهما بالنسبه إليه من جهه خاصّه غير دخيله فى جهه أقربيه الآخر إليه، فتدبرّ حتى تخبر. و ثالثا: أنّ آل البيت عليهم السلام باب الله، و رضاهم هو باب الدخول فى رضوان الله، فالباب بهذا الاعتبار مقدّم على الدار.

«فإني لكم مطيع، من أطاعكم فقد أطاع الله، و من عصاكم

فقد عصى الله، و من أحبكم فقد أحب الله، و من أبغضكم فقد

أبغض الله»

و فيه خمس نكات:

الأولى: يريد الزائر هنا التوبة بعد تضرّعه إلى الله و إلى آل البيت عليهم السّلام بأن يضمن لله الطاعة و الإعراض عن المعصية، لأنّ للتوبة شرائط أصليّة و شرائط للكمال، فالتضرّع شرط لكمالها، و لكنّ الالتزام بالطاعة و الندامة عن المعصية شرط أصليّ لها، فالزائر يتوب إلى الله بالشرائط كلّها لتكون توبته مقبولة عند الله، و ليستجلب شفاعه آل البيت عليهم السّلام و وساطتهم إليه سبحانه.

الثانية: يقول: «فإني لكم مطيع»، و لا يعبر عن قصده ب«فإني مطيع لكم» ليفيد الحصر، فلو عبّر عكس ذلك لم يفد الحصر، لما قالت الأدباء:

«تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر»، و هذا الحصر ناشئ من وحده الصراط، كما قال تعالى: وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ (١)؛ و هو ليس إلا صراط آل البيت عليهم السّلام، و يدلّ عليه ما ورد

ص: ٦٣٠

من الأخبار في تأويل قوله سبحانه: إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١)، و ما تشببه من الآيات (هذا مضافا إلى أنه مصرح بكونهم عليهم السلام هم الصراط في نفس هذه الزيارة، كما سبق شرحه).

الثالثة: ينبعث الزائر إلى كونه مطيعا لهم عليهم السلام بثلاثة بواعث:

ألف) الاستعطاف.

ب) إرادته التوبه.

ج) بقاءه على الإيمان و إقراره به و إن كان مقصرا في العمل و الخلق.

الرابعة: (من أطاعكم فقد أطاع الله، و من عصاكم فقد عصى الله) يقرّ الزائر بأن طاعه آل البيت عليهم السّلام هي طاعه الله و مطيعهم مطيعه سبحانه، و كذلك في المعصية و مرتكبها، كما قال تعالى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (٢)، فهذا الإقرار من الزائر يحكى عن معرفته بصله آل البيت عليهم السلام الكامله مع الله سبحانه، كما مرّ غير مرّه ما يشبه ذلك.

الخامسة: (من أحبكم... يقرّ الزائر بأن من أحب آل البيت عليهم السّلام أحبّ الله، و هكذا في من أبغضهم؛ لأنهم عليهم السّلام فانون في الله ذاتا و إرادته و فعلا و قولاً، ينتج هذا الفناء الكامل منهم فيه سبحانه أن يكون محبهم محبا لله، و مبغضهم مبغضا لله. و أمّا الشواهد على المراد فكالتالى: الشاهد على

ص: ٦٣١

١- الفاتحه: ٦. [١]

٢- ٢. النساء: ٨٠. [٢]

فنائهم الذاتى، مضافا إلى كون فناءاتهم الآتية متفرّعه إلى هذا الفناء، كمال معرفتهم بالعزّ الربوبى و الدّلّ العبودى، و الفقر الممكن إلى الواجب: يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ (١). و الشاهد على فنائهم إرادته: عن أبى الحسن عليه السّلام قال: «إنّ الله جعل قلوب الأئمّه موردا لإرادته، فإذا شاء الله شيئا شاءوه، و هو قوله: وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢)»، و على فنائهم فعلا، قوله سبحانه: وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (٣)، و على فنائهم فى الله سبحانه قولاً، قوله: وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤).

١٤٤ [اللهم انى... و نعم الوكيل]

«اللهم انى لو وجدت شفعا أقرب إليك من محمّد و أهل بيته الأخيار، الأئمّه الأبرار، لجعلتهم شفعاى، فبحقهم الذى أوجبت لهم عليك، أسألك أن تدخلنى فى جملة العارفين بهم و بحقهم، و فى زمرة المرحومين بشفاعتهم إنك أرحم

ص: ٦٣٢

١- فاطر: ١٥. [١]

٢- ٢. التكوير ٢٩، [٢] تفسير نور الثقلين ٥: ٥١٩/٥ ح ٣٠- [٣] عن تفسير القمى. [٤]

٣- ٣. الأنفال: ١٧. [٥]

٤- ٤. النجم: ٤، ٣، [٦] هذه الآيه و نظيرتها «و ما رميت...» و إن خاطب الله بهما الرسول، لكنهما تجريان فى آل البيت عليهم السّلام أيضا. لنفسيتهم للنبي و خلافتهم عنه صلى الله عليه و اله.

الزّاحمين، و صلّى الله على محمّد و آله الطّاهرين، و سلّم تسليماً كثيراً، و حسبنا الله و نعم الوكيل» و فيه إحدى عشره نكته:

الأولى: أنّ الزائر بعد زيارته يتضرّع إلى الله تعالى؛ لأنّه سبحانه كما هو الأوّل هو الآخر، فللهذا ندبت بالبسملة في أوّل كلّ أمر و الحمدله في آخره، مضافاً إلى أنّ بهذا التضرّع تنتهى زيارته بمسك الختام.

الثانية: فى ما قدّم الزائر من كمالات آل البيت عليهم السّلام بأنواعها و أوصافهم و شؤونهم عليهم السلام صار مؤمناً عارفاً بهم، و يكونهم باب الله الوحيد و سبيله الفريده، و هنا يقرّ بهذا فى ضمن تضرّعه إلى الله.

الثالثة: يقرّ الزائر بأنّه لم يجد شفعاء أقرب إلى الله من النّبىّ و أهل بيته، و قد عبّر عن عدم وجدانه بلفظه «لو» الشرطيّه بدل أختها «إن» الشرطيّه، و كأنّه يقول: يمتنع أن يوجد شفيع بمثل قربهم إلى الله. فتبيّن من هذا كونهم أفضل من جميع المقرّبين من الأنبياء و المرسلين و الملائكة، فعدم وجدانه هذا دليل على عدم الوجود، و إلّا لزم الكذب المنافى للعصمه (1)؛ لأنّ الزائر يقول هذا تعلّماً عن المعصوم).

الرابعة: إقرار الزائر بأقربيه آل البيت عليهم السّلام (و هم شفعاء) إلى الله من

ص: ٦٣٣

١- و إن أردت أن تستدلّ على المراد بأكثر ممّا أوردنا هنا، فراجع ما سبق من الفصول حتّى تجد أدلّه أخرى.

غيرهم، قد حصل ممّا عرفهم فى الفصول السابقه و عرف بالملازمه أو التضمّن، إمّا ببطلان غيرهم أو بنقصانه، وإمّا بالنقصان، فلهذا لا يستشفع بغيرهم؛ لعدم صدور الأثر عن الباطل، وللزوم كون الأكمل أقرب، و كون الأقرب شفيعا.

الخامسه: أنّ شفاعه آل البيت عليهم السّلام مجعوله منه سبحانه، و مجعوليتها ملازمه لمأذونيتها؛ لامتناع أن يجعل الله أحدا شفيعا ثمّ لا يأذن له بالشفاعه، و لاستحاله أن يأذن الله لأحد فى الشفاعه مع عدم جعله لها، فالحاصل أنّ شفاعتهم مأذونه مجعوله، فالزائر يستشفع من شفعاء كهؤلاء، فكلّ شفاعه كهذه من كلّ شفيع مثلهم ممتنع الرّدّ و واجب القبول، و كلّ شفاعه مقبوله ينجو بها المستشفع من الهلاك قطعا أو يصل إلى علوّ درجاته حتما.

السادسه: (فبحقّهم الذى أوجبت لهم عليك) فى إيجاب الله الحقّ على آل البيت عليهم السّلام أنّه تعالى أوجب لآل البيت عليهم السّلام حقّا على نفسه، و هذا ثابت بالبرهان و القرآن، أمّا البرهان فهو عدله و حكمته، و بهما يمتنع إضاعه حقّ ذى حقّ، فالإمامه و النبوه و الهدايه و أشباه ذلك من الشؤون لا تبقى بلا أجر، و أمّا القرآن فكما قال تعالى على لسان نوح عليه السّلام: **إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ (١)**، و قال تعالى على لسان نوح عليه السّلام أيضا: **إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى**

ص: ٦٣٤

رَبِّ الْعَالَمِينَ (١)، فكلّما كان موجب حقّ أعظم كان الحقّ بالنسبه إلى مستوجبه أعظم، فحيث لا موجب أعظم من النبوّه و الإمامه فليس حقّ أعظم من حقّهما.

السابعه: قد قلنا فى ما سبق: إنّ وساطه آل البيت عليهم السّلام فى قضاء حوائج المؤمن تعدّ من شؤون الشفاعة، إذا يلزمه أن يقدّم ذكرهم و يؤخّر مسألته ليستجاب دعاؤه، فلو قدّم ذكر حاجته و أخر توسيطهم كان ممّن لا يعبأ به لعدم استقامه دعائه، قال تعالى: قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (٢)، مضافا إلى ما خاطبهم عليهم السّلام فى ما سبق بقوله: «و مقدّمكم أمام طلبتى و حوائجى و إرادتى (مراداتى) فى كلّ أحوالى و أمورى».

الثامنه: (أسألك أن تدخلنى...) يسأل الزائر بتوسيطهم عليهم السلام أن يدخله الله فى جملة العارفين بهم، مع ما أقرّ فيما سبق بأنّه عارف (عارف بكم و بضلاله من خالفكم)، فتعارض مسألته هذه ظاهرا مع إقراره السابق، و الجواب عن ذلك من وجوه:

ألف) يريد من مسألته هنا أن يثبتّه الله على معرفتهم إلى أن يدخل فى جملة العارفين.

ب) أن يقوى عرفانه حتى لا يزول.

ص: ٦٣٥

١- الشعراء: ١٠٩. [١]

٢-٢. الفرقان: ٧٧. [٢]

ج) أنّ عرفانه بهم وإن كان منتجا لنتائج المطلوبه، ومنها دخوله فى جملة العارفين بهم و بحقهم، ولكنه يحتاج إلى أن ينجز الله وعده من ترتيب الآثار المطلوبه من العرفان بهم، لأنه سبحانه هو الفعّال لما يشاء و الحاكم لما يريد، ولا يخرج شىء أو أمر عن سلطانه، ولا يحدّ حادّ قدرته المطلقه.

التاسعه: يسأل الزائر هنا دخوله فى زمرة المرحومين بشفاعتهم، مع أنّ علينا عليه السّلام قال: «و لا شفيع أنجح من التّوبه» (1)، فينبغى إذا أن يسأل توفيق التّوبه؛ لأنّ شفاعتها ظاهرا طبق هذا أنجح من شفاعتهم، نجيب عنه بأنّ شفاعه التّوبه مؤثّره فى رفع العذاب، و لكنّ الزائر فى مسأله هذه يسأل ارتفاع الدرجه، وهذا لا يترتب على التّوبه، مضافا إلى عدم تنافى التّوبه مع شفاعتهم، لأنّ التّوبه مقبوله بهم، فتكون التّوبه إذا سببا قريبا لرفع العذاب، و يكون آل البيت عليهم السّلام سببا بعيدا له، فنسبه رفع عذاب الزائر إلى كلّ من التّوبه و إلى آل البيت عليهم السّلام نسبه صحيحه كنسبه فتح البلد إلى السلطان مرّه و إلى العسكر أخرى.

العاشره: يختم الزائر طلباته بالصلاه مع تعبيره ب«و صلّى الله...» (دون أن يعترّب «أصلّى و أسلم») و بالتسليم الكثير، لأنّ الصلاه هى الرحمه الخاصّه، و ليس للزائر رحمه دون رحمه الله، و أمّا وصفه التسليم بالكثير

ص: ٦٣٦

١- الكافى ٨: ١٩٠ ح ٤ خطبه لأمير المؤمنين عليه السّلام و هى خطبه الوسيله. [١]

لكون التسليم تحية منقطعه، بخلاف الصلاة فإنها غير منقطعه فالكثرة تكون في الصلاة فلا حاجة إلى وصفه إياها بالكثرة، ولكن التسليم ينبغي وصفه بها، مضافاً إلى أن طلب الصلاة و التسليم للزائر من الله يجاب قطعاً؛ لقوله سبحانه: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (١).

الحادية عشرة: يريد الزائر من هذه الآية الكريمة: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (٢) بيان تبرّيه من الشرك، وإقراره بأن الاستقلال في المؤثر لله فقط ولا يشرك به سبحانه آل البيت عليهم السلام ولا يطلب منهم إلا الشفاعة إلى الله، وأن شفاعتهم عليهم السلام من شؤون وكالته الحسنه وكفايته التامه، وهم عليهم السلام غير مستقلين في التأثير، ينتج هذا الإيمان على هذا النحو: الظفر بنعمه الله وفضله العظيم، ورضوانه الأ-كبر، والصيانه من مسّ السوء، كما قال تعالى: فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمِهِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسِهِمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (٣).

ص: ٦٣٧

١- الأحزاب: ٥٦. [١]

٢-٢. آل عمران: ١٧٣. [٢]

٣-٣. آل عمران: ١٧٤. [٣]

كلمه الناشر ٣

مقدمه المؤلف ٧

المدخل ١١

الباب الأول: التسليمات

١: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوه» ٢١

٢: «و موضع الرساله» ٣٣

٣: «و مختلف الملائكه» ٣٦

٤: «و مهبط الوحي» ٤٣

٥: «و معدن الزحمه» ٥٠

٦: «و خزان العلم» ٥٤

٧: «و منتهى الحلم» ٥٧

٨: «و أصول الكرم» ٦١

٩: «و قاده الأمم» ٦٤

١٠: «و أولياء النعم» ٦٨

١١: «و عناصر الأبرار» ٧٨

١٢: «و دعائم الأخيار» ٨٣

١٣: «و ساسه العباد، و أركان البلاد» ٨٦

١٤: «و أبواب الإيمان، و أمناء الرحمن» ٨٩

١٥: «و سلاله النبيين، و صفوه المرسلين، و عتره خيره رب العالمين، و رحمه الله و بركاته» ٩٤

تذیب ۹۹

ص: ۶۳۸

١٦: «السَّلام على أئمة الهدى» ١٠٢

١٧: «و مصابيح الدّجى» ١٠٦

١٨: «و أعلام التّقى، و ذوى النّهى» ١٠٨

١٩: «و أولى الحجى، و كهف الورى، و ورثه الأنبياء» ١١١

٢٠: «و المثل الأعلى» ١١٧

٢١: «و الدّعوه الحسنى» ١٢٤

٢٢: «و حجج الله على أهل الدّنيا، و الآخرة و الأولى، و رحمه الله و بركاته» ١٢٧

تذنيب ١٣٢

٢٣: «السَّلام على محالّ معرفه الله» ١٣٤

٢٤: «و مساكن بركه الله» ١٣٩

٢٥: «و معادن حكمه الله» ١٤١

٢٦: «و حفظه سرّ الله» ١٤٥

٢٧: «و حملة كتاب الله» ١٥٠

٢٨: «و أوصياء نبىّ الله» ١٥٦

٢٩: «و ذرّيّه رسول الله صلىّ الله عليه و آله، و رحمه الله و بركاته» ١٥٩

تذنيب ١٦٣

٣٠: «السَّلام على الدّعاء إلى الله» ١٦٤

٣١: «و الأدلاء على مرضاه الله» ١٦٨

٣٢: «و المستقرّين فى أمر الله» ١٧٣

٣٣: «و التّامين فى محبّه الله» ١٧٦

٣٤: «والمخلصين في توحيد الله» ١٨١

٣٥: «والمظهرين لأمر الله و نهيه» ١٨٤

٣٦: «و عباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون، و رحمه الله و بركاته» ١٨٧

تذنيب ١٩١

٣٧: «السلام على الأئمة الدعاه» ١٩٢

ص: ٦٣٩

٣٨: «و القاده الهداه، و الساده الولاه» ١٩٦

٣٩: «و الذاده الحماه» ١٩٩

٤٠: «و أهل الذكر» ٢٠٥

٤١: «و أولى الأمر» ٢٠٩

٤٢: «و بقيه الله و خيرته» ٢١٣

٤٣: «و حزبه» ٢٢٠

٤٤: «و عيبه علمه» ٢٢٥

٤٥: «و حجته» ٢٢٨

٤٦: «و صراطه» ٢٣٢

٤٧: «و نوره» ٢٣٩

٤٨: «و برهانه، و رحمه الله و بركاته» ٢٤٧

تذنيب ٢٤٩

الباب الثاني: الشهادات الأولى

٤٩: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كما شهد الله لنفسه و...» ٢٥٠

٥٠: «و أشهد أن محمداً عبده المنتجب، و رسوله المرتضى، أرسله بالهدى و...» ٢٥٧

٥١: «و أشهد أنكم الأئمة الزاشدون المهديون» ٢٦٣

٥٢: «المعصومون» ٢٦٧

٥٣: «المكترمون» ٢٧١

٥٤: «المقرَّبون» ٢٧٣

٥٥: «المتَّقون» ٢٧٧

٥٦: «الصّادقون» ٢٨٠

٥٧: «المصطفون» ٢٨٣

٥٨: «المطيعون لله» ٢٨٦

٥٩: «القوّامون بأمره» ٢٩١

٦٠: «العاملون بإرادته» ٢٩٥

ص: ٦٤٠

- ٦١: «الفائزون بكرامته» ٢٩٩
- ٦٢: «اصطفاكم بعلمه» ٣٠٣
- ٦٣: «و ارتضاكم لغيبه» ٣٠٦
- ٦٤: «و اختاركم لسره» ٣١٠
- ٦٥: «و اجتباكم بقدرته» ٣١٣
- ٦٦: «و أعزكم بهداه» ٣١٦
- ٦٧: «و خصكم ببرهانه» ٣١٩
- ٦٨: «و انتجبكم لنوره» ٣٢٣
- ٦٩: «و أيدكم بروحه» ٣٢٦
- ٧٠: «و رضيتكم خلفاء في أرضه» ٣٢٩
- ٧١: «و حججا على بريته» ٣٣٤
- ٧٢: «و أنصارا لدينه» ٣٣٧
- ٧٣: «و حفظه لسره» ٣٤١
- ٧٤: «و خزنه لعلمه» ٣٤٤
- ٧٥: «و مستودعا لحكمته» ٣٤٦
- ٧٦: «و تراجمه لوحيه» ٣٤٩
- ٧٧: «و أركاننا لتوحيده» ٣٥٨
- ٧٨: «و شهداء على خلقه» ٣٦٢
- ٧٩: «و أعلاما لعباده، و منارا في بلاده» ٣٦٦
- ٨٠: «و أدلاء على صراطه» ٣٧٠

٨١: «عصمكم الله من الزلزل، و آمنكم من الفتن، و...» ٣٧٤

٨٢: «فعظمت جلاله» ٣٨٤

٨٣: «و أكبرتم شأنه» ٣٨٦

٨٤: «و مجدتم كرمه» ٣٨٩

٨٥: «و أدمتم ذكره» ٣٩٠

ص: ٦٤١

٨٦: «و كُذِّبْتُمْ بِمِيثَاقِهِ، وَ أَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ» ٣٩٤

٨٧: «وَ نَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ» ٣٩٧

٨٨: «وَ دَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ» ٣٩٩

٨٩: «وَ بَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ» ٤٠٣

٩٠: «وَ صَبِرْتُمْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ» ٤٠٦

٩١: «وَ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ، وَ آتَيْتُمُ الزَّكَاةَ» ٤١٠

٩٢: «وَ أَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَ نَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ» ٤١٢

٩٣: «وَ جَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» ٤١٤

٩٤: «حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَ بَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ، وَ...» ٤١٨

٩٥: «وَ صَبِرْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَى، وَ سَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ، وَ صَدَّقْتُمْ مِنْ رِسَالِهِ مِنْ مَضَى» ٤٢٢

الباب الثالث: الآثار

٩٦: «فَالزَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَ اللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ، وَ...» ٤٢٦

٩٧: «وَ مِيرَاثُ النَّبِيِّ عِنْدَكُمْ» ٤٣١

٩٨: «وَ إِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَ حِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ، وَ فَصْلُ الْخُطَابِ عِنْدَكُمْ» ٤٣٥

٩٩: «وَ آيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ» ٤٣٩

١٠٠: «وَ عَزَائِمُهُ فِيكُمْ وَ نُورُهُ وَ بَرَهَانُهُ عِنْدَكُمْ، وَ أَمْرُهُ إِلَيْكُمْ» ٤٤٢

الباب الرابع: النسب

١٠١: «مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ، وَ مَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ، وَ...» ٤٤٦

الباب الخامس: الإقرارات

١٠٢: «أَنْتُمْ الصَّرَاطُ الْأَقْوَمُ» ٤٥١

١٠٣: «و شهداء دار الفناء، و شفعاء دار البقاء» ٤٥٣

١٠٤: «و الرّحمه الموصوله، و الآيه المخزوننه، و الأمانه المحفوظه» ٤٥٨

١٠٥: «و الباب المبتلى به النّاس، من أتاكم نجا و من لم يأتكم هلك» ٤٦٢

الباب السادس: في وظائف الإمامه الحقه

١٠٦: «إلى الله تدعون، و عليه تدلون، و به تؤمنون، و له تسلّمون، و...» ٤٦٨

ص: ٦٤٢

الباب السابع:التناجح،لكونهم عليهم السلام باب حطه

١٠٧:«سعد من والاكم،وهلك من عاداكم،وخاب من جحدكم،و...»٤٧٤

الباب الثامن:الشهادات الثانيه

١٠٨:«أشهد أن هذا سابق لكم فيما مضى و جار لكم فيما بقى»٤٨٤

١٠٩:«و أن ارواحكم و نوركم و طيبتكم واحده،طابت و طهرت بعضها من بعض»٤٨٦

١١٠:«خلقكم الله أنوارا فجعلكم بعرشه محدين»٤٨٨

١١١:«حتى من علينا بكم فجعلكم فى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه»٤٩٣

١١٢:«و جعل صلواتنا عليكم،و ما خصنا به من ولايتكم،طيبا لخلقنا و...»٤٩٧

١١٣:«فكنا عنده مسلمين بفضلكم،و معروفين بتصديقنا إياكم»٥٠١

١١٤:«فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين،و أعلى منازل المقرين،و...»٥٠٥

١١٥:«حتى لا يبقى ملك مقرب،و لا نبي مرسل،و لا صديق و...»٥٠٨

الباب التاسع:الطاعة و الشوق

١١٦:«بأبى أنتم و أمى و أهلى و مالى و أسرتى»٥١٣

١١٧:«أشهد الله و اشهدكم أنى مؤمن بكم و بما آمنتكم به،كافر بعدوكم و...»٥١٦

١١٨:«مؤمن بإيابكم مصدق برجعتكم،منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم»٥٢٢

١١٩:«أخذ بقولكم عامل بأمركم،مستجير بكم زائر لكم لائذ عائذ بقبوركم»٥٢٥

١٢٠:«مستشفع إلى الله عزّ و جلّ بكم و متقرّب بكم إليه،و مقدّمكم أمام طلبتى و...»٥٣٠

١٢١:«مؤمن بسرّكم و علانيتكم،و شاهدكم و غائبكم،و أولكم و آخركم»٥٣٤

١٢٢:«و مفوض فى ذلك كله إليكم،و مسلم فى معكم،و...»٥٣٦

١٢٣:«حتى يحيى الله تعالى دينه بكم،و يردكم فى أيامه،و يظهركم لعدله،و...»٥٤٠

١٢٤: «فمعكم معكم لا مع عدوكم، آمنت بكم و توليت آخركم بما توليت به أولكم» ٥٤٤

١٢٥: «و برئت إلى الله عزّ و جلّ من أعدائكم، و من الجبت و الطّاغوت و...» ٥٤٦

الباب العاشر: التّمّيات

١٢٦: «فتبتني الله أبدا ما حييت على مواليتكم و محبّبتكم و دينكم، و...» ٥٥٢

ص: ٦٤٣

الباب الحادى عشر: الأثنيه

- ١٢٧: «بأبى أنتم و أمى و نفسى و أهلى و مالى، من أراد الله بدأ بكم، و...» ٥٦١
- ١٢٨: «موالى لا أحصى ثناءكم، و لا أبلغ من المدح كنهكم، و من الوصف قدركم» ٥٦٤
- ١٢٩: «و أنتم نور الأخيار، و هداه الأبرار، و حجج الجبار» ٥٦٧
- ١٣٠: «بكم فتح الله و بكم يختم، و بكم ينزل الغيث، و بكم يمسك السماء...» ٥٦٩
- ١٣١: «و عندكم ما نزلت به رسله، و هبطت به ملائكته، و إلى جدكم...» ٥٧٤
- ١٣٢: «طاطأ كل شريف لشرفكم، و بنع كل متكبر لطاعتكم، و خضع...» ٥٨٠
- ١٣٣: «و أشرقت الأرض بنوركم، و فاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك إلى الرضوان...» ٥٨٣
- ١٣٤: «بأبى أنتم و أمى و نفسى و أهلى و مالى، ذكركم فى الذّاكرين، و...» ٥٨٧
- ١٣٥: «فما أحلى أسماءكم، و أكرم أنفسكم، و أعظم شأنكم، و أجلّ خطركم، و...» ٥٩١
- ١٣٦: «كلامكم نور، و أمركم رشد، و وصيتكم التقوى، و فعلكم الخير، و...» ٥٩٥
- ١٣٧: «إن ذكر الخير كنتم أوّله و أصله و فرعه و معدنه و مأواه و منتهاه» ٦٠١
- ١٣٨: «بأبى أنتم و أمى و نفسى، كيف أصف حسن ثنائكم، و أحصى جميل...» ٦٠٦
- ١٣٩: «بأبى أنتم و أمى و نفسى بمواليتكم علّمنا الله معالم ديننا و أصلح...» ٦١٠
- ١٤٠: «و لكم المودّه الواجبه و الدّرجات الرّفيعه و المكان المحمود و...» ٦١٦

الباب الثانى عشر: التضرّع و التوبه

- ١٤١: «ربّنا آمنا بما أنزلت و اتّبعتنا الرّسول فاكبتنا مع الشّاهدين ربّنا لا ترغّ قلوبنا...» ٦٢٣
- ١٤٢: «يا ولىّ الله إنّ بينى و بين الله عزّ و جلّ ذنوبا لا يأتى عليها إلا رضاكم...» ٦٢٧
- ١٤٣: «فإنّى لكم مطيع من أطاعكم فقد أطاع الله و من عصاكم فقد عصى الله و...» ٦٣٠
- ١٤٤: «اللهمّ إنّى لو وجدت شفعا أقرب إليك من محمّد و أهل بيته...» ٦٣٢

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

